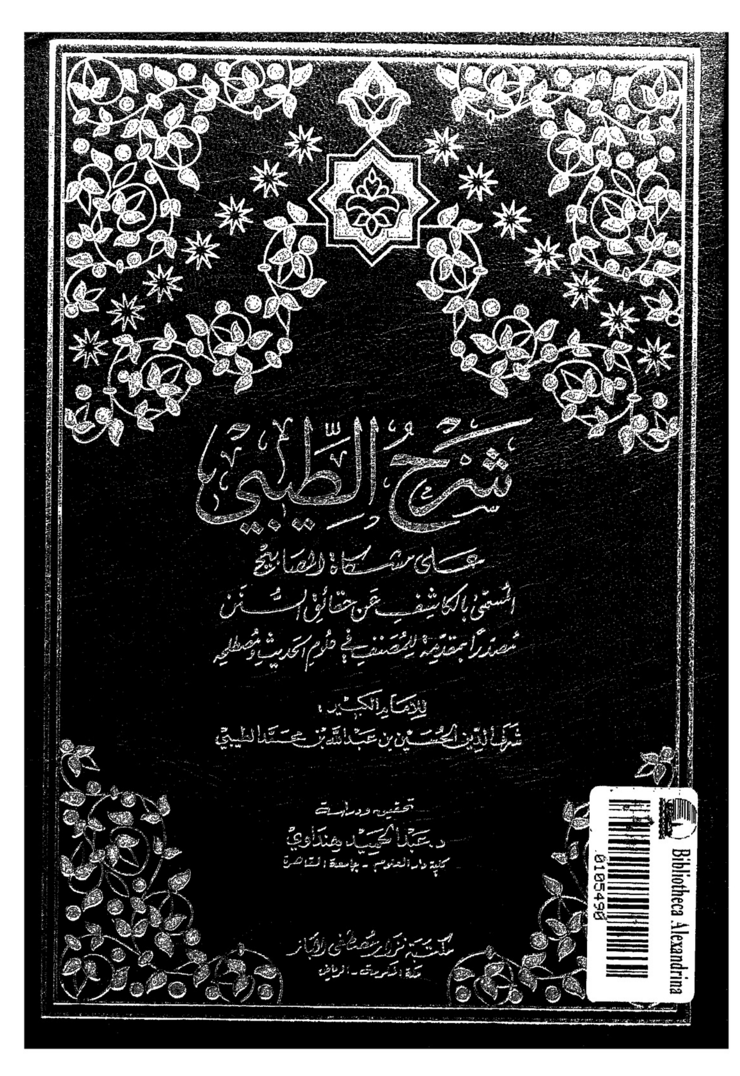
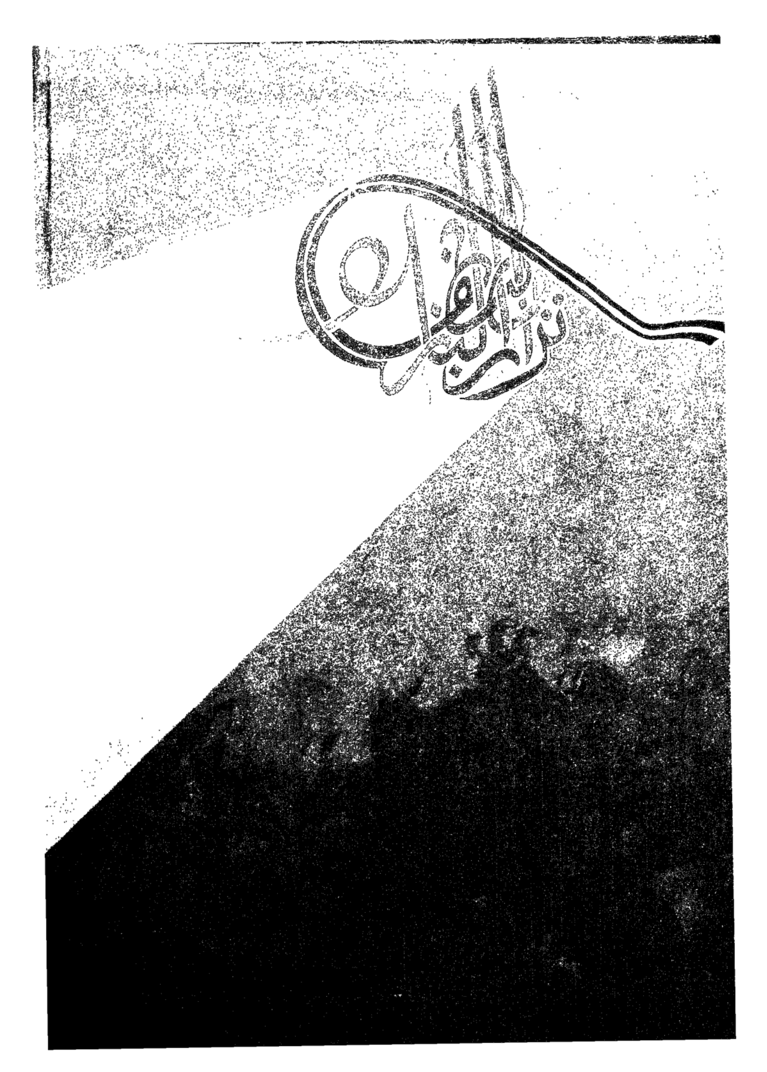
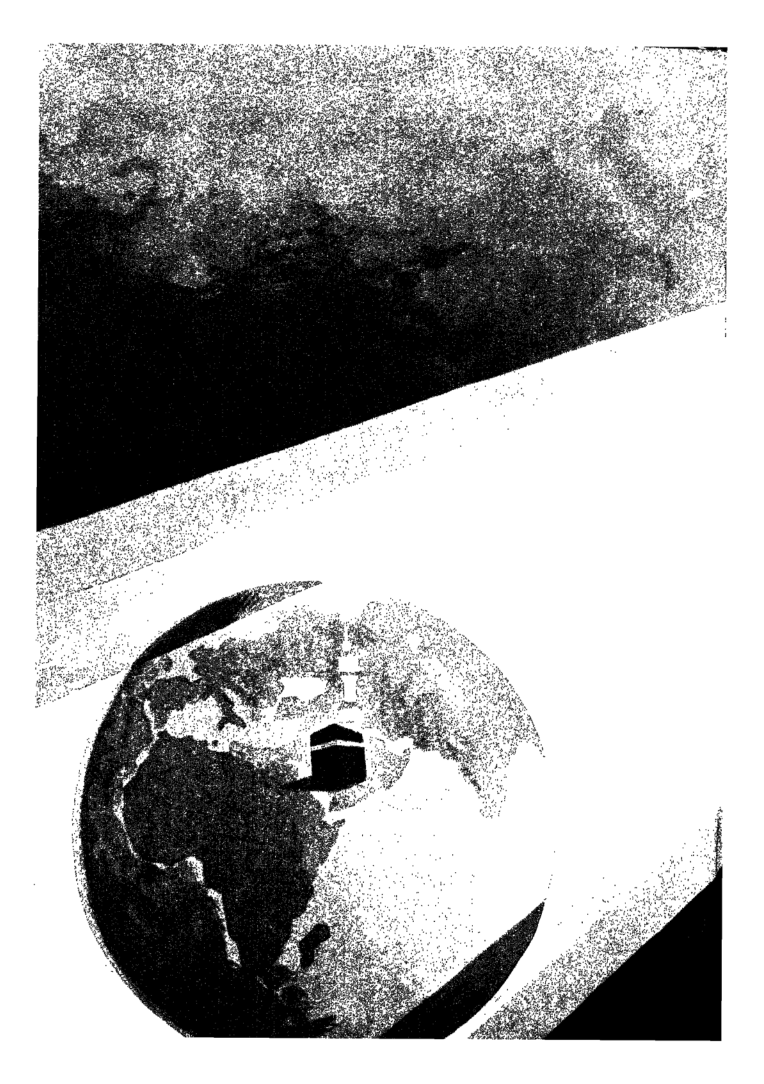


شرح الطيبي
على مشكاة المصابيح
المسمى بالكاشف عن حقائق السنن
مصدراً بمقدمة المصنف في علوم الحديث ومصطلحه
للإمام الكبير
شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي
تحقيق ودراسة
د. عبد الحميد هنداوي
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة
مكتبة نزار مصطفى الباز
مكة المكرمة - الرياض
Bibliotheca Alexandrina
0105490





شرح الطيبي

على مشكاة المصابيح

المسمّى بالكاشف عن حقائق السُّنن

مصدّراً بمقدّمة للمحقّق في علوم الحديث ومصطلحه

للإمام الكبير:

شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمّد الطيبي

توفي ٧٤٣ هـ



المجلّد الثاني عشر

إعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز

تحقيق ودراسة

د. عبد الحميد هنداوي

مكتبة نزار مصطفى الباز

مكة المكرمة - الرياض

○ الطبعة الأولى ○

□ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م □

المملكة العربية السعودية

مكة المكرمة : الشامية - المكتبة ت ٥٧٤٩٠٢٢/٥٧٤٥٠٤٤
مستودع ٥٣٧٢٣٧٤ ص.ب : ٣٠١٩

الرياض - شارع السويدي العام المتقاطع مع شارع
كعب بن زهير - خلف أسواق الراجحي ص.ب : ٦٦٩٣

مكتبة : ٤٢٤٠٣٥٣ مستودع : ٤٢١٩١١ الرمز البريدي : ١١٥٨٦


بسم الله الرحمن الرحيم

(٢) باب أسماء النبي ﷺ وصفاته

باب أسماء النبي ﷺ وصفاته

مح: ذكر أبو بكر بن العربي المالكي في كتابه [الأحوذي في شرح الترمذي]* عن بعضهم: أن لله تعالى ألف اسم، وللنبي ﷺ ألف اسم أيضًا. ثم ذكر منها على التفصيل بضعًا وستين.

قال ابن الجوزي في الوفاء: ذكر أبو الحسين بن فارس اللغوي أن لنبينا ﷺ اثنين وعشرين اسمًا: (محمد) و(أحمد) و(محمود) ـ وقيل: هو اسم مفعول من التحميد، وهو المبالغة من الحمد، يقال حمدت فلانًا أحمده إذا أثنيت عليه بحمد على خصاله وأحمدته إذا وجدته محمودًا ـ ويقال: هذا الرجل محمود، فإذا بلغ النهاية في ذلك وتكاملت فيه المحاسن والمناقب فهو محمد، قال الأعشى يمدح بعض الملوك: إلى الماجد الفرع الجواد المحمد.

أراد الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة، وهذا البناء يدل أبدًا على بلوغ النهاية، كما تقول في الحمد: محمد، وفي الذم: مذمم، وقيل هذا البناء للتكثير نحو: فتحت الباب فهو مفتَّح، إذا فعلت به ذلك مرة بعد أخرى.

و(محمد): اسم منقول من الصفة على سبيل التفاؤل، أي أنه سيكثر حمده.

وأما أحمد: فأفعل من الحمد قطع متعلقه للمبالغة، قال ابن الجوزي في الوفاء: قال ابن قتيبة: ومن أعلام نبوة نبينا ﷺ أنه لم يسمَّ قبله أحد باسمه صيانة من الله تعالى لهذا الاسم، كما فعل بيحيى، إذ لم يجعل له من قبل سميًا، وذلك أن الله تعالى سماه في الكتب المتقدمة وبشر به الأنبياء، فلو جعل الاسم مشتركًا فيه شاعت الدواعي ووقعت الشبهة، إلا أنه لما قرب زمنه، وبشر أهل الكتاب بقربه سموا أولادهم بذلك.

(والماحي): قيل: هو الذي يمحو الله به الكفر، لأنه ﷺ بعث والدنيا مظلمة بغياية الكفر، فأتى ﷺ بالنور الساطع حتى محى الكفر، من قولك: محوت الخط محوًا، ومحت الريح والأمطار رسم الربع.

مح: يحتمل أن يراد به الظهور بالحجة والغلبة، كما قال تعالى: **﴿ليظهره على الدين كله﴾**[1] وجاء في حديث آخر مفسرًا بالذي محيت به سيئات من تبعه، كما قال الله تعالى: **﴿قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾**[2].

(والحاشر): حس: أي يحشر أول الناس، لقوله ﷺ: «أنا أول من تنشق عنه الأرض».

مح: هو من قوله: «يحشر الناس على قدمي» أي على إثري وزمان نبوتي وليس بعدي نبي.

---

(١) التوبة: ٣٣.　　(٢) الأنفال: ٣٨.

* كذا في (ك) ولعلها سقط من النسَّاخ، إذ إن كتاب ابن العربي يُسمى: «عارضة الأحوذي في شرح الترمذي»، وقد ذهل محقق (ط) عند إثباته لاسم الكتاب كاملاً، فأثبته: «تحفة الأحوذي...»، ومن المعروف أن «تحفة الأحوذي» للمباركفوري وليس لابن العربي.

أقول: هو من **الإسناد المجازى**، لأنه سبب فى حشر الناس، لأن الناس لم يحشروا ما لم يحشر، ومنه قولهم: ناقة ضبوث، شك فى سمنها فضبثت أى حبست، وإنما جعلت ضابثة لما بها من الداعى إلى الضبث، ومنه الحلوب والركوب.

والعاقب: مح: قال ابن الأعرابى: العاقب والعقوب الذى يخلف فى الخير من كان قبله، ومنه عقب الرجل يقال لولده.

(والمقفى): قيل: هو على صيغة الفاعل، المولى الذاهب، يقال: قفى عليه أى ذهب به، وكأن المعنى: هو آخر الأنبياء فإذا فنى فلا نبى بعده، فمعنى المقفى والعاقب واحد لأنه تبع الأنبياء صلوات الله عليهم وهو المقفى لأنه المتبع للنبيين، وكل شىء يتبع شيئًا فقد قفاه، يقال: هو يقفو أثر فلان أى يتبعه، قال الله تعالى: **﴿ثم قفَّينا على آثارهم برسلنا﴾**[1] وسميت قافية البيت بها لأنها كلمة تتبع سائر الكلمات وسمى القفا لأنه خلف الوجه. هذا أحد الوجهين فى تسمية النبى ﷺ المقفى.

والوجه الآخر: أن يكون «المقفى» بفتح القاف ويكون مأخوذًا من القفى، والقفى الكريم والضيف، والقفاوة البر واللطف، فكأنه سمى المقفى لكرمه وفضله.

والوجه الأول أحسن وأوضح.

(ونبى الرحمة): قال تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**[2] وقال ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»، والرحمة: اللطف والرأفة والإشفاق لأنه ﷺ كان بالمؤمنين رحيمًا.

(ونبى الملاحم): الملاحم جمع الملحمة وهى الحرب، سمى به لحرصه على الجهاد، ومسارعته إلى القراع، وقلة إحجامه، ولذلك قال على رضى الله عنه: «كنا إذا التحم الناس اتقينا برسول الله ﷺ فلم يكن أحد منا إلى العدو أقرب منه».

قال فى شرح السنة: إن قيل: قد قال النبى ﷺ: «أنا نبى الرحمة ونبى الملاحم» كيف وجه الجمع بينهما؟ وقد قال ﷺ: «إنما أنا رحمة» وقال جل ذكره: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**[3] فكيف يكون مبعوثًا بالرحمة وقد بعث بالسيف؟.

قيل: هو مبعوث بالرحمة كما ذكر وكما أخبر الله تعالى، وذلك أن الله تعالى بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالرحمة، وأيدهم بالمعجزات، فمن أنكر من تلك الأمم الحق بعد الحجة والمعجزة عذبوا بالهلاك والاستئصال، واستُؤْنِى بهذه الأمة فلم يعاجلوا بالهلاك

---

(١) الحديد: ٢٧ . (٢) الأنبياء: ١٠٧.

والاستئصال، ولكن الله أمر نبيه بالجهاد معهم بالسيف ليرتدعوا عن الكفر، ولم يجتاحوا بالسيف فإن للسيف بقية، وليس مع العذاب المنزل بقية.

وروى أن قومًا من العرب قالوا: يا رسول الله أفنانا السيف.

فقال: «ذاك أبقى لآخركم».

فهذا معنى الرحمة المبعوث بها ـ ذكره الخطابى.

قال الشيخ الإمام: ومما يؤيد ذلك حديث عائشة رضى الله عنها: أن الله تعالى بعث إليه ملك الجبال فقال: إن شئت ان أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال رسول الله ﷺ: «بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا».

وهو مبعوث بالرحمة أيضًا حيث إن الله تعالى وضع فى شريعته عن أمته ما كان فى شرائع الأمم السالفة عليهم من الآصار والأغلال، كما قال الله تعالى فى كتابه فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام، ﴿**ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون..**﴾ إلى قوله: ﴿**...ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم**﴾(١)، وأعطى أمته فى الأعمار القصيرة على الأعمال اليسيرة ضعف ما أعطى الأمم الماضية فى الأعمار الطويلة على الأعمال الكثيرة الثقيلة، كما جاء فى حديث ابن عمر: «إن اليهود والنصارى قالوا: ما لنا أكثر عملا وأقل عطاءً؟ قال الله تعالى: «ذلك فضلى أوتيه من أشاء» فقد أكمل الله على الخلائق بإرساله الرحمة، وأتم عليهم النعمة، وأعظم عليهم المنة فلله الحمد أولا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا.

(والشاهد): لأنه هو الذى يشهد يوم القيامة للأنبياء على الأمم بتبليغ الأنبياء إليهم برسالات الله جل ثناؤه، [ويشهد على أمته]* قال تعالى: ﴿**فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا؟**﴾(٢) ويشهد لهم أى يزكيهم، قال الله تعالى: ﴿**لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدًا**﴾(٣).

وقيل: سماه شاهدًا لمشاهدته الحال كأنه الناظر إليها، والمخبر بما شاهد منها، ويقال للسان: الشاهد، لأنه يعبر ويشهد، قال الأعشى:

فلا تحسبنى شاكرًا لك نعمة على ... شاهدى يا شاهد الله فاشهدى

أراد بشاهد نفسه لسانه، وبشاهد الله الملك.

(والمبشر والنذير): بشر أهل الإيمان بالجنة والرضوان وأنذر أهل النار بالخزى والبوار.

---

(١) الأعراف: ١٥٧.　(٢) النساء: ٤١.　(٣) البقرة: ١٤٣.

* زيادة من «ط» ليست فى «ك».

(والضحوك): هو اسمه فى التوراة: وذلك أنه كان طيب النفس فكهًا، وكان لا يحدث بحديث إلا ضحك حتى تبدو نواجذه، وكان لينًا مع الجفاة لطيفًا فى المنطق معهم، كأن وجهه دائرة القمر عند امتلاء نوره ﷺ.

(والمتوكل): الذى يكل أموره إلى الله عز وجل، فإذا أمره الله بالشىء نهض غير هيوب ولا ضرع، فاشتقاق التوكل من قولنا: رجل وكل، أى ضعيف، وكان ﷺ إذا همه أمر عظيم أو نزلت به ملمة من الملمات راجعًا إلى ربه غير متكل على حول نفسه وقوتها.

(والفاتح): سمى به لفتحه من الإيمان أبوابًا [منسدة]●، والفتح الحكم، قال الله تعالى: ﴿**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين**﴾(١) أى احكم، فسمى ﷺ فاتحًا لأنه تعالى جعله حكمًا فى خلقه، فجعلهم على المحجة البيضاء.

ويحتمل أن يكون (الفاتح) من فتحه ما استغلق من العلم، وهذا الوجه مروي عن على رضى الله عنه.

(والأمين) مأخوذ من الأمانة، وكان ﷺ يسمى قبل البعثة أمينًا لما عاينوا من أمانته وحفظه لها، وكل من أمن منه الخلف والكذب فهو أمين.

(والمصطفى) أصل الصفا خلوص الشىء من الشوب، والاصطفاء تناول صفو الشىء، كما أن الاختيار تناول خيره، واصطفاء الله تعالى بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافيًا من الشوب الموجود فى غيره، وقد يكون باختياره وبحكمه وإن لم يتغير ذلك من الأول.

فأما المصطفى فقد شاركه فيه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وعند الإطلاق يفهم (محمد) ﷺ لأنه أرفع قدرًا.

(والخاتم): من ختمت الشىء إذا أتممته وبلغت آخره، وخاتمة الشىء وختامه آخره، ومنه ختم القرآن. سمى ﷺ (خاتم النبيين) لأنه آخرهم فى البعثة إلى الخلق وإن كان فى الفضل أولا.

(والرسول والنبى والأمى): قيل: أراد به أنه من مكة المكرمة وهى أم القرى، وقيل: المراد الذى لا يكتب ولا يقرأ.

(والقثم) من القثم وهو الإعطاء، سمى به ﷺ لأنه كان أجود بالخير من الريح الهابة، ويعطي فلا يبخل، ويمنح فلا يمنع.

---

(١) الأعراف: ٨٩.

● كذا فى «ط» وفى «ك» «مسددة»

أو من القثم: الجمع، يقال للرجل الجموع للخير: قثوم سمى به ﷺ لأنه كان جامعًا لجميع المناقب الرفيعة والفضائل السنية، والأول أصح وأقرب.

ونقل هذه الأسامى من الوفاء، وهو مذكور فى الكتاب والسنة من غير ذلك هذه.

و(نبى التوبة): لأنه تواب كثير التوب والرجوع إلى الله تعالى، لقوله ﷺ: «إنى لأستغفر الله فى اليوم سبعين مرة أو مائة مرة» ولأنه قُبل من أمته التوبة بمجرد الاستغفار بخلاف الأمم السالفة، قال تعالى: **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا﴾**(١) ألم تر كيف عدل عن المضمر إلى المظهر فى قوله: **﴿واستغفر لهم الرسول﴾** أى: شفاعة من اسمه الرسول لقبول توبة المذنبين بمكانة عظيمة عند الله تعالى، ولما كان هذا المعنى مختصًا به سمى: بـ (نبى التوبة).

(والقاسم)*: [قال ﷺ: «[أنا القاسم] والله المعطى».

(والعبد): قال تعالى: **﴿سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً﴾**(٢) **﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى﴾**(٣).

(وعبدالله): قال تعالى: **﴿وأنه لما قام عبدالله يدعوه﴾**(٤).

(والمزمل والمدثر): روى عن عكرمة: أى الذى زمل أمرًا عظيمًا، أى حمله. وروى عن ابن عطاء: يأيها المخفى ما نظهره عليك من آثار الخصوصية آن أوان كشفه فأظهره، فقد أيدناك بمن يتبعك ويوافقك ولا يخذلك ولا يخالفك وهو أبو بكر وعلى رضي الله عنهما.

(والشفيع والشافع والمشفع والحبيب [والخطيب]● والحيى والجليل والداعى) قال تعالى: **﴿وداعيًا إلى الله﴾**(٥) أى: داعيًا لأهل الشرك والجاهلية إلى التوحيد وشرائع الإسلام **﴿بإذنه﴾** أى بتيسيره وتسهيله.

(والسراج المنير) أى السراج المنير الذى جلى الله به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون، كما تجلى ظلمات الليل بالسراج المنير ويهتدى به، أو أمد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الأبصار، ووصفه بالإنارة لأن من السراج ما لا يضىء.

(وحريص ورءوف ورحيم): قال الله تعالى: **﴿حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾**(٦).

---

(١) النساء: ٦٤. (٢) الإسراء: ١. (٣) النجم: ١٠.
(٤) الجن: ١٩. (٥) الأحزاب: ٤٦. (٦) التوبة: ١٢٨.

* كذا فى «ط» وفى «ك» «القسم».

● زيادة من «ط» ليست فى «ك».

الفصل الأول

٥٧٧٦ ـ * عن جُبير بن مُطعِم، قال: سمعتُ النبى ﷺ يقول: «إنَّ لى أسماءً: أنا محمَّد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمىَّ، وأنا العاقب» والعاقب: الذى ليس بعده شىءٌ. متفق عليه.

(والطيب): قال الله تعالى: ﴿الطيبون للطيبات﴾[1].

(وأولوا العزم): قال الله تعالى: ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾[2].

(والصاحب): قال الله تعالى: ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾[3].

(والصالح): هو من قول الأنبياء: «مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح».

(والقائد والسيد)*: من قوله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا قائدهم إذا وفدوا».

(والحرز): من قوله: «وحرزا للأميين».

(والإمام): من قوله: «كنت إمام النبيين».

(والنور): قالت أمه:خرج لها نور أضاء لها.

(والأزهر): من قوله: أزهر اللون.

(والأجود): من قوله: وكان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير.

(والشكور): من قوله: أفلا أكون عبدًا شكورًا؟.

الفصل الأول:

الحديث الأول عن جبير رضى الله عنه:

قوله: «على قدمى» أى على أثرى، والظاهر على قدميه اعتبارًا للموصول إلا أنه اعتبر المعنى المدلول بلفظة: «أنا».

«مح»: ضبطوه بتخفيف الياء على الإفراد، وتشديدها على التثنية.

الحديث الثانى والحديث الثالث عن أبى هريرة رضي الله عنه:

قوله: «شتم قريش» تو: يريد بذلك تعريضهم إياه بمذمم مكان محمد، وكانت العوراء بنت حرب زوجة أبى لهب تقول:

---

(١) النور: ٢٦ . (٢) الأحقاف: ٣٥. (٣) النجم: ٢.

* كذا فى «ط» وفى «ك» «والسيد والقائد والإمام».

٥٧٧٧ ـ * وعن أبى موسى الأشعرى، قال: كان رسول الله ﷺ يُسمِّى لنا نفسه أسماءً فقال: «أنا محمَّد، وأحمد، والمقفى، والحاشر، ونبىُّ التوبة، ونبى الرحمة». رواه مسلم.

٥٧٧٨ ـ * وعن أبى هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عنى شتم قريش ولعنهم! يشتمون مذممًا، ويلعنون مذممًا، وأنا محمَّد» رواه البخارى.

٥٧٧٩ ـ * وعن جابر بن سمرة، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ قد شمط مقدَّمُ رأسه ولحيته، وكان إذا ادَّهن لم يتبيَّن، وإذا شَعِثَ رأسهُ تبين، وكان كثير شعر اللحية، فقال رجلٌ: وجهه مثل السَّيف؟ قال: لابل كان مثلَ الشمس والقمر، وكان مستديراً، ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده. رواه مسلم.

مذمماً قلينا ودينه أبينا وأمره عصينا

الحديث الرابع عن جابر رضي الله عنه:

قوله: «وإذا شعث رأسه» أى تفرق شعر رأسه، فدل هذا على أنه عند الادهان يجمع شعر رأسه ويضم بعضه إلى بعض، وكانت الشعرات البيض من قلتها لا تتبين فإذا شعث رأسه ظهرت.

قوله: «لا بل كان مثل الشمس والقمر» ردَّه الراوى ردًا بليغًا حيث شبهه بالسيف الصقيل، ولما لم يكن الوجه شاملا للطرفين قاصرًا عن تمام المراد من الاستدارة والإشراق الكامل والملاحة، قال: لا بل كان مثل الشمس فى نهاية الإشراق، والقمر فى الحسن والملاحة، وحين جرى التعارف فى تمثيل الشمس بالإشراق والقمر فى الحسن والملاحة دون الاستدارة أتى بقوله: «وكان مستديرًا» بيانًا للمراد فيهما.

الحديث الخامس عن عبدالله بن سرجس رضي الله عنه:

قوله: «ناغض كتفه اليسرى» «نه»*: النغض والناغض أعلى الكتف، وقيل: هو العظم الرقيق الذى على طرفه.

والجمع: هو أن تجمع الأصابع وتضمها، يقال: ضربه بجمع كفه، بضم الجيم.

والخيلان: جمع الخال وهو الشامة فى الجسد.

والثآليل: جمع ثؤلول وهو هذه الحبة التى تظهر فى الجلد كالحمصة فما دونها.

---

* سقط من «ط».

٥٧٨٠ ـ * وعن عبدالله بن سرجسٍ، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ وأكلتُ معَه خبزًا ولحمًا أو قال: ثريدًا ـ ثمَّ دُرْتُ خلفَه، فنظرتُ إلى خاتم النبوَّةِ بينَ كتفَيه عندَ ناغضِ كتفِه اليُسرى، جُمعًا عليه، خيلانٌ كأمثالِ الثّآليلِ. رواه مسلم.

٥٧٨١ ـ * وعن أُمِّ خالدِ بنتِ خالدِ بنِ سعيدٍ، قالت: أُتي النبيُّ ﷺ بثيابٍ فيها خميصةٌ سوداءُ صغيرة، فقال: «ائتوني بأمِّ خالد» فأُتيَ بها تُحمَلُ، فأخذَ الخميصةَ بيده، فألبسَها. قال: «ابلي وأخلقي، ثمَّ ابلي وأخلقي» وكانَ فيها علَمٌ أخضرُ أو أصفرُ. فقال: «يا أمَّ خالد! هذا سَنَاه» وهي بالحبشيَّة: حسنَة. قالت: فذهبتُ ألعب بخاتمِ النبوَّةِ، فزَبَرني أبي، فقال رسولُ الله ﷺ: «دَعْها» رواه البخاري.

مح: وظاهر قوله: «جمعا» يحتمل أن يكون المراد تشبيه به في الهيئة، وأن يكون في المقدار، والمراد به هنا الهيئة ليوافق قوله: «مثل بيضة الحمام».

الحديث السادس عن أم خالد رضى الله عنها:

قوله: «خميصة سوداء» [مظ]*: الخميصة كساء أسود مربع له علمان.

و«تحمل» حال من الضمير فى «بها»، والتكرار فى قوله: «ابلى وأخلقى» دعاء لها بطول عمرها.

«فزبرنى أبى» أى صاح على ونهانى عن ذلك.

وقد أشار الشيخ الصمدانى «شهاب الدين السهروردى» قدس الله سره فى عوارفه إلى استناد المشايخ الصوفية فى لبس الخرقة بهذا الحديث.

الحديث السابع عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «بالطويل البائن» قض: الظاهر البين طوله، من بان إذا ظهر.

نه: أى المفرط طولا الذى يعد من قدر الرجال الطوال.

و«الأمهق» هو الكريه البياض كلون الجص، يريد أنه كان نير البياض.

«ولا بالآدم» أى الشديد السمرة.

و«القطط» أى الشديد الجعودة.

و«السبط» من الشعر المنبسط المسترسل، أى كان شعره ﷺ وسطًا بينهما.

ويقال: «رجل ربعة» ومربوع إذا كان بين الطويل والقصير.

---

* كذا فى «ط» وفى «ك» «نه».

٥٧٨٢ ـ * وعن أنس، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ ليسَ بالطويلِ البائنِ، ولا بالقصيرِ، وليسَ بالأبيضِ الأمهَقِ، ولا بالآدمِ، وليس بالجعدِ القططِ، ولا بالسبط، بعثَه الله على رأس أربعينَ سنة فأقام بمكة عشر سنين، وبالمدينة عشر سنين، وتوفَّاه الله على رأس ستين سنة وليس فى رأسِه ولحيتِه عشرون شعرة بيضاءَ.

وفى روايةٍ يصفُ النبيَّ ﷺ، قال: كانَ رَبْعةً من القومِ، ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ، أزهرَ اللونِ. وقال: كان شعرُ رسولِ الله ﷺ إلى أنصافِ أُذنيهِ.

وفى رواية: بينَ أذنيهِ وعاتقِه. متفق عليه.

وفى رواية للبخارى، قال: كانَ ضخمَ الرَّأس والقدَمينِ، لم أرَ بعدَه ولا قبلَه مثله، وكان سبطَ الكفَّينِ. وفى أخرى له، قال: كان شثْنَ القدمين والكفَّين.

و«الأزهر» الأبيض المستنير، والزهر والزهرة البياض النير وهو أحسن الألوان.

وقوله: «شثن القدمين والكفين» أى أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر، وقيل: هو الذى فى أنامله غلظ بلا قصر، ويحمد ذلك فى الرجال لأنه أشد لقبضهم، ويذم فى النساء.

الحديث الثامن عن البراء رضى الله عنه.

قوله: «لمة أحسن» نه: اللمة من شعر الرأس دون الجمة، سميت بذلك لأنها ألمت بالمنكبين، فإذا زادت فهى الجمة.

الحديث التاسع عن سماك رضى الله عنه.

قوله: «ضليع الفم» «مح»: أى عظيمه، هكذا قاله الأكثرون وهو الأظهر. قالوا: والعرب تمدح ذلك وتذم [صغر]* الفم.

وقال شمر: عظيم الأسنان.

وأما قوله: «أشكل العينين» فقال القاضى عياض: تفسير سماك «أشكل العينين» وهم منه وغلط ظاهر، وصوابه ما اتفق عليه العلماء ونقله أبو عبيدة وجميع أصحاب الغريب، وهو أن الشكلة حمرة فى بياض العين وهو محمود.

وأما «المنهوش» فبالشين المعجمة.

الحديث العاشر عن أبى الطفيل رضى الله عنه:

---

* كذا فى «ط» وفى «ك» «صغير».

٥٧٨٣ ـ * وعن البراءِ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ مربوعًا، بعيدَ ما بينَ المنكبين، له شعرٌ بلغَ شحمةَ أُذنيهِ، رأيتهُ فى حلَّةٍ حمراءَ، لم أرَ شيئًا قطُّ أحسنَ منه. متفق عليه.

وفى روايةٍ لمسلم، قال: ما رأيتُ من ذى لمة أحسنَ فى حُلَّه حمراء من رسولِ الله ﷺ، شعرُه يضربُ منكَبيهِ، بعيد ما بينَ المنكبَينِ، ليسَ بالطويلِ ولا بالقصير.

٥٧٨٤ ـ * وعن سِماكِ بن حربٍ، عن جابر بن سمرةَ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ ضليعَ الفمِ، أشكل العينَينِ، منهوشَ العقبَينِ. قيل لسماك: ما ضليعُ الفمِ؟ قال: عظيمُ الفمِ قيل: ما أشكلُ العَينينِ؟ قال: طويلُ شقِّ العَينِ. قيلَ: ما منهوشُ العقبَينِ؟ قال: قليلُ لحمِ العقِب. رواه مسلم.

٥٧٨٥ ـ * وعن أبى الطفيلِ، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ كانَ أبيضَ مليحًا مُقَصَّدًا. رواه مسلم.

٥٧٨٦ ـ * وعن ثابت، قال: سُئلَ أنسٌ عن خضابِ رسولِ الله ﷺ فقال: إنَّه لم يبلغْ ما يخضبُ، لوْ شئتُ أنْ أعُدَّ شمطاتِه فى لحيتهِ ـ وفى رواية: لو شئتُ أن أعُدَّ شمطاتٍ كنَّ فى رأسهِ ـ فعلتُ. متفق عليه.

قوله: «مقصدًا» نه: هو الذى ليس بطويل ولا قصير، ولا جسيم، كأن خلقه يجىء به القصد من الأمور، والمعتدل الذى لا يميل إلى أحد طرفى التفريط والإفراط.

الحديث الحادى عشر عن ثابت:

قوله: «إنه لم يبلغ ما يخضب» أى كان قليل الشيب لا يظهر فى بدء النظر ولم يفتقر إلى كتمه بالخضاب.

قوله: «شمطاته» نه: الشمط الشيب، والشمطات الشعرات التى كانت فى شعر لحيته يريد به قلتها.

و«نبذ» أى يسير من شيب، يقال: بأرض كذا نبذ من [كذا]* أى شىء يسير.

و«العنفقة» الشعر الذى فى الشفة السفلى، وقيل: الشعر الذى بينها وبين الذقن وأصل العنفقة خفة الشىء وقلته ـ انتهى كلامه.

---

* كذا فى «ط» وفى «ك» «كلأ»

وفى رواية لمسلم، قال: إنما كانَ البياضُ فى عنفقتِه، وفى الصُّدغين وفى الـرَّأس نُبَذٌ.

٥٧٨٧ ـ * وعن أنسٍ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ أزهرَ اللونِ، كأنَّ عرقه اللؤلؤ، إذا مشى تكفَّأ، وما مسَسْتُ ديباجةً ولا حريرًا ألْيَنَ من كفِّ رسولِ الله ﷺ، ولا شَممتُ مسكًا ولا عنبرةً أطيبَ من رائحةِ النبى ﷺ. متفق عليه.

٥٧٨٨ ـ * وعن أُمِّ سلَيم، أنَّ النبىَّ ﷺ كانَ يأتيها، فيقِيلُ عندها. فتبسطُ نطْعًا فيقيلُ عليه، وكانَ كثيرَ العرقِ، فكانت تجمعُ عرقَه فتجعلُه فى الطيب. فقال النبىُّ ﷺ: «يا أمَّ سُليم! ما هذا؟» قالت: عرقُكَ نجعلُه فى طِيبٍ وهو منْ أطْيبِ الطيب.

وفى رواية قالت: يا رسولَ الله! نرجو بركتَه لصبياننا قال: «أصبتِ» متفق عليه.

و«نبذ» مبتدأ، وقوله: «فى عنفقته» خبره، والجملة خبر كان، والعائد محذوف، أى نبذ منه.

الحديث الثانى عشر عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «تكفأ» مح: هو بالهمز وقد يترك همزه، وزعم كثيرون أنه بلا همزة وليس كما قالوا.

تو: قيل: تمايل إلى قدام كما تتكفأ السفينة فى جريها، من قولهم: أكفأته وكفأته إذا أملته، ويقال: كفأت الإناء فانكفأ وتكفأ، وأراد به الترفع عن الأرض مرة واحدة كما يكون من مشى الأقوياء وذوى الجلادة، بخلاف المتماوت الذى يجر رجله فى الأرض، ويدل عليه قول الواصف، إذا مشى تقلع.

«مح»: قال شمر: معناه مال يمينًا وشمالا كما تكفأ السفينة.

قال الأزهرى: هذا خطأ لأن هذه صفة المختال.

قال القاضى عياض: لا يعد فيما قاله «شمر» إذا كان خلقة وجبلة، والمذموم منه ما كان مستعملا مقصودًا.

الحديث الثالث عشر [عن أم سليم رضي الله عنها]*:

قوله: «يأتيها فيقيل» مح: أم حرام وأم سليم كانتا خالتين لرسول الله ﷺ محرمين إما من الرضاع وإما من النسب، فيحل له الخلوة بهما، فكان يدخل عليهما خاصة، ولا يدخل على غيرهما من النساء.

---

* كذا فى «ط» وفى «ك» «عن أنس» وهو خطأ ولعله من الناسخ.

٥٧٨٩ ـ * وعن جابرِ بن سمُرةَ، قال: صلَّيتُ مع رسولِ الله ﷺ صلاةَ الأولى، ثمَّ خرجَ إلى أهلِه وخرجتُ معه، فاستقبلَه ولدانٌ، فجعلَ يمسحُ خدَّى أحدِهم واحدًا واحدًا، وأمَّا أنا فمسحَ خدَّىَّ، فوجَدتُ لِيَدِه بردًا وريحًا كأنما أخرجَها منْ جُؤنةِ عطارٍ رواه مسلم.

وذكر حديث جابر: «سمُّوا باسمى» فى «باب الأسامى».

وحديث السَّائبِ بن يزيد: نظرتُ إلى خاتمِ النبوَّةِ فى «باب أحكام المياه».

الفصل الثانى

٥٧٩٠ ـ * عن على بن أبى طالبٍ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ ليسَ بالطويلِ ولا

تو: قد وجدت فى بعض كتب الحديث أنهما كانتا من ذوات محارم النبى ﷺ لأنه ﷺ لم يكن ليقيل فى بيت أجنبية، وإذا لم يكن بينه وبينها سبب محرم من رحم وصلة فلابد أن يكون ذلك من جهة الرضاع، وإذ قد علمنا أن النبى ﷺ لم يحمل إلى المدينة رضيعًا تعين أن يكون ذلك من قبل أبيه عبدالله، فإنه ولد بالمدينة، وكان عبدالمطلب قد فارق أباه هاشمًا وتزوج بالمدينة من بنى النجار، وأم سليم وأم حرام بنتا ملحان كانتا من بنى النجار، فعرفنا من جميع ذلك أن الحرمة بينهم كانت حرمة رضاع، ولقد وجدنا الجم الغفير من علماء النقل أوردوا أحاديث أم حرام وأم سليم ولم يبين أحد منهم العلة، إما من الغفلة عنها، وإما لعدم العلم بها، فأحببت أن أبين وجه ذلك لئلا يظن جاهل أنه كان فى سعة من ذلك لمكان العصمة، ولا يتذرع به مستبيح إلى الترخص بما لا رخصة فيه، وأرانى ـ والله أعلم ـ أول من وفقت لذلك، فواها لها من درة كنت مستخرجها والله أحمد على هذه الموهبة السنية.

الحديث الرابع عشر عن جابر رضى الله عنه:

قوله: «صلاة الأولى» «مح»: هى صلاة الظهر.

وفي مسحه الصبيان بيان حسن خلقه ﷺ ورحمته للأطفال وملاطفتهم.

وقوله: «من جؤنة عطار»«مح»: هو بضم الجيم التى يعد فيها الطيب ويحرز.

«مح» وفى الحديث بيان طيب ريحه ﷺ وهو مما أكرمه الله سبحانه وتعالى به، قالوا: وكانت هذه الريح الطيبة صفته وإن لم يمس طيبًا، ومع هذا كان يستعمل الطيب فى كثير من الأوقات، مبالغة فى طيب ريحه، لملاقاة الملائكة، وأخذ الوحى الكريم، ومجالسة المسلمين.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن على رضي الله عنه:

بالقصيرِ، ضخمَ الرأسِ واللحيةِ، شَثْنَ الكفَّينِ والقدَمينِ، مشربًا حمرة، ضخم الكراديسِ، طويلَ المسْرُبَةِ، إذا مشى تكفَّأ تكفؤًا، كأنما ينحطُّ من صبب، لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه ﷺ. رواه الترمذى، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح[٥٧٩٠].

٥٧٩١ ـ * وعنه، كانَ إذا وصفَ النبيَّ ﷺ قال: لم يكن بالطويلِ الممغَّط، ولا بالقصيرِ المتردِّدِ، وكانَ ربعةً من القومِ، ولم يكنْ بالجَعد القططِ ولا بالسَّبطِ، كانَ

قوله: «مشربًا حمرة» نه: الإشراب خلط لون بلون، كأن أحد اللونين سقى اللون الآخر، يقال: بياض مشرب حمرة، بالتخفيف فإذا شدد كان للتكثير والمبالغة.

و«الكراديس» رءوس العظام، واحدها كردوس، وقيل: هى ملتقى كل عظمين ضخمين كالركبتين والمرفقين.

و«المسربة» بضم الراء، ما دق من شعر الصدر سائلا إلى الجوف.

قوله: «تكفأ تكفوًا» «نه»: أى تمايل إلى قدام، هكذا روى غير مهموز والأصل الهمزة، وبعضهم يرويه مهموزًا، لأن مصدر تفعل من الصحيح تفعل كتقدم تقدمًا وتكفأ تكفؤًا والهمزة حرف صحيح، وأما إذا اعتل انكسرت عين المستقبل منه نحو: تخفى تخفيًا، وتسمى تسميًا، فإذا خففت الهمزة التحقت بالمعتل وصار تكفيا بالكسر.

حس: «الصبب» الحدور وهو ما انحدر من الأرض، يريد أنه كان يمشى مشيًا قويًّا، يرفع رجليه من الأرض رفعًا تامًّا، لا كمن يمشى اختيالا ويقارب خطاه تنعمًا.

الحديث الثانى عن على رضى الله عنه:

قوله: «الممغط»«نه»: هو بتشديد الميم الثانية، المتناهى الطول، وأمغط النهار إذا امتد، وأمغطت الحبل وغيره إذا مددته، وأصله منمغط والنون للمطاوعة فقلبت ميمًا وأدغمت فى الميم. ويقال بالعين المهملة بمعناه.

و«المتردد» أى المتناهى فى القصر كأنه يرد بعض خلقه على بعض وتداخلت أجزاؤه.

و«المطهم» هو المنتفخ الوجه، وقيل الفاحش السمن، وقيل: النحيف الجسم، وهو من الأضداد.

و«المكلثم» هو من الوجوه القصير الحنك الدانى الجبهة المستدير مع خفة اللحم، أراد أنه كان أسيل الوجه ولم يكن مستديرًا.

[٥٧٩٠] انظر صحيح الترمذى ح رقم ٢٨٧٧

جعدًا رَجْلا، ولم يكنْ بالمطهَّمِ ولا بالمكلثمِ، وكانَ فى الوَجْهِ تدويرٌ، أبيضُ مشربٌ، أدعجُ العَيْنَين، أهدَبُ الأشفارِ، جليلُ المشاشِ والكتد، أجرد، ذو مَسْرُبَةٍ، شثنُ الكفَّينِ والقدَمينِ، إذا مشى يتقلَّعُ كأنما يمشى فى صبَبٍ، وإذا التفتَ التفتَ معًا، بينَ كتفَيهِ خاتم النبوَّةِ، وهو خاتمُ النبيِّينَ، أجودُ الناس صدْرًا، وأصدقُ الناسِ لهجةً، وألْيَنُهم عريكةً، وأكرمُهم عشيرةً، مَن رآهُ بديهةً هابَه، ومَن خالطَه معرفةً أحبَّه، يقول ناعتُه: لم أرَ قبلَه ولا بعدَه مثلَه ﷺ. رواه الترمذى[٥٧٩١].

ولما كان المكلثم المستدير بينه بقوله: «وكان فى الوجه تدوير» نه: لم يكن مستديرًا كل الاستدارة بل كان فيه بعض ذلك، ويكون معنى قوله: «وكان فى الوجه تدوير» أى: كان تدويرًا ما، وكان بين الإسالة والاستدارة [مسنون الوجه]*.

«تو»: قوله: «أدعج» الدعج والدعجة شدة سواد العين وغيرها، يريد أن سواد عينيه كان شديدًا.

وقيل: الدعجة شدة سواد العين فى بياضها.

و«أهدب الأشفار» أى طويل شعر الأجفان.

و«جليل المشاش» أى عظيم رءوس العظام كالمرفقين والركبتين والكتفين.

وقال الجوهرى: هى رءوس العظام اللينة التى يمكن مضغها.

و«الكتد» بفتح التاء وكسرها مجتمع الكتفين وهو الكاهل.

و«الأجرد» الذى ليس على بدنه شعر، ولم يكن ﷺ كذلك، وإنما أراد به أن الشعر كان فى أماكن من بدنه كالمسربة والساعدين والساقين، فإن ضد الأجرد الأشعر وهو الذى على جميع بدنه شعر.

و«شثن الكفين والقدمين» أى أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر، وقيل: هو الذي فى أنامله غلظ بلا قصر، ويحمد ذلك فى الرجال لأنه أشد لقبضهم ويذم فى النساء.

وقوله: «إذا مشى تقلع» أراد قوة مشيه كأنه يرفع رجليه عن الأرض رفعًا قويًّا لا كمن يمشى اختيالا متقارب الخطا، فإن ذلك من مشى النساء، ويوصفن به.

وقوله: «وإذا التفت التفت معًا» أراد أنه لا يسارق بالنظر، وقيل: أراد لا يلوى عنقه يمنة ولا يسرة إذا نظر إلى الشىء، وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف. ولكن كان يقبل جميعًا ويدبر جميعًا: تو: يريد أنه كان إذا توجه إلى الشىء توجه بكليته ولا يخالف ببعض جسده بعضًا كيلا يخالف بدنه قلبه وقصده ومقصده، ثم لما فى ذلك من التلون وأمارة الخفة.

[٥٧٩١] قال الشيخ: إسناده ضعيف.

* زيادة من «ط» ليست فى «ك».

٥٧٩٢ ـ * وعن جابرٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ لم يسلُكْ طريقًا فيتبعُه أحدٌ إلاَّ عرفَ أنَّه قد سلكه، منْ طِيبِ عَرَقِه ـ أو قال: منْ ريحِ عَرَقِه ـ رواه الدارمي[٥٧٩٢].

٥٧٩٣ ـ * وعن أبي عبيدةَ بن محمَّد بن عمار بن ياسر، قال: قلتُ للرُّبيِّع بنتِ معوِّذ بن عفراءَ: صِفي لنا رسولَ الله ﷺ، قالت: يا بُنيَّ لو رأيتَه رأيتَ الشَّمسَ طالعةً. رواه الدارمي [٥٧٩٣].

٥٧٩٤ ـ * وعن جابرِ بن سمُرةَ، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في ليلةِ إضْحِيان، فجعلتُ أنظرُ إلى رسولِ الله ﷺ وإلى القمر، وعليه حُلَّةٌ حمراء، فإذا هو أحسنُ عندي منَ القمرِ. رواه الترمذي، والدارمي [٥٧٩٤].

واللهجة: اللسان، يقال: هو فصيح اللهجة، من لهج بالشيء إذا ولع به.

نه: والعريكة الطبيعة، يقال: فلان لين العريكة إذا كان مطاوعًا* منقادًا قليل الخلاف.

وهاب الشيء يهابه إذا خافه وإذا وقره وعظمه.

و«من رآه بديهة» أي مفاجأة وبغتة، يعني من لقيه قبل الاختلاط به هابه لوقاره وسكونه، فإذا جالسه وخالطه بان له حسن خلقه.

نه: والنعت: وصف الشيء بما فيه من حسن، ولا يقال في القبيح إلا أن يتكلف متكلف فيقول: نعت سوء، والوصف يقال في الحسن والقبح. انتهى كلامه.

والمعنى: من أراد أن يصفه فيعجز عن وصفه فيقول: لم أر قبله.

قوله: «عشرة» هكذا هو في الترمذي والجامع، أي: الصحبة،وفي المصابيح: «العشيرة» أي الصاحب.

الحديث الثالث: عن جابر رضي الله عنه:

قوله: «من ريح عرقه» هو بفتح الراء والقاف، و«أو» لترديد الراوي.

وقد سبق للشيخ محيي الدين معناه في الحديث الآخر من الفصل الأول.

الحديث الرابع عن أبي عبيدة رضي الله عنه:

قوله: «لو رأيته رأيت الشمس طالعة» أي لرأيت منه شمسًا طالعة، جرد من نفسه الزكية الطاهرة شمسًا وهي هي، ونحوه قولك: لئن لقيته ليلقينك منه الأسد وإذا نظرت إليه لم تر إلا أسدًا.

الحديث الخامس عن جابر رضي الله عنه:

[٥٧٩٢] انظر سنن الدارمي (ح٦٦/ ١/ ٤٥, ٤٦).

[٥٧٩٣] انظر سنن الدارمي ح (٦٠/ ١/ ٤٤) ورواه الطبراني في الكبير والأوسط كما في مجمع الزوائد (٨/ ٢٨٠)، ثم قال: «ورجاله وثقوا».

[٥٧٩٤] رواه الترمذي في كتاب الأدب، ح (٢٨١١) ٥/ ١١٨. وفيه أشعث بن سوار وهو ضعيف كما في التقريب (١/ ٧٩)، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب» لا نعرفه إلا من حديث الأشعث والدارمي في سننه ح (٥٧/ ٤٤١).

(*) في (ط) (إذا كان سلسلاً)

٥٧٩٥ ـ * وعن أبى هريرةَ، قال: ما رأيتُ شيئًا أحسنَ منْ رسولِ الله ﷺ، كأنَّ الشَّمسَ تجرى فى وجهه. وما رأيتُ أحدًا أسرعَ فى مشيهِ منْ رسولِ الله ﷺ، كأنما الأرضُ تُطْوى له، إنا لَنُجهدُ أنفُسنا وإنَّه لغيرُ مكترثٍ. رواه الترمذى [٥٧٩٥].

٥٧٩٦ ـ * وعن جابرِ بن سمُرةَ، قال: كانَ فى ساقَىْ رسولِ الله ﷺ حموشة، وكانَ لا يضحك إلا تبسُّما، وكنت إذا نظرتُ إليه قلت: أكحلُ العينين، وليس بأكحل. رواه الترمذى [٥٧٩٦].

قوله: «إضحيان» «فا» يقال: ليلة ضحياء وإضحياء وإضحيانة وهى المقمرة من أولها إلى آخرها، وأفعلان مما قل فى كلامهم وهو بكسر الهمزة.

الحديث السادس عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «كأن الشمس تجرى فى وجهه» شبه جريان الشمس فى فلكها بجريان الحسن فى وجهه، وفيه معنى قول الشاعر:

يزيدك وجهه حسنًا إذا مـــا زدتـه نـظـــــرًا

وفيه أيضًا عكس التشبيه للمبالغة، ويجوز أن يقدر متعلق الخبر للاستقرار فيكون من باب تناسى التشبيه، فجعل وجهه ﷺ مقرًا ومكانًا لها من باب التناسى ومنه قول الشاعر:

هى الشمس مسكنها السماء فعز الفؤاد عزاء جميلا

قوله: «إنا لنجهد أنفسنا» تو: يجوز فيه فتح النون وضمها، يقال: جهد دابته وأجهدها إذا حملها فوق طاقتها.

نه: «لغير مكترث» أى غير مبال، ولا يستعمل إلا فى النفى أما فى الإثبات فشاذ.

الحديث السابع عن جابر رضى الله عنه:

قوله: «حموشة» قض: حموشة الساق دقتها، يقال: حمشت قوائم الدابة إذا دقت، وشفة حمشة قليلة اللحم.

قوله: «لا يضحك إلا تبسمًا» جعل التبسم من الضحك واستثنى منه، فإن التبسم من الضحك بمنزلة السنة من النوم، ومنه قوله تعالى: ﴿فتبسم ضاحكًا من قولها﴾[1] أى شارعًا فى الضحك.

[٥٧٩٥] وقال الشيخ: ضعيف فإن فيه ابن لهيعة.

[٥٧٩٦] رواه الترمذى فى المناقب ح (٣٦٤٥)، وأخرجه أحمد أيضًا فى «مسنده» (٥/٩٧، ١٠٥). والبيهقى فى دلائل النبوة ١/٢١٢.

(١) النمل: ١٩.

الفصل الثالث

٥٧٩٧ ـ * عن ابن عبَّاس، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ أفلج الثنيَّتين، إذا تكلَّم رُئى كالنُّور يخرجُ من بين ثناياه. رواه الدارمى[٥٧٩٧].

٥٧٩٨ ـ * وعن كعب بن مالك، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا سُرَّ استنارَ وجههُ، حتى كأنَّ وجهَه قطعةُ قمر، وكنا نعرف ذلك. متفق عليه.

٥٧٩٩ ـ * وعن أنسٍ، أنَّ غلامًا يهوديًا كانَ يخدم النبى ﷺ، فمرض فأتاه النبى ﷺ يعوده، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة، فقال له رسول الله ﷺ: «يا يهودى! أنشدك بالله الذى أنزل التوراة على موسى، هل تجد فى التوراة نعتى وصفتى ومخرجى؟». قال: لا، قال الفَتى. بلى والله يا رسول الله! إنا نجد لك فى التوراة نعتك وصفتك ومخرجك، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال النبى ﷺ لأصحابه: «أقيموا هذا من عند رأسه، ولُوا أخاكم» رواه البيهقى فى «دلائل النبوة» [٥٧٩٩].

الفصل الثالث

الحديث الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قوله: «أفلج الثنيتين» نه: الفلج بالتحريك فرجة ما بين الثنايا والرباعيات، والفرق فرجة ما بين الثنيتين. انتهى كلامه.

وفى الحديث استعمل «فلج» موضع «فرق» والضمير فى «يخرج» يجوز أن يرجع إلى ما دل عليه «تكلم» وأن يرجع إلى «النور» والكاف زائدة نحو قولك: مثلك يجود، فعلى الأول: تشبيه، ووجه البيان الظهور، كما شبهت الحجة الظاهرة بالنور، وعلى الثانى: لا تشبيه فيه ويكون من معجزاته ﷺ.

الحديث الثانى عن كعب رضي الله عنه:

قوله: «وكنا نعرف ذلك» حال مؤكدة، أى كان ظاهراً جليًا لا يخفى على كل ذى بصر وبصيرة.

الحديث الثالث عن أبى هريرة رضى الله عنه:

[٥٧٩٧] وانظر ضعيف الجامع ح رقم ٤٤٧٠، والضعيفة ٤٢٢٠.

[٥٧٩٩] انظر دلائل النبوة للبيهقى ٦/ ٢٧٢.

٥٨٠٠ ـ * وعن أبى هريرةَ، عن النبى ﷺ أنه قال: «إنما أنا رحمة مُهْداةٌ» رواه الدارمى، والبيهقى فى «شعب الإيمان» [٥٨٠٠].

(٣) باب فى أخلاقه وشمائله ﷺ

الفصل الأول

٥٨٠١ ـ * عن أنسٍ، قال: خدمتُ النبىَّ ﷺ عشر سنين، فما قال لى: أُفٍّ ولا: لم صنعتَ؟ ولا: ألا صنعتَ؟ متفق عليه.

قوله: «إنما أنا رحمة مهداة» أى ما أنا إلا رحمة للعالمين أهداها الله إليهم، فمن قبل هديته أفلح ونجا، ومن لم يقبل خاب وخسر، كقوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[1].

باب فى أخلاقه وشمائله ﷺ

نه: الخلق بضم اللام وسكونها الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، والثواب والعقاب متعلقان بأوصاف الصورة الباطنة أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة.

والشمائل: جمع شمال وهو الخلق.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «أف» اسم الفعل بمعنى الضجر والكره، وحرف التحضيض دخل على الماضى فأفاد التقديم، كما فى المضارع يفيد التحريض.

واعلم أن ترك اعتراض النبى ﷺ على أنس رضي الله عنه فيما خالف أمره إنما يعرض فيما يتعلق بالخدمة والآداب، لا فيما يتعلق بالتكاليف الشرعية فإنه لا يجوز ترك الاعتراض فيه.

وفيه أيضًا مدح أنس فإنه لم يرتكب ما يتوجه إليه من النبى ﷺ اعتراض ما.

الحديث الثانى عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «حتى أمر» حكاية الحال الماضية، كما تقول: شربت الإبل حتى يجر بطنه، ويجوز أن تكون حتى ناصبة بمعنى كي.

[٥٨٠٠] انظر صحيح الجامع ح رقم ٢٣٤٥، الصحيحة برقم ٤٩٠.

(١) الأنبياء:١٠٧

٥٨٠٢ ـ * وعنه، قال: كان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خُلُقًا، فأرسلنى يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفى نفسى أنْ أذْهب لما أمرنى به رسول الله ﷺ، فخرجتُ حتى أمرَّ على صبيان وهم يلعبون فى السُّوق، فإذا رسول الله ﷺ قد قَبَض بقفاى من ورائى، قال: فنظرتُ إليه وهو يضحك، فقال: «يا أنيس! ذهبتَ حيث أمرتك؟». قلت: نعم، أنا أذهب يا رسول الله!. رواه مسلم.

وقول أنس رضى الله عنه: «نعم» فى جواب النبى ﷺ: «ذهبت حيث أمرتك؟» مع أنه لم يذهب منبئ عن* عزمه على ذهابه إلى المأمور به، فإنه قد جزم بذهابه إليه فكأنه قد ذهب، ولهذا قال: أنا ذاهب، ويحمل قوله لرسول الله ﷺ: والله لا أذهب، وأمثاله على أنه كان صبيًا غير مكلف.

الحديث الثالث عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «نجرانى» نه: هو موضع معروف بين الحجاز والشام واليمن.

والجبذ: لغة فى الجذب، وقيل: هو مقلوب منه.

قوله: «فى نحر الأعرابى» أى استقبل ﷺ نحره استقبالا تامًا، وهو معنى قوله: «وإذا التفت التفت معًا» وهذا يدل على أنه لم يتغير ولم يتأثر من سوء أدبه، ولعله كان من المؤلفة قلوبهم ولذلك خاطبه باسمه.

الحديث الرابع عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «فاستقبلهم» الضمير راجع إلى ما دل عليه الصوت الذى فزع منه أهل المدينة.

قوله: «لم تراعوا» معناه لا فزع ولا روع فاسكنوا.

حس: ويروى: «لن تراعوا» والعرب تضع «لم» و«لن» موضع «لا» انتهى كلامه.

فعلى هذا يكون خبرًا فى معنى النهى.

وقوله: «ما عليه سرج» صفة أخرى لفرس جاء بيانًا وتأكيدًا.

قوله: «فى عنقه» أى فى عنق النبى ﷺ سيف.

وقوله: «بحرًا» أى جوادًا واسع الجري، وذلك الفرس يسمى «المندوب» أى المطلوب.

مح: فيه بيان ما أكرمه الله تعالى به من جليل الصفات.

وفيه: معجزة انقلاب الفرس سريعًا بعد أن كان بطيئًا.

---

* فى(ط): (مبنيٌّ على).

٥٨٠٣ ـ * وعنه، قال: كنت أمشى معَ رسولِ الله ﷺ وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى، فجبذه بردائه جبْذَةً شديدةً، ورجع نبى الله ﷺ فى نحر الأعرابى حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثَّرت بها حاشية البرد من شدَّة جَبْذته، ثم قال: يا محمَّدا! مُرْ لى من مال الله الذى عندك، فالتفتَ إليه رسول الله ﷺ، ثم ضحك، ثم أمرَ له بعطاءٍ. متفق عليه.

٥٨٠٤ ـ * وعنه، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناسِ، وأجودَ الناسِ، وأشجعَ الناسِ، ولقد فَزع أهلُ المدينةِ ذاتَ ليلةٍ، فانطلقَ الناسُ قِبَل الصوت، فاستقبلهم النبى ﷺ قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقولُ: «لم تُراعوا، لم تُراعوا» وهو على فرس لأبى طلحةَ عُرْى ما عليهِ سرْجٌ، وفى عنقه سَيفٌ. فقال: «لقد وجدتُه بحرًا» متفق عليه.

٥٨٠٥ ـ * وعن جابرٍ، قال: ما سُئلَ رسولُ الله ﷺ شيئًا قطُّ فقال: لا. متفق عليه.

وفيه: جواز سبق الإنسان وحده فى كشف أخبار العدو ما لم يتحقق الهلاك.

وجواز العارية.

وفيه جواز الغزو على الفرس المستعار.

واستحباب تقلد السيف فى العنق.

وتبشير الناس بعد الخوف إذا ذهب

الحديث الخامس عن جابر رضي الله عنه:

قوله: «فقال: لا» ومنه قول الفرزدق فى زين العابدين:

حمال أثقال أقوام إذا فُدحوا　　حلو الشمائل يحلو عنده نعم*

ما قال: لاقطُّ إلا فى تشهده　　لولا التشهد لم ينطق بذاك فم

الحديث السادس عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «ما يخاف الفقر» يجوز أن يكون حالا من ضمير يعطى، وأن يكون صفة لعطاء، والتنكير فيه للتعظيم، أى: عطاء ما يخاف الفقر معه.

---

* كذا فى ط، وفى ك (وعده نعم) والكلمة التى قبلها غير واضحة، كأنها (تعد).

٥٨٠٦ ـ * وعن أنسٍ، أنَّ رجلا سأل النبىَّ ﷺ غنمًا بينَ جبلَينِ، فأعطاهُ إيّاهُ، فأتى قومَه، فقال: أىْ قومِ! أسلِموا، فوَاللهِ إنَّ محمَّدًا ليُعطى عطاءً ما يخافُ الفقر. رواه مسلم.

٥٨٠٧ ـ * وعن جُبيرِ بنِ مُطعمٍ، بينما هو يسيرُ معَ رسول الله ﷺ مقفلَه من حُنينٍ، فعلقتِ الأعرابُ يسألونَه حتى اضطرُّوه إلى سمُرة، فخطفتْ رِداءَه فوقفَ النبىُّ ﷺ، فقال: «أعطونى ردائى، لو كانَ لى [عددَ]* هذهِ العِضاهِ نَعَمٌ لقسمتُه بينكم، ثمَّ لا تجدونى بخيلاً ولا كذوبًا ولا جبانًا». رواه البخارى.

وقوله: «يا قوم أسلموا» فإن قلت: كيف دل هذا الوصف على وجوب الإسلام؟

قلت: مقام ادعاء النبوة مع العطاء الجزيل يدل على وثوقه على من أرسله إلى دعوة الخلق، فإن من جبلة الإنسان خوف الفقر، كما قال الله تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾(١).

الحديث السابع عن جبير رضى الله عنه:

قوله: «مقفله» مصدر ميمى، أو اسم زمان، أى عند رجوعه أو زمان رجوعه.

وقوله: «فعلقت الأعراب» أى طفقت، وقيل: تشبثت.

وقوله: «فخطفت» أى علق رداؤه بها، فاستعير لها الخطف.

وفى الغريبين: «العضاه» اسم شجر أم غيلان، وقيل: كل شجر له شوك عظيم، الواحدة عضة، وأصلها عضهة.

و«عدد» منصوب على المصدر، أى بعدد عددها، أو على نزع الخافض، أى بعددها.

قوله: «ثم لا تجدونى بخيلا» مظ: يعنى إذا جربتمونى فى الوقائع لا تجدونى متصفًا بالأوصاف الرذيلة.

وفيه: دليل على جواز تعريف نفسه بالأوصاف الحميدة لمن لا يعرفه ليعتمد عليه.

أقول: «ثم» هنا للتراخى فى الرتبة، يعنى: أنا فى ذلك العطاء لست بمضطر إليه، بل أعطيه مع أريحية نفس ووفور نشاط، ولا بكذوب أدفعكم عن نفسى ثم أمنعكم عنه، ولا بجبان أخاف أحدًا. فهو كالتتميم للكلام السابق.

الحديث الثامن والتاسع والعاشر عن أنس رضي الله عنه:

---

(١) البقرة: ٢٦٨.

* كذا نصَّ الطِّيبى عليها بالنصب، ووجدناها فى المتن، وفى مشكاة المصابيح تحقيق الشيخ الألبانى، وفى المرقاة بالرفع، ولعل الصَّواب ما أثبتناه.

٥٨٠٨ ـ * وعن أنسٍ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا صلَّى الغَداةَ جاءَ خدمُ المدينةِ بآنيتهم فيها الماءُ، فما يأتونَ بإناءٍ إلا غمسَ يدَه فيها، فربُما جاءوهُ بالغَداةِ الباردةِ فيغمسُ يدَه فيها. رواه مسلم.

٥٨٠٩ ـ * وعنه، قال: كانت أمَةٌ منْ إماءِ أهلِ المدينةِ تأخذُ بيدِ رسولِ الله ﷺ فتنطلقُ به حيثُ شاءتْ. رواه البخاري.

٥٨١٠ ـ * وعنه، أنَّ امرأة كانتْ فى عقلها شيءٌ، فقالتْ: يا رسولَ الله! إنَّ لى إليكَ حاجةً، فقال: «يا أُمَّ فلان! انظرى أى السككِ شئتِ حتى أقضيَ لكِ حاجتكِ» فخَلا معَها فى بعضِ الطرقِ، حتى فرغتْ منْ حاجتِها. رواه مسلم.

٥٨١١ ـ * وعنه، قال: لم يكنْ رسولُ الله ﷺ فاحشًا ولا لعَّانا ولا سبَّابًا، كانَ يقولُ عندَ المعتَبَةِ: «ما لَه تربَ جَبينُه؟!». رواه البخارى.

قوله: «جاءوه بالغداة الباردة» فيه تكلف المشاق لتطييب قلوب الناس لاسيما مع الخدم والضعفاء، وليتبركوا بإدخال يده الكريمة فى أوانيهم، وبيان تواضعه ﷺ مع الضعفاء.

الحديث الحادى عشر عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «ولا لعانا ولا سبابًا» فإن قلت: بناء فعل للتكثير أو للمبالغة، ونفيه لا يستلزم نفى اللعن والسب مطلقًا؟.

قلت: المفهوم هنا غير معتبر لأنه وارد فى مدحه ﷺ، فإن أريد التكثير فيعتبر بحسب من يستحق اللعن من الكفار والمنافقين، أى ليس لعانًا لكل واحد منهم، وإن أريد المبالغة كان المعنى: أن اللعن بلغ فى العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان اللاعن بمثله لعانًا بليغ اللعن، نحو قوله تعالى: ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾[1].

قوله: «ترب جبينه» [نه]*: أى غاية ما يقول عند الغضب والمخاصمة هذه الكلمة، وهى أيضًا ذات وجهين، إذ يحتمل أن تكون دعاء على المقول له بمعنى رغم أنفك، وأن تكون دعاء له بمعنى سجد لله وجهك.

الحديث الثانى عشر عن أبى هريرة رضي الله عنه:

---

(١) الأنفال: ٥١.

* فى «ك» «قض».

٥٨١٢ ـ * وعن أبي هريرةَ، قال: قيلَ: يا رسولَ الله! ادْعُ على المشركينَ. قال: «إني لم أبعثْ لعَّانًا؛ وإنما بُعِثتُ رحمةً». رواه مسلم.

٥٨١٣ ـ *وعن أبي سعيد الخدريِّ، قال: كانَ النبيُّ ﷺ أشدَّ حياءً منَ العذراءِ في خدرِها، فإذا رأى شيئًا يكرهُهُ عرفناه في وجهه. متفق عليه.

٥٨١٤ ـ * وعن عائشةَ [رضي الله عنها]، قالت: ما رأيتُ النبيَّ ﷺ مستجمعًا قطُّ ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، وإنما كانَ يتبسَّمُ. رواه البخاري.

٥٨١٥ ـ * وعنها، قالتْ: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يكن يسرد الحديثَ كسَردكم، كان يُحدِّثُ حديثًا لو عدَّه العادُّ لأحصاه: متفق عليه.

٥٨١٦ ـ وعن الأسود، قال: سألتُ عائشة: ما كانَ النبي ﷺ يصنَعُ في بيتهِ؟ قالتْ: كانَ يكونُ في مَهْنَةِ أهله ـ تعني خدمة أهله ـ فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة. رواه البخاري.

قوله: «وإنما بعثت رحمة» أي إنما بعثت لأُقَرِّبَ الناس إلى الله تعالى وإلى رحمته، وما بعثت لأُبعِدَهُمْ عنها، فاللعن مناف لحالي فكيف ألعن؟

الحديث الثالث عشر عن أبي سعيد رضي الله عنه:

قوله: «في خدرها» تتميم، فإن العذراء إذا كانت في خدرها كانت أشد حياء مما إذا كانت خارجة عنه.

«مح» :قوله: «عرفناه في وجهه» معناه أنه ﷺ لم يتكلم بالشيء الذي يكرهه لحيائه، بل يتغير وجهه فيفهم كراهيته له، وفيه فضيلة الحياء، وأنه محثوث عليه ما لم ينته إلى الضعف والخور.

الحديث الرابع عشر عن عائشة رضي الله عنها:

قوله: «مستجمعًا» تو: تريد ضاحكًا كل الضحك. يقال: استجمع كل مجمع، واستجمع الفرس جريا، انتهى كلامه.

فعلى هذا ضاحكًا وضع موضع ضحكًا على أنه منصوب على التميز.

قال في المغرب: استجمع السيل اجتمع من كل موضع، واستجمعت للمرء أموره، وهو لازم، وقولهم: استجمع الفرس جريًا نصب على التمييز، وأما قول الفقهاء: مستجمعًا شرائط الجمعة فليس [بِثَبَتٍ]* ـ انتهى كلامه.

---

* الثَّبتُ: بالتحريك – الحجة والبينة.

٥٨١٧ ـ * وعن عائشة، قالتْ ما خُير رَسولُ اللهِ ﷺ بين أمرين قطُّ إلا أخذ أَيْسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ النَّاس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شىء قطُّ، إلا أن تُنتهك حرمةُ الله فينتقم لله بها. متفق عليه.

٥٨١٨ ـ * وعنها، قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ لنفسه شيئًا قطُّ بيده، ولا امرأة ولا خادمًا، إلا أن يُجاهدَ فى سبيل الله، وما نيل منه شىء قطُّ فينتقم من صاحبه، إلا أن يُنتهك شىء من محارم الله فينتقم لله. رواه مسلم.

الفصل الثانى

٥٨١٩ ـ * عن أنسٍ، قال: خدمتُ رسولَ اللهِ ﷺ وأنا ابن ثمانِ سنين، خدمته

الحديث الخامس عشر عن عائشة رضي الله عنها:

قوله: «لم يكن يسرد» يقال: فلان سرد الحديث سردًا إذا تابع الحديث بحديث استعجالا، وسرد الصوم تواليه، يعنى لم يكن حديث النبى ﷺ متتابعًا بحيث يأتى بعضه إثر بعض فيلتبس على المستمع، بل كان يفصل بين كلامين بحيث لو أراد المستمع عده أمكنه، فيتكلم بكلام واضح مفهوم فى غاية الوضوح والبيان.

الحديث السادس عشر عن الأسود رضي الله عنه:

قوله: «فى مهنة أهله» «نه»: المهنة الخدمة، والرواية بفتح الميم وقد تكسر، قال الزمخشرى: وهو عند الأثبات خطأ، وقال الأصمعى: المهنة بفتح الميم ولا يقال: مِهنة بالكسر، وكان القياس لو قيل مثل: جلسة وخدمة، إلا أنه جاء على فعلة واحدة.

الحديث السابع عشر والثامن عشر عن عائشة رضي الله عنها:

قوله: «نيل منه» «نه»: يقال: نال ينال نيلا إذا أصاب، وفى الحديث «أن رجلا كان ينال من الصحابة»، يعنى الوقيعة فيهم.

قوله: «إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى» استثناء منقطع، أى ما عاقب أحدًا لخاصة نفسه بجناية جنى عليه، بل بحق الله تعالى إذا فعل شيئًا من المحرمات امتثالا لقوله تعالى: **﴿ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله﴾**(١).

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أنس رضى الله عنه:

---

(١) النور: ٢.

عشر سنين، فما لامنى على شيء قطُّ أُتيَ فيه على يديَّ، فإن لامنى لائم من أهله قال: «دعوه، فإنه لو قضي شيءٌ كان». هذا لفظ «المصابيح» وروى البيهقى فى «شعب الإيمان» مع تغيير يسير[٥٨١٩].

٥٨٢٠ ـ * وعن عائشة [رضى الله عنها] قالتْ: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا ولا سخابًا في الأسواق، ولا يجزى بالسَّيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح. رواه الترمذى [٥٨٢٠].

٥٨٢١ ـ * وعن أنسٍ، يحدِّث عن النبى ﷺ أنه كانَ يعودُ المريضَ، ويتبع الجنازة، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، لقد رأيته يومَ خيبر على حمارٍ خِطَامُه ليفٌ. رواه ابن ماجه والبيهقى فى «شعب الإيمان»[٥٨٢١].

٥٨٢٢ ـ * وعن عائشة،قالتْ: كان رسول الله ﷺ يخصف نعله، ويخيط ثوبه، ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته، وقالت: كانَ بَشراً من البشر، يفلِّى ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه. رواه الترمذى[٥٨٢٢].

قوله: «أتى فيه على يدى» هو صفة شيء، وضمن فيه معنى عيب أو طعن، و«على يدى» حال.

الحديث الثانى عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «فاحشًا ولا متفحشًا» نه: الفاحش ذو الفحش فى كلامه وفعاله، والمتفحش الذى يتكلف ذلك ويتعمده.

«قض»: نفت عنه ﷺ الفحش والتفوه به طبعًا وتكلفًا.

الحديث الثالث والحديث الرابع عن عائشة رضي الله عنها:

قوله: «يخصف نعله» «حس»: أى يطبق طاقة على طاقة، وأصل الخصف الضم والجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾[1] أى يطبقان ورقة فوق ورقة على بدنهما.

[٥٨١٩] انظر شعب الإيمان ح (٨٧٥٨، ٨٧٥٩) بنحوه ج (٦/ ٤٢٧).

[٥٨٢٠] انظر صحيح الترمذى رقم ١٦٤٠. [٥٨٢١] انظر صحيح الجامع ح ٤٩٤٥ بنحوه

[٥٨٢٢] انظر صحيح الجامع ح ٤٩٣٧ بنحوه.

(١) طه : ١٢١.

٥٨٢٣ ـ * وعن خارجة بن زيد بن ثابت، قال: دخل نفر على زيدِ بن ثابتٍ، فقالوا له: حدِّثنا أحاديثَ رسول الله ﷺ قال: كنتُ جاره، فكانَ إذا نزل عليه الوحي بَعث إلي فكتبتُه له، فكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا. وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا، فكل هذا أحدِّثكم عن رسول الله ﷺ. رواه الترمذي[٥٨٢٣].

٥٨٢٤ ـ * وعن أنسٍ، أنَّ رسول الله ﷺ كانَ إذا صافح الرجل لم ينزع يده من يده حتى يكونَ هو الذي ينزع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عن وجهه، ولم يُرَ مقدِّمًا ركبتيه بين يدي جليس له. رواه الترمذيُّ. [٥٨٢٤]

٥٨٢٥ - *وعنه، أنَّ رسول الله ﷺ كانَ لا يدّخر شيئًا لغدٍ. رواه الترمذي[٥٨٢٥].

٥٨٢٦ ـ * وعن جابر بن سمرة، قال: كان رسول الله ﷺ طويلَ الصَّمْت. رواه في «شرح السنَّة»[٥٨٢٦].

قوله: «كان بشرًا» تمهيدٌ لما تقوله بعده، لأنه لما رأت اعتقاد الكفار أن النبي ﷺ لا يليق بمنصبه أن يفعل ما يفعل غيره من عامة الناس، وجعلوه كالملوك فإنهم يترفعون عن الأفعال العادية الدنيئة تكبرًا، كما حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾(١) فقالت: إنه ﷺ كان خلقًا من خلق الله تعالى، وواحدًا من أولاد آدم شرفه الله تعالى بالنبوة، وكرَّمه بالرسالة، وكان يعيش مع الخلق بالخلق، ومع الحق بالصدق فيفعل مثل ما فعلوا، ويعينهم في أفعالهم تواضعًا وإرشادًا لهم إلى التواضع ورفع الترفع، وتبليغ الرسالة من الحق إلى الخلق كما أمر، قال تعالى: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي﴾(٢).

الحديث الخامس والسادس عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «ولم ير مقدمًا ركبتيه» قيل: أي ما كان يجلس في مجلس بحيث تكون ركبتاه متقدمتين على ركبتي صاحبه، كما يفعل الجبابرة في مجالسهم.

وقيل: لم يكن يرفع ركبتيه عند من يجالسه، بل كان يخفضهما تعظيما لجليسه.

[٥٨٢٣] أخرجه الترمذي في الشمائل، وانظر أيضًا دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٢٤.

[٥٨٢٤] أخرجه الترمذي في الزهد عن سعيد بن نصر، من حديث أنس وقال: غريب، وأخرجه ابن ماجه في الأدب، وانظر أيضًا دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٢٠.

[٥٨٢٥] انظر صحيح الترمذي ح رقم ١٩٢٥

[٥٨٢٦] انظر صحيح الجامع رقم ٤٨٢٢ وبه زيادة (قليل الضحك).

(١) الفرقان: ٧. (٢) فصلت: ٦.

٥٨٢٧ ـ وعن جابرٍ، قال: كانَ في كلام رسول الله ﷺ ترتيلٌ وترسيلٌ. رواه أبو داود [٥٨٢٧].

٥٨٢٨ ـ * وعن عائشة، قالتْ: ما كانَ رسولُ الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بينه فصلٌ، يحفَظه من جَلَسَ إليه. رواه الترمذي. [٥٨٢٨]

٥٨٢٩ ـ * وعن عبدِالله بنِ الحارثِ بنِ جَزْءٍ، قال: ما رأيت أحدًا أكثر تبسُّمًا من رسول الله ﷺ. رواه الترمذي[٥٨٢٩].

٥٨٣٠ ـ * وعن عبدِالله بنِ سلام، قال: كان رسول الله ﷺ إذا جَلَس يتحدثُ يُكثر أن يرفع طَرْفه إلى السَّماء. رواه أبو داود[٥٨٣٠].

قالوا: أراد بالركبتين الرجلين، وتقديمهما مدهما وبسطهما كما يقال: قدم رجلا وأخر أخرى، ومعناه كان ﷺ لا يمد رجليه عند جليسه تعظيمًا له.

وفيه وفي قوله: [«كان لا ينزع يده قبل نزع صاحبه»]* تعليم لأمته في إكرام صاحبه وتعظيمه، فلا يبدأ بالمفارقة عنه، ولا يهينه بمد الرجلين إليه في وجهه، وإرشاد لهم أن يكرموا من يجالسهم ويصافحهم جلبًا للمودة بينهم.

الحديث السابع إلى الحديث التاسع عن جابر رضي الله عنه:

قوله: «ترتيل وترسيل» «انه» ترتيل القراءة التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات، تشبيها [بالثغر]** المرتل، وهو المشبه بنور الأقحوان، يقال: رتل القراءة وترتل فيها.

والترسيل: الترتيل، يقال: ترسل الرجل في كلامه ومشيه إذا لم يعجل، وهو والترتيل سواء.

الحديث العاشر إلى الحديث الثاني عشر عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه:

قوله: «طرفه إلى السماء» انتظارًا لما يوحى، وشوقًا إلى الرفيق الأعلى، قال الشاعر:

تلفت نحو الحيِّ حتى وجدتني وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا

[٥٨٢٧] انظر صحيح أبي داود ح رقم ٤٠٥٠.

[٥٨٢٨] قال الشيخ: وسنده جيد.

[٥٨٢٩] انظر صحيح الترمذي ٢٨٨٠.

[٥٨٣٠] انظر ضعيف الجامع ح رقم ٤٣٧٩، والضعيفة ١٧٦٨.

* هذه رواية أخرى للحديث غير رواية المتن.

** كذا في «ك» وفي «ط» بالشعر، والوجه ما أثبتناه.

الفصل الثالث

٥٨٣١ - * عن عمرو بن سعيد، عن أنس، قال: ما رأيت أحدًا كان أرحَم بالعيال من رسول الله ﷺ، كان إبراهيم ابنه مسترضعًا في عوالي المدينة، فكان ينطلق ونحن معه، فيدخل البيت وإنَّه ليُدخن، وكان ظئرُه قينًا، فيأخذه فَيُقَبِّلهُ ثم يرجع. قال عمرو: فلمَّا توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ: إن إبراهيم ابني، وإنه مات في الثدي، وإن له لظئرين تُكملان رَضاعهُ في الجنَّة» رواه مسلم.

٥٨٣٢ - * وعن عليٍّ، أنَّ يهوديًّا يُقالُ له: فلانٌ، حَبْرٌ، كانَ له على رسول الله ﷺ دنانيرُ، فتقاضى النبيَّ ﷺ، فقال له: «يايهوديُّ! ما عندي ما أُعطيك». قال: فإني لا أُفارِقُكَ يا محمَّدُ حتى تعطيني. فقال رسولُ الله ﷺ: «إذًا أجلسُ معَكَ» فجلسَ معهَ، فصلَّى رسولُ الله ﷺ الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ الآخرةَ والغَداةَ،

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عمرو بن سعيد رضى الله عنه:

قوله: «أرحم بالعيال» مح: هذا هو المشهور، ويروى «بالعباد»

و«العوالى»: القرى التى عند المدينة.

والظئر: بكسر الظاء مهموزة، المرضعة ولد غيرها، وزوجها ظئر لذلك المرضع، والظئر يقع على الأنثى والذكر.

والقين: الحداد.

قوله: «إنه مات فى الثدى» أى مات فى سن رضاع الثدى، أو فى حال تغذيته بلبن الثدى.

ومعنى: «تكملان رضاعه» أى تتمانه سنتين، فإنه توفى وله ستة عشر شهرًا - أو سبعة عشر شهرًا - فترضعانه بقية السنتين.

قال صاحب التحرير: وهذا الإتمام لإرضاع إبراهيم يكون عقيب موته، ويدخل الجنة متصلا بموته فيتم فيها رضاعه كرامة له ولأبيه ﷺ.

الحديث الثانى عن على رضي الله عنه:

قوله: «يهودى يحبسك؟» همزة الإنكار مقدرة، والتنكير فيه للتحقير.

وكانَ أصحابُ رسولِ الله ﷺ يتهدَّدونَه ويتوعَّدونه، ففطنَ رسولُ الله ﷺ ما الذى يصنعونَ به، فقالوا: يا رسولَ الله! يهوديٌّ يحبسُكَ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «منَعنى ربِّى أن أظلم معاهَدًا وغيرَه» فلمَّا ترجَّلَ النهارُ قال اليهوديُّ: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأشهدُ أنَّكَ رسولُ الله، وشَطرُ مالى فى سبيل الله، أمَا والله ما فعلتُ بكَ الذى فعلتُ بكَ إلاَّ لأنظرَ إلى نعتكَ فى التوراة: محمَّدُ بنُ عبدالله، مولدُه بمكة، ومهاجَرُه بطيبَةَ، ومُلكُه بالشام، ليسَ بفَظٍّ ولا غليظٍ، ولاسخَّابٍ فى الأسواقِ. ولا مُتزىٍّ بالفُحشِ، ولا قول الخَنا، أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأنَّكَ رسولُ الله، وهذا مالى فاحكم فيه بما أراكَ اللهُ، وكانَ اليهودى كثيرَ المالِ. رواه البيهقى فى «دلائل النُّبوَّة»[٥٨٣٢].

٥٨٣٣ ـ * وعن عبدالله بن أبى أوفى، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ يُكثرُ الذِّكرَ، ويُقلُّ اللَّغوَ، ويُطيلُ الصَّلاةَ، ويُقصِّرُ الخطبةَ، ولا يأنف أنْ يمشىَ مع الأرملةِ والمسكينِ فيقْضى الحاجةَ. رواه النسائي، والدارمى[٥٨٣٣].

وترجل النهار: أى ارتفع. «نه» : فما ترجل النهار حتى أتى بهم، أى ما ارتفع النهار تشبيها بارتفاع الرجل عن الصبى.

الحديث الثالث والحديث الرابع عن على رضى الله عنه:

قوله: «ولكن نكذب بما جئت به» أى لا نكذبك لأنك عندنا صادق، والصادق الموسوم بالصدق، ولكنَّا نجحد آيات الله، وروى أن الأخنس بن شريق قال لأبى جهل: يا أبا الحكم أخبرنى عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس عندنا خيرنا؟

فقال له: والله إن محمدًا لصادق وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟

وقوله: «ولكن نكذب بما جئت به» وضع موضع «ولكن نحسدك» وضعًا للمسبب موضع السبب، والله أعلم.

الحديث الخامس عن عائشة رضي الله عنها:

قوله: «وإن حجزته لتساوى الكعبة» أى كان طويلا بحيث يساوى معقد إزاره طول الكعبة.

[٥٨٣٢] انظر الحاكم (٢/ ٦٢٢) دلائل النبوة للبيهقى (٦/ ٢٨٠)وتعقبه الذهبى بقوله: «حديث منكر بمرةٍ من موسى أو ممن بعده» وانظر أيضًا ضعيف الجامع ح (٥٩٠٥)، والضعيفة (١٧٩٥).

[٥٨٣٣] انظر صحيح الجامع ح رقم ٥٠٠٥.

٥٨٣٤ ـ * وعن عليٍّ، أنَّ أبا جهلٍ قال للنبيِّ ﷺ: إنَّا لا نُكذِّبكَ ولكنْ نكذبُ بما جئتَ به، فأنزلَ اللهُ تعالى فيهم: ﴿فإنهم لايُكذبونكَ ولكنَّ الظالمينَ بآياتِ اللهِ يَجْحَدون﴾(١) رواه الترمذي. [٥٨٣٤]

٥٨٣٥ ـ * وعن عائشةَ، قالتْ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «يا عائشةُ! لو شئتُ لسارتْ معي جبالُ الذَّهب، جاءَني ملكٌ وإنَّ حُجزتَهُ لتُساوي الكعبةَ، فقالَ: إنَّ ربَّكَ يقرأ عليكَ السَّلامَ ويقولُ: إن شئت نبيًّا عبدًا، وإنْ شئتَ نبيًّا ملِكًا، فنظرتُ إلى جبريل عليه السَّلامُ، فأشارَ إليَّ أنْ ضعْ نفْسَكَ»[٥٨٣٥].

٥٨٣٦ ـ * وفي رواية ابن عبَّاسٍ: فالتفت رسولُ اللهِ ﷺ إلى جبريلَ كالمستشيرِ له، فأشارَ جبريلُ بيدِه أنْ تواضعْ. فقلتُ: «نبيًّا عبدًا».

قالتْ: فكانَ رسولُ اللهِ ﷺ بعدَ ذلكَ لا يأكلُ متكئًا، يقولُ: «آكلُ كما يأكلُ العبدُ، وأجلسُ كما يجلسُ العبدُ» رواه في «شرح السنة». [٥٨٣٦]

قوله: «يقرأ عليك السلام»: «نه»: يقال: أقرأ فلانًا السلام، وأقرأ عليه السلام، كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويرده.

قوله: «نبيًّا عبدًا» هو خبر «تكون» محذوف بدليل الرواية الأخرى: «إن الله يخيرك بين أن تكون عبدًا نبيًّا ..» وجزاء الشرط محذوف، أي: إن شئت أن تكون نبيًّا عبدًا فكن إياه، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

باب المبعث وبدء الوحي

غب: أصل الوحي الإشارة السريعة، ولتضمن السرعة قيل: أمر وحي، وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة ببعض الجوارح، وبالكناية، وقد حمل على ذلك قوله تعالى عن زكريا: ﴿فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم﴾(٢).

[٥٨٣٤] قال الشيخ: وأعله بالإرسال، وقال: إنه أصح وهو كما قال.

[٥٨٣٥] انظر شرح السنة ح (١٣/٢٤٨)، ٣٦٨٣ - وقال المحقق: حديث صحيح هو في أخلاق النبي ص٢١٣، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٩/١٩) وقال: رواه أبو يعلى وإسناده حسن مع أن فيه أبا معشر واسمه نجيح بن عبد الرحمن السندي وهو ضعيف وله شاهد مرسل بنحوه، أخرجه أحمد في «الزهد» ص ٥, ٦ من طريق جرير بن حازم، قال: سمعت رسول الله ﷺ- وساق الحديث.

[٥٨٣٦] انظر شرح السنة ح ٢٨٣٩/١١/٢٨٦:وقال المحقق:فيه عبيدالله بن الوليد الوصافي ضعيف، لكن له طريق أخرجها ابن سعد ١/١/٢٨١ من طريق أبي معشر، عن سعيد المقبري، عن عائشة به مرفوعًا، وله شاهد مرسل من حديث الحسن أخرجه أحمد في «الزهد» ٥, ٦، وإسناده صحيح فيتقوى الحديث ويصح.

(١) الأنعام: ٣٣. (٢) مريم: ١١ .

(٤) باب المبعث وبدء الوحى

الفصل الأول

٥٨٣٧ ـ * عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: بُعِثَ رسولُ الله ﷺ لأربعينَ سنة، فمكثَ بمكةَ ثلاثَ عشرة سنةً يوحى إليهِ، ثمَّ أُمرَ بالهجرةِ، فهاجرَ عشر سنينَ، وماتَ وهوَ ابنُ ثلاثٍ وستينَ سنةً. متفق عليه.

٥٨٣٨- * وعنه، قال: أقامَ رسولُ اللهِﷺ بمكة خمس عشرةَ سنةً، يسمَعُ الصوتَ ويرى الضَّوءَ سبعَ سنينَ، ولايرى شيئًا، وثمان سنينَ يُوحى إليهِ، وأقامَ بالمدينةِ عشرًا، وتوفِّي وهوَ ابنُ خمسٍ وستينَ. متفق عليه.

الفصل الأول

الحديث الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما:

قوله: «لأربعين سنة» اللام فيه بمعنى الوقت كما فى قوله تعالى: ﴿قدمت لحياتى﴾[1].

ذكر فى وفاته ثلاث روايات: إحداها: أنه ﷺ توفى وهو ابن ستين سنة، والثانية: ابن خمس وستين سنة، والثالثة: ثلاث وستين سنة، وهى أصحها وأشهرها، رواه مسلم هنا من رواية: أنس وعائشة وابن عباس ومعاوية رضى الله عنهم.

فرواية «ستين» مقتصرة على العقود.

ورواية«الخمس» متأولةبأن اعتبر الراوى الكسور.

وأنكر عروة على ابن عباس قوله، وقال: إنه لم يدرك أول النبوة ولا كثرت صحبته بخلاف الباقين.

وولد عام الفيل على الصحيح المشهور، وادعى القاضى عياض الإجماع عليه.

واتفقوا على أنه ولد يوم الاثنين فى شهر ربيع الأول.

واختلفوا فيه هل هو ثاني الشهر أم ثامنه؟ أم عاشر؟.

وتوفى يوم الاثنين فى ثانى عشر ربيع الأول ضحى، ﷺ.

وأقول: **مجاز قوله**: «على رأس ستين.. إلى آخره» **كمجاز قولهم**: رأس آية... إلى آخرها، وسموا آخر الشيء رأسًا لأنه مبدأ مثله من آية أخرى أو عقد آخر.

الحديث الثانى عن ابن عباس رضى الله عنهما:

---

(١) الفجر: ٢٤.

٥٨٣٩-* وعن أنس، قال: توفَّاه الله على رأسِ ستين سنةً. متفق عليه.

٥٨٤٠-* وعنه، قال: قُبضَ النَّبيُّ ﷺ وهوَ ابنُ ثلاثٍ وستينَ، وأبو بكرٍ وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ، وعُمَرُ وهو ابنُ ثلاثٍ وستينَ. رواه مسلم.

قال محمَّدُ بنُ إسماعيل البخاريُّ: ثلاث وستينَ، أكثر.

٥٨٤١-* وعن عائشةَ رضي الله عنها، قالتْ: أوَّلُ ما بُدئ به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرُّؤيا الصادقةُ في النومِ، فكانَ لايرى رُؤيا إلا جاءتْ مثلَ فلَقِ الصبحِ، ثمَّ حُبِّبَ إليهِ الخَلاءُ، وكانَ يخلو بغارِ حِراء، فيتحنَّثُ فيه- وهوَ التعبُّدُ الليالي ذوات

قوله: «ويرى الضوء سبع سنين» يعنى أنه ﷺ كان يرى من أمارات النبوة سبع ستين النبوة ضياء مجردًا، ومارأى معه ملكًا، وهو معنى قوله: «ولايرى شيئًا» أى سوى الضوء، قالوا: والحكمة فى رؤية الضوء المجرد دون رؤية الملك حصول استئناسه أولا بالضوء المجرد، وذهاب روعه، إذ فى رؤية الملك مظنة ذهول وذهاب عقل لغلبة دهشته فإنه أمر خطير.

الحديث الثالث إلى الحديث الخامس عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «قالت: أول مابدئ به» «مح»: هذا الحديث من مراسيل الصحابة، فإن عائشة رضى الله عنها لم تدرك هذه القضية فتكون سمعتها من النبى ﷺ أو من صحابي، ومرسل الصحابى حجة عند جمهور العلماء، إلا ماانفرد به الأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني.

أقول: والظاهر أنها سمعت من النبي ﷺ لقولها: قال: «فأخذنى فغطنى» فيكون قولها: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى» حكاية ماتلفظ به ﷺ، كقوله تعالى: ﴿**قل للذين كفروا ستغلبون**﴾(١) بالتاء والياء على تأويل أن النبي ﷺ يؤدى لفظ ما أوحى إليه أومعناه، فلا يكون الحديث حينئذ من المراسيل.

قوله: «مثل فلق الصبح» «قض»: شبه ماجاءه فى اليقظة ووجده فى الخارج طبقًا لما رآه في المنام بالصبح فى إنارته ووضوحه.

والفلق: الصبح، لكنه لما كان مستعملا فى هذا المعنى وفى غيره أضيف إليه للتخصيص والبيان، إضافة العام إلى الخاص، كقولهم: عين الشىء ونفسه.

أقول: للفلق شأن عظيم ولذلك جاء وصفًا لله تعالى فى قوله سبحانه : ﴿**فالق الإصباح**﴾(٢)

---

(١) آل عمران: ١٢.
(٢) الأنعام: ٩٦.

العددِ- قبل أنْ ينزع إلى أهلِه، ويتزوّدُ لذلكَ، ثمَّ يرجعُ إلى خديجةَ، فيتزوَّدُ لمثلها، حتى جاءَ الحقُّ وهو في غارِ حراء، فجاءَه الملَكُ فقال: اقرأ. فقال: «ماأنا بقارئ»، قال: «فأخذَني فغطَّني حتى بلغ مني الجُهد، ثمَّ أرسلني، فقال: اقرأ فقلتُ: ماأنا بقارئ، فأخذَني فغطني الثانيةَ، حتى بلغَ مني الجهد ثمَّ أرسلني، فقال: اقرأ. فقلتُ: ماأنا بقارئ. فأخذني فغطنى الثالثةَ، حتى بلغَ مني الجهد، ثمَّ أرسلني، فقال: **﴿اقرأ باسم ربِّك الذي خلقَ خلقَ الإنسان من علَق اقرأ وربُّكَ الأكرمُ الذي علَّم بالقَلم. علَّمَ الإنسانَ مالم يعلمْ﴾**(١). فرجعَ بها رسولُ اللهﷺ يرجُفُ فؤادُه فدخلَ على خديجةَ، فقال: «زملونى زمِّلونى» فزمَّلوه حتى ذهبَ عنه الرَّوْعُ، فقال لخديجةَ وأخبرَها الخبرَ: «لقد خشيتُ على نفْسى» فقالتْ خديجةُ: كلاَّ، والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة إلى ورَقةَ بن نوفلٍ، ابنِ عم خديجة. فقالت له: يا بنَ عم! اسمَع منِ ابنِ أخيكَ.

وأمر بالاستعاذة برب الفلق لأنه ينبئ عن انشقاق ظلمة عالم الشهادة، وطلوع تباشير الصبح، بظهور سلطان الشمس وإشراقها الآفاق، كما أن الرؤيا الصالحة مبشرات تنبئ عن وفود أنوار عالم الغيب وآثار مطالع الهدايات، شبه به الرؤيا التى هى جزء يسير من أجزاء النبوة، وتنبيه من تنبيهاتها لمشتركى العقول على ثبوت النبوة، لأن النبى إنما سمى نبيًا لأنه ينبئ عن عالم الغيب الذى لاتستقل العقول بإدراكه.

«مح»: قالوا: إنما ابتدئ ﷺ بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها القوى البشرية، فبدئ بتباشير الكرامة وصدق الرؤيا استئناسًا.

والحراء: بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء وبالمد، وهو مذكر مصروف هذا هو الصحيح، وقيل: مؤنث غير مصروف.

قال القاضى الزاهد صاحب [لثعلب]* والخطابى وغيرهما: يغلط العوام فى «حراء» فى ثلاثة مواضع: يفتحون الحاء وهى مكسورة، ويكسرون الراء وهى مفتوحة، ويقصرون الألف وهى ممدودة.

وهو جبل بينه وبين مكة ثلاثة أميال عن يسار الذاهب من مكة إلى منى.

---

(١) العلق: ١:٥.

* من «ك» وفى «ط»: «الثعلبى»..

فقال له ورقةُ: يا بنَ أخي! ماذا ترى؟ فأخبرَه رسول الله ﷺ خبرَ ماراًى. فقال ورقةُ: هذا هو النَّاموسُ الذي أنزلَ اللهُ على موسى، يا ليتَنى فيها جَذَعًا، ياليتَنى أكونُ حيًّا إذ يُخرجُكَ قومُكَ. فقال رسولُ الله ﷺ: «أَوَمُخرِجيَّ هم؟» قال: نعم؛لم يأتِ رجلٌ قط بمثل ماجئتَ به إلاعُودِي، وإنْ يُدركني يومُكَ انصُرْكَ نصراً مُؤَزَّرًا. ثمَّ لم ينشبْ ورقةُ أن توفِّيَ، وفترَ الوحيُ. متفق عليه.

قوله «الليالى ذوات العدد»أطلق الليالى وأراد بها الليالي مع أيامهن على سبيل التغليب لأنها أنسب للخلوة،ووصف الليالي بذوات العدد لإرادة التقليل كما فى قوله تعالى: ﴿دراهم معدودة﴾(١).

«تو» فسرت التحنث بقولها: «وهو التعبد الليالى ذوات العدد» ويحتمل أن يكون التفسير من قول الزهرى أدرجه فى الحديث وذلك من دأبه.

«مح»: قوله: «الليالى ذوات العدد» متعلق بيتحنث لا بالتعبد، ومعناه يتحنث الليالى، ولو جعل متعلقًا بالتعبد فسد المعنى، فإن التحنث لا يشترط فيه الليالى ذوات العدد، والخلوة شأن الصالحين وعباد الله العارفين.

قال الخطابي: حبب إليه الخلوة لأن معها فراغ القلب، وهى معينة على التفكر وبها ينقطع عن مألوفات البشر، ويخشع قلبه، ويجمع همه، فالمخلص فى الخلوة يفتح الله عليه ما يؤنسه في خلوته تعويضًا من الله تعالى إياه عما تركه لأجله، واستنار قلبه بنور الغيب حتى تذهب ظلمة النفس، واختيار الخلوة لسلامة الدين وتفقد أحوال النفس وإخلاص العمل لله تعالى.

قوله: «قبل أن ينزع إلى أهله» نزع إلى أهله ينزع نزاعًا أي اشتاق، وبعير نازع وناقة نازع إذا حنت إلى أوطانها.

«تو»: «حتى جاء الحق» أى أَمْرُ الحقِّ وهو الوحى، أو رسول الحق وهو جبريل عليه السلام.

«مح»: «ما أنا بقارئ» معناه لا أحسن القراءة، فإن قلت: قد تقرر فى علم المعانى أن إيلاء الضمير حرف النفى يفيد الاختصاص والحصر وهو يستدعى أن يكون حكم المخاطب مشوبًا بصواب وخطأ، فيرد خطؤه إلى الصواب فأين هذا من جبريل؟.

قلت: إنه ﷺ لما سمع من جبريل: «اقرأ» تصور منه ﷺ أنه اعتقد أن حكمه ﷺ ليس كحكم سائر الناس فى أن حصول القراءة والتمكن منها إنما هو بطريق التعلم ومدارسة الكتب فلهذا رده بقوله: «ما أنا بقارئ» أي حكمى كحكم سائر الناس من أن حصول القراءة إنما هو

---

(١) يوسف : ٢٠.

٥٨٤٢-* وزادَ البخاريُّ: حتى حزِنَ النبيُّ ﷺ -فيما بلغَنا- حُزنًا غدا منه مراراً كي يتردَّى من رءوس شواهق الجبلِ، فكلما أوفى بذورةِ جبلٍ لكي يُلقي نفسَه منه،

بالتعلم، وعدمه بعدمه، فلذلك أخذه وغطه مرارًا ليخرجه من حكم سائر الناس ويستفرغ منه البشرية ويفرغ فيه صفات الملكية فحينئذ يعلم معنى: اقرأ، ويخاطب بقوله: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق..﴾** إلى قوله: **﴿..مالم يعلم﴾**(١) ففى المقروء أيضًا إشارة إلى رد ما تصوره ﷺ من أن القرآن إنما يتيسر بطريق التعليم فقط بل إنها كما تحصل من التعليم بواسطة العلم فقد تحصل بتعليم الله بلا واسطة، فقوله: **﴿علم بالقلم﴾** إشارة الى العلم التعليمي، وقوله: **﴿علم الإنسان مالم يعلم﴾**(١) إلى العلم اللدنى، ومصداقه قوله تعالى **﴿إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى﴾**(٢).

قوله*: «الغط» العصر الشديد والكبس، ومنه الغط فى الماء الغوص فيه، قيل: إنما غطه ليختبره هل يقول من تلقاء نفسه شيئًا ؟.

«مح»: قالوا: والحكمة فى الغط شغله عن الالتفات والمبالغة فى أمره بإحضار قلبه لما يقوله له، وكرره ثلاثًا مبالغة فى التنبيه، ففيه أنه ينبغى للمعلم أن يحتاط فى تنبيه المتعلم ويأمره بإحضار قلبه.

والجهد: يجوز فيه فتح الجيم وضمها، وهو الغاية والمشقة، ويجوز نصب الدال ورفعها، فعلى النصب بلغ جبريل فى الجهد، وعلى الرفع بلغ الجهد منى مبلغه وغايته، وممن ذكر الوجهين- أعنى نصب الدال ورفعها- صاحب التحرير.

«تو»: لا أرى الذى يرويه بنصب الدال إلا قد وهم فيه أو جوزه من طريق الاحتمال، فإنه إذا نصب الدال عاد المعنى إلى أنه غطه حتى استفرغ قوته فى ضغطه، وجهد جهده بحيث لم يبق فيه مزيد، وهذا قول غير سديد، فإن البنية البشرية لا تستدعى استيفاء القوة الملكية لاسيما فى مبدأ الأمر، وقد دلت القضية على أنه اشمأز من ذلك وتداخله الرعب.

أقول: لاشك أن جبريل فى حالة الغط لم يكن على صورته الحقيقية التى تجلى بها عند سدرة المنتهى، وعندما رآه مستويًا على الكرسى فيكون استفراغ جهده بحسب الصورة التي تجلى له وغطه ، وإذا صحت الرواية اضمحل الاستبعاد.

وقوله: **﴿اقرأ باسم ربك﴾** «مح»: هذا دليل صريح فى أن أول مانزل من القرآن **﴿اقرأ﴾** وهو الصواب الذي عليه الجماهير من السلف والخلف.

وقيل: أوله **﴿يأيها المدثر﴾**(٤) وليس بشيء.

---

(١) العلق: ١:٥.   (٢) النجم: ٤:٥.   (٣) المدثر: ١.

* فى «ك» «نه».

تبدَّى له جبريلُ، فقال: يا محمَّدُ! إنَّكَ رسولُ الله حقًّا. فيسكنُ لذلكَ جأشُه، وتقرُّ نفسُه.

واستدل بهذا الحديث بعض من يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم» ليست بقرآن فى أوائل السور لكونها لم تذكر هنا، وجواب المثبتين لها: أنها لم تنزل أولاً بل نزلت البسملة فى وقت آخر كما نزلت باقي السورة فى وقت آخر.

أقول: قوله "﴿اقرأ﴾" أمر بإيجاد القراءة مطلقًا وهو لايختص بمقروء دون مقروء، فقوله: "﴿باسم ربك﴾" حال، أى اقرأ مفتتحا باسم ربك. قل: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم اقرأ، وهذا يدل على أن البسملة مأمور بقراءتها فى ابتداء كل قراءة، فيكون مأموراً بقراءتها فى ابتداء هذه السورة أيضا.

وقوله: "﴿ربك الذى خلق﴾" وصف مناسب مشعر بعليَّة الحكم بالقراءة والإطلاق فى خلق أولا على منوال يعطى ويمنع، وَجُعل توطئة لقوله: "﴿خلق الإنسان﴾" إيذانًا بأن الإنسان أشرف المخلوقات، ثم الامتنان عليه بقوله: ﴿علم الإنسان مالم يعلم﴾ يدل على أن العلم أجل النعم وأكثرها فائدة.

وقوله: «فرجع بها» أي صار بسبب تلك الضغطة يضطرب فؤاده، ورجع يجيء بمعنى قصد أيضًا، كما فى قولهم: ماروجع إليه فى خطب إلا كفى، أى ما قُصِدَ. و«زملونى» أي غطونى بالثياب ولفونى بها.

قوله: «لقد خشيت على نفسي» «مح»: قال القاضى عياض: ليس هو بمعنى الشك فيما أتاه من الله تعالى، لكنه ربما خشيَ أنه لا يقوى على مقاومة هذا الأمر، ولا يقدر على حمل أعباء الوحى، فتزهق نفسه، أو يكون هذا لأول [ما رأى]* التباشير فى النوم واليقظة، وسمع الصوت قبل لقاء الملك، و[تحققه]** رسالة ربه سبحانه وتعالى فيكون قد خاف أن يكون من الشيطان الرجيم، فأما منذ قد جاءه الملك برسالة ربه سبحانه وتعالى، فلا يجوز عليه الشك فيه وتسلط الشيطان عليه. قال الشيخ محيى الدين: وهذا الاحتمال ضعيف لأنه تصريح بأن هذا كان بعد غط الملك وإتيانه: بـ ﴿اقرأ باسم ربك﴾.

---

* زيادة من شرح مسلم للنووى.

** صححت من شرح مسلم للنووى..

أقول: إخراج قوله: «لقد خشيت» على القَسَمِيَّةِ بعد قوله: «يرجف فؤاده» يدل على انفعال حصل له من الضغط فخشيَ على نفسه من ذلك أمرًا توهم منه كما يحصل للبشر إذا دهمه أمر لم يعهد به، ومن ثمة قال ﷺ: «زملونى»، وأتت خديجة بكلمة الردع وصرحت بقولها: «لا يخزيك الله» إلى آخره. «مح»: «لا يخزيك الله» هو بضم الياء وبالخاء المعجمة فى رواية يونس وعقيل، وفى رواية معمر (يحزنك) بالحاء المهملة والنون، ويجوز فتح الياء فى أوله وضمها، وكلاهما صحيح، والخزيُ: الفضيحة والهوان، و«الكلُّ» الثقل، ويدخل فى حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك، وهو من الكلال [وهو]* الإعياء، «تكسب» بفتح التاء هو الصحيح المشهور، وروى بضمها، قال ثعلب والخطابى وغيرهما: يقال: كسَّبت الرجل مالاً، وأكسبته مالاً، لغتان أفصحهما بحذف الألف، فمعنى الضم تكسب غيرك المال المعدوم، أى تعطيه إياه تبرعًا فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، وقيل: معناه تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفرائد** ومكارم الأخلاق.

ومعنى الفتح قيل: كمعنى الضم، وقيل: معناه تكسب المال المعدوم، وتصيب منه ما يعجز غيرك عن تحصيله، وكانت العرب تتمادح بكسب المال [لا سيما قريش، وكان ﷺ محظوظًا فى تجارته، وهذا القول ضعيف وغلط، ويمكن تصحيحه بأن يضم معهما زيادة فمعناه]*** العظيم الذى يعجز عنه غيرك، ثم تجود به فى وجوه الخير وأبواب المكارم، كما ذكرت من حمل الكل وصلة الرحم وقرى الضيف والإعانة على نوائب الحق.

وصاحب التحرير جعل المعدوم عبارة عن الرجل المحتاج المعدوم العاجز عن الكسب، وسماه معدومًا لكونه كالمعدوم الميت حيث لم يتصرف فى المعيشة.

و«النوائب» جمع نائبة وهى الحادثة، وإنما أضيفت إلى الحق لأن النائبة قد تكون فى الخير وقد تكون فى الشر، قال لبيد:

نوائب من خير وشر كلاهما ... فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

* من شرح مسلم للنووى.

** فى «ك» «الفوائد».

*** ما بين المعكوفتين سقط من «ط» وأثبتناه من «ك».

٥٨٤٣-* وعن جابرٍ، أنَّه سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ يُحدِّثُ عن فترةِ الوحيِ، قال: «فبينا أنا أمشى سمعتُ صوتًا من السماءِ، فرفعتُ بصرى، فإذا الملكُ الذى جاءنى بحراءٍ قاعدٌ على كرسيٍّ بين السماءِ والأرضِ، فَجُئِثْتُ منه رعبًا حتى هوَيتُ إلى

أرادت أنك ممن لم يصبه مكروه لما جمع الله فيك من مكارم الأخلاق ومحاسن الشمائل، وفيه دلالة أن مكارم الأخلاق وخصال الخير سببٌ للسلامة من مصارع السوء.

وفيه مدح الإنسان فى وجهه فى بعض الأحوال لمصلحة تطرأ.

وفيه: تأنيس من حصلت له مخافة من أمر وتبشيره وذكر أسباب السلامة له.

وفيه: أعظم دليل وأبلغ حجة على: كمال خديجة رضيَ الله عنها، وجزالة رأيها، وقوة نفسها، وثبات قلبها، وعظم فقهها.

وقولها له: «يا بن عم» على الحقيقة؛ لأنه ورقة بن نوفل بن أسد، وهى خديجة بنت خويلد ابن أسد.

و«الناموس»: جبريل عليه السلام، قال أهل اللغة: الناموس صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر، يقال: نامست الرجل إذا ساررته.

قال الهروى: سمى بذلك لأن الله تعالى خصصه بالوحى.

والضمير فى «ياليتني فيها» يعود إلى أيام النبوة ومدتها.

قال المالكى: قد يظن أن «يا» حرف نداء حذف المنادى منه، أي: يامحمد ليتنى كنت حيًّا. وهو ضعيف، لأن الشيء إنما يجوز حذفه مع صحة المعنى بدونه إذا كان الموضع الذي ادعيَ فيه حذفه مستعملا فيه ثبوته، كحذف المنادى قبل أمْرٍ، كقوله تعالى: ﴿أَلاَّ يسجُدُوا﴾(١) أى ألا ياهؤلاء اسجدوا، أو دُعَاء كقول الشاعر:

ألا يا اسلمى يا دارميَّ على البلى.

بعد ثبوته مثله فى قوله تعالى: ﴿ياآدم اسكن﴾(٢) وقوله: يا رب هب لى من لدنك مغفرة، بخلاف ليت فإن المنادى لم تستعمله العرب قبلها ثابتًا، فيتعين كون «يا» التي تقع قبلها لمجرد التنبيه مثل «ألا» فى نحو: ألا ليت شعرى، وقد يجمع بين «يا» و«ألا» تأكيدًا للتنبيه كقوله: ألا يا اسلمى.

ومثل «يا» الواقعة قبل ليت للتنبيه «يا» قبل«حبذا» فى قول الشاعر:

---

(١) النمل: ٢٥ (٢) البقرة: ٣٥

الأرضِ، فجئتُ أهلى، فقلتُ: زملّونى زملّونى، فزملونى، فأنزل اللهُ تعالى: ﴿يأيُّها

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا

وقبل «رُبَّ» فى قول الراجز:

يارُبَّ ساريات ماتوسدا

و«جذعًا» يعنى شابًا قويًّا حتى أبالغ فى نصرتك، والجذع فى الأصل للدواب وهو هنا استعارة.

وقال الخطابى والمازري وغيرهما: نصب على أنه خبر كان المحذوفة تقديره: ليتنى أكون فيها جذعًا، على مذهب الكوفيين.

قال القاضى: الظاهر عندى أنه منصوب على الحال، وخبر ليت قوله: «فيها».

قوله: «إذ يخرجك قومك» قال المالكى: «إذ» فيه وقع موقع «إذا» فى إفادة الاستقبال ، وهو استعمال صحيح غفل عن التنبيه عليه أكثر النحويين.

وقلت: ليس التنبيه عليه من وظيفتهم بل من وظيفة أهل المعانى، إما وضعًا للآتى موضع الماضى قطعًا بوقوعه كإخبار الله تعالى عن المستقبل، أو استحضارًا للصورة الآتية فى مشاهدة السامع تعجبًا وتعجيبًا ولذلك قال ﷺ:

«أو مخرجيَّ هم؟» استبعادًا للإخراج وتعجبًا منه.

وقال أيضًا: الأصل فيه وفى أمثاله تقديم حرف العطف على الهمزة كما تقدم على غيرها من أدوات الاستفهام، نحو ﴿**وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله**﴾[1] ونحو: ﴿**أم هل تستوى الظلماتُ والنورُ**﴾ [2] ونحو ﴿**فأين تذهبون**﴾[3] فالأصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف كما جيء بعده فى أخواتها فيقال فى: أفتطمعون، وفى أو كلما: «فأتطمعون، وأكلما»، لأن أداة الاستفهام جزء من جملة الاستفهام، وهى معطوفة على ما قبلها من الجمل، والعاطف لايتقدم عليه جزء مما عطف، ولكن خصت الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيها على أنها أصل أدوات الاستفهام، لأن الاستفهام له صدر الكلام وقد خولف هذا الأصل فى غير الهمزة وأرادوا التنبيه عليه، فكانت الهمزة بذاك أولى لأصالتها فى الاستفهام، وقد غفل الزمخشرى فى معظم كلامه فى الكشاف عن هذا المعنى فادعى أن بين الهمزة وحرف العطف جملة محذوفة معطوفة عليها بالعاطف مابعده، وفى هذا تكلف وحذف فى موقع لم يثبت فيه الثبوت على ما سبق فى «ياليتنى».

(١) آل عمران: ١١. (٢) الرعد: ١٦. (٣) التكوير: ٢٦.

المدَّثِرُ. قُم فأنذرْ وربك فكبِّرْ. وثيابكَ فطَهرْ. والرجزَ فاهجُرْ﴾[1]، ثمَّ حمي الوحيُ وتتابعَ». متفق عليه.

والجواب أنه لا يجوز* فيما نحن بصدده أن يقدر تقديم حرف العطف على الهمزة لأن قوله ﷺ: «أو مخرجيَّ هم؟» جواب ورد على قوله: «إذ يخرجك قومك» **على سبيل الاستبعاد والتعجب فيكف يستقيم العطف؟ ولأن هذه جملة إنشائية وتلك خبرية**، والحق أن الأصل أمخرجيَّ هم؟ فأريد مزيد استبعاد وتعجب فجيء بحرف العطف على تقدير: على أو ماضى، أو هم مخرجى، وأما إنكار الحذف فى مثل هذه المواضع فمستبعد لأن مثل هذه الحذوف من حلية من رشح بالبلاغة لاسيما قد شحن التنزيل بمثلها، على أن الحذف المردود هو ما لا دليل عليه ولا أمارة قائمة عليه، والدليل هنا وجود العاطف، ولا يجوز العطف على المذكور فيجب أن يقدر بعد الهمزة ما يوافق المعطوف تقريراً للاستبعاد وشدًا لعضده.

وقال: «مخرجى» خبر مقدم، وهم مبتدأ مؤخر، ولايجوز العكس لأن مخرجى نكرة فإن إضافته إضافة غير محضة، ولو روي «مخرجي» مخفف الياء على أنه مفرد لجاز وجعل مبتدأ وما بعده فاعل سد مسد الخبر، لأن مخرجى معتمدة على همزة الاستفهام مستندة إلى مابعدها لأنه وإن كان ضميراً فإنه منفصل والمنفصل من الضمائر يجرى مجرى الظاهر، ومنه قول الشاعر:

أمنجز أنتم وعدًا وثقت به ... أم اقتفيتم جميعًا نهج عرقوب

«وإن يدركنى يومك» «قض»: يريد الزمان الذى أَظْهَرَ فيه الدعوة أو عاداه قومه فيه وقصدوا إيذاءه وإخراجه.

و«المؤزر» البالغ فى القوة من الأزر وهو القوة.

و«لم ينشب» أى لم يلبث ولم يبرح وأصله أنه لم يتعلق بشيء، أو لم يشتغل فكنى به عن ذلك.

قوله: «أن توفى» بدل اشتمال من ورقة، أى لم تلبث وفاته.

وقوله: «فيما بلغنا» معترض بين الفعل ومصدره.

و«الشواهق» الجبال العالية.

«فيسكن لذلك جأشه» أي اضطراب قلبه وقلقه.

الحديث السادس عن جابر رضى الله عنه:

قوله: «فجئثت» «تو»: جئث الرجل إذا أُفزع، وكذلك جثف.

وقوله: «رعبًا» أى ممتلئًا رعبًا، ويجوز أن يكون معناه: مرعوبًا كل الرعب، ويحتمل أن يكون من «الجأث» وهو الإفزاع بالرعب لاقتران معنييهما، وهو أن الفزع انقباض ونفار يعترى

---

(1) المدثر: الآيات: ١-٥.

* فى «ك» «يسوغ».

٥٨٤٤-* وعن عائشةَ، أنَّ الحارثَ بنَ هشامٍ سألَ رسولَ اللهِﷺ فقال: يارسولَ اللهِ! كيف يأتيكَ الوحيُ؟ فقال رسولُ اللهِﷺ: «أحيانًا يأتيني مثل صلصلةِ الجرس،

الإنسان من الشيء المخيف وهو قريب من الفزع، والرعب والانقطاع من امتلاء الخوف، والرعب يتعدى ولايتعدى يقال: رعبته فرعب.

«قض»: رعبًا نصب على المفعول لأجله.

الحديث السابع عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «مثل صلصلة الجرس» يجوز أن يكون مفعولا مطلقًا، والأحسن أن يكون حالا، أى يأتينى الوحى مشابهًا صوته لصلصلة الجرس، والصلصلة صوت الحديد إذا حرك، يقال: صل الحديد وصلصل . ، والصلصلة أشد من الصليل.

«تو»: هذا الحديث يغالط فيه أبناء الضلالة ويتخذونه ذريعة إلى تضليل العامة وتشكيكهم، وهو حق أبلج ونور يتوقد من شجرة مباركة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، لايغلط فيه إلا من أعمى الله قلبه، وجملة القول فى هذا الباب أن نقول: كان النبيﷺ معنيًا بالبلاغ مهيمنًا على الكتاب مكاشفًا بالعلوم الغيبية، مخصوصًا بالمسامرات العلية، كان يتوفر على الأمة حصتهم بقدر الاستعداد، فإذا أراد أن ينبئهم بما لا عهد لهم به من تلك العلوم صاغ لها أمثلة من عالم الشهادة ليعرفوا مما شاهدوه ما لم يشاهدوه، فلما سأله الصحابة عن كيفية الوحى وكان ذلك من المسائل العويصة والعلوم الغريبة التى لايميط نقاب التعري عن وجهها لكل طالب ومتطلب، وعالم ومتعلم ضرب لها فى الشاهد مثلا بالصوت المتدارك الذي يسمع ولايفهم منه شيء ، تنبيهًا على أن إتيانها يرد على القلب فى لبسة الجلال وأبهة الكبرياء، فيأخذ هيبة* الخطاب حين ورودها بمجامع القلب، ويلاقى من ثقل القول مالاعلم له بالقول مع وجود ذلك، فإذا سرى عنه وجد القول بينًا ملقى فى الروع واقعًا موقع المسموع، وهذا معنى قوله: «فيفصم عنى وقد وعيت».

ومعنى: «يفصم» يقلع عنى كرب الوحى، شبهه بالحمى إذا فصمت عن المحموم، يقال: أفصم المطر أى أقلع.

وهذا الضرب من الوحى شبيه بما يوحى إلى الملائكة على ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «إذا قضى الله فى السماء أمرًا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنها [سلسلة]** على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلى الكبير»***.

وقد تبين لنا من حديث عائشة رضى الله عنها أن الوحى كان يأتيه على صفتين:

أولاهما: أشد من الأخرى، وذلك لأنه كان يرد فيها من الطباع البشرية إلى الأوضاع

---

* فى «ك» «هيئة».

** فى «ط» «صلصلة»

*** «صحيح»انظر صحيح الجامع ٧٣٤ ، الصحيحة ١٢٩٣ .

وهوَ أشدُّه عَلَيَّ، فيفصمُ عني وقد وعيتُ عنه ما قال، وأحيانًا يتمثَّلُ لي المَلَكُ رجلا فيُكلمُني، فأعي مايقولُ». قالت عائشةُ: ولقدْ رأيتُه ينزلُ عليهِ الوحيُ في اليومِ الشّديدِ البردِ، فيفصم عنه وإن جبينَه ليتفصَّدُ عرقًا. متفق عليه.

الملكية فيوحى إليه كما يوحى إلى الملائكة على ماذكر فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه، وهو حديث حسن صحيح.

والأخرى: يرد فيها الملك إلى شكل البشر وشاكلته وكانت هذه أيسر والله أعلم.

أقول: لايبعد أن يكون هناك صوت على الحقيقة متضمن للمعانى مدهش للنفس لعدم مناسبتها إياه ولكن القلب للمناسبة يشرب معناه، فإذا سكن الصوت أفاق النفس فحينئذ تتلقى النفس من القلب ما ألقى إليه فيعي، على أن العلم بكيفية ذلك من الأسرار التى لايدركها العقل.

«مح»: قال القاضى عياض: إن ماجاء من مثل ذلك يجرى على ظاهره، وكيفية ذلك وصورته مما لايعلمه إلا الله تعالى، ومن أطلعه على شىء من ذلك من ملائكته ورسله، وما يتأول هذا ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان إذ جاءت به الشريعةودلائل العقول لا تحيله.

[مظ]*: يريد- والله أعلم- أنه صوت متدارك يسمعه ولايثبته عند أول مايقرع بسمعه حتى يتفهم ويتثبت فيتلقنه** حيئنذ ويعيه، ولذلك قال: «هو أشده على».

قوله: «ليتفصد عرقًا» «تو»: أي يسيل، يقال: انفصد الشيء وتفصد إذا سال، كأنه شبه بالعِرق المفصود إذا سال عنه الدم.

الحديث الثامن عن عبادة رضى الله عنه:

قوله: «كُرِبَ لذلك» «تو»: يحتمل أنه كان يهتم لأمر الوحى أشد الاهتمام، ويهاب مما يطالب به من حقوق العبودية والقيام بشكر النعم ، ويخشى على عصاة الأمة أن ينالهم من الله خزى ونكال فيأخذه الغم الذى يأخذ بالنفس حتى يعلم مايقضى إليه.

ويحتمل أن المراد منه كرب الوحى وشدته، فإن الأصل فى الكرب الشدة، وإنما قال الصحابى: كرب، لما وجد من شبه حاله بحال المكروب.

---

* فى «ك» «خط».

** فى «ك» «فيتلقفه».

٥٨٤٥-* وعن عبُادةَ بنِ الصَّامت، قال: كانَ النبيُّ ﷺ إذا أنزلَ عليهِ الوحيُ كُربَ لذلكَ وتربَّد وجهُهُ وفي رواية: نكَّسَ رأسَه، ونكَّسَ أصحابُه رءوسهم، فلمَّا أُتليَ عنه رفعَ رأسَه. رواه مسلم.

وقوله: «تربد وجهه» أى تغير، وأكثر مايقال ذلك فى التغير من الغضب، وتربد الرجل أى تعبس.

وقوله: «فلما أُتلى عنه» كذا هو فى المصابيح، وأرى صوابه: «فلما تلى عليه» من التلاوة، وإن كان «أتلى عليه» محققًا فمعناه أحيل* ، يقال: أتليته إذا أحلته، أى أحيل إليه البلاغ، وذلك أن الملك إذا قضى إليه مانزل به فقد أحال عليه البلاغ.

«مح»: أتلى، بهمزة وتاء مثناة فوق ساكنة ولام وياء، هكذا هو في معظم نسخ بلادنا، معناه: ارتفع عنه الوحي ، هكذا فسره صاحب التحرير وغيره.

ووقع في بعض النسخ: «أجلى» بالجيم.

وفي رواية ابن ماهان: «نجلى» ومعناهما أزيل عنه وزال عنه.

أقول: ضمن«أتلي» معنى «أقلع» فعدى بعن، وينصره رواية شرح السنة: «فلما أقلع عنه».

الحديث التاسع عن ابن عباس رضي الله عنهما:

قوله: «ما جربنا عليك إلا صدقا» ضمن جرب معنى ألقي، أي ما ألقينا عليك شيئا من الأخبار مجربين إياك إلا وجدناك فيه صادقًا، ومر الكلام مستقصى في هذا الحديث في باب قبل كتاب الفتن مع تغيير يسير.

الحديث العاشر عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه:

قوله: «إلى فرثها ودمها» الضمير راجع إلى جزور وهى مؤنث.

«نه»: الجزور البعير ذكرًا كان أو أنثى إلا أن اللفظة مؤنثة، يقال: هذه جزور وإن أردت ذكرًا والجمع [جزر]** وجزائر.

والسلا: الجلد الرقيق الذي يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفًا فيه، قيل: هى فى الماشية السلا وفى الناس المشيمة، والأول أشبه؛ لأن المشيمة تخرج بعد الولد ولا يكون الولد فيها حين يخرج.

قوله: «فانبعث أشقاهم» «مح»: هو عقبة بن أبي معيط كما صرح به فى الرواية الأخرى، فإن قيل: كيف استمر فى الصلاة مع وجود نجاسة على ظهره؟

---

* فى «ك» «أحلل». ** فى «ط» و«ك» : «جزور».

٥٨٤٦-* وعن ابنِ عبَّاسٍ ، قال: لما نزلت ﴿وأَنذر عشيرتكَ الأقربينَ﴾[1] خرجَ النبيُّ ﷺ حتى صعدَ الصَّفا، فجعلَ يُنادي: «يا بني فِهرٍ! يا بني عدي!» لبُطون قريشٍ حتى اجتمعوا فجعلَ الرجلُ إذا لم يستطع أن يخرجَ أرسلَ رسولا لينظر ما هوَ، فجاءَ أبولهبٍ وقريشٌ فقال: «أرأيتُم إنْ أخبرتُكم أنَّ خيلا تخرجُ من سفَحِ هذا الجبل- وفي رواية: أنّ خيلا تخرجُ بالوادي تريدُ أنْ تُغير عليكم- أكنتُم مُصدِّقيَّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليكَ إلا صِدقًا. قال: «فإني نذيرٌ لكم بينَ يدَي عذابٍ شديدٍ». قال أبولهب: تبّالكَ، ألهذا جمعتَنا؟! فنزلت: ﴿تبَّت يدا أبي لهبٍ وتبَّ﴾ متفق عليه.

٥٨٤٧-* وعن عبدِ اللهِ بن مسعود، قال: بينما رسول اللهﷺ يصلي عند الكعبة وجمعُ قريشٍ في مجالسهم، إذ قال قائل: أيكم يقومُ إلى جزور آل فلان فيعمد إلى فرثها ودمها وسَلاها ثم يمهله حتى إذا سجد وضعه بين كتفيه؟ فانبعث أشقاهم، فلما سجد وضعه بين كتفيه، وثبت النبيﷺ ساجدًا، فضحكوا حتى مالَ بعضهمُ على بعضٍ من الضحك، فانطلق منطلق إلى فاطمة، فأقبلتْ تسعى، وثبت النبيُّ ﷺ

أجاب القاضى عياض: بأنه ليس هذا بنجس؛ لأن الفرث ورطوبة البدن طاهران وإنما النجس الدم، وهو مذهب مالك ومن وافقه من أن روث مايؤكل لحمه طاهر، ومذهبنا ومذهب أبي حنيفة أنه نجس.

وهذا القول الذي قاله القاضي ضعيف؛ لأن هذا السلا يتضمن النجاسة من حيث إنه لا ينفك من الدم في الغالب ، ولأنه ذبيحة عباد الأوثان، والجواب المرضى أنه لم يعلم ما وضع على ظهره فاستمر في سجوده استصحابًا للطهارة.

«حس»: قيل: كان الصنيع منهم قبل تحريم هذه الأشياء من: الفرث والدم وذبيحة أهل الشرك، فلم يكن تبطل الصلاة بها كالخمر كان يصيب ثيابهم قبل تحريمها.

أقول: لعل ثباته على ذلك كان مزيدًا للشكوى وإظهار ماصنع أعداء الله تعالى برسول الله ﷺ ليأخذهم أخذًا وبيلا، ولذلك كرر له الدعاء ثلاثا.

وقوله: «عليك بقريش» أى اذهب بهم واستأصلهم عن آخرهم كما يقال: ذهبت به الخيلاء.

---

(١)الشعراء : ٢١٤.

ساجدًا حتى ألقته عنه، وأقبلت عليهم تسبُّهم، فلمَّا قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال: «اللهم عليك بقريشٍ» ثلاثًا- وكان إذا دعا؛ دعا ثلاثًا، وإذا سأل؛ سأل ثلاثا- : «اللهم عليك بعمرو بنِ هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعُمارة بن الوليد». قال عبدالله: فوالله لقد رأيتهم صرعى يومَ بدرٍ، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدرٍ، ثم قال رسول الله ﷺ: وأتبع أصحاب القليب لعنةً». متفق عليه.

٥٨٤٨-* وعن عائشة: أنها قالتْ: يارسول الله؟ هل أتى عليك يوم كان أشدَّ من يومِ أُحد؟ فقال: «لقد لقيتُ من قومك، فكان أشدَّ مالقيتُ منهم يومَ العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليلَ بن كُلال، فلم يجبني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ- وأنا مهموم- على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب، فرفعتُ رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلّتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إنَّ الله قد سمع قول قومكَ وماردوا عليك، وقد بَعَثَ إليكَ مَلَكَ الجبال لتأمره بما شئت فيهم»قال: «فناداني ملك

وقوله: «وأتبع أصحاب القليب لعنة» أي أتبع عذابهم الدنيا بعذاب الآخرة من قوله تعالى: ﴿**وأتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود**﴾(١) أي بئس العون المعان، فإذا اللعنة لما تبعتهم كأنها رفدتهم على سبيل* مايستوجبون به العذاب على **التهكمية**** فلما أعينت فى الآخرة بلعنة أخرى صارت مرفودة، فإذن اللعنة ملعونة، وفى الحقيقة [هم]● الملعونون دنيا وعقبى.

الحديث الحادي عشر عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «أشد مالقيت» خبر كان؛ واسمه عائد على مقدر وهو مفعول قوله: «لقد».

و«يوم العقبة» ظرف كان، المعنى: كان مالقيت من قومك يوم العقبة أشد مالقيت منهم، وأراد بالعقبة التي بمنى، وكان رسول الله ﷺ يقف عند العقبة فى الموسم يعرض نفسه على قبائل العرب يدعوهم إلى الله تعالى وإلى الإسلام، فدعا ابن عبد ياليل فما أجاب إلى ماأراد ﷺ.

ووضع «إذا» التى هى للاستقبال موضع «إذ» استحضارًا لتلك الحالة الفظيعة.

و«على وجهي» متعلق بقوله: «انطلقت» أى : انطلقت حيرانًا هائمًا لا أدري أين أتوجه من شدة ذلك ولم أستفق مما أنا فيه من الغم حتى بلغت «قرن الثعالب».

و«القرن» جبل صغير، و«قرن الثعالب» جبل بعينه بين مكة والطائف.

وقوله: «لتأمرني بأمرك» أي بشأنك وبما تريده.

---

(١) هود: ٩٩.

* فى «ك» «تحصيل». ** فى «ط» «التهلكة».

● من «ك».

الجبال، فسلم عليَّ ثم قال: يامحمَّد! إنَّ اللهَ قد سَمعَ قولَ قومكَ، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك، إن شئت أن أطبقَ عليهم الأخشبين» فقال رسول اللهﷺ:«بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لايشرك به شيئا». متفق عليه.

٥٨٤٩-* وعن أنس، أنَّ رسولَ اللهﷺ كُسرت ربَاعيَتُهُ يومَ أُحد، وشُجَّ في رأسه، فجعل يسلُتُ الدَّمَ عنه ويقول:«كَيف يفلَح قومٌ شَجوا رأس نبيهم وكسروا رباعيتَه؟»رواه مسلم.

٥٨٥٠- * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول اللهﷺ:«اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ فعلوا بنبيهِ». يُشير إلى رباعيته «اشتدَّ غضبُ اللهِ على رجلٍ يقتله رسول اللهَ في سبيلِ الله». متفق عليه.

وهذا الباب خالٍ عن: الفصل الثاني

«نه»: «الأخشبان» الجبلان المطبقان بمكة وهو أبوقبيس والأحمر وهو جبل مشرف وجهه على قيعان، والأخشب كل جبل خشن غليظ.

الحديث الثاني عشر عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «يسلت الدم» أي يزيله من رأسه، من سلتت المرأة خضابها إذا أزالته.

و«شج فى رأسه» من باب قوله: [يجرح فى عراقيبها نصلى]* بولغ فى الشج حيث أوقع الرأس ظرفًا.

الحديث الثالث عشر عن أبي هريرة رضى الله عنه:

قوله: «يشير إلى رباعيته» حال من رسول اللهﷺ وعامله «قال» وقع مفسرًا لمفعول فعلوا [أى فعلوا]* هذا.

وقوله: «يقتله رسول اللهﷺ» يحتمل أن يراد به الجنس، وأن يراد به نفسه ﷺ وضعًا للظاهر موضع [المضمر]** إشعاراً بأن من يقتله من هو رحمة للعالمين لم يكن إلا أشقى الناس، والذي قتله رسول الله ﷺ هو أبي بن خلف.

«مح»: «في سبيل الله» احترازًا ممن يقتله في حد أو قصاص ، لأن من يقتله في سبيل الله كان قاصدًا لهﷺ.

الفصل الثاني

خالٍ.

---

* سقطت من «ط» وأثبتناها من «ك».

** فى «ط» «المضر».

الفصل الثالث

٥٨٥١-* عن يحيى بن أبي كثير، قال: سألتُ أبا سلمة بنَ عبدالرحمن عن أوَّل مانزل من القرآن؟ قال: ﴿يأيها المدثر﴾[1] قلت: يقولون: ﴿اقرأ باسم ربِّك﴾[2] قال أبو سلمة: سألتُ جابراً عن ذلك. وقلت له مثل الذي قلت لي. فقال لي جابر: لا أُحدثك إلا بما حدَّثنا رسولُ الله ﷺ قال: «جاوَرتُ بحراءِ شهراً، فلمَّا قضيت جواري هبطتُ، فنوديت فنظرت عن يميني فلم أرَ شيئًا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئًا ونظرت عن خلفي فلم أرَ شيئًا، فرفعت رأسي فرأيت شيئًا، فأتيت خديجة، فقلت: دثِّروني، فدثَّروني، وصبوا عليَّ ماءً باردًا، فنزلت: ﴿يأيها المدثر. قم فأنذر وربَّك فكبر وثيابك فطهِّر. والرجز فاهجر﴾[1] وذلك قبل أن تفرض الصلاة. متفق عليه.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن يحيى:

قوله: «لا أحدثك. . إلخ» إخبار عما سمع واعتقد من أن أول ما نزل من القرآن: ﴿يأيها المدثر﴾[1] لكن لايدل على المطلوب؛ لأنه قال: فى آخرته فقلت: «دثروني، فنزلت، ﴿يأيها المدثر﴾وقد سبق فى حديث عائشة رضى الله عنها أن أول مانزل من القرآن﴿اقرأ باسم ربك﴾.

«مح»: قول من قال: إن أول مانزل ﴿يأيها المدثر﴾ ضعيف، والصواب أن أول مانزل على الإطلاق﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ كما صرح به فى حديث عائشة، وأما ﴿يأيها المدثر﴾ فكان نزولها بعد فترة الوحى كما صرح به فى رواية الزهرى عن جابر يدل عليه قوله وهو يحدث عن فترة الوحي. . . إلى أن قال: فأنزل الله﴿يأيها المدثر﴾.

أقول: ينبغى أن يقدر فى هذا الحديث بعد قوله: «جاورت بحراء» جاءه الملك فقال: اقرأ . . إلى قوله: فيرجف فؤاده ثم فتر الوحى، فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت. . إلخ.

ويؤيد هذا التقرير الحديث السابق وهو حديث جابر أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحى: «فبينا أنا أمشى سمعت صوتًا من السماء. . الحديث» فإن فترة الوحي يدل على تقدمه. والله أعلم.

---

(١) المدثر: ١ .

(٢) العلق: ١ .

(٥) باب علامات النبوة

الفصل الأول

٥٨٥٢-* عن أنس، أنَّ رسول اللهﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه، فصرعه، فشق عن قلبه،فاستخرج منه عَلَقَةً فقال: هذا حظُّ الشيطان منك، ثم غسله في طَسْتٍ من ذهب بماء زمزم، ثم لأَمَهُ وأعاده في مكانه، وجاء الغلمانُ يسعَون إلى أمه - يعني ظئره- فقالوا: إنَّ محمدًا قد قُتل، فاستقبلوه وهو منتقعُ اللون قال أنس: فكنتُ أرى أثر المخيطِ في صدره رواه مسلم.

٥٨٥٣-* وعن جابر بن سمرة، قال: قال رسول اللهﷺ:«إني لأعرف حجرًا بمكّة كان يسلم عليَّ قبل أن أُبعث، إني لأعرفه الآن». رواه مسلم.

«قضيت جواري»: بالكسر أى اعتكافى.

باب علامات النبوة

الفصل الأول

الحديث الأول عن أنس رضى الله عنه: قوله:«ثم لأمه» «تو»: تقول: لأمت الجرح والصدع إذا سددته فالتأم، يريد أنه سواه وأصلحه .

ويقال : انتقع لونه، إذا تغير من جنون أوفزع، وكذلك «امتقع» بالميم.

وهذا الحديث وأمثاله مما يجب فيه التسليم ولايتعرض له بتأويل من طريق المجاز والاتساع إذ لا ضرورة فى ذلك، إذ هو خبر صادق مصدوق عن قدرة القادر.

قوله:«هذا حظ الشيطان منك» قيل: إن النبيﷺ لما كان بشرًا متعلقًا [عما انعلق عنه]* سائر البشر، ولا ينكر هذا لقوله تعالى:﴿قل إنّما أنا بشر مثلكم يوحى إلى﴾[1] والعلقة فى الإنسان أصل المفاسد والمعاصى، ولذلك قال جبريل عليه السلام بعد ما أخرجها:«هذا حظ الشيطان منك» فعصمه من آفته وطغمه ، كما أسلم له شيطانه على يده،قدر الله تعالى فى سابقة لطفه أن يخرج حظ الشيطان منه، فجعله قدسيًا طاهر الأصل والعنصر منور القلب مقدس الجسم مستعدًا لقبول الوحى السماوى والفيض الإلهى، لاتتطرق إليه هواجس النفس.

الحديث الثانى عن جابر رضى الله عنه:

---

(١) الكهف: ١١٠.

* هكذا فى «ك»

٥٨٥٤- * وعن أنسٍ، قال: إن أهل مكة سألوا رسولَ الله ﷺ أن يُرِيَهم آية، فأراهم القمر شقَّتين حتى رأوْا حراءَ بينهما. متفق عليه.

٥٨٥٥- * وعن ابن مسعود، قال: انشقَّ القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين: فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: «اشهدُوا». متفق عليه.

قوله: «إني لأعرفه الآن» تقرير لقوله: «إني لأعرف حجرًا بمكة» واستحضار له في مشاهدته وكأنه يسمع سلامه الآن.

الحديث الثالث عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «فأراهم القمر» قال الزجاج: زعم قوم- عدلوا عن القصد وماعليه أهل العلم-أن تأويله أن القمر ينشق يوم القيامة، والأمر بين في اللفظ لقوله: ﴿**وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر**﴾ فكيف يكون هذا في يوم القيامة؟؛ لأن معنى قوله: ﴿**سحر مستمر**﴾ مطرد، يدل على أنهم رأوا قبله آيات أخرى مترادفة ومعجزات سابقة.

وقال الإمام فخر الدين الرازي: إنما ذهب المنكر إلى ماذهب؛ لأن الانشقاق أمر هائل، ولو وقع لعم وجه الأرض وبلغ مبلغ التواتر.

والجواب: أن الموافق قد نقله* وبلغ مبلغ التواتر ، وأما المخالف فربما ذهل أو حسب أنه نحو الخسوف، والقرآن أولى دليل وأقوى شاهد، وإمكانه لاشك فيه، وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه وأما امتناع الخرق والالتئام فحديث اللئام.

«مح»: قالوا: إنما هذا الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون، والأبواب مغلقة، وهم متغطون بثيابهم، فقلَّ من يتفكر في السماء وينظر إليها.

«حس»: هذا شيء طلبه قوم خاص على ما حكاه أنس، فأراهم ذلك ليلا وأكثر الناس نيام ومستكنون في الأبنية، والأيقاظ في البوادي والصحارى قد يتفق أن يكونوا مشاغيل في ذلك الوقت، وقد يكسف القمر فلا يشعر به كثير من الناس، وإنما كان ذلك في قدر اللحظة التي هي مدرك البصر، ولو دامت هذه الآية حتى يشترك فيها العامة والخاصة ثم لم يؤمنوا لاستؤصلوا بالهلاك، فإن من سنة الله تعالى في الأمم قبلنا أن نبيهم كان إذا أتى بآية عامة يدركها الحس فلم يؤمنوا أهلكوا، كما قال الله تعالى في المائدة: ﴿**إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين**﴾(٢) فلم يظهر الله هذه الآية للعامة لهذه الحكمة. والله أعلم.

---

(١) القمر: ٢ (٢) المائدة: ١١٥.

* في «ك» بلغه.

٥٨٥٦-* وعن أبي هريرةَ، قال: قال أبو جهل: هل يُعفّر محمَّدٌ وجهه بين أظهركم؟ فقيل: نعم فقال: واللات والعزَّى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأنَّ على رقبته، فأتى رسولَ الله ﷺ وهو يصلي- زعم ليَطأ على رقبته- فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه، ويتقي بيديه، فقيل له مالك، فقال: إن بيني وبينَه لخندقًا من نارٍ وهولا، وأجنحةً فقال رسول ﷺ لو دنا مني لاختطفته الملائكة عُضْوًا عُضْوًا». رواه مسلم.

٥٨٥٧-* وعن عدي بن حاتم، قال: بينا أنا عند النبيﷺ إذا آتاه رجلٌ فشكا إليه الفاقةَ، ثم آتاه الآخر فشكا إليه قَطْعَ السبيل. فقال: «ياعدي! هل رأيت الحيرة؟ فإن

الحديث الرابع والخامس عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «هل يعفر؟» يريد به سجوده على التراب، وإنما آثر **التعفير على السجود تعنتًا وعنادًا وإذلالا وتحقيرًا.**

قوله: «زعم» وقع حالا من الفاعل بعد حال من المفعول، وزعم بمعنى طمع وأراد.

قال فى أساس البلاغة: ومن **المجاز**: زعم فلان فى غير مزعم، طمع فى غير مطمع، لأن الطامع زاعم ما لم يستيقن.

قوله: «إلا وهو ينكص» المستثنى فاعل «فجىء» أى: فما فجىء أصحاب أبى جهل من أمر إلا نكوص عقبيه، وقد سد الحال ها هنا مسد الفاعل، كما سدت مسد الخبر في قوله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» وفيه إرخاء عنان الكلام للمعنى لا للفظ، ويحتمل أن يكون الضمير المستتر فى «فجئهم» لأبى جهل، والمجرور فى «منه» للأمر، أي: مافجىء أبو جهل وأصحابه من الأحوال إلا هذه الحالة.

والهول: الخوف والأمر الشديد، وقد هاله يهوله فهو هائل.

والخطف: استلاب الشيء وأخذه بسرعة.

الحديث السادس عن عدى رضى الله عنه:

قوله: «هل رأيت الحيرة؟» «نه»: الحيرة بكسر الحاء البلد القديم بظهر الكوفة، ومحلة معروفة بنيسابور.

والظعينة: المرأة، قيل لها ذلك لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن، أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت.

طالت بك حياةٌ فلترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوفَ بالكعبة لاتخافُ أحداً إلا الله، ولئن طالت بك حياةٌ لتُفتحَنَّ كنوزُ كسرى، ولئن طالت بك حياةٌ لترين الرجلَ يخرج ملء كفه من ذهب أو فضَّة يطلب من يقبله فلا يجد أحداً يقبله منه، وليَلقَين اللهَ أحدُكم يومَ يلقاهُ وليس بينَه وبينَه تَرجمان يترجم له،فليقولن ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالا وأفضِل عليك؟ فيقول: بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم، اتقوا النار ولو بشق تمرة. فمن لم يجد فبكلمة طيبة» قال عديٌّ: فرأيت الظَّعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لاتخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هُرمُز، ولئن طالت بكم حياةٌ لتَرونَّ ماقال النبي أبو القاسم ﷺ:«يخرج ملء كفِّه». رواه البخاري.

٥٨٥٨-* وعن خبَّاب بن الأرت، قال: شكونا إلى النبي ﷺ، وهو متوسد بردة في ظلٍّ الكعبة وقد لقينا من المشركين شدَّة، فقلنا: ألا تدعو الله، فقَعد وهو مُحَمَّرٌ وجهه وقال:«كانَ الرجلُ فيمن كان قبلكم يُحْفَرُ له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بمنشار، فيوضع فوق رأسه فيشق نصفين. فما يَصُده ذلك عن دينه.ويُمْشَط بأمشاط

وقيل: الظعينة المرأة في الهودج، ثم قيل للهودج بلا امرأة وللمرأة بلا هودج:«ظعينة»

قوله:«وأفضل عليك» أي أحسن إليك بمعنى أعطيتك المال ومكنتك من إنفاقه والاستمتاع منه.

فإن قلت: ما وجه نظم هذا الحديث؟

قلت: لما اشتكى الرجل الفاقة والخوف وهو العسر المعني في قوله تعالى: ﴿**إن مع العسر يسرا**﴾(١) وهو ما كانت الصحابة عليه قبل فتح البلاد، أجاب عن السائل في ضمن بشارة لعدي وغيره من الصحابة باليسر والأمن، ثم بين أن هذا اليسر والغنى الدنيوي عسر في الآخرة وندامة، إلا من وفقه الله تعالى بأن يسلطه على إنفاقه فيصرفه في مصارف الخير، ونظيره حديث علي رضي الله عنه:«كيف بكم إذا غدا أحدكم في حلة، وراح في حلة، ووضعت بين يديه صحفة؟ .. إلى قوله-: لأنتم اليوم خير منكم يومئذ؟» وقد سبق في باب : تغير الناس.

---

(١) الشرح: ٦.

الحديد مادون لحمه من عظم وعصب. ومايصدُّه ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لايخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنَّكم تستعجلون». رواه البخاري.

٥٨٥٩-* وعن أنسٍ، قال: كانَ رسولُ اللهﷺ يدخل على أم حَرَام بنت ملحان، وكانت تحت عُبادةَ بنِ الصامت، فدخل عليها يومًا فأطعمته؛ ثم جلست تفلى رأسه، فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يارسول الله؟ قال: «ناسٌ من أمتى عرضُوا عليَّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرَّة». فقلت: يارسول الله! ادع الله أن يجعلنى منهم، فدعا لها ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت: يارسول الله! مايضحكك؟قال: «ناسٌ من أمتي عرضوا عليَّ غزاةً في سبيل الله». كما قال في الأولى. فقلت: يارسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. قال:«أنتِ من الأوَّلين». فركبت أمُّ حرام البحر في زمنِ معاوية، فصُرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت. متفق عليه.

٥٨٦٠-* وعن ابن عبَّاس، قال: إن ضِماداً قَدِمَ مكةَ وكانَ من أزد شنوءة، وكان

قوله: «لترون ما قال» أى سيُرى ما قال وهو الرجل الذى يخرج بصدقته... إلى آخره.

الحديث السابع عن خباب رضى الله عنه قوله: «من عظم وعصب» بيان «ما» فى «مادون لحمه» وفيه من المبالغة أن الأشماط تنفذ من: اللحم إلى العظم والعصب لحدتها وقوتها.

الحديث الثامن عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «على أم حرام» قد ذكر وجه الدخول عليها فى حديث أختها أم سليم.

وثبج كل شيء وسطه، وثبج الرمل معظمه، شبه ثبج البحر بظهر الأرض، والسفينة بالسرير، فجعل الجلوس عليها مشابهًا لجلوس الملوك على أسرتهم، إيذانًا بأنهم بذالون لأنفسهم، ويركبون هذا الأمر العظيم مع وفور نشاطهم وتمكنهم من مقامهم كالملوك على أسرتهم.

مح: قيل: هو صفة لهم فى الآخرة إذا دخلوا الجنة، والأصح أنها صفة لهم فى الدنيا، أى يركبون مراكب الملوك لسعة حالهم واستقامة أمرهم وكثرة عددهم.

الحديث التاسع عن ابن عباس رضى الله عنهما:

يرقي من هذا الريح، فسمع سفهاء أهل مكة يقولون: إن محمدًا مجنون فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل اللهَ يشفيه على يدي. قال: فلقيه. فقال: يامحمد! إني أرقي من هذا الريح، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلاهادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد» فقال: أعِد عليَّ كلماتك هؤلاء، فأعادهنَّ عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال: لقد سمعت قول الكهنَة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء. ولقد بلغن

قوله: «من هذا الريح» الإشارة بهذا إلى ما في الذهن، والخبر مبين له، وذكّره باعتبار الجنون.

تو: الإشارة بهذا إلى جنس العلة التي كانوا يرونها الريح، وأنهم كانوا يرون أن الخبل الذي يصيب الإنسان والأدواء التى كانوا يرونها من مسة الجن نفخة من نفخات الجن فيسمونها الريح.

قوله: «لعل الله يشفيه» جواب للو، أي لو رأيته لداويته ورجوت شفاءه من الله تعالى.

قوله «فقال رسول الله ﷺ: إن الحمد لله» طابق هذا القول قول ضماد من حيث إنه لما سمع من سفهاء أهل مكة: أن محمدًا مجنون اعتقد أنه كذلك فقال: هل لك رغبة فى أن أرقيك وأخلصك من الجنون؟ كأنه ﷺ ما التفت إلى قوله ذلك وأرشده إلى الحق البحت والصدق المحض: أي أنى لست بمجنون أتكلم بكلام المجانين بل كلامى نحو هذا وأمثاله، فتفكروا فيه هل ينطق المجنون بمثل هذه الكلمات، ونحوه قوله تعالى: ﴿**ويقولون إنه لمجنون وما هو إلا ذكر للعالمين**﴾[1] أي أنهم جننوه لأجل القرآن، وما هو إلا ذكر وموعظة للعالمين فكيف يجنن من جاء بمثله.

وأشار بهؤلاء إلى الكلمات، والعرب ربما استعملوها فى غير العقلاء وقد شهد به التنزيل، قال الله تعالى: ﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**﴾[2] قال الشاعر:

ذم المنازل بعد منزلة اللوى   والعيش بعد أولئك الأيام

قوله «ولقد بلغن **قاموس البحر**» تو: وفي كتاب المصابيح: «بلغنا» وهو خطأ لاسبيل إلى تقويمه من طريق المعنى، والرواية لم ترد به.

و«ناعوس البحر» أيضًا خطأ.

---

(١) القلم: ٥١: ٥٢.   (٢) الإسراء: ٣٦.

قاموس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام، قال: فبايعه. رواه مسلم.

وفي بعض نسخ«المصابيح»: بلغنا ناعوس البحر.

وذكر حديثا أبي هريرة وجابر بن سمرة«يهلك كسرى» والآخر«ليفتحنَّ عصابةٌ» في باب«الملاحم».

وكذلك رواه مسلم في كتابه وغيره من أهل الحديث وقد وهموا فيه، والظاهر أن سمع بعض الرواة أخطأ فيه فروى ملحونًا، وهذه من الألفاظ التي لم تسمع فى لغة العرب، والصواب فيه«قاموس البحر» وهو وسطه ومعظمه، من القمس وهو الغوص، والقماس الغواص.

أقول: قوله:«بلغنا» خطأ إن أراد به من حيث الرواية فلا ننكره لأنا ما وجدناها فى الأصول، وإن أراد بحسب المعنى فمعناه صحيح أى: قد وصلنا إلى لجة البحر ومحل اللآلئ والدر فيجب أن نقف عليه ونغوص فيه استخراجًا لفوائده والتقاطًا لفرائده.

ومعنى قوله:«بلغن» أن كلماتك قد بلغت فى الفصاحة والبلاغة الغاية القصوى بحيث لم ير لأحد من الفصحاء مثله.

فعلى الأول: قوله:«قاموس البحر» **استعارة مصرِّحة** لأن المشبه وهو الكلمات غير مذكورة فى هذه الجملة، وعلى الثانى تشبيه واقع على سبيل **التجريد** لذكر المشبه والمشبه به.

وقوله:«ناعوس البحر» أيضا خطأٌ وليس بصواب، إما رواية؛ فقد فقال الشيخ محيى الدين فى شرح صحيح مسلم: ناعوس البحر ضبطناه بوجهين أشهرهما بالنون والعين هذا هو الموجود فى أكثر نسخ بلادنا، والثاني: قاموس البحر بالقاف والميم، وهذا الثانى هو المشهور في روايات الحديث في غير صحيح مسلم.

قال القاضى عياض: وروى بعضهم «ناعوس البحر» بالنون والعين، وقال شيخنا أبو الحسن:«ناعوس البحر» بمعنى القاموس.

«نه»: قال أبو موسى: «ناعوس البحر» كذا وقع فى صحيح مسلم، وفى سائر الروايات «قاموس البحر» وهو وسطه ولجته، ولعله لم يجود كتبته فصحفه بعضهم، وليست هذه اللفظة أصلا فى مسند إسحاق بن راهويه الذي روى عنه مسلم هذا الحديث، غير أنه قرنه بأبى موسى وروايته فلعلها فيها، قال: وإنما أورد نحو هذه الألفاظ؛ لأن الإنسان إذا طلبه ولم يجده فى شيءمن الكتب فيتحير فإذا نظر فى كتابنا عرف أصله ومعناه.

وإما دراية: فقال القاضى ناصر الدين:«ناعوس البحر» معظمه ولجته التى يغاص فيها لإخراج اللآلئ، من نعس إذا نام، لأن الماء من كثرته لاتظهر حركته فكأنه نائم.

وهذا الباب خال عن: **الفصل الثاني**

الفصل الثالث

٥٨٦١-* عن ابن عبَّاس، قال: حدَّثني أبو سفيانَ بنُ حرب من فِيه إلى فيَّ، قال: انطلقتُ في المدَّةِ التي كانت بيني وبينَ رسولِ اللهِ ﷺ قال: فبينا أنا بالشامِ

أقول: هذا على طريق **المجاز** والتوسع فى الكلام، وقد تقرر أن المجاز لا يستدعى تقدم استعمال فيما جوز فيه ، بل العلاقة المعتبرة كافية فى الاستعمال، وقد جاء فى أساس البلاغة: ومن المجاز تناعس البرق إذا فتر وحده ناعس، وقد عرف من حال الغواصين أنهم إنما يغوصون فى لجة البحر إذا كان هادئًا ساكنا غير متلاطم أمواجه حتى يتمكنوا من إخراج الدر، فشبه تمكن الكلمات بسبب نظمها المعجز من استخراج المعانى منها بتمكن [البحر بالدر]* من استخراج الدر واللآلئ منه.

ويجوز أن يراد بناعوس البحر: رسول الله ﷺ على سبيل **الاستعارة**، على أنه من الجائز أن يكون الناعوس حقيقة فى القاموس ، وكانت لغة غريبة خفى مكانها فلم تنقل نقلا فاشيًا.

الفصل الثانى

خال

الفصل الثالث

الحديث الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قوله: «انطلقت» أى سافرت وهاجرت أوطانى.

قوله: «من فيه إلى فى »من للابتداء، أى الحديث الذى أرويه انتقل من فيه إلى فى لم يكن بيننا واسطة.

قوله: «فى المدة التى كانت بينى وبين رسول الله ﷺ»مح: يعنى صلح الحديبية.

و«دحية» بكسر الدال وفتحها.

و«عظيم بصرى» أميرها.

و«هرقل» بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف.

قال العلماء: وإنما سأل قريب النسب لأنه أعلم بحاله وأبعد من أن يكذب فى نسبه، ثم

* كذا فى «ط» و«ك» وفى القاموس: بحر الرجل فهو بَحِرٌ، إذا اجتهد فى العدو طالبا، أو مطلوبا.أ.هـ فعلى هذا يكون المعنى العالم بالدر الماهر باستخراجه، والله أعلم.

إذ جيءَ بكتابٍ من النبيﷺ إلى هرقل: قال: وكانَ دحيَةُ الكلبيُّ جاء به فدفعه إلى عظيم بُصرى، فدفعه عظيمُ بصرى إلى هرقل، فقال هرقلُ: هل هُنا أحدٌ من قومِ هذا الرَّجلِ الذي يزعمُ أنه نبيٌّ؟ قالوا: نعم، فدُعيتُ في نفرٍ من قريش، فدخلنا على هرقلَ، فأجلَسنا بينَ يديه، فقال: أيكم أقربُ نسبًا من هذا الرَّجل الذي يزعمُ أنه نبيٌّ، قال أبو سفيانَ: فقلتُ: أنا، فأجلَسوني بينَ يدَيه، وأجلَسوا أصحابي خَلفي، ثمَّ دعا بترجمانه فقال: قُل لهم: إني سائلٌ هذا عن هذا الرجل الذي يزعمُ أنه نبيٌّ، فإن كذَبني فكذبوه. قال أبوسفيانَ: وايمُ الله لولامخافةُ أن يُؤثَر علَيَّ الكذب لكذبتُه، ثمَّ قال لتَرجمانِه: سله كيف حسَبُه فيكم؟ قال: قلتُ: هو فينا ذو حسب. قال: فهل كانَ من آبائه من ملكٍ؟ قلتُ: لا. قال: فهل كنتم تتهمونَه بالكذِبِ قبلَ أن يقولَ ماقال؟ قلتُ: لا: قالَ: ومَن يتَّبعُه؟ أشرافُ الناسِ أم ضُعفاؤهُم؟ قال: قلتُ: بل

أكد ذلك فقال لأصحابه: «إن كذبنى فكذبوه» أي لاتستحيوا منه، وإنما أجلس أصحابه خلفه ليكون أهون عليهم فى تكذيبه إن كذب.

و«الترجمان» بضم التاء وفتحها والفتح أفصح، وهو المعبر عن لغة أخرى.

و«لولا مخافة أن يؤثر على» معناه لولا خوف أن ينقلوا عنى الكذب إلى قومى ويتحدثوا به لكذبت عليه لبغضى إياه، وإنما عداه بعلى لتضمن معنى المضرة، أى: كذب يكون على لا لى.

وفى هذا بيان أن الكذب قبيح فى الجاهلية كما هو قبيح فى الإسلام.

قوله: «ومن يتبعه؟» وفى الحميدى وجامع الأصول: فهل يتبعه؟ و«أم» هنا متصلة، وفى وقوعها قرينة «هل» إشكال، لأن هل تستدعى السؤال عن حصول الجملة، وأم المتصلة تستدعى حصولها لكن السؤال بها عن تعين أحد المعنيين مسندًا ومسندًا إليه، والظاهر ما فى صحيح مسلم وشرحه والمشكاة ومن يتبعه فتكون همزة الاستفهام مقدرة فى قوله: «أشراف الناس» فسأل أولا مجملا، ثم سأل ثانيًا مفصلا.

و«السخط» بفتح السين كراهة الشيء وعدم الرضى به.

و«السجال» بكسر السين من المساجلة، وأصله من السجل وهو الدلو، لأن لكل واحد من الواردين دلوًا مثل ما للآخر، ولكل واحد منهم يوم فى الاستسقاء، ومعناه هاهنا أن الحرب دلو تارة له وتارة عليه.

وقوله: «ونحن منه فى هذه المدة» يعنى مدة الهدنة والصلح الذى جرى يوم الحديبية.

ضعفاؤهُم: قال: أيزيدون أم ينقصونَ؟ قلتُ: لا: بل يزيدونَ. قال: هلْ يرتد أحد منهم عن دينِه بعدَ أن يدخلَ فيه سَخطةً له؟ قال:قلت: لا. قال: فهل قاتلتموه؟ قلتُ: نعم. قال: فكيف كانَ قتالُكم إياه؟ قال: قلتُ: يكونُ الحربُ بيننا وبينَه سجالا، يصيبُ منَّا ونصيبُ منه. قال. فهل يغدرُ؟ قلتُ: لا ونحنُ منه فى هذه المدَّة، لاندري ماهوَ صانعٌ فيها؟ قال: والله ماأمكنَني من كلمة أُدخلُ فيها شيئًا غيرَ هذه قال: فهل قال هذا القولَ أحدٌ قبله؟ قلت:لا. ثم قال لتَرجمانه: قل له: إني سألْتُكَ عن حسَبه فيكم، فزعمتَ أنَّه فيكم ذو حسب، وكذلك الرسل تبعثُ فى أحساب قومها. وسألتُك هل كانَ في آبائه ملكٌ؟ فزعمتَ أن لا، فقلتُ: لو كانَ من آبائه ملكٌ قلتُ: رجلٌ يطلبُ مُلكَ آبائه. وسألتُكَ عن أتباعه أضعفاؤهُم أم أشرافُهم؟ فقلتَ: بل ضعفاؤهُم، وهُم أتباعُ الرُّسل. وسألتُكَ: هل تتهمونَه بالكذب قبلَ أن يقولَ ماقال؟ فزعمتَ أن لا، فعرفت أنَّه لم يكن ليدَعِ الكذبَ على النَّاس ثمَّ يذهبَ فيكذب على اللهِ. وسألتُكَ: هل يرتدُّ أحدٌ منهم عن دينِه بعد أن يدخلَ فيه سخطةً

قوله:«تبعث فى أنساب قومها» من باب التجريد، أي يبعث ذا حسب، وهى كقولك: فى البيضة عشرون رطلا من الحديد، وهى فى نفسها هذا المقدار.

قوله:«لم يكن ليدع الكذب» ليدع. ليترك، واللام تأكيد للجحد، المعنى لم يصح ولم يستقم أن يترك رسول اللهﷺ الكذب على الناس قبل أن يظهر رسالته ثم بعد إظهاره الرسالة يكذب على الله تعالى، هذا بعيد، ونحوه قوله تعالى: ﴿وماكان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾[1] أى محال أن يعذبهم وأنت فيهم.

وثم في الحديث استبعادية كقوله تعالى: ﴿ثم أنتم تمترون﴾[2].

مح: والحكمة فى ذلك أنه أبعد من انتحاله الباطل وأقرب إلى انقياد الناس له.

وأما قوله: «ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل» فلكون الأشراف يأنفون من تقدم مثلهم عليهم، والضعفاء لايأنفون فيسارعون إلى الانقياد واتباع الحق.

وأما سؤاله عن الردة فلأن من دخل على بصيرة فى أمر محقق لا يرجع عنه، بخلاف من دخل فى الأباطيل.

---

(١) الأنفال: ٣٣.

(٢) الأنعام: ٢.

له؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالطَ بشاشتُه القلوبَ وسألتُك هل يزيدونَ أم ينقصونَ؟ فزعمت أنهم يزيدونَ، وكذلكَ الإيمانُ حتى يتمَّ. وسألتُكَ هل قاتلتُموه؟ فزعمت أنَّكم قاتلتُموه، فتكونُ الحربُ بينكم وبينَه سجالا ينالُ منكم وتنالونَ منه، وكذلك الرسلُ تبتَلى، ثمَّ تكونُ لها العاقبةُ. وسألتُكَ هل يغدر. فزعمتَ أنه لايغدِر، وكذلك الرسل لاتغدِر، وسألتك هل قال هذا القولَ أحدٌ قبلَه؟ فزعمتَ أن لا، فقلتُ: لوكانَ قال هذا القولَ أحد قبله، قلت: رجلٌ ائتم بقولٍ قيل قبلَه قال: ثمّ قال: بما يأمرُكم؟ قُلنا: يأمرُنا بالصَّلاة، والزكاة، والصلة، والعَفاف قال: إن يكُ ماتقولُ حقّا فإنَّه نبيٌّ، وقد كنتُ أعلم أنَّه خارجٌ، ولم أكن أظنُّه منكم، ولو أني أعلمُ أني أخلُصُ إليهِ لأحببتُ لقاءَه، ولو كنت عنده لغسلتُ عن قدميه، وليبلُغنَّ ملكه ماتحتَ قدَميَّ. ثم دعا بكتاب رسول اللهﷺ فقرأه. متفق عليه.

وقد سبق تمامُ الحديث فى «باب الكتاب إلى الكفّار».

وأما سؤاله عن الغدر فلأن من طلب حظ الدنيا لايبالى بالغدر وغيره مما يتوصل به إلى ذلك، ومن طلب الآخرة لم يرتكب غدرًا ولاغيره من القبائح.

وبشاشة اللقاء: الفرح بالمرئى والانبساط إليه والأنس به.

«وكذلك الرسل تبتلى»يعنى يبتليهم فى ذلك ليعظم أجرهم بكثرة صبرهم وبذل وسعهم فى طاعة الله تعالى.

والصلة: صلة الأرحام وكل ماأمر الله تعالى به أن يوصل.

والعفاف: الكف عن المحارم.

قال العلماء: وقول هرقل: «إن يك ماتقول حقًّا فإنه نبي..» أخذه من الكتب القديمة، ففى التوراة هذا ونحوه من علامات رسول اللهﷺ فعرفه بالعلامات، وأما الدليل القاطع على النبوة فهو المعجزة الظاهرة الخارقة للعادة، هكذا قاله المازرى.

قوله: «أخلص إليه» أى أصل إليه.

نه: يقال: خلص فلان إلى فلان، أى وصل إليه.

مح: لاعذر له فى هذا لأنه قد عرف صدق النبيﷺ، وإنما شح فى الملك ورغب فى الرئاسة فآثرها على الإسلام،وقد جاء ذلك مصرحًا به فى صحيح البخاري، ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي ومازالت عنه الرئاسة- والله أعلم.

(٦) باب في المعراج

باب في المعراج

العروج: هو الذهاب في صعود، قال: ﴿تعرج الملائكة والروح﴾[1].

والمعراج: بالكسر شبه السلم مفعال من العروج والصعود كأنه آلة له.

وليلة المعراج سميت لصعود النبيﷺ فيها.

مح: قال القاضى عياض: اختلف الناس فى الإسراء برسول اللهﷺ:

فقيل: إنما كان جميع ذلك فى المنام.

والحق الذى عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: أنه أسرى بجسده ﷺ فمن طالعها وبحث عنها فلا يعدل عن ظاهرها إلابدليل، ولا استحالة فى حملها عليه فيحتاج إلى تأويل.

وقيل: ذلك قبل أن يوحى إليه، وهو غلط ولم يوافق عليه، فإن الإسراء أقل ماقيل فيه: إنه كان بعد مبعثه ﷺ بخمسة عشر شهراً.

وقال الحربي: كان ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة.

وقال الزهرى: كان ذلك بعد مبعثه بخمس سنين.

وقال ابن إسحاق: أسرى به ﷺ وقد فشا الإسلام بمكة.

وأشبه هذه الأقوال قول الزهرى وابن إسحاق.

وقد أجمعوا على أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء فكيف يكون هذا قبل الوحى إليه.

وأما قوله فى رواية شريك: «وهو نائم» وفى الرواية الأخرى: «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان» فقد يحتج بها من يجعلها رؤيا نوم، ولاحجة فيه إذ قد يكون ذلك حاله أول وصول الملك إليه، وليس فى الحديث مايدل على كونه نائمًا فى القصة كلها.

وقال محيى السنة فى المعالم: والأكثرون على أنه صلوات الله عليه أسرى بجسده فى اليقظة، وتواترت الأخبار الصحيحة على ذلك.

أقول: وقد روينا عن البخاري والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس﴾[2] قال: وهى رؤيا عين أريها رسول اللهﷺ ليلة أسرى به إلى بيت المقدس.

---

(١) المعارج: ٤.

(٢) الإسراء: ٦٠.

الفصل الأول

٥٨٦٢-* عن قتادةَ، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، أن نبي الله ﷺ حدَّثهم عن ليلةِ أسريَ به: «بينما أنا في الحَطِيم- وربما قال في الحجر- مضطجعًا إذ

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن ابن عباس قال: شيء أريه النبيﷺ فى اليقظة رآه بعينه حين ذهب إلى بيت المقدس، ولأنه قد أنكرته قريش وارتدت جماعة ممن كانوا أسلموا حين سمعوه، وإنما تنكر إذا كانت فى اليقظة فإن الرؤيا لاينكر منها ماهو أبعد من ذلك، على أن الحق أن المعراج مرتان مرة فى النوم وأخرى باليقظة.

قال محيي السنة: رؤيا أراه الله قبل الوحى بدليل قول من قال: " فاستيقظ وهو فى المسجد الحرام ثم عرج به فى اليقظة بعد الوحى قبل الهجرة بسنة تحقيقًا لرؤياه، كما أنه رأى فتح مكة فى المنام سنة ست من الهجرة، ثم كان تحققه سنة ثمان ،وعن بعض المحققين أن الأرواح مأخوذة من أنوار الكمال والجلال وهى بالنسبة إلى الأبدان بمنزلة قرص الشمس بالنسبة إلى هذا العالم، وكما أن كل جسم يصل إليه نورالشمس تتبدل ظلماته بالأضواء فكذلك كل عضو وصل إليه نور الروح انقلب حاله من الموت إلى الحياة.

قالوا: الأرواح أربعة أقسام: "الأول: الأرواح المكدرة بالصفات البشرية، وهى أرواح العوام غلبتها القوى الحيوانية لاتقبل العروج.

والثاني: الأرواح التى لها كمال القوة النظرية للبدن باكتساب العلوم وهذه أرواح العلماء.

والثالث: الأرواح التى لها كمال القوة المدبرة للبدن باكتساب الأخلاق الحميدة، وهذه أرواح المرتاضين إذا كسروا قوى أبدانهم بالارتياض والمجاهدة.

والرابع: الأرواح التى حصل لها كمال القوتين وهذه غاية الأرواح البشرية وهى للأنبياء والصديقين، فلما ازداد قوة أرواحهم ازداد ارتفاع أبدانهم عن الأرض، ولهذا لما كان الأنبياء صلوات الله عليهم قويت فيهم هذه الأرواح عرج بهم إلى السماء، وأكملهم قوة نبيناﷺ فعرج به إلى قاب قوسين أو أدنى.

الفصل الأول

الحديث الأول عن قتادة:

قوله: «أسرى به» صفة ليلة، أى أسرى به فيها، ونحوه فى التقدير قوله تعالى: ﴿**واتقوا يومًا لاتجزى نفس عن نفس شيئًا**﴾(١) لاتجزى صفة «يومًا» أى لا تجزى فيه نفس.

قوله: «أنا فى الحطيم» قض: الحطيم قيل: هو الحجر سمى حجرًا لأنه حجر عنه بحيطانه،

---

(١) البقرة: ٤٨.

أتاني آت، فشقَّ مابين هذه إلى هذه » يعني من ثُغْرةِ نحرِه إلى شعرتِه «فاستخرجَ قلبي، ثمَّ أُتيتُ بطَسْت من ذهب مملوءِ إيمانًا، فغُسل قلبي، ثمَّ حُشي، ثم أعيدَ» وفي رواية: «ثمَّ غُسل البطنُ بماءِ زمزمَ، ثمَّ مُلئَ إيمانا وحكمةً- ثم أتيت بدابَّة دونَ البغل وفوق الحمار، أبيض يُقال له: البراق، يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملتُ عليه، فانطلق بي جبْريلُ حتى أتى السَّماءَ الدنيا، فاستفتحَ، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومَن معك:؟ قال: محمَّدٌ، قيل: وقد أُرسلَ إليه. قال: نعم قيل:

وحطيمًا لأنه حطم جداره عن مساواة الكعبة، وعليه ظاهر قوله: «بينما أنا فى الحطيم» وربما قال: فى الحجر، فلعله ﷺ حكى لهم قصة المعراج مرات، فعبر بالحطيم تارة وبالحجر أخرى.

وقيل: الحطيم غير الحجر وهو مابين المقام إلى الباب، وقيل: مابين الركن والمقام والزمزم والحجر، والراوى شك فى أنه سمع فى الحطيم أو فى الحجر.

قوله: «إلى شعرته» نه: الشعرة بالكسر العانة، منبت شعرها.

تو: ماذكر فى الحديث من شق النحر واستخراج القلب ومايجرى مجراه فإن السبيل فى ذلك التسليم دون التعرض بصرفه إلى وجه يتقوله متكلف ادعاء للتوفيق بين المنقول والمعقول تبرؤا مما يتوهم أنه محال، ونحن- بحمد الله- لانرى العدول عن الحقيقة إلى المجاز فى خبر الصادق عن الأمر المحال به عن القدرة.

قوله: مملوء إيمانًا» قض: لعله من باب التمثيل، ومثل له المعانى كما تمثل له أرواح الأنبياء الدارجة بالصور التي كانوا عليها.

قوله: «عند أقصى طرفه» أى أن البراق يضع خطوه عند غاية نظره لغاية سرعته فى مشيه، سمي براقًا لبريق لونه وسرعة سيره كبرق السحاب.

مح: قالوا: هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء.

قال الزبيدى فى مختصر العين وصاحب التحرير: هي دابة كانت الأنبياء صلوات الله عليهم يركبونها، وهذا الذى قال يحتاج إلى نقل صحيح.

أقول: لعلهم حسبوا ذلك من قوله فى حديث آخر: «فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء» أى ربطت البراق بالحلقة، وأظهر منه حديث أنس فى الفصل الثانى قول جبريل للبراق: «فما ركبك أحد أكرم على الله منه».

قوله: «وقد أرسل إليه» الواو للعطف، وحرف الاستثناء مقدر، أى أطلب وأرسل إليه؟.

مح: وفى رواية أخرى: «وقد بعث إليه» أى بعث إليه للإسراء وصعود السموات، وليس

مرحبًا به، فنعمَ المجيءُ جاء، ففُتح فلمَّا خلصت، فإذا فيها آدمُ، فقال: هذا أبوكَ آدمُ، فسلم عليه، فسلَّمتُ عليه، فردَّ السلامَ،ثمَّ قال: مرحبًا بالابنِ الصَّالحِ والنبيِّ الصالح؛ ثمَّ صعِدبى حتى أتى السماء الثانيةَ، فاستفتحَ قيل: مَن هذا؟قال: جبريلُ. قيل: ومن معَكَ؟ قال: محمَّدٌ. قيل: وقد أُرسل إليهِ؟ قال: نعم، قيل: مرحبا به، فنعمَ المجيء جاءَ، ففُتح. فلما خلصتُ إذا يحيى وعيسى وهُما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وهذا عيسى فسلِّم عليهِما، فسلَّمتُ فردَّا، ثمَّ قالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بى إلى السماء الثالثة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل قيل: ومن معك! قال: محمَّد. قيل: وقد أرسل إليه! قال: نعم. قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففُتح، فلمَّا خلصتُ إذا يوسف، قال: هذا يوسف، فسلم عليه، فسلمت عليه، فردَّ. ثم قال: مرحبًا بالأخِ الصَّالح والنبي الصَّالح؛ ثم صعِد بى حتى أتى السماء الرابعة، فاستفتح، قيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال:

مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فإن ذلك لا يخفى على الملائكة إلى هذه المدة، وهذا هو الصحيح. قال القاضى عياض: وفى هذا أن للسماء أبوابًا حقيقة وحفظة موكلين بها وفيه إثبات الاستئذان وأنه مما ينبغى أن يقال أنا زيد مثلا.

قض: أي أرسل إليه للعروج، وقيل: معناه أوحى إليه وبعث نبيًا، والأول أظهر، لأن أمر نبوته كان مشهورًا فى الملكوت لايكاد يخفى على خزان السموات وحراسها وأوفق للاستفتاح والاستئذان، ولذلك تكرر معه، وتحت هذه الكلمات ونظائرها أسرار يتفطن لها من فتحت بصيرته واشتعلت قريحته.

وقيل: كان سؤالهم للاستعجاب بما أنعم الله عليه، أو للاستبشار بعروجه إليه، إذا كان من البين عندهم أن أحدًا من البشر لايترقى إلى أسباب السموات من غير أن يأذن الله له ويأمر ملائكته بإصعاده، فإن جبريل لايصعد بمن لم يرسل إليه، ولايستفتح له أبواب السماء.

تو: وأمر بالتسليم عليهم لأنه كان عابرًا عليهم، وكان فى حكم القيام وكانوا فى حكم القعود، والقائم يسلم على القاعد وإن كان أفضل منه، وكيف لا؟ والحديث دل على أنه أعلى رتبة وأقوى حالا وأتم رؤية وعروجا، ورؤيته الأنبياء فى السموات وفى بيت المقدس حيث أمَّهم يحمل على رؤية روحانيتهم الممثلة بصورهم التى كانوا عليها، غير عيسى عليه الصلاة والسلام فإن رؤيته محتملة للأمرين أو أحدهما، وإن ماذكره من بكاء موسى عليه الصلاة والسلام فإنه يحمل على الرقة لقومه والشفقة عليهم حيث لم ينتفعوا بمتابعته انتفاع هذه الأمة بمتابعة نبيهم،

محمَّد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففُتح، فلما خلصت فإذا إدريس، فقال: هذا إدريس، فسلّم عليه، فسلَّمت عليه ، فردَّ، ثم قال: مرحبًا بالأخِ الصالح والنبي الصالح؛ ثم صعِد بي حتى أتى السماء الخامسة، فاستفتح، قيل: من هذا. قال: جبريل قيل: ومن معك؟قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، ففُتح، فلما خلصتُ، فإذا هارون، قال: هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه، فردَّ، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح؛ ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة، فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحبًا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصتُ فإذا موسى، قال: هذا موسى، فسلّم عليه، فسلَّمت عليه، فردَّ، ثم قال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، فلما جاوزت بكى، قيل: مايبكيك؟ قال: أبكى لأن غلامًا بُعث بعدى يدخلُ الجنةَ من أمته أكثر ممَّن يدخلها من أمتي، ثم صعد بي إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال : محمد.

ولم يبلغ سوادهم مبلغ سوادهم، ولايصح أن يحمل إلا على هذا الوجه أو مايضاهى ذلك، فإن الحسد فى ذلك العالم منزوع من عوام المؤمنين فضلا على من اختاره الله لرسالته واصطفاه لمكالمته.

وقوله: «لأن غلامًا بعث بعدى» لم يرد بذلك استصغار شأنه، فإن الغلام قد يطلق ويراد به القوى الطرى الشباب، والمراد منه استصغار مدته مع استكثار فضائله واستتمام سواد أمته.

قوله: «فنعم المجيء جاء» مظ: المخصوص بالمدح محذوف وفيه تقديم وتأخير تقديره: جاء فنعم المجيء مجيئه.

قال المالكى: في قول الملك: «نعم المجيء جاء» شاهد على الاستغناء بالصلة عن الموصول والصفة عن الموصوف فى باب«نعم» لأنها تحتاج إلى فاعل عن المجىء وإلى مخصوص بمعناها، وهو مبتدأ مخبر عنه بنعم وفاعلها، وهو فى هذا الكلام وشبهه موصول أو موصوف بجاء، والتقدير: نعم المجىء الذى جاء، أو : نعم المجىء مجيء جاء، وكونه موصولاً أجود لأنه مخبر عنه، وكون المخبر عنه معرفة أولى من كونه نكرة.

قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحبا به فنعم المجيء جاء، فلما خلصت، فإذا إبراهيم، قال: هذا أبوك إبراهيم، فسلم عليه، فسلمت عليه، فرد السلام. ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبي الصالح، ثم رُفعتُ إلى سدرة المنتهى، فإذا نَبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقُها مثل آذان الفيَلة، قال: هذا سدرة المنتهى، فإذا أربعةُ أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران قلت: ماهذان ياجبريل؟ قال: أمَّا الباطنان فنهران في الجنة، وأمَّا الظاهران فالنيل والفرات، ثمَّ رفِع لي البيتُ المعمورُ، ثمَّ أُتيتُ بإناء من خمرٍ وإناء من لبنٍ وإناء من عسلٍ، فأخذت اللبن، فقال: هي الفطرةُ أنت عليها وأُمتُك، ثمَّ فُرضتْ عَلَيَّ الصلاةُ خمسينَ صلاةً كلَّ يومٍ، فرجعتُ فمررتُ على موسى، فقال: بما أُمرتَ؟ قلتُ: أُمرتُ بخمسينَ صلاة كلَّ يومٍ. قال: إنَّ أمتكَ: لاتستطيعُ خمسينَ صلاة كلَّ يومٍ، وإني واللهِ قد جرَّبتُ الناسَ قبلكَ، وعالجتُ بَني

قوله: «ثم رفعت إلى سدرة المنتهى» تو: الرفع تقريبك الشيء، وقد قيل فى قوله تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾[1] أى مقربة لهم، وكأنه أراد سدرة المنتهى استبينت له نعوتها كل الاستبانة حتى اطلع عليها كل الاطلاع بمثابة الشيء المقرب إليه، وفي معناه: «رفع لى البيت المعمور» و«رفع لى بيت المقدس».

مح: سميت «سدرة المنتهى» لأن علم الملائكة ينتهى إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ.

وحكى عن عبدالله بن مسعود أنها سميت بذلك لأنه ينتهى إليها، مايهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله تبارك وتعالى.

قوله: «فإذا نبقها» تو: النبق بكسر الباء حمل السدر ويخفف أيضًا، الواحدة نبقة.

قوله: «نهران باطنان» مح: قال مقاتل: الباطنان هو السلسبيل والكوثر، والظاهران النيل والفرات، يخرجان من أصلها ثم يسيران حيث أراد الله تعالى، ثم يخرجان من الأرض ويسيران فيها، وهذا لايمنعه شرع ولاعقل وهذا ظاهر الحديث فوجب المصير إليه.

قوله: «وعالجت بنى إسرائيل» تو: أي مارستهم ولقيت الشدة فيما أردت منهم من الطاعة، والمعالجة مثل المزاولة والمحاولة.

---

(١) الواقعة: ٣٤.

إسرائيل أشدَّ المعالجةِ، فارجِعْ إلى ربِّكَ فَسَلْهُ التخفيف لأمتك، فرَجعتُ فوضَع عني عشرا، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشرا، فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كلَّ يوم فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم قال: إنَّ أُمتكَ لاتستطيعُ خمسَ صلواتٍ كلَّ يومٍ، وإنى قد جرَّبت النَّاس قبلكَ، وعالجت بنى إسرائيل أشدَّ المعالجةِ، فارجع إلى ربك فسلهُ التَّخفيفَ لأمَّتك، قال: سألتُ ربِّي حتى استحييتُ؛ ولكني أرضى وأُسلم. قال: فلما جاوزتُ، نادى منادٍ، أمضيتُ فريضتي وخفَّفتُ عن عبادي». متفق عليه.

٥٨٦٣-* وعن ثابتٍ البُناني، عن أنسٍ، أن رسول اللهﷺ قال: «أُتيتُ بالبراق، وهو دابَّة أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يقع حافره عند منتهى طرفه، فركبته حتى أتيتُ بيت المقدس، فربطتُه بالحلقة التي تربِط بها الأنبياءُ» قال: «ثمَّ دخلتُ المسجد فصلَّيتُ فيه ركعتين، ثم خرجتُ فجاءنى جبريل بإناء من خمر وإناء

قوله: «ولكنى أرضى وأسلم» فإن قلت: حق «لكن» أن تقع بين لامين متغايرين معنى فما وجهه هاهنا؟.

قلت: تقدير الكلام هنا: حتى استحييت فلا أرجع فإنى إذا رجعت كنت غير راض ولا مسلم، ولكنى أرضى وأسلم.

خط: مراجعة النبيﷺ فى باب الصلاة كانت إنما جاءت بين رسولنا محمد وموسى صلوات الله عليهما، لأنهما عرفا أن الأمر الأول غير واجب قطعًا، فلو كان واجبًا قطعًا لما صدرت منهما المراجعة، فصدور المراجعة دليل على أن ذلك غير واجب قطعًا، لأن ما كان واجبًا قطعًا لايقبل التخفيف.

وقيل: فى الأول فرض خمسين، ثم رحم عباده ونسخها بخمس، كآية الرضاع وعدة المتوفى عنها زوجها، وفيه دليل على أنه يجوز نسخ الشيء قبل وقوعه.

الحديث الثانى عن ثابت:

قوله: «شطر الحسن» مظ: أي نصف الحسن، وقيل: البعض، لأن الشطر كما يراد به نصف الشيء قد يراد به بعضه مطلقًا.

من لبن، فاختَرتُ اللبن، فقال جبريل: اخترت الفطرةَ، ثم عُرج بنا إلى السماء».
وساق مثل معناه. قال: «فإذا أنا بآدم، فرحَّبَ بي ودعا لي بخيرٍ». وقال في السماء الثالثة: «فإذا أنا بيوسف، إذا هو قد أعطى شطرَ الحسنِ، فرحَّب بي ودعا لي بخير».
ولم يذكر بكاء موسى. وقال في السماء السابعة: «فإذا أنا بإبراهيم مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كلٌّ يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه، ثم ذهب بى إلى السدرة المنتهى، فإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيَها من أمر الله ماغَشِي تغيرت، فما أحدٌ من خلق الله يستطيعُ أن ينعتها من حسنها، وأوحى إليَّ ماأوحى ، ففرض على خمسين صلاة في كل يومٍ وليلةٍ. فنزلت إلى موسى، فقال: مافرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة فى كل يوم وليلة قال: ارجع إلى ربّك فَسَلْهُ التخفيف، فإن أُمتك لاتطيق ذلك، فإني بلوت بني

أقول: وقد يراد به الجهة أيضًا، نحو قوله تعالى: ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾[1] أى إلى جهة من الحسن ومسحة منه، كما يقال: عليه مسحة ملك ومسحة جمال ، أى: أثر ظاهر، ولايقال ذلك إلا فى المدح.

وقوله: «إذا هوقد أعطي» بدل من الأول فى معنى بدل الاشتمال.

قوله: «مسندا» منصوب على الحال فى صحيح مسلم وشرحه وشرح السنة، وفى المصابيح مرفوع وهو على حذف المبتدأ.

وقوله: «لايعودون إليه» الضمير المجرور فيه عائد إلى البيت المعمور، أى يدخلون فيه ذاهبين غير عائدين أبدًا لكثرتهم.

قوله: «فلما غشيها من أمر الله ماغشى» قيل فراش من ذهب.

قض: ولعله مثل مايغشى الأنوار التى تنبعث منها ويتساقط على موقعها بالفراش، وجعلها من الذهب لصفائها وإضاءتها فى نفسها.

قوله: «بين ربي وبين موسى» مح: معناه بين الموضع الذي ناجيته فيه أولا فناجيته فيه ثانيًا، وبين موضع ملاقاة موسى أولا.

قوله: «إنهن خمس» الضمير فيه مبهم يفسره الخبر كقوله:

هى النفس ماحملتها تتحمل.

---

(١) البقرة: ١٤٤

إسرائيل وخبرتهم قال: «فرجعتُ إلى ربي، فقلت: ياربِّ! خفّف على أمتي، فحطَّ عني خمسًا، فرجعتُ إلى موسى، فقلت: حطَّ عني خمسًا. قال: إن أُمَّتك لاتطيق ذلك، فارجع إلى ربك فَسَلْهُ التخفيف». قال: «فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى، حتى قال: يامحمَّد! إنهن خمسُ صلوات كلَّ يومٍ وليلة،لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة، من همَّ بحسنةٍ فلم يعملها كتبت له حسنةً، فإن عملها كُتبت له عشرًا، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئا فإن عملها كتبت له سيئة واحدة» قال: «فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربّك فَسَلْهُ التخفيف» فقال رسول الله ﷺ: «فقلت: قد رجعتُ إلى ربى حتى استحيَيتُ منه». رواه مسلم.

٥٨٦٤-* وعن ابن شهاب، عن أنس، قال: كانَ أبوذر يحدث أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «فُرِجَ عني سقفُ بيتي، وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرجَ صدري، ثم غسله بماءِ زمزم، ثم جاء بِطَستٍ من ذهب ممتلئ حكمةً وإيمانًا. فأفرغه في صدري، ثم أطبقه. ثم أخذ بيدي. فعرج بي إلى السَّماء فلما جئت إلى السماء الدُّنيا. قال جبريل لخازن السماء: افتح. قال من هذا؟ قال: جبريل قال هل معك أحد؟ قال: نعم معى محمّد ﷺ: فقال أُرسل إليه؟ قال: نعم، فلما فُتح عَلونا السماءَ الدُّنيا، إذا رجلٌ

قوله: «كتبت له حسنة» كتب مبنى على المفعول، والضمير فيه راجع إلى قوله: «بحسنة» وحسنة وضعت موضع المصدر، أى كتبت الحسنة كتابة واحدة، وكذا عشرًا، وكذا شيئًا منصوبان على المصدر، كذا فى مسلم وجامع الأصول وشرح السنة، وفى بعض نسخ المصابيح:

«حسنة»و«عشر» مرفوعان وهو غلط من الناسخ.

الحديث الثالث عن ابن شهاب:

قوله: «فرج عنى سقف بيتى» فإن قيل: قد روى أنس فى حديث المعراج عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ: «بينما أنا فى الحطيم» أو «فى الحجر» وفى هذا الحديث قال: «فرج عنى سقف بيتى؟».

قلت: كان لرسول الله ﷺ معراجان' أحدهما حال اليقظة على مارواه مالك، والثانى: فى النوم.

ولعله ﷺ أراد ببيتى بيت أم هانئ ، إذ روى أيضًا الإسراء منه، فأضافه إلى نفسه تارة لأنه ساكنه، وإليها أخرى لأنها صاحبته.

قاعدٌ، على يمينه أسودَةٌ، وعلى يساره أسودَةٌ إذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَل شماله بكى فقال مرحبًا بالنبي الصَّالح والابن الصَّالح. ، قلت: لجبريل: من هذا؟ قال : هذا آدم هذه الأسودَةُ عن يمينه وعن شماله نَسَم بنيه، فأهلُ اليمين منهم أهلُ الجنَّة، والأسودَةُ التي عن شماله أهلُ النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك. وإذا نظر قِبَلَ شماله بكى،حتى عَرَجَ بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح فقال له خازنها مِثْلَ ماقَال الأوَّلُ» قال أنس: فَذَكر أنَّه وجد في السموات آدمَ، وإدريس، وموسى وعيسى، وإبراهيم ، ولم يثبت كيف منازلهم، غير أنَّه ذكر أنَّه وجد آدم في السماء الدُّنيا، وإبراهيم في السماءِ السادسة. قال ابن شهاب: فأخبرني ابنُ حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان: قال النبيﷺ: «ثم عُرج بي، حتى ظهرت لمستوىً أسمع فيه صريف الأقلام» وقال ابن حزم وأنس: قال النبي ﷺ: «ففرض الله على أُمَّتي خمسين صلاة فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى فقال: مافرض الله

قوله: «وأباحبة الأنصاري» بفتح الحاء المهملة وتشديد الباء الموحدة، كذا فى شرح السنة، وفى المصابيح: بالياء.

مح: بالحاء المهملة والباء الموحدة هكذا ضبطناه هنا، وفى ضبطه واسمه اختلاف، قيل: حية بالياء المثناة تحت، وقيل: بالنون ، والأصح ماذكرناه، وقد اختلف فى اسمه فقيل: عامر، وقيل: مالك، وقيل: ثابت.

قوله: «ظهرت لمستوى» مح: أي علوت، والمستوى بفتح الواو، وقال الخطابى: المراد به المصعد، وقيل: المكان المستوى.

و«صريف الأقلام» بالصاد المهملة صوت ماتكتبه الملائكة من أقضية الله تعالى ووحيه، وماينسخونه من اللوح المحفوظ، أوماشاء الله تعالى من ذلك أن يكتب ويرفع لما أراده الله من أمره وتدبيره.

قال القاضى: هذا حجة لمذهب أهل السنة فى الإيمان بصحة كتابة الوحى والمقادير فى كتب الله تعالى من اللوح المحفوظ بالأقلام التى هو تعالى يعلم كيفيتها على ماجاءت به الآيات، لكن كيفية ذلك وصورته مما لا يعلمه إلا الله تعالى، ومايتأول هذا ويحيله عن ظاهره إلا ضعيف النظر والإيمان إذ جاءت به الشريعة ودلائل العقول لاتحيله.

«تو»قوله: «لمستوى» اللام فيه للعلة، أي علوت لاستعلاء مستوى، أو لرؤيته أو لمطالعته، ويحتمل أن يكون متعلقًا بالمصدر، أى ظهرت ظهوراً لمستوى، ويحتمل أن يكون بمعنى إلى،

لك على أُمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة قال: فارجع إلى ربّك، فإنَّ أُمَّتك لاتطيق فراجعت، فوضع شطرها فرجعت إلى موسى، فقلت: وضع شطرها، فقال: راجع ربَّك فإنَّ أُمَّتك لاتطيق ذلك، فراجعته؛فقال: هي خَمسٌ وهي خمسون، لايبدَّل القول لديَّ، فرجعتُ إلى موسى فقال: راجع ربَّك فقلت: استحييتُ من ربي، ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيها ألوان لاأدري ماهي؟ ثم أُدخِلتُ الجنَّة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»متفق عليه.

٥٨٦٥-* وعن عبدِالله، قال: لما أُسريَ برسول اللهﷺ انتُهيَ به إلى سدرةِ المنتهى، وهي في السَّماء السادسةِ، إليها ينتهي مايُعرجُ به من الأرضِ فيُقبضُ منها،

قال الله تعالى: ﴿أوحى لها﴾(١) أي إليها، والمعنى أنى إنما قمت مقامًا بلغت فيه من رفعة المحل إلى حيث طلعت على الكوائن وظهر لى مايراد من أمر الله وتدبيره فى خلقه، وهذا والله هو المنتهى الذي لا تقدم فيه لأحد عليه.

أقول: لام الغرض وإلى الغاية يلتقيان فى المعنى.

الكشاف(٢) فى قوله تعالى: ﴿كل يجرى إلى أجل مسمى﴾(٣) فإن قلت: يجرى لأجل مسمى ويجرى إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين؟

قلت: كلا، ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق الطعن، ولكن المعنيين- أعنى: الانتهاء والاختصاص- كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض، لأن قولك:«يجري إلى أجل مسمى» معناه يبلغه وينتهى إليه، وقولك:«يجرى لأجل مسمي» يريد يجري لإدراك أجل مسمى.

وقوله:«لايبدل القول لدى» يحتمل أن يراد أني ساويت بين الخمس والخمسين في الثواب وهذا القول غير مبدل، أوجعلت الخمسين خمسًا ولاتبديل فيه.

وقوله:«استحييت من ربي» لايناسب المعنى الثاني.

و«الجنابذ»جمع جنبذة وهى القبة.

الحديث الرابع عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه:

قوله:«فى السماء السادسة» هكذا هو فى جامع الأصول.

قال القاضى عياض: كونها فى السماء السابعة هو الأصح وقول الأكثرين، وهو الذى يقتضيه المعنى وتسميتها بالمنتهى.

---

(١) الزلزلة: ٥

(٢) الكشاف: ٢٢٧/٤

(٣) لقمان: ٢٩.

وإليها ينتهي مايُهبطُ به من فوقِها فيُقبضُ منها، قال: ﴿إذ يغشي السّدرةَ مايغشى﴾[1]. قال: فراشٌ من ذهبٍ، قال: فأعطيَ رسولُ الله ﷺ ثلاثاً: أُعطيَ الصلواتِ الخمسَ، وأُعطيَ خواتيمَ سورة البقرةِ، وغُفر لمن لايشركُ بالله من أُمته شيئًا المقحمات. رواه مسلم.

قال الشيخ محيى الدين: ويمكن أن يجمع بينهما، فيكون أصلها فى السادسة ومعظمها فى السابعة، فقد علم أنها فى نهاية من العظم.

وقد قال الخليل: السدرة فى السماء السابعة وقد أظلت السموات والجنة.

وقد ذكر القاضى عياض أن مقتضى خروج النهرين الظاهرين النيل والفرات من أصل سدرة المنتهى أن يكون أصلها فى الأرض، فإن سلم له هذا أمكن حمله على ماذكرناه.

و«المقحمات» بكسر الحاء الذنوب العظام والكبائر التى تهلك أصحابها وتوردهم النار.

والمراد بغفرانها أنه لايخلد فى النار بخلاف المشركين وليس المراد به لايعذب أصلا، وقد علم من نصوص الشرع وإجماع أهل السنة إثبات عذاب العصاة من الموحدين.

قوله: «فيقبض منها» لعل القابض غير الصاعد بالأعمال من الملائكة وكذلك النازل.

قوله: «فراش من ذهب» فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا وبين قوله فى غير هذا الحديث: «فغشيها ألوان لاأدرى ماهي؟».

قلت: قوله: «غشيها ألوان لاأدرى ماهى» فى موقع قوله: ﴿إذ يغشى السدرة مايغشى﴾[1] فى إرادة الإبهام للتفخيم والتهويل وإن كان معلومًا كما فى قوله تعالى: ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾[2] فى حق فرعون، ثم قوله: «فراش من ذهب» بيان له.

قوله: «خواتيم سورة البقرة» تو: ليس معنى قوله: «أعطى» أنها أنزلت عليه، بل المعنى أنه استجيب له فيما لقن فى الآيتين من قوله سبحانه ﴿غفرانك ربنا﴾[3] إلى قوله ﴿أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾[4] ولمن يقوم بحقها من السائلين.

أقول: فى كلامه إشعار بأن الإعطاء بعد الإنزال لأن المراد منه الاستجابة، والاستجابة مسبوقة بالطلب، والسورة مدنية والمعراج فى مكة، ويمكن أن يقال: إن هذا من قبيل: ﴿فأوحى إلى عبده ماأوحى﴾[5] والنزول بالمدينة من قبيل: ﴿وماينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى﴾[6].

---

(١) النجم: ١٦.
(٢) طه: ٧٨.
(٣) (٤) البقرة: ٢٨٦.
(٥) النجم: ١٠.
(٦) النجم: ٣:٤:٥.

٥٨٦٦ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ اللهﷺ «لقد رأيتُني في الحجر وقريشٌ تسألني عن مسراي، فسألتني عن أشياء من بيتِ المقدس لم أثبتها، فكرُبتُ كربًا ماكُربتُ مثلَه، فرفعَه اللهُ لي أنظرُ إليه، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتُهم، وقد رأيتُني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائمٌ يُصلى. فإذا رجلٌ ضربٌ جعد كأنه من رجالِ شنوءةَ، ، وإذا عيسى قائمٌ يُصلي، أقربُ الناسِ به شبهًا عروةُ بن مسعودٍ الثَّقفي، فإذا إبراهيمُ قائمٌ يُصلي، أشبهُ الناس به صاحبُكم- يعني نفسَه- فحانتِ الصلاةُ فأممتُهم، فلمَّا فرغتُ من الصلاة، قال لي قائل: يامحمد هذا مالكٌ خازنُ النارِ فسلِّم عليه، فالتفتُّ إليه فبدأني بالسلام» رواه مسلم.

وهذا الباب خال عن: **الفصل الثاني**

وإنما أوثر الإعطاء لما عبر عنهما بكنز تحت العرش، وروينا عن أحمد بن حنبل عن أبي ذر، قال: قال رسول اللهﷺ: «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبى قبلى» وكان لنبينا ﷺ مع الله تعالى مقامان يغبطهما الأولون والآخرون. أحدهما فى الدنيا ليلة المعراج، وثانيهما فى العقبى وهو المقام المحمود، ولااهتم فيهما بشأن إلا بشأن هذه الأمة المرحومة.

الحديث الخامس عن أبي هريرة رضى الله عنه:

قوله: «من بيت المقدس «مح» فيه لغتان: فتح الميم وإسكان القاف وكسر الدال المخففة، والثانية: ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة، ولم أضبطهما.

قوله: «كربًا» كذا فى المصابيح، وفى شرح صحيح مسلم «كربة».

مح: الضمير فى «مثله» يعود إلى معنى الكربة وهو الغم والهم، أو الشيء.

قال الجوهرى: الكربة بالضم الغم الذى يأخذ النفس لشدته.

قوله: «فرفعه الله لى» أي رفع حجاب بيت المقدس لى لأنظر إليه.

قوله: «قائم يصلى أشبه الناس» أخبار متعاقبة لإبراهيم.

قوله: «فأممتهم» مح: قال القاضى» عياض: فإن قيل: كيف رأى موسى عليه الصلاة والسلام يصلى، وأمَّ ﷺ الأنبياء فى بيت المقدس ووجدهم على مراتبهم فى السموات؟.

والجواب: يحتمل أنهﷺ رآهم وصلى بهم فى بيت المقدس ثم صعدوا إلى السماء فوجدهم فيها، وأن يكون اجتماعه بهم وصلاته معهم بعد انصرافه ورجوعه عن سدرة المنتهى .

قوله: «فبدأنى بالسلام» إنما بدأ بالسلام ليزيل ما استشعر من الخوف منه، بخلاف سلامه على الأنبياء ابتداء كما سبق.

الفصل الثالث

٥٨٦٧-* عن جابرٍ، أنَّه سمع رسولَ اللهﷺ يقول: «لما كذَّبني قريشٌ قمتُ في الحجر فجلَّى اللهُ لي بيتَ المقدس، فطفقتُ أُخبرُهم عن آياته وأنا أنظرُ إليه» متفق عليه.

(٧) باب في المعجزات

الفصل الأول

٥٨٦٨-* عن أنس بن مالكٍ، أنَّ أبابكرٍ الصديقَ [رضى الله عنه] قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحنُ في الغار، فقلتُ: يارسول الله! لو أنَّ أحدَهم نظرَ إلى قدمِه أبصرَنا، فقال: «ياأبا بكر! ماظنكَ باثنين اللهُ ثالثُهما؟». متفق عليه.

باب في المعجزات

المعجزة: مأخوذة من العجز الذي هو ضد القدرة، وفي التحقيق: المعجز فاعل العجز فى غيره وهو الله سبحانه وتعالى، وسميت دلالات صدق الأنبياء وإعلام الرسل معجزة لعجز المرسل إليهم عن معارضتها بمثلها، ودخلت الهاء فيها إما: للمبالغة كعلامة ونسابة، وإما: أن تكون صفة لمحذوف كآية وعلامة.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «ونحن فى الغار» الغار نقب فى أعلى ثور، وهو جبل بيمين مكة على مسيرة ساعة.

قيل: طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبوبكر على رسول اللهﷺ وقال: إن تصب اليوم ذهب دين الله تعالى، فقال ﷺ: «وماظنك باثنين الله ثالثهما» أى: جاعلهما ثلاثة بضم نفسه تعالى إليهما فى المعية المعنوية التى أشار إليها بقوله سبحانه وتعالى: ﴿إن الله معنا﴾(١) وهو من قوله تعالى: ﴿ثاني اثنين إذ هما فى الغار..﴾(٢) .

وروى أن النبيﷺ قال: «اللهم اعم أبصارهم» فجعلوا يترددون حول الغار ولايفطنون، قد أخذ الله بأبصارهم عنه.

فإن قلت: أي فرق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿لاتخافا إننى معكما أسمع وأرى﴾(٢).

---

(١) التوبة: ٤٠.

(٢) طه: ٤٦.

٥٨٦٩-*وعن البراء بن عازبٍ، عن أبيهِ، أنه قال لأبي بكرٍ: ياأبا بكرٍ! حدثني كيف صنعتُما حين سريت معَ رسولِ اللهﷺ؟ قال: أسرَينا ليلَتنا ومنَ الغدِ، حتى قَام قائم الظهيرةِ وخلا الطريقُ لايمرُّ فيه أحدٌ، فرُفعت لنا صخرةٌ طويلةٌ، لهاظلٌّ لم يأتِ عليها الشمسُ، فنزلنا عندَها، وسوَّيتُ للنبيِّﷺ مكانًا بيديَّ ينامُ عليه، وبسطتُ عليه فروةً، وقلتُ: نم يارسول الله! وأنا أنفضُ ماحولك، فنامَ وخرجتُ أنفضُ ماحولَه، فإذا أنا براعٍ مقبل. قلتُ: أفي غنمكَ لبنٌ؟ قال: نعم قلتُ: أفتحلبُ؟ قال: نعم فأخذَ شاةً فحلبَ في قَعب كثبةً من لبنٍ، ومعي إداوةٌ حملتُها للنبيِّﷺ يَرتوي. فيها يشرب

قلت: بينهما بون بعيد، لأن معنى قوله: ﴿معكما﴾ أى ناصركما وحافظكما من مضرة فرعون، ومعنى قوله: ﴿الله ثالثهما﴾أى الله تعالى جاعلهما ثلاثة، فيكون تعالى أحد الثلاثة، وأن كل واحد منهم مشترك فيما له وعليه من النصرة والخذلان.

فإن قلت: مالفرق بين قوله: «الله ثالثهما». وبين قوله: « ثالثهما الله»؟.

قلت: لايقدم ما تقدم هنا إلا لنكتة سرية فإن قوله: «الله ثالثهما» يفيد أنهما مختصان بأن الله ثالثهما وليس بثالث غيرهما، وفى عكسه يفيد أن الله تعالى ثالثهما لاغيره، وكم بين العبارتين.

الحديث الثانى عن البراء رضى الله عنه:

قوله: «ومن الغد» أى بعضه، أى أسرينا ليلتنا وبعض الغد، وهو من وادى: «علفته* تبنا وماءً باردًا» إذ الإسراء لايكون إلا بالليل، وإنما ذكر «ليلتنا» ليدل به على أن الإسراء كان قد وقع طول الليلة.

وقوله: «قائم الظهيرة» نه: أى قيام الشمس وقت الزوال، من قولهم: قامت به دابته، أى وقفت، والمعنى أن الشمس إذا بلغت وسط السماء أبطأت حركة الظل إلى أن تزول فيحسب الناظر المتأمل أنها قد وقفت وهى سائرة لكن سيرًا لايظهر له أثر سريع كما يظهر قبل الزوال وبعده، فيقال لذلك الوقوف المشاهد: قام قائم الظهيرة.

قوله: «فرفعت لنا صخرة» أى أظهرت، ومنه رفع الحديث وهو إذاعته وإظهاره.

قوله «لم يأت عليها الشمس» بحيث يذهب بظلها، يعنى كان ظلها ممدودًا ثابتًا.

قوله: «وأنا أنفض ماحولك» نه: أي أحرسك وأطواف هل أرى طلبًا، يقال: نفضت المكان واستنفضته إذا نظرت جميع مافيه، والنفضة بفتح الفاء وسكونها والنفيضة قوم يبعثون متجسسين هل يرون عدوًا أو خوفًا.

قوله: «فى قعب» هو بفتح القاف قدح من خشب مقعر .

---

* سبق الإشارة إليها.

ويتوضَّأ، فأتيت النبيَّ ﷺ فكرهتُ أن أوقظَه، فوافقتُه حتى استيقظَ، فصَبَبتُ من الماء على اللبنِ حتى بردَ أسفلُه، فقلتُ: اشرب يارسولَ الله: فشربَ حتى رضيتُ، ثمَّ قال: «ألم يأنِ للرحيل؟» قلتُ: بَلى قال: فارتحلنا بعدما مالت الشمس، واتَّبعَنا سُراقةُ ابنُ مالك، فقلتُ: أُتينا يارسولَ الله! فقال: «لاتحزن إنَّ اللهَ معنا» فدعا عليه النبيُّ ﷺ، فارتطمت به فرسُه إلى بطنها في جَلَدٍ منَ الأرضَ فقال: إني أراكُما دعوتُما علَيَّ، فادعُوا لي، فاللهُ لكُما أن أرُدَّ عنكُما الطلبَ، فدَعا له النبيُّ ﷺ فنَجا، فجعل

وقيل: الكثبة من اللبن قدر حلبة، والكثبة كل قليل جمعته من طعام أو لبن أو غير ذلك، والجمع كثب.

و«يرتوى فيها» رويت من الماء بالكسر وارتويت وترويت كله بمعنى.

أقول: فعلى هذا ينبغي أن يقال: «يرتوى منها» لا «فيها».

مح: يرتوي فيها يستقى فيها، يعنى جعل القدح آلة للرى والسقى، ومنه الراوية وهى الإبل التى يستقى عليها الماء.

وقوله: «يشرب ويتوضأ» مستأنفتان لبيان الاعتمال فى السقى.

قوله: «فوافقته حتى استيقظ» قض: يعنى وافقته فى النوم، أو تأنيت به حتى استيقظ، وفى بعض نسخ البخارى، «حين استيقظ» أى وافق إتيانى وقت استيقاظه، ويؤيده ماروى: فوافقته وقد استيقظ.

قوله: «فارتطمت به» أى ساخت قوائمها كما تسوخ فى الوحل.

و«الجلد من الأرض» الصلبة.

قوله: «أن أرد عنكما» شف: الجار محذوف تقديره: بأن أرد وقوله: «فالله لكما» حشو بينهما. ويمكن أن يقال: فالله مبتدأ، ولكما خبره، وقوله: «أن أرد» خبرثان للمبتدأ.

وقال غيره: معناه فادعوا لى كيلا يرتطم فرسى على أن أترك طلبكما ولا أتبعكما بعد، ثم دعا لهما بقوله: «فالله لكما» أى الله حافظكما وناصركما حتى تبلغا بالسلامة إلى مقصدكما.

ويجوز أن يكون معناه: ادعوا لى حتى أنصرف عنكما، فإن الله قد تكفل بحفظكما عنى وحبسنى عن البلوغ إليكما.

أقول: الفاء فى «فالله» تقتضي ترتب مابعدها عليه، و«لكما» خبر المبتدأ يقتضى متعلقًا يتعلق به هو ومابعده، فالتقدير: ادعوا لى بأن أتخلص مما أنا فيه فإنكما إن فعلتما فالله أشهد لأجلكما أن أرد عنكما الطلب.

لايلقى أحدًا إلا قال: كُفيتُم، ماهاهنا، فلا يلقى أحدًا إلاردَّه. متفق عليه.

٥٨٧٠-* وعن أنسٍ، قال سمع عبدُ الله بنُ سلامٍ بمقدَمِ رسولِ اللهﷺ وهو فى أرض يخترفُ، فأتى النبيﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لايعلمهن إلا نبيٌّ: فما أوَّلُ أشراطِ الساعةِ، ومأأولُ طعامِ أهل الجنةِ، ومأينزعُ الولدُ، إلى أبيه أو إلى أُمه؟ قال: «أخبرني بهنَّ جبريلُ آنفا؛ أمَّا أولُ أشراطِ الساعةِ فنارٌ تحشرُ النَّاسَ من المشرقِ إلى المغربِ. وأمَّا أولُ طعامٍ يأكلُه أهلُ الجنةِ فزيادةُ كبدِ حوتٍ وإذا سبَقَ ماءُ الرجلِ ماءَ المرأة نزَعَ الولدُ، وإذا سبقَ ماءُ المرأة نزعت». قال: أشهدُ أن لاإلهَ إلا اللهُ وأنَّكَ رسولُ اللهِ. يارسول اللهِ! إنَّ اليهودَ قومٌ بُهُتٌ، وإنهم إنْ يعلموا بإسلامى من قبل أنْ

ويؤيد هذا التقرير مافى شرح السنة: «والله» على القسم ، أى أقسم بالله لكما على أن أرد الطلب عنكما.

قوله: «فجعل لايلقى أحدًا» أى فشرع فيما وعد من رد من لقي.

قوله: «ماهاهنا» بمعنى الذى، أى كفيتم الذى هنا، والمعنى كفيتم الطلب فى هذا الجانب لأنى كفيتكم ذلك.

مح: فيه فوائد:

منها: هذه المعجزة الظاهرة لرسول اللهﷺ، وفضيلة ظاهرة لأبى بكر رضى الله عنه من وجوه.

وفيه: خدمة التابع للمتبوع واستصحاب الركوة ونحوها فى السفر للطهارة والشرب.

وفيه: فضل التوكل على الله تعالى وحسن عاقبته.

الحديث الثالث عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «يخترف» أى يجتني.

قوله: «ومأينزع الولد» أي ماسبب نزوع الولد وميله إلى أحد أبويه، فحذف المضاف وأن المصدرية من المضارع، كما فى قولك: «أحضر الوغى».

خط: «سبق» إذا علا وغلب، يقال: نزع الولد إلى أبيه إذا أشبهه- ذكره فى الغريبين- يعنى إذا غلب ماء الرجل أشبهه الولد، وإذا غلب ماء المرأة أشبهها الولد- انتهى كلامه.

فعلى هذا التأنيث فى «نزعت» بتأويل النسمة.

قوله: «قوم بهت» نه: هو جمع بهوت من بناء المبالغة فى البهت مثل: صبور وصبر، ثم يسكن تخفيفًا.

تسألَهم يبهتونني. فجاءتِ اليهودُ فقال: «أيُّ رجلٍ عبدُ الله فيكم؟» قالوا: خيرُنا وابنُ خيرنا، وسيّدُنا وابنُ سيدِنا فقال: «أرأيتم إنْ أسلمَ عبدُ الله بن سلام؟» قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله فقالوا: شرناوابنُ شرنا، فانتقصوه. قال: هذا الذي كنتُ أخافُ يارسولَ الله! رواه البخاريُّ.

٥٨٧١-* وعنه، قال: إنَّ رسولَ اللهﷺ شاورَ حينَ بلغَنا إقبالُ أبي سفيانَ، وقامَ سعدُ بن عبادةَ، فقال: يارسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضَها البحرَ لأخَضْناها، ولو أمرتَنا أن نضرب أكبادها إلى بَرْك الغمادِ لفعلنا. قال: فندب رسولُ

الحديث الرابع: عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «إقبال أبى سفيان» أي بالعير من الشام إلى مكة، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبًا منهم أبو سفيان ، فأعجب المسلمين تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم، فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبوجهل فوق الكعبة: ياأهل مكة النجاء النجاء، فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة، فقيل له إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة، فقال: لا والله، فمضى بهم إلى بدر، ونزل جبريل وأخبر أن الله وعدكم إحدى الطائفتين.

فقال رسول اللهﷺ: إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبوجهل قد أقبل.

فقام سعد بن عبادة فقال: يارسول الله لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها.

مح: قالوا: إنما قصد رسول اللهﷺ بالاستشارة اختبار الأنصار لأنه لم يكن بايعهم على أن يخرجوا معه للقتال وطلب العدو، وإنما بايعهم على أن يمنعوه ممن يقصده، فلما عرض الخروج لعير أبى سفيان أراد أن يعلم أنهم يوافقونه على ذلك أم لا؟ فأجابوا أحسن جواب بالموافقة التامة فى هذه المرة وغيرها.

وفيه: حث على استشارة الأصحاب وأهل الرأى والخبرة.

قوله: «أن نخيضها» قض: الإخاضة الإدخال فى الماء والكناية للخيل والإبل وإن لم يجر ذكرهما لقرينة الحال.

وضرب الأكباد عبارة عن تكليف الدابة للسير بأبلغ مايمكن.

قوله: «إلى برك الغماد» مح: هو بفتح الباء وإسكان الراء هو المشهور من كتب الحديث وروايات المحدثين.

اللهﷺ الناسَ، فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا، فقال رسولُ اللهﷺ: «هذا مصرعُ فلان» ويضع يدَه على الأرضِ هاهنا وهاهنا قال: فما ماطَ أحدُهم عن موضع يدِ رسولِ اللهﷺ. رواه مسلم.

٥٨٧٢- * وعن ابن عبَّاسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال وهوَ في قُبَّة يومَ بدرٍ: «اللهُمَّ أَنشُدُك عهدَكَ ووعْدَك، اللهُمَّ إنْ تشأْ لاتُعبَدْ بعدَ اليومِ» فأخذَ أبو بكرٍ بيدِه فقال:

قال القاضى عياض عن بعض أهل اللغة: صوابه كسر الباء. قال: وكذا قيده شيوخ حديث أبى ذر في البخارى.

واتفقوا على أن الراء ساكنة إلا ماحكاه القاضى عن الأصيلى بإسكانها وفتحها، وهذا غريب ضعيف.

والغماد: بكسر الغين المعجمة وضمها لغتان مشهورتان، وأهل الحديث على ضمها واللغة على كسرها، وهو موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل.

وقيل: بلد يمانى.

وقيل: موضع بأقصى هجر.

قوله: «فما ماط أحدهم» يريد مابعد.

الحديث الخامس عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قوله: «أنشدك عهدك» تو: يقال: نشدت فلانًا أنشده نشدًا إذا قلت له: نشدتك الله، أى سألتك بالله، وقد يستعمل في موضع السؤال.

والعهد هاهنا بمعنى الأمان، يريد: أسالك أمانك وإنجار وعدك الذى وعدتنيه بالنصر، فإن قيل: كان النبي ﷺ أعلم الناس بالله وقد علم أن الله سبحانه وتعالى لم يكن ليعده وعدا فيخلفه فماوجه هذا السؤال؟.

قلنا: الأصل الذي لايفارق هذا العلم هو أن الدعاء مندوب إليه علم الداعى حصول المطلوب أو لم يعلم، ثم إن العلم بالله يقتضى الخشية منه، ولا ترفع الخشية من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بما أوتوا ووعدوا من حسن العاقبة، فيجوز أن يكون خوفه من مانع ينشأ من قبله أو من قبل أمته فيحبس عنهم النصر الموعود، ويحتمل أنه وعد بالنصر ولم يعين له الوقت، وكان على وجل من تأخر الوقت فتضرع إلى الله تعالى لينجز له الوعد فى يومه ذلك.

حسبُكَ يارسولَ الله! ألححتَ على ربِّكَ، فخرجَ وهو يثبُ في الدرعِ وهو يقولُ: ﴿سيُهزَمُ الجمعُ ويُولّونَ الدبر﴾. رواه البخاري.

٥٨٧٣-* وعنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال يومَ بدرٍ: «هذا جبريلُ آخذٌ برأسِ فرسِه، عليه أداةُ الحربِ». رواه البخارى.

٥٨٧٤-* وعنه، قال: بينما رجلٌ منَ المسلمينَ يومئذٍ يشتد فى إثرِ رجلٍ منَ

وأما ماأظهر من الضراعة فقيل: الأحسن أن يقال: إن مبالغة رسول الله ﷺ فى السؤال مع عظم يقينه بربه وكمال علمه به كان تشجيعًا للصحابة وتقوية لقلوبهم، لأنهم كانوا يعرفون أن دعاءه لامحالة مستجاب لاسيما إذا بالغ فيه..

أقول: المراد بالوعد ما فى قوله تعالى: **﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم﴾**(١) وقوله ﷺ: «إن الله أمرنى أن أحرق قريشًا، فقلت: رب إذا يلغوا رأسى فيدعوه خبزة، قال: استخرجهم كما أخرجوك، واغزهم نعزك، وأنفق فسينفق عليك، وابعث جيشًا نبعث خمسًا مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك» رواه مسلم عن عياض المجاشعى.

ولعله ﷺ لما استحضر معنى قوله تعالى: **﴿إن الله غنى عن العالمين﴾**(٢) وقوله تعالى: **﴿والله هو الغنى الحميد إن يشأ يذهبكم﴾**(٣) فى قوله: «إن تشأ لاتعبد» أى: إن تشأ ألا تعبد فتهلك هذه العصابة، خاف من ذلك، وحين نظر إلى وعده وأنه لايخلف وعده بالغ فى الدعاء وألح فى المسألة، وكان ﷺ حينئذ بين الخوف والرجاء، ثم رجح جانب الرجاء بقوله: **﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾**(٤) فرحًا مستبشرًا مع وفور نشاط وهزة، ومن ثمة وثب فى الدرع.

مح: بدر هو ماء معروف على نحو أربع مراحل من المدينة بينها وبين مكة.

قال ابن قتيبة: هو بئر كانت لرجل يسمى بدرًا.

وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبعة عشر خلت من شهر رمضان فى السنة الثانية من الهجرة.

الحديث السادس والحديث السابع عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قوله: «يشتد» أي يعدو ليحمل ، يقال: شد فى الحرب يشد بالكسر.

---

(١) الأنفال: ٧

(٢) آل عمران: ٩٧

(٣) فاطر: ١٥: ١٦

(٤) القمر: ٤٥

المشركينَ أمامَه، إذ سمعَ ضربةً بالسَّوطِ فوقَه، وصوتُ الفارسِ يقولُ: أقدِم حيزومُ. إذ نظرَ إلى المشركِ أمامَه خرَّ مستلقيًا، فنظرَ إليه فإذا هو قد خُطِمَ أنفُه وشُقَّ وجهُه كضربة السَّوطِ، فاخْضَرَّ ذلك أجمعُ، فجاء الأنصارى، فحدَّث رسولَ الله ﷺ فقال: «صدَقتَ، ذلك من مددِ السَّماء الثالثةِ» فقتلوا يومئذٍ سبعينَ وأسروا سبعينَ. رواه مسلم.

٥٨٧٥- * وعن سعد بن أبي وقاص، قال: رأيتُ عن يمينِ رسول الله ﷺ وعن شماله يومَ أُحد رجلين، عليهما ثيابٌ بيضٌ، يقاتلان كأشد القتال، مارأيتُهما قبلُ ولابعدُ. يعني جبريل وميكائيل. متفق عليه.

٥٨٧٦-* وعن البراء. قال: بعثَ النبي ﷺ رهطًا إلى أبي رافع، فدخل عليه عبدُ الله بن عتيك بيتَه ليلا وهو نائم فقَتَلَه فقال عبدالله بن عتيك: فوضعتُ السيف فى

قوله: «أقدم حيزوم» مح: هو بهمزة قطع مفتوحة وبكسر الدال من الإقدام، قالوا: وهي كلمة زجر للفرس. وقيل بضم الدال وهمزة وصل مضمومة من التقدم. والأول أشهرهما.

وحيزوم: اسم فرس الملك، وهو منادى حذف حرف النداء.

والخطم: بالخاء المعجمة الأثر على الأنف.

قوله: «من مدد السماء الثالثة» فيه تنبيه على أن مدد السماء كان من السموات كلها، وهذا من الثالثة خاصة.

وقوله: «صدقت، ذلك» إشارة إلى المذكور من قوله: «سمع ضربة.. إلخ».

الحديث الثامن: عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه:

قوله: «كأشد القتال» الكاف فيه زائدة تأكيدًا.

وقوله: «يعني..» من قول الراوى أدرجه بيانًا لعله عرف ذلك من دليل.

الحديث التاسع عن البراء رضى الله عنه:

قوله: «رهطًا إلى أبي رافع» «قض»: أبو رافع كنية أبي الحقيق اليهودي أعدى عدو رسول الله ﷺ، نبذ عهده وتعرض له بالهجاء، وتحصن عنه بحصن كان له، فبعثهم إليه ليقتلوه فدخل عليه عبدالله بن عتيك رضي الله عنه كمادلَّ عليه الحديث.

بطنه، حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته. فجعلت أفتحُ الأبواب، حتى انتهيتُ إلى درجة، فوضعتُ رجلي فوقعت، في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة، فانطلقتُ إلى أصحابي، فانتهيتُ إلى النبيﷺ فحدثتُه، فقال: «ابسط رجلكَ». فبسطتُ رجلي فمسَحها، فكأنما لم أشتكها قطُّ. رواه البخاري.

٥٨٧٧ - * عن جابر، قال: إنَّا يومَ الخندق نحفر، فعرضت كُدية شديدة، فجاءوا النبيﷺ فقالوا: هذه كُدية عرَضت في الخندق. فقال: «أنا نازل». ثم قامَ وبطنُه معصوبٌ بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لانذوقُ ذَوَاقا، فأخذ النبيﷺ المعول، فضرب فعاد كثيبًا أهيَلَ، فانكفأتُ إلى امرأتي فقلت: هل عندكِ شيءٌ؟ فإني رأيتُ بالنبيﷺ خمصًا شديدًا، فأخرجتْ جرابًا فيه صاعٌ من شعير، ولنا بَهمَةٌ داجنٌ فذبحتُها، وطحنتُ

قوله: «حتى أخذ في ظهره» عداه بفي ليدل على شدة التمكن وأخذه منه كل مأخذ، وإليه أشار بقوله: «حتى أخذ في ظهره».

وقوله: «فوقعت فى ليلة مقمرة» يعنى كان سبب وقوعه على الأرض أن ضوء القمر وقع فى الدرج فدخل عليه، فحسب أن الدرج مساو للأرض فوقعت منه على الأرض فانكسرت ساقى. فعصبتها: أى شددتها.

فكأنما لم أشتكها: أى كأنها لم تتوجع قط.

الحديث العاشر عن جابر رضى الله عنه:

قوله: «كدية» نه: الكدية قطعة غليظة صلبة لايعمل فيها الفأس.

و«الذواق» المأكول والمشروب، فعال بمعنى مفعول من الذوق يقع على المصدر والاسم.

و«كثيبًا أهيل» أي رملا سائلا.

قض: والمعنى أن الكدية التى عجزوا عن رضها صارت بضربة واحدة ضربها رسول الله ﷺ كتل من رمل مصبوب سيال.

والانكفاء: الانصراف والانقلاب.

والخمص: بسكون الميم، الجوع، سمى بذلك لأن البطن تضمر به.

قوله: «ولنا بهمة» مح: هى الصغيرة من أولاد الضأن ويطلق على الذكر والأنثى كالشاة.

و«الداجن»: ماألف البيوت.

الشعير، حتى جعلنا اللحم في البُرمةِ، ثم جئتُ النبيَّ ﷺ فساررتُه، فقلت: يارسولَ الله؟ ذبحنا بهيمةً لنا، وطحنتُ صاعًا من شعيرٍ، فتعال أنتَ ونفرٌ معك، فصاحَ النبيُّ ﷺ: «ياأهلَ الخندق! إن جابرًا صَنَعَ سورًا فحيَّ هلابكم» فقال رسول الله ﷺ: «لاتُنزلُنَّ بُرمتكم ولا تخبزُن عجينكم حتى أجيء». وجاء ،فأخرجتُ له عَجينًا، فبصقَ فيه وبارك، ثمَّ عَمَدَ إلى بُرْمتنا فبصقَ وبارك، ثمَّ قال: «ادعى خابزةً فلتخبزْ معك، واقدحي من بُرمتكم، ولاتُنزلوها»وهم ألفٌ، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برُمتنا لتغطّ كما هي، وإن عجينَنا ليخبز كما هو. متفق عليه.

وفي قوله: «فساررته» جواز المسارة بالحاجة بحضرة الجماعة، وإنما المنهى أن يتناجى اثنان دون الثالث. كما سبق.

و«السور» بضم السين غير مهموز هو الطعام الذي يدعى إليه، وقيل: الطعام مطلقًا، وهى لفظة فارسية، وقد تظاهرت أحاديث صحيحة بأن رسول الله ﷺ تكلم بالألفاظ الفارسية وهو يدل على جوازه.

وأما: «حى هلا» فهو بتنوين «هلا» وقيل: بلا تنوين على وزن «علا ».

ويقال: «حيهل» ومعناه عليكم بكذا أو أدعوكم بكذا.

والبرمة: القدر مطلقًا، وجمعها: برام، وهى فى الأصل المتخذ من الحجر.

قوله: «فبصق»«مح»: هو بالصاد هكذا هو في أكثر الأصول، وفي بعضها بالسين وهى لغة قليلة.

قوله: «واقدحى من برمتكم» تو: يقال: قدحت المرق أي غرفته، ومنه المقدح وهو المغرفة، سلك بالخطاب مسلك التلوين فخاطب به ربة البيت.

أقول: لعل فى نسخته: «فلتخبز معى »بالإضافة إلى ياء المتكلم كما هو فى بعض نسخ المصابيح، فحمله على ماذهب إليه.

قال الشيخ محيى الدين: جاء فى بعض الأصول: «ادعى» على خطاب المؤنث، وهو الصحيح الظاهر، ولهذا قال: "«فلتخبز معك» وفى بعضها ادعوا بالواو، أي اطلبوا، وفى بعضها: ادع- انتهى كلامه.

ويعلم منه أن «معى» لم يرد بها رواية، وإذا ذهب إلى «ادعى معك» لم يكن من تلوين الخطاب فى شيء.

٥٨٧٨-* وعن أبي قتادةَ، أنَّ رسولَ اللهﷺ قال لعمار حين يحفر الخندق فجعل يمسح رأسه ويقول: «بُؤسَ ابنِ سميَّة! تقتلك الفئةُ الباغية»رواه مسلم.

٥٨٧٩-* وعن سليمان بن صُرَد، قال: قال النبيﷺ حين أُجلي الأحزابُ

وقوله: «لتغط» بكسر الغين المعجمة، أي يغلي ويسمع غليانه.

وقوله: «كما هي» ماكافة وهي مصححة لدخول الكاف على الجملة، وهي مبتدأ والخبر محذوف، أي كما هي قبل ذلك.

مح: قد تظاهرت الأحاديث بمثل هذا من تكثير الطعام القليل، ونبع الماء وتكثيره، وتسبيح الحصى، وحنين الجذع، وغير ذلك مما هو معروف حتى صار مجموعها بمنزلة التواتر وحصل العلم القطعي وقد جمع العلماء أعلامًا من دلائل النبوة في كتبهم كالقفال الشاشي، وصاحبه أبي عبدالله الحليمي، وأبي بكر البيهقي، وغيرهم مما هو مشهور، وأحسنها كتاب البيهقي، ولله الحمد على ماأنعم به على نبينا ﷺ وعلينا بإكرامه.

الحديث الحادي عشر عن أبي قتادة رضي الله عنه:

قوله: «حين يحفر الخندق» حكاية الحال الماضية، وكذا «يقول».

وقوله: «تقتلك الفئة الباغية» بيان لقوله: «بؤس ابن سمية»وكان من الظاهر أن يقال: تقتله، ولما كان المراد بهذا البؤس نفسه استقام ذلك.

قض: البؤس الشدة.

وسمية بالضم اسم أم عمار بن ياسر.

والمعنى: يابؤس عمار احضري هذا أوانك، نادى بؤسه وأراد نداءه، ولذلك خاطبه بقوله: «ستقتلك الفئة الباغية» يريد به معاوية وقومه، فإنه قتل يوم الصفين.

واتسع في حذف«يا» وهي لاتحذف عن أسماء الأجناس.

الحديث الثاني عشر عن سليمان بن صرد رضي الله عنه:

قوله: «أجلي الأحزاب» وهم قريش قد أقبلت في عشرة آلاف من بني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبوسفيان، وخرج غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن، وعامر بن الطفيل في هوازن، وضامتهم اليهود من قريظة والنضير، ومضى على الفريقين قريب من شهر لاحرب بينهم إلا الترامي بالنبل والحجارة، حتى أنزل الله تعالى النصر بأن أرسل عليهم ريح الصبا وجنودًا لم يروها وهم الملائكة، وقذف في قلوبهم الرعب، فقال طلحة بن خويلد الأسدي: النجاء النجاء، فانهزموا من غير قتال، وهذا معنى الإجلاء.

عنه: «الآن نغزوهم ولايغزونَّا، نحن نسير إليهم». رواه البخاري

٥٨٨٠-* وعن عائشةَ، قالت: لما رجَع رسول اللهﷺ من الخندق ووضع السلاحَ واغتسل أتاه جبريل وهو ينفضُ رأسه من الغبار، فقال: «قد وضعتَ السّلاح؟ واللهِ ماوضعتهُ، أُخرج إليهم» فقال النبيﷺ: «فأين» فأشار إلى بنى قريظة، فخرج النبيﷺ متفق عليه.

٥٨٨١-* وفي روايةٍ للبخاري قال أنس: كأني أنظرُ إلى الغبارِ ساطعًا في زُقاقِ بني غنم موكبَ جبريل عليه السَّلام حينَ سارَ رسولُ اللهﷺ إلى بنى قريظة.

٥٨٨٢-* وعن جابرٍ، قال: عَطشَ النَّاسُ يومَ الحديبية ورسولُ اللهﷺ بينَ يديه رَكوةٍ فتَوضَّأ منها، ثم أقبل الناسُ نحوه، قالوا: ليس عندنا ماءٌ نَتوضَّأُ به ونشرب إلا مافي رُكوتك. فَوضَعَ النبيُّﷺ يَدَه في الركوة، فجعل الماءُ يفورُ من بينَ أصابعه كأمثالِ العيون. قال: فشربنا وتوضّأنا قيل لجابر: كم كنتم؟ قال: لو كنَّا مائةَ ألفِ لكفانا، كنَّا خمسَ عشَرةَ مائة متفق عليه.

وقوله: «الآن نغزوهم» إخبار بأنه قلّت شوكة المشركين من اليوم فلا يقصدوننا البتة بعد بل نحن نغزوهم، ونقتلهم وتكون عليهم دائرة السوء، وكان كما قال فكان معجزة.

الحديث الثالث عشر عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «موكب جبريل» فى صحيح البخارى وشرح السنة وأكثر نسخ المصابيح بدون «من» نصبًا على نزع الخافض، وفى بعضها بإثبات«من».

نه: الموكب جماعة ركاب يسيرون برفق

الحديث الرابع عشر عن جابر رضى الله عنه:

قوله: «خمس عشرة مائة» عدل عن الظاهر لاحتماله التجوز فى الكثرة والقلة، وهذا يدل على أنه اجتهد فيه وغلب ظنه على هذا المقدار، وقول البزار فى الحديث الذي يتلو هذا الحديث: «كنا أربع عشرة مائة» كان عن تحقيق، لما سبق فى الفصل الثاني من باب قسمة الغنائم أن أهل الحديبية كانوا ألفا وأربعمائة تحقيقًا، وقول من قال: هم ألف وخمسمائة وهم.

٥٨٨٣-* وعن البراء بن عازب، قال: كنَّا مع رسول اللهﷺ أربعَ عشرة مائةً يوم الحديبية، - والحديبية بئرٌ- فنزَحنَاهَا، فلم نترك فيها قطرة، فبلغ النبيﷺ، فأتاها، فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء، فتوَضأ، ثم مضمض ودعا ثم صبه فيها، ثم قال: «دعوها ساعة» فأرووا أنفسَهم ورِكابهم حتَّى ارتحلوا. رواه البخاري.

٥٨٨٤-* وعن عوفٍ، عن أبي رجاء، عن عمران بن حصين، قال: كنَّا فى سفرٍ مع النبىﷺ فاشتكى إليه الناسُ من العطش، فنزل، فدعا فلانًا- كان يسميه أبو رجاء ونسبه عوف- ودعا عليا، فقال: «اذهبا فابتغيا الماء». فانطلقا، فتلقيا امرأةً بينَ مَزادتين أو سطحيتين من ماءٍ، فجاءا بها إلى النبيﷺ، فاستنزلوها عن بعيرها، ودعا النبيﷺ بإناء، ففرّغ فيه من أفواه المزادتين، ونوديَ في الناس: اسقوا. فاستقوا قال: فشربنا عِطاشًا أربعين رجلاً، حتى روينا. فملأنا كلَّ قربة معنا وإداوة، وايم الله لقد أُقلِع عنها وإِنّهُ ليُخيَّل إلينا أنَّها أشدُّ ملئةً منها حين ابتدأ. متفق عليه.

٥٨٨٥ - * وعن جابرٍ، قال: سرنا مَعَ رسول اللهِ ﷺ حتَّى نزلنا واديًا أفيح

الحديث الخامس عشر والحديث السادس عشر عن عوف:

قوله: «كان يسميه أبو رجاء» فاعل يسميه أبو رجاء، وضمير المفعول عائد إلى فلان، وكذا في قوله: «نسبه».

قوله: «مزادتين» قض: المزادة الراوية وهى في الأصل لما يوضع فيه الزاد.

والسطيحة: نوع من المزادة يكون من جلدين قوبل أحدهما بالآخر فسطح عليه.

«نه» قوله: «فاستنزلوها» الضمير يجوز أن يرجع إلى المرأة أى: طلبوا منها أن تنزل عن البعير،

وقيل: الضمير راجع إلى المزادة، يعنى: أنزلوها، واستنزل وأنزل بمعنى.

وقوله: «عطاشًا» حال.

و«أربعين» بيان له.

وقوله: «وايم الله لقد أقلع عنها» أى: وايمن الله قسمى لقد انكفت الجماعة عن تلك المزادة ورجعوا عنها، وإن الشأن والحديث ليشبه إلينا أن تلك المزادة كانت أكثر ماء من تلك الساعة التى استقوا منها.

الحديث السابع عشر عن جابر رضى الله عنه:

قوله: «واديًا أفيح» نه: كل موضع واسع يقال له: أفيح، وروضة فيحاء.

فذهَبَ رسول الله ﷺ يقضي حاجته، فلم يَرَ شيئًا يستتر به، وإذا شجرتين بشاطئ الوادى، فانطلقَ رسولُ الله ﷺ: إلى إحداهما فأخذ بغصنٍ من أغصانها فقال: «انقادي على بإذن الله» فانقادت معه كالبعير المخشوش الذى يصانع قائده، حتى أتى الشجرةَ الأخرى فأخذ بغصنٍ من أغصانها، فقال: «انقادى عليَّ بإذن الله». فانقادت معه كذلك، حتى إذا كان بالمنصَف مما بينهما قال: «التئما عليَّ بإذن الله» ، فالتأمَتا فجلست أحدثُ نفسي، فحانت منى لفتَةٌ، فإذا برسولِ الله مقبلا، وإذا الشجرتين قد افترقتا، فقامت كل واحدة منهما على ساق، رواه مسلم.

٥٨٨٦ - * وعن يزيد بن أبى عبيد، قال: رأيتُ أثر ضربةٍ فى ساقِ سلَمة بن الأكوع فقلت: يا أبا مسلم، ما هذه الضَّربة؟ قال: ضربةٌ أصابتنى يوم خيبر فقال

و«المخشوش» هو الذي في أنفه الخشاش بالكسر، وهو عويد يجعل في أنف البعير ليكون أسرع إلى الانقياد.

و«المنصف» الموضع الوسط بين الموضعين.

قوله: «وإذا شجرتين» بالنصب، كذا في صحيح مسلم وأكثر نسخ المصابيح، وفي بعضها «شجرتان» بالرفع وهو مغير، فتقدير النصب : فوجدت شجرتين نابتتين بشاطئ الوادي، وهو كمسألة : «كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها».

قال شارح اللباب: إنما جوز الإتيان بالضمير المنصوب وهو «إياها» لأن المفاجأة تدل على الوجدان، ولفظ «هو» فصل وعماد، و«إياها» مفعول وجدت مضمراً، والمفعول الأول محذوف ناب ضمير الفصل والعماد عنه أي: «وجدته إياها» و«إذا» بمعنى وجدت.

قوله: «يصانع قائده» تو: أي ينقاد له ويوافقه، والأصل في المصانعة الرشوة وهي أن تصنع لصاحبك شيئًا حتى يصنع لك شيئًا.

قوله: «انقادي على» أي لا تعصي على، ونظيره قوله تعالى : ﴿**ما لك لا تأمنا على يوسف**﴾[1] أي: لم تخافنا عليه، ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه.

قوله: «التئما على بإذن الله» على حال، أي اجتمعا مظلتين على.

قوله: «فحانت مني التفاتة» أي ظهرت مني التفاتة ونظرة، من حان إذا أتى وقت الشيء. واللفتة: فعلة من اللالتفات.

---

(١) يوسف:١١

النَّاس: أصيب سلمة. فأتيتُ النبى ﷺ : فنَفَثَ فيه ثلاثَ نَفَثَاتٍ، فما اشتكيتُها. حتى الساعة . رواه البخارى.

٥٨٨٧ - * وعن أنسٍ قال: نَعَى النبىُّ ﷺ زيدًا وجعفرًا وابن رواحة للناس قَبلَ أن يأتيهم خبرهُم، فقال «أخذ الراية زيدٌ فأصيبَ، ثم أخذَ جعفرٌ فأصيبَ، ثم أخذَ ابن رواحةَ فأصيب -وعيناه تذرفان - حتى أخذَ الراية سيفٌ من سيوف الله- يعنى خالد بن الوليد -حتى فتح الله عليهم». رواه البخارى.

٥٨٨٨ - * وعن عبَّاس ، قال: شهدتُ مَع رسول الله ﷺ يومَ حنين، فلما التقى المسلمون والكفَّار، ولى المسلمون مدبرين، فطفِق رسولُ الله ﷺ يركُض بغلتَه قبل الكفار وأنا آخذٌ بلجام بَغْلة رسول الله ﷺ أكُفها إرادةَ أن لا تسرع، وأبو سفيان بن الحارث آخذٌ بركابِ رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «أى عباس! نادِ أصحاب السَّمرة؛ فقال عباس -وكان رجلا صيتًا- فقلت بأعلى صوتى: أين أصحابُ السمُرة» فقال: والله لكأن عطفتَهم حين سمعوا صوتي عطفةَ البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك يالبيك قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوةُ فى الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار؛ يا معشر الأنصار؛ قال: ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج. فنظر رسول الله ﷺ: وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم. فقال: هذا حين حَمِى

الحديث الثامن عشر إلى الحديث العشرين عن عباس رضي الله عنه.

قوله: «إلى قتالهم» متعلق بنظر، وفي الحديث كما في المصابيح اختصار مخل، لأن المذكور قبل: «ولى المسلمون مدبرين» فلابد من ذكر ما يستقيم به المعنى والحديث رواه مسلم عن العباس، وفيه بعد قوله: «آخذ بركاب رسول الله ﷺ» فقال رسول الله ﷺ: «أي عباس ناد أصحاب السمرة» فقال العباس -وكان رجلا صيتًا- :«فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة» قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون: «يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار، ثم قصرت الدعوة على بني الحارث من الخزرج، فنظر رسول الله ﷺ. . . . . . . الحديث».

الوطيسُ. ثم أخذَ حصياتٍ، فرمى بهن وجوهَ الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمد» فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته، فما زلت أرى حدّهم كليلا وأمرهم مُدبرًا. رواه مسلم.

٥٨٨٩ - * وعن أبي إسحاق، قال: قال رجلٌ للبراءِ: يا أبا عمارة؛ فررتُم يوم

وقوله: «هذا» مبتدأ، والخبر محذوف.

و«حين» مبني لأنه مضاف إلى غير متمكن متعلق باسم الإشارة، أي هذا القتال حين اشتد الحرب، وفيه معنى التعجب واستعظام الحرب، ونحوه تعلق الحال والتعجب في قوله تعالى: ﴿وهذا بعلي شيخًا﴾[1] و﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها﴾[2] تعجبًا من حصول البشارة بالولد في حال الشيخوخة، أشير إلى تلك القري في حالة اقتصاصنا عليك صفتها العجيبة الشأن لمزيد من التسلي وتثبيتًا لنفسك.

نه: «حمي الوطيس» شبه التنور، وقيل: هو الضراب في الحرب، وقيل: هو الوطء الذي يطس الناس أي يدقهم.

وقال الأصمعي : هو حجارة مدورة إذا حميت لم يقدر أحد يطأها* ولم يسمع هذا الكلام من أحد قبل النبي ﷺ،وهو من فصيح الكلام عبر به عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق. انتهى كلامه.

قوله: «يا لبيك» المنادى محذوف، أي: يا قوم، لقوله تعالى: ﴿ألا يا اسجدوا﴾** على وجه.

قوله: «ما هو إلا أن رماهم» يعني ليس انهزامهم سوى رميهم بالحصيات وما كان بالقتال والضرب بالسيف والطعان.

ويحتمل أن يكون الضمير عبارة عن الأمر والشأن، ويكون هو المستثنى منه.

مح: فيه معجزتان ظاهرتان لرسول الله ﷺ إحداهما فعلية والأخرى خبرية، وهو أنه: أخبر بهزيمتهم، ورماهم بالحصيات فولوا مدبرين.

الحديث الحادي والعشرون عن أبي إسحاق:

---

(١) هود: ٧٢ (٢) الأعراف: ١٠١.

* هكذا في (ط) و(ك)، وفي لسان العرب: «الأصمعي: الوطيس حجارة مدورة فإذا حميت لم يُمْكِنْ أحَدًا الوَطْءُ عليها» هكذا نصه، وانظر لسان العرب (٦/٤٨٦٦) مادة (وطس) ط دار المعارف.

** وهي قراءة في الآية، وقراءة حفص: ﴿ألاَّ يسجدوا﴾ (النمل: ٢٥).ومثله في حذف المنادى قوله الشاعر: الا يااسلمي يا دادارميَّ على البلى.

حنين؟ قال: لا والله ما ولّى رسول الله ﷺ ولكن خرج شُبان أصحابه ليس عليهم كثيرُ سلاحٍ، فلقوا قومًا رماةً لا يكاد يسقُط لهم سهمٌ، فرشقوهم رشقًا ما يكادون يُخطئون، فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث يقودُه، فنزل واستنصر وقال: «أنا النبيُّ لا كذِب أنا ابنُ عبدالمطلب» ثم صفَّهم. رواه مسلم.

وللبخارى معناه.

قوله: «لا والله» مح: هذا الجواب الذي أجابه البراء من بديع الأدب، لأن تقدير الكلام: فررتم كلكم، فيقتضى أن النبي ﷺ وافقهم في ذلك فقال البراء: «لا والله ما فر رسول الله ﷺولكن جماعة من أصحابه جرى لهم كذا وكذا».

فإن قلت: ذكر في الحديث السابق: «ولى المسلمون مدبرين» [وبعدوا بعدًا صاح بهم العباس وكان صيتا]* وفي هذا الحديث : «فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ» فكيف الجمع؟.

قلت: أقدر قبل الفاء في قوله: «فأقبلوا هناك» جميع ما يتصل به من فرارهم وتصويت العباس لهم وإقبالهم إلى رسول الله ﷺ.

وقوله: «فنزل واستنصر» أي النبي ﷺ تواضعًا واستكانة لله تعالى، وطلب النصرة منه تعالى لعلمه أن النصرة ليست إلا منه، وقد سبق في باب البيان والشعر كلام في أنه لم يقصد بكلامه ذلك الشعر.

مح: فإن قيل: كيف نسب نفسه إلى جده دون أبيه وافتخر بذلك مع أن الافتخار من عمل الجاهلية؟.

فالجواب: أنه ﷺ كانت شهرته بجده أكثر لأن أباه قد توفي شابا قبل اشتهاره، وكان جده مشهورًا شهرة ظاهرة شائعة، وكان سيد أهل مكة، وكان مشتهرًا عندهم أن عبدالمطلب بشر بالنبي ﷺ وأنه سيظهر ويكون شأنه عظيمًا، وكان أخبره بذلك سيف بن ذي يزن.

وقيل: إن عبدالمطلب رأى رؤيا تدل على ظهور النبيﷺ ، وكان ذلك مشهورًا عندهم فأراد النبي ﷺ أن يذكرهم بذلك وينبئهم بأنه ﷺ لابد من ظهوره على الأعداء وأن العاقبة لهم لتقوى نفوسهم، وأعلمهم أيضًا أنه ثابت يلازم الحرب لم يول مع من ولى، وعرفهم موضعه ليرجع إليه الراجعون.

وأما قوله : «أنا النبي لا كذب» فمعناه: أنا النبى حقا فلا أفرولا أولى وفيه دليل على جواز قول الإنسان فى الحرب أنا فلان أنا فلان، أو أنا ابن فلان، أو نحو ذلك.

---

* مابين المعكوفين سقط من (ط) وأثبتناه من (ك).

٥٨٩٠ - * وفى رواية لهما: قال البراءُ: كنَّا والله إِذا احمرَّ البأسُ نتَّقى به، وإن الشجاعَ منَّا للذى يُحاذيه، يعنى النبيَّ ﷺ.

٥٨٩١ - * وعن سلمة بن الأكوع، قال غزونا مع رسول الله ﷺ حُنينا، فولى صحابةُ رسول الله ﷺ ، فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة، ثم قبض قبضةً من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوهَهم، فقال: «شاهتِ الوجوهُ» فما خلق الله منهم إنسانًا إلا ملأ عينيه ترابًا بتلك القبضةِ، فولَوا مدبرين فهزمهم الله، وقسمَ رسولُ الله ﷺ غنائمهم بينَ المسلمين. رواه مسلم.

٥٨٩٢ - * وعن أبى هريرة قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ حُنينا، فقال رسولُ الله ﷺ لرجلٍ ممن معه يدّعى الإسلامَ: «هذا من أهلِ النار» فلمَّا حضرَ القتال قاتل الرجلُ من أشدِّ القتال، وكثُرت به الجراح، فجاء رجلٌ، فقال: يا رسول الله! أرأيت الذى تحدثُ أنَّه من أهل النار، قد قاتل فى سبيل الله من أشد القتال فكثرت به

واحمرار البأس: كناية عن اشتداد الحرب، فاستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة، أو لاستعار نار الحرب واشتعالها كما في الحديث السابق «حمي الوطيس».

وفيه بيان لشجاعته وعظيم وثوقه بالله تعالى.

وقوله: «يحاذيه» أي يوازيه، ويحاذي منكبه حذو منكبه.

الحديث الثاني والعشرون عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

قوله: «فلما غشوا» أي الكفار، أي قاربوا الغشيان.

وشاهت الوجوه: أي قبحت، يقال: شاه يشوه شوهًا، ورجل أشوه، وامرأة شوهاء.

قوله: «فما خلق» الظاهر أن يقال: وما بقي منهم ، فعدل عنه إلى ما هو عليه تأكيدًا وتقريرًا للحصر، وأن أحدًا ما خلص من ذلك البتة.

وفيه بيان معجزاته ﷺ من وجهين:

أحدهما: إيصال تراب تلك القبضة اليسيرة إلى أعينهم جميعًا.

وثانيهما: أنها بحيث ملأت عين كل واحد منهم من تلك القبضة اليسيرة وهم أربعة آلاف فيمن ضامهم من أمداد سائر العرب.

الحديث الثالث والعشرون عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «أرأيت الذي تحدث» أي أخبرني عن حال من قلت في شأنه: إنه من أهل النار والحال أنه من أهل الجنة لأنه قاتل في سبيل الله تعالى أشد القتال، فرد عليه بقوله: «أما إنه من أهل النار» أي القول ما قلت وإن ظهر لك خلافه.

الجراح؛ فقال: «أما إنَّه من أهلِ النارِ» فكادَ بعضُ الناس يرتابُ، فبينما هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح، فأهوى بيدِهِ إلى كنانته، فانتزع سهمًا فانتحر بها، فاشتد رجالٌ من المسلمين إلى رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا رسول الله ؛ صدقَ الله حديثك، قد انتحر فلانٌ وقتل نفسَه. فقال رسول الله ﷺ: «اللهُ أكبرُ أشهدُ أني عبدُ الله ورسوله،يا بلالُ، قُم فأذن: لايدخل الجنةَ إلا مؤمن، وإنَّ الله ليُؤيدُ هذا الدين بالرجل الفاجرِ». رواه البخاري.

٥٨٩٣ - * وعن عائشةَ، قالت: سُحِر رسولُ الله ﷺ حتى إنَّه ليُخيَّلُ إليه أنّه فعل الشيء وما فعلَه، حتى إذا كان ذاتَ يومٍ عندي، دعا اللهَ ودعاهُ، ثمَّ قال:

وقوله: «فأهوى بيده إلى كنانته» أي قصد ومال إلى جعبته.

ويقال: انتحر الرجل إذا نحر نفسه، وفي المثل: سرق السارق فانتحر.

فاشتد: أي عدا قاصدا إلى رسول الله ﷺ.

وقوله: «الله أكبر» يحتمل تعجبًا وفرحا لوقوع ما أخبر عنه فعظم الله حمدًا وشكرًا لتصديق قوله.

وأن يكون كسرًا للنفس وعجبها حتى لا يتوهم أنه من عنده، وينصره قوله: «إني عبد الله»

وقوله: «أذن يا بلال: لا يدخل الجنة إلا مـؤمن» تعريض بقول ذلك الرجل وتعريضه في قوله: «وقد قاتل في سبيل الله من أشد القتال» بأنه من أهل الجنة، كما سبق.

مح: اسم الرجل «قزمان» قاله الخطيب البغدادي، وكان من المنافقين كذا في جامع الأصول.

قوله: «وإن الله ليؤيد»، أي إن الله تعالى ينصر هذا الـدين ويقـويه بالرجل الفـاجر، فلا ترتابوا في هذا كما ارتبتم في ذلك لشدة عنايته بهذا الدين وصونه عن الزوال إلى يوم الدين.

الحديث الرابع والعشرون عن عائشة رضي الله عنها:

قوله: «إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله» مح: قد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث لذلك وزعم أنه يحط من منزل النبوة، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع. وهذا الذي ادعاه باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وعصمته بما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل،فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بها فهو مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه، وقد قيل: إنه إنما كان يتخيل أنه وطئ زوجاته وليس يواطئ، وقد يتخيل للإنسان قبل هذا في المنام.

«أشعَرْتِ يا عائشةُ! أنَّ اللهَ قد أفتاني فيما استفتَيْتُه، جاءني رجُلان، جلسَ أحدُهما عندَ رأسي والآخرُ عند رجلي، ثم قال أحدُهما لصاحبه: ما وجَعُ الرجل؟ قال: مطْبوبٌ: قال: ومَن طبَّه؟ قال: لبيدُ بن الأعصم اليهوديُّ. قال: في ماذا؟ قال: في مُشطٍ ومُشاطة وجُفّ طلعةِ ذكر، قال:فأينَ هو؟ قال: في بئر ذَروانَ» فذهبَ النبيُّ

وقيل: إنه يتخيل إليه ما يخيل ولكن لم يعتقد صحته وكانت معتقداته على السداد والصحة.

وقيل: «ليخيل إليه» أي يظهر له من نشاطه أنه قادر على إتيان النساء فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يتمكن من ذلك.

وكل ما جاء من أنه تخيل شيئًا لم يفعله فمحمول على التخييل بالبصر لا بالعقل وليس فيه ما يطعن في الرسالة.

مظ: وأما مازعموا من دخول الضرر على الشرع بإثباته فليس كذلك، لأن السحر إنما يعمل في أبدانهم وهم بشر يجوز عليهم من العلل والأمراض ما يجوز على غيرهم، وليس تأثير السحر في أبدانهم بأكثر من القتل وتأثير السم وعوارض الأسقام فيهم، وقد قتل زكريا وابنه، وسم نبينا ﷺ بخيبر، وأما أمر الدين فإنهم معصومون فيما بعثهم الله عزوجل وأرصدهم له، وهو جل ذكره حافظ لدينه وحارس لوحيه أن يلحقه فساد أو تبديل.

فإن قيل: كلام النبوة يمنع من حلول الاختلال بالسحر بجسم النبي ﷺ؟

قلنا: لا يطول ذلك بل يزول سريعًا فكأنه ماحل، وفائدة الحلول تنبيه على أن هذا بشر مثلكم، وعلى أن السحر تأثيره حق إذا أثر في أكمل الإنسان فكيف بغيره؟

قوله: «دعا الله ودعاه» أي عقب دعاء بدعاء واستمر عليه، يدل على هذا التأويل الرواية الأخرى: «ثم دعا ثم دعا».

مح: هذا دليل على استحباب الدعاء عند حصول الأمور المكروهة وتكريره وحسن الالتجاء إليه تعالى.

و«المطبوب» المسحور، يقال: طب الرجل إذا سحر، فكنوا بالطب عن السحر، كما كنوا بالسليم عن اللديغ.

وقال ابن الأنباري: الطب من الأضداد، يقال لعلاج الداء: طب، وللسحر: طب، وهو من أعظم الأدواء.

و«المشاطة» بضم الميم الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند تسريحه بالمشط.

و«الجب» بضم الجيم والباء هكذا هو في أكثر نسخ بلادنا، وفي بعضها: «جف» بالفاء وهما بمعنى، وهو وعاء طلع النخل، ويطلق على الذكر والأنثى فلهذا أضاف في الحديث «طلعة» إلى ذكر إضافة بيان.

ﷺ في أُناسٍ من أصحابه إلى البئر. فقال: «هذه البئر التي أُريتها وكأن ماءها نُقاعةُ الحنَّاءِ، وكأنَّ نخلَها رءوسُ الشياطين» فاستخرجه. متفق عليه.

٥٨٩٤ - * وعن أبي سعيد الخدري، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسْما أتاه ذو الخويصرة، وهو رجلٌ من بني تميم، فقال: يارسولَ الله اعدل. فقال: «ويلك فمن يعدلُ إذا لم أعدل؟! قد خِبتَ وخسرت إن لم أكن أعدلُ» فقال عمر: ائذن لي أضرب عنقه. فقال: «دَعهُ، فإن له أصحابًا يحقر أحدُكم صلاته مع

وفي كتاب مسلم: «في بئر ذى أروان»: كذا وقع في بعض روايات البخارى وفي معظمها «ذروان» وكلاهما صحيح مشهور، والأول أصح وأجود، وهى بئر في المدينة في بستان بنى زريق.

قوله: «وكأن نخلها رءوس الشياطين» تو: أراد بالنخل طلع النخل، وإنما أضافه إلى البئر لأنه كان مدفونًا فيها، وأما تشبيهه ذلك برءوس الشياطين فلما صادفوه عليه من الوحشة وقبح المنظر، وكانت العرب تعد رءوس الشياطين من أقبح المناظر ذهابًا في الصورة إلى ما يقتضيه المعنى.

وقيل: أريد بالشياطين الحيات الخبيثات العرمات، وأيا ما كان فإن الإتيان بهذا المنظر في الحديث مسوق على نص الكتاب في التمثيل، قال الله تعالى: ﴿**كأنه رءوس الشياطين**﴾[1].

الحديث الخامس والعشرون عن أبي سعيد رضى الله عنه:

قوله: «قسمًا» تو: القسم مصدر قسمت الشيء فانقسم، سمى الشيء المقسوم وهو الغنيمة بالمصدر.

والقسم: بالكسر الحظ والنصيب، ولاوجه للمكسور في الحديث لأنه يختص إذا تفرد نصيب وهذا القسم كان في غنائم خيبر قسمها بالجعرانة.

و«خبت وخسرت» على ضمير المخاطب لا على ضمير المتكلم، وإنما رد الخيبة والخسران إلى المخاطب على تقدير عدم العدل منه، لأن الله تعالى بعثه رحمة للعالمين وبعثه ليقوم بالعدل فيهم، فإذا قدر أنه لم يعدل فقد خاب المعترف بأنه مبعوث إليهم فخاب وخسر لأن الله لايحب الخائنين فضلاً من أن يرسلهم إلى عباده.

قوله: «فقال: دعه» حس: كيف منع النبي ﷺ من قتله مع أنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم؟.

---

(١) الصافات: ٦٥

صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لايجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السَّهم من الرمية، ينظر إلى نصله، إلى رُصافه إلى نضيه وهو قدحه، إِلى قُذَذه فلا يوجد فيه شيءٌ، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجلٌ أسودُ، إحدى عضديه مثلُ ثدي المرأة، أو مثل البَضعَة تَدَردَرُ، ويخرجون على خير فرقة من الناس». قال أبوسعيد: أَشهدُ أني سمعتُ هذا الحديثَ من رسولِ الله ﷺ، وأشهدُ أنَّ علي بن أبي طالب قاتَلَهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتُمِسَ، فأتي به، حتى نظرتُ إِليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته.

وفي رواية: أقبل رجلٌ غائرُ العينين، ناتئ الجبهة، كث اللحية، مشرفُ الوجنتين محلوقَ الرأس، فقال: يامحمد! اتَّق الله. فقال: «فمن يُطِعِ اللهَ إِذا عصيتُه؟ فيأمنني

قيل: إنما أباح قتلهم إذا كثروا وامتنعوا بالسلاح واستعرضوا الناس، ولم تكن هذه المعانى موجودة حين منع من قتلهم، وأول ما نجم ذلك في زمن على رضى الله عنه، وقاتلهم حتى قتل كثيراً منهم.

قوله: «لا يجاوز تراقيهم» حس: أى لا تتجاوز قراءتهم عن ألسنتهم إلى قلوبهم فلا يؤثر فيها، أو لا يتصاعد عن مخرج الحرف وحيز الصوت إلى محل القبول والإنابة.

و«يمرقون من الدين» أى: يخرجون من الدين، ويمرون عليه سريعًا من غير حظ وانتفاع به، خروج السهم من الرمية، يعنى: الصيد ومروره بجميع أجزائه وتنزهه من التلوث بما يمر عليه من فرث ودم.

و«الرصاف» بالضم والكسر عصب يلوى فوق مدخل النصل، والرصافة والرصفة.

ونضى السهم قدحه وهو ما جاوز الريش إلى النصل، من النضو لأنه برى حتى صار نضوا فهو مجاز باعتبار ما كان.

والقذذ: ريش السهم واحده قذذة. أخرج متعلقات الفعل على سبيل التعداد لا التنسيق.

وقوله: «إلى قذذه» من كلام الرسول ﷺ.

«وهو قدحه» تفسير للنضى من قول الراوى.

قوله: «البضعة» هى قطعة اللحم.

و«تدردر» أى تحرك وتزحزح مارًّا وجائيًا.

الله على أهل الأرض ولا تأمنونّي» فسأل رجل قتله، فمنعه، فلما ولّى قال: «إن من ضئضئ هذا قومًا يقرءون القرآن لايجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مُروقَ السَّهم من الرميَّة، فيقتُلون أهل الإسلام، ويدَعون أهل الأوثان، لئن أدركتُهم لأقتلنَّهم قتل عادٍ». متفق عليه.

٥٨٩٥ - * وعن أبي هريرةَ، قال: كنت أدْعُو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلتُ: يارسول الله ﷺ! ادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال: «اللهم اهد أم أبي هريرة». فخرجت مستبشرًا بدعوة النبيِّ ﷺ، فلما صرت إلى الباب فإذا هو مجافٌ، فسمعت أُمي خَشْفَ قدميَّ فقالت: مكانَك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء، فاغتسلتْ فلبستْ درْعها، وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة! أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكي من الفرح، فحمد الله وقال خيرًا رواه مسلم.

٥٨٩٦ - * وعنه، قال: إنَّكم تقولون: أكثر أبو هريرة عن النبيِّ ﷺ، والله الموعِدُ، وإن إخوتي من المهاجرين كان يَشغلُهم الصَّفقُ بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يَشغَلُهم عملُ أموالهم، وكنتُ امرءًا مِسْكينًا ألزم رسول الله ﷺ على

قوله: «إن من ضئضئ هذا» نه: الضئضئ الأصل، يقال: ضئضئ صدق وضؤضؤ صدق، يريد أنه يخرج من نسله وعقبه،«تو» وأما من ذهب إلى أنهم يتولدون منه فقد أبعد، إذ لم يذكر في الخوارج قوم من نسل ذى الخويصرة، ثم إن الزمان الذى قال فيه رسول الله ﷺ هذا القول إلى أن نابذ المارقة عليًّا رضى الله عنه وحاربوه لايحتمل ذلك، بل معناه من الأصل الذى هو منه في النسب أو من الأصل الذى هو عليه في المذهب.

وأراد بقتل عاد: الاستئصال بالإهلاك، فإن عادًا لم تقتل وإنما أهلكت بالصيحة فاستؤصلت بالإهلاك.

الحديث السادس والعشرون عن أبي هريرة رضى الله عنه:

قوله: «مجاف» نه: أجاف الباب، أى: رده عليه، ومنه الحديث: «أجيفوا أبوابكم» أى ردوها.

ملء بطني وقال النبي ﷺ يومًا: «لن يبسط أحدٌ منكم ثوبه حتى أقضيَ مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صَدره فينسى من مقالتي شيئًا أبدًا». فبسطتُ نَمرةً ليس عليَّ ثوبٌ غيرُها حتى قضى النبي ﷺ مقالته. ثم جمعتُها إلى صدري، فو الذي بعثه بالحق مانسيتُ من مقالته ذلك إلى يومي هذا. متفق عليه.

٥٨٩٧ - * وعن جرير بنِ عبدِالله، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا تُريحُني من ذي الخَلَصة؟». فقلت: بلى، وكنتُ لا أثبت على الخيل، فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ فضرب يده على صَدري حتى رأيتُ أثر يده في صدري، وقال: «اللهم ثبِّته واجعله هاديًا مهديًّا». قال: فما وقعتُ عن فرسي بعدُ، فانطلق في مائةٍ وخمسين فارسًا من أحمس فحرَّقها بالنار وكسرها. متفق عليه.

٥٨٩٨ - * وعن أنسٍ، قال: إنَّ رجلاً كان يكتب للنبي ﷺ فارتدَّ عن الإسلام، ولحق بالمشركين، فقال النبي ﷺ. «إنَّ الأرض لا تقبله». فأخبرني أبو طلحة أنه أتى الأرض التي مات فيها فوجده منبوذًا فقال: ما شأن هذا؟ فقالوا: دفنَّاه مرارًا فلم تقبله الأرضُ. متفق عليه.

و«الخشف» الحس والحركة، وقيل: هو الصوت، وكذلك الخشفة بالسكون.

و«الخضخضة» تحريك الماء.

وقوله: «وعجلت عن خمارها» أى عجلت الفتح متجاوزة عن خمارها.

وقوله: «قال خيرًا» أى قولا خيرًا، أو ذكر كلامًا متضمنًا للخير.

الحديث السابع والعشرون عن أبي هريرة رضى الله عنه:

قوله: «والله الموعد» يعنى لقاء الله الموعد، يعنى به يوم القيامة، فهو يحاسبنى على ما أزيد وأنقص لاسيما على رسول الله ﷺ وقد قال: «من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار».

قوله: «الصفق بالأسواق» هو كناية عن العقود في البيع والشرى، فإن المهاجرين كانوا أصحاب تجارات، كما أن الأنصار كانوا أرباب زراعات.

وأموال أهل المدينة المواضع التى فيها نخيلهم.

وقوله: «على ملء بطنى» حال، أى ألزمه ﷺ قانعًا بما يملأ بطنى، فعداه بعلى مبالغة، وفي معناه قول الشاعر:

٥٨٩٩ - * وعن أبي أيوب، قال: خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس، فسمع صوتًا، فقال: «يهودُ تُعذَّبُ في قبورها». متفق عليه.

٥٩٠٠ - * وعن جابرٍ، قال: قدِمَ النبي ﷺ من سفر، فلما كان قربَ المدينة هاجت ريحٌ تكادُ أن تدفن الراكبَ، فقال رسول الله ﷺ: «بُعثت هذه الريح لموتِ مُنافِقٍ». فقدم المدينة، فإذا عظيمٌ من المنافقين قد مات رواه مسلم.

٥٩٠١ - * وعن أبي سعيد الخدري، قال: خرجنا مع النبي ﷺ حتى قدمنا عُسفَان، فأقام بها ليالي، فقال النَّاس: ما نحن هاهنا في شيءٍ، وإن عيالنا لخلوف مانأمن عليهم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده ما في المدينة شعبٌ ولانقبٌ إلا عليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا إليها». ثم قال: «ارتحلوا» فارتحلنا وأقبلنا إلى المدينة، فوالذي يحلَفُ به ماوضعنا رحالنا حين دخلنا المدينةَ حتى أغار علينا بنو عبدالله بن غطفان وما يُهيِّجُهم قبل ذلك شيء. رواه مسلم.

فإن ملكت [كفاف]* قوت فكن به قنيعًا فإن المتقى الله قانع

قوله: «فينسى» جواب النفي على تقدير أن، فيكون عدم النسيان سببًا عن المذكورات كلها، وأوثرت «لن» النافية دلالة على أن النسيان بعد ذلك كالمحال، فقوله: «مقالتى هذه» كأنه إشارة إلى دعاء دعاه حينئذ وقوله«من مقالتى شيئًا» إشارة إلى جنس المقالات كلها وقوله «ذلك» إشارة إلى الجنس باعتبار المذكور.

و«النمرة» شملة مخططة من مآزر الأعراب، وجمعها «نمار» كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض.

الحديث الثامن والعشرون عن جرير بن عبدالله رضى الله عنه:

قوله: «من ذى الخلصة» ذو الخلصة بيت لخثعم كان يدعى: «كعبة اليمامة» والخلصة اسم طاغيتهم التى كانت فيه.

شف: فيه «إيماء إلى أن النفوس الزكية الكاملة المكملة قد يلحقها العناء مما هو على خلاف ما ينبغى من عبادة غير الله تعالى وغيرها مما لايجوز.

قوله: «من احمس» نه: هم قريش وكنانة وجديلة قيس، سموا حمسًا لأنهم تحمسوا في دينهم أى تشددوا، والحماسة الشجاعة.

وقوله: «فانطلق» هو من كلام الراوى، وقيل: هو كلام جرير نفسه ففيه التفات.

---

* فى «ك» : «كفاك قوتا».

٥٩٠٢ - * وعن أنسٍ، قال: أصابت الناس سنَةٌ على عهد رسول الله ﷺ، فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم الجمعة قام أعرابي فقال: يارسول الله! هلك المالُ، وجاع العيالُ، فادع الله لنا. فرفع يديهِ ومانرى في السماءِ قَزَعةً، فوالذي نفسي بيده ماوضعها حتى ثار السّحابُ أمثال الجبال، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطر يَتحادَرُ على لحيته، فَمُطِرنا يومَنا ذلك، ومن الغد، ومن بعد الغد حتى الجمعة الأخرى، وقام ذلك الأعرابي ـ أو غيره ـ فقال: يارسول الله! تهدَّم البناء، وغرق المال، فادعُ الله لنا، فرفَع يديه فقال: «اللهمَّ حوالينا ولاعلينا». فما يشير إلى ناحيةٍ من السّحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجَوبَة، وسَال الوادي قناةٌ شهراً، ولم يجئ أحدٌ من ناحية إلا حدَّث بالجَوْد.

الحديث التاسع والعشرون والحديث الثلاثون عن أبي أيوب رضى الله عنه:

قوله: «وجبت» أى غربت، وأصله من السقوط، قال تعالى: ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾(١) أى سقطت.

الحديث الحادى والثلاثون عن جابر رضى الله عنه:

قوله: «قرب المدينة» نصب على انتزاع الخافض والخبر متعلقه.

قوله: «تكاد أن تدفن» قال المالكى: وقع خبر كاد مقرونًا بأن وهو صحيح، لكن وقوعه غير مقرون بأن أكثر وأشهر، ولذلك لم يقع في القرآن إلا غير مقرون بها، والسبب المانع من الاقتران في باب المقاربة هو دلالة الفعل على الشروع كطفق وجعل فإن «أن» تقتضى الاستقبال، وفعل الشروع يقتضى الحال فتنافيا، وما لايدل على الشروع كعسى وأوشك وكرب وكاد فمقتضاه مستقبل فاقتران خبره بأن مؤكد لمقتضاه، فإذا انضم إلى هذا التعليل استعمال فصيح ونقل صحيح كما في الحديث المذكور وغيره من قول أنس: «فما كدنا أن نصل إلى منازلنا» وبعض الصحابة: «والبرمة*: بين الأثافى** قد كادت أن تنضج» وقول جبير: «كاد قلبى أن يطير» تأكد الدليل على الجواز ولم يوجد لمخالفته سبيل، وقد اجتمع الوجهان في قول عمر رضى الله عنه: «ما كدت أن أصلى العصر حتى كادت الشمس تغرب».

الحديث الثانى والثلاثون عن أبي سعيد رضى الله عنه:

قوله: «الخلوف» نه: يقال: حى خلوف إذا غاب الرجال وأقام النساء، ويطلق على المقيمين والظاعنين.

---

(١) الحج: ٣٦.

* فى (ط): (البراء)، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه، والبرمة هى: قدر من حجارة كما فى اللسان.

** فى (ط): (الإناء)، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه، والأثافيّ هى الحجارة التى يوضع عليها القدر الذى يوقد تحته..

وفي رواية قال: «اللهمَّ حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظِّراب وبطون الأودِيةِ، ومنابِتِ الشَّجرِ». قال: فأقلعتْ، وخرَجنا نمشي في الشَّمسِ. متفق عليه.

٥٩٠٣ - * وعن جابرٍ، قال كانَ النبيُّ ﷺ إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد، فلما صُنِع له المنبر فاستوى عليه، صاحت النخلة التي كان يخطب عندها حتى كادت أن تنشق. فنزل النبي ﷺ حتى أخذها فضَمَّها إليه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يُسكَّت حتى استقَرت، قال: «بكت على ما كانت تسمع من الذكر». رواه البخاري.

٥٩٠٤ - * وعن سلمة بن الأكوع، أن رجلاً أكل عندَ رسولِ الله ﷺ بشماله فقال: «كل بيمينك»، قال لا أستطيع. قال: «لا استطعتَ». مامنعهُ إلا الكبر، قال: فما رفعها إلى فيه. رواه مسلم.

قوله: «إلا عليه» أى على كل واحد من الشعب والنقب.

«ويحرسانها» الضمير راجع إلى المدينة، والمراد شعبها ونقبها.

الحديث الثالث والثلاثون عن أنس رضى الله عنه:

قوله: قزعة أى قطعة من السحاب.

«نه»: قوله: «يتحادر» أى ينزل ويقطر وهو تفاعل من الحدور ضد الصعود، يتعدى ولايتعدى.

و«الجوبة» الحفرة المستديرة الواسعة، وكل سقف بلابناء جوبة، أى صار السحاب والغيم محيطًا بآفاق المدينة.

قوله: «حوالينا» حوله وحواله وحوليه وحواليه بمعنى، وإنما أوثر حوالينا لمراعاة الازدواج مع قوله: «علينا» نحو قوله تعالى ﴿وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾[1].

«ولا علينا» عطف جملة على جملة، أى: أمطر حوالينا ولا تمطر علينا، ولولم يكن بالواو لكان حالا، أى أمطر على المزارع ولاتمطر على الأبنية، وأدمج في قوله: «ولا علينا» معنى المضرة، كأنه قيل: اجعل لنا لاعلينا.

قوله: «فما يشير إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت» وفى أصل المالكى: «فما جعل يشير

---

(١) النمل: ٢٢

٥٩٠٥ - * وعن أنسٍ، أن أهل المدينة فزعوا مرةً، فركِبَ النبيُّ ﷺ فَرَسًا لأبي طلحة بطيئًا، وكان يقطِف، فلما رجع قال: «وجدنا فرسكم هذا بَحرًا». فكان بعد ذلك لا يجارى.

وفي رواية: فما سُبِقَ بعد ذلك اليوم. رواه البخاري.

٥٩٠٦ ـ وعن جابرٍ قال: توفي أبي وعليه دين، فعرضتُ على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه، فأبَوا، فأتيت النبي ﷺ فقلت: قد علمتَ أن والدي استُشهدَ يوم أُحد وتركَ دَينًا كثيرًا، وإني أُحبُّ أن يراك الغرماءُ، فقال لي: «اذهب فبيدِر كلَّ تمر على ناحيةٍ ففعلتُ، ثم دعوته، فلما نظروا إليه كأنَّهم أُغروا بي تلكَ السَّاعَة، فلما رأى ما يصنعون طاف حولَ أعظمها بيدرًا ثلاث مرَّات ثم جلس عليه، ثم قال: «ادعُ لي أصحابَكَ». فما زالَ يكيلُ لهم حتى أدى الله عن والدي أمانَتَه، وأنا أرضى أن يُؤدِّي الله أمانة والدي ولا أرجع إلى أخواتي بتمرةٍ، فسلَّم الله البيادر كلَّها، وحتى إِني أنظر

بيده إلى ناحية من السماء إلا انفرجت» وهذا أنسب لأن الناحية إنما تنسب إلى السماء وهى التى تنكشف عن السحاب.

الجوهرى: والفرج في قول أبي ذؤيب:

وللشر بعد القارعات فروج

أى تفرج وانكشاف.

وقال المالكى: وفي «فما جعل يشير» غرابة لأن أفعال الشروع إن صحبها نفي كان مع خبرها نحو جعلت لا ألهو، وقد ندر في هذا الحديث دخول فاء على جعل، وسهل ذلك أن معنى ما جعل يفعل وجعل لايفعل واحد.

قوله: «قناة شهرا» نصب على الحال أو المصدر على حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه أى: مثل القناة، أو: سيلان القناة في الدوام والاستمرار والقوة والمقدار.

نه: الجود المطر الواسع الغزير، يقال: جادهم المطر يجودهم جوداً.

و«الآكام» جمع أكُمُ، والأُكُم جمع إكام، والإكام جمع أَكَمَة وهى الرابية.

و«الظراب» الجبال الصغار واحدها ظرب بوزن كتفٍ، وقد يجمع في القلة على أَظْرُبٍ.

وأقلع المطر: إذا كف وانقطع، وأقلعت عنه الحمى إذا فارقته ـ انتهى كلامه والضمير فيه للسحاب فإنها جمع سحابة

إلى البيدر الذي كان عليه النبي ﷺ كأنّها لم تنقص ثمرة واحدة. رواه البخاري.

٥٩٠٧ - * وعنه، قال: إن أُمَّ مالك كانت تُهدي للنبي ﷺ في عُكَّة لها سمنًا، فيأتيها بنوها فيسألون الأدُمَ وليس عندهم شيءٌ فَتعمِدُ إلى الذي كانت تهدي فيه للنبي ﷺ فتجد فيه سمنًا، فما زال يُقيم لها أُدم بيتها حتى عَصَرَتهُ، فأتت النبيَّ ﷺ فقال: «عصرتِيها؟». قالت: نعم. قال: «لو تركتيها مازال قائمًا». رواه مسلم.

مح: فيه استحباب طلب انقطاع المطر عن المنازل والمرافق إذا كثر وتضرروا به، لكن لا يشرع له صلاة ولا اجتماع في الصحراء.

الحديث الرابع والثلاثون والخامس والثلاثون عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه:

قوله: «أن رجلا» تو: الرجل يقال له: «بشر بن راعى العير» وقيل: «بسر» بالسين المهملة وهو من أشجع.

قوله: «ما منعه إلا الكبر» هو قول الراوى ورد استئنافًا لبيان موجب دعاء النبي ﷺ كأن قائلا قال: لم دعا عليه بـ«لا استطعت» وهو رحمة للعالمين؟ فأجيب بأن ما منعه عن الأكل باليمين العجز بل منعه الكبر.

وقريب منه أو مثله في الإجابة ما رويناه في موطأ الإمام مالك عن جابر رضى الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بنى أنمار ومعى صاحب يرعى لنا وعليه بردان قد خلقا فنظر إليه فقال ﷺ: «ماله ثوبان غير هذين؟» فقلت: بلى يارسول الله، قال: فمره يلبسهما، فلبسهما، فقال ﷺ: «أليس هذا خيرًا؟ ضرب الله عنقه» فقال الرجل: في سبيل الله يارسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «في سبيل الله» فقتل الرجل في سبيل الله.

الحديث السادس والثلاثون عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «كان يقطف» أى يقارب خطاه.

فا: القطاف بوزن الخراف مقاربة الخطا والإبطاء، من القطف وهو القطع لأن سيره يجىء مقطعًا غير مطرد، ونقيضه الوساعة.

قوله: «بحرًا» هو المفعول الثانى لوجدنا، شبه الفرس بالبحر في سعة خطوه وسرعة جريه.

الحديث السابع والثلاثون عن جابر رضى الله عنه:

قوله: «فبيدر» أمر بجمع كل تمر في بيدره، من قولهم: بيدر.

قال فى المغرب: البيدر الموضع الذى يداس فيه الطعام.

قوله: «أغروا بى» أى لجوا في مطالبتى وألحوا، كأن دواعيهم حملتهم على الإغراء بى والاسم الغراء بالفتح والمد، وأغريت الكلب بالصيد، وأغريت بينهم والاسم الغراة.

٥٩٠٨ - * وعن أنسٍ، قال: قال أبو طَلحَة لأمِّ سُلَيم: لقد سمعتُ صوتَ رسولِ الله ﷺ ضَعيفًا أعرِفُ فيه الجوعَ، فهل عندكِ من شيء؟ فقالت:نعم، فأخرجت أقراصًا من شعيرٍ، ثم أَخرجَت خِمارًا لها فلفَّت الخبز ببعضه ثم دَسَّتْهُ تحت يدي ولاثتني ببَعضِه، ثم أرسلتني إلى رسول الله ﷺ، فذهبت به، فوجدتُ رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناسُ فقمت عليهم، فقال لي رسول الله ﷺ: «أرسلك أبوطلحة؟». قلت: نعم. قال: «بطعام؟» قلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قُومُوا». فانطلق وانطلَقْتُ بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحةَ، فأخبرتُه، فقال أبو طلحة: يا أُمَّ سُلَيم:قد جاء رسول الله ﷺ بالناسِ وليس عندنا ما نُطعِمُهم.

والضمير في: «أعظمها» راجع إلى البيادر.

و«بيدرًا» تمييز.

قوله: «أمانته» تو: يريد دينه لأنه ائتمن على أدائه، قال الله تعالى: ﴿وتخونوا أماناتكم﴾[1] أى ما ائتمنتم عليه.

وقوله: «حتى إنى أنظر» حتى هاهنا هى الداخل ما بعدها في ما قبلها، وهى عاطفة على مقدر جمع أولا في قوله: «فسلم الله البيادر كلها» ثم فصلها بقوله: حتى كذا وحتى كذا.

الحديث الثامن والثلاثون عن جابر رضى الله عنه:

قوله: «في عكة لها» نه: هى وعاء من جلد مستدير ويختص بالسمن والعسل وهو بالسمن أخص.

قوله: «يقيم لها» أى العكة ذكرها باعتبار الظرف.

وقوله: «فأتت النبي ﷺ» أى فأتت وشكت انقطاع إدام بيتها من العكة. فقال النبي ﷺ: «عصرتيها» والياء فيها وفي «تركتيها» لإشباع الكسرة.

الحديث التاسع والثلاثون عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «ثم دسته» نه: يقال: دسه يدسه دسًّا إذا أدخله في الشىء بقهر وقوة.

وقوله: «ولاثتنى» قض: يعنى عممتنى أو لفقتنى، من اللوث وهو اللف، وهو لف الشىء بالشىء وإدارته عليه، ومنه لاث به الناس إذا استداروا حوله.

---

(١) الأنفال: ٢٧

فقالت: اللهُ ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقيَ رسولَ الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحةَ معه. فقال رسول الله ﷺ: «هلمى يا أم سليم! ماعندك» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ فَفُتَّ، وعَصَرت أُم سليم عُكَّة فأدَمَته، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، ثم قال: «ائذَنْ لعشرة» فأذِن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثمَّ خرجوا، ثم قال «ائذن لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا. ثم قال «ائذن لعشرة» فأكل القوم كلُّهم وشبعُوا، والقومُ سبعون أو ثمانون رجلاً. متفق عليه.

قوله: «سؤرًا» تو: هو بالهمز أى بقية.

فإن قيل: كيف تستقيم هذه الروايات من صحابى واحد، ففى إحداها يقول: «وترك سؤرًا» وفي الأخرى يقول: «فجعلت أنظر هل نقص منها شىء؟» وفي الثالثة يقول: «ثم أخذ ما بقى فجمعه... الحديث»؟.

قلنا: وجه التوفيق فيهن هين بين وهو أن نقول: إنما قال: «وترك سؤرًا»، باعتبار أنهم كانوا يتناولون منه فما فضل منهم سماه سؤرًا وإن كان بحيث يحسب أنه لم ينقص منه شىء، وأراد بذلك ما فضل عنهم بعد أن فرغوا منه.

وقيل: أخبر في الأولى أنه دعا فيه بالبركة، وفي الثانية يحكيه على ما وجده عليه بعد الدعاء وعوده إلى المقدار الذى كان عليه قبل التناول، والثالثة لاالتباس فيها على ما ذكرناه.

قوله: «الله ورسوله أعلم» مح: فيه منقبة عظيمة لأم سليم ودلالة على عظم دينها ورجحان عقلها، تعنى أنه ﷺ قد عرف قدر الطعام فهو أعلم بالمصلحة ولو لم يعلم المصلحة لم يفعلها.

وإنما أذن لعشرة عشرة ليكون أرفق بهم، فإن القصعة التى فيها الطعام لايتحلق عليها أكثر من عشرة إلا بضرر يلحقهم لبعدها عنهم.

وقوله: «فأدمته» أى جعلت باقى العكة إدامًا للمفتوت.

الحديث الأربعون عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «ثلاثمائة» منصوب على أنه خبر لكان المقدر.

و«زهاء ثلاثمائة» أى قدر ثلاثمائة من زهوت القوم إذا حزرتهم.

الحديث الحادى والأربعون عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه:

---

(١) الإسراء: ٥٩.

وفي رواية لمسلم أنه قال: «ائذن لعشرة» فدخلوا فقال: «كلوا وسمُّوا الله» فأكلوا حتى فعلَ ذلك بثمانين رجلاً، ثم ّ أكل النبيُّ ﷺ وأهل البيت وترك سُؤْرًا.

وفي رواية البخاري، قال: «أَدْخِلْ عَلَيَّ عشرةً» حتى عدَّ أربعين، ثمَّ أكلَ النبيُّ ﷺ فجعلتُ أنظرُ هل نقص منها شيء؟

وفي رواية لمسلم: ثمَّ أخذ ما بقي فجمعه، ثمَّ دعا فيه بالبركة فعادَ كما كان. فقال: «دونكُمْ هذا».

٥٩٠٩ - * وعنه، قال: أُتيَ النبيُّ ﷺ بإناء وهو بالزَّوراءِ، فوضع يدَه في الإناء، فجعلَ الماءُ ينبُعُ من بين أصابعِه، فتوضَّأ القومُ. قال قتادةُ: قلت لأنسٍ: كم كنتم؟ قال: ثلاثمائةٍ أو زهاءَ ثلاثمائةٍ. متفق عليه.

قوله: «وأنتم تعدونها تخويفًا» هو من قوله تعالى: ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا﴾(١) والآيات إما أن يراد بها المعجزات أو آيات الكتاب المنزلة، وكلتاهما بالنسبة إلى المؤمن الموافق بركات وازدياد في إيمانه، وبالنسبة إلى المخالف المعاند إنذار وتخويف، يعنى لا نرسلها إلا تخويفًا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له.

وفيه مدح للصحابة الذين سعدوا بصحبة خير البشر ولزموا طريقته، وذم لمن عدل عن الطريق المستقيم.

وإنما طلب فضلة من الماء كيلا يظن أنه ﷺ موجد للماء، فإن الإيجاد إليه سبحانه وإليه أشار بقوله ﷺ: «والبركة من الله» أى أن هذا الذى رأيتم من زيادة الماء أيضا ليس منى، إنما هو بركة من الله تعالى وفضله.

مح: في كيفية هذا النبع وجهان حكاهما القاضى وغيره.

أحدهما: أن الماء كان يخرج من نفس أصابعه وينبع من ذاتها، وهو قول المزنى وأكثر العلماء، وهو أعظم في المعجزة من نبعه من حجر، ويؤيده ما جاء في رواية: «فرأيت الماء ينبع من أصابعه».

وثانيهما: أنه تعالى أكثر الماء في ذاته فصار يفور من بين أصابعه.

قوله: «حى على الطهور» تو: يريد هلم وأقبل عليه، فتحت الياء لسكونها وسكون ما قبلها، والعرب تقول: حى على الثريد وهو كفعل الأمر.

الحديث الثانى والأربعون عن أبي قتادة رضى الله عنه:

---

(١) الإسراء : ٥٩.

٥٩١٠ - * وعن عبدِالله بنِ مسعودٍ، قال: كنَّا نعُدُّ الآياتِ بركةً، وأنتم تعدُّونها تخويفًا. كنَّا مع رسول الله ﷺ في سفَرٍ، فقلَّ الماءُ. فقال: «اطلبوا فضلةً من ماء» فجاءوا بإناء فيه ماءٌ قليلٌ فأدخلَ يدَه في الإناءِ، ثمَّ قال: «حيَّ على الطَّهورِ المباركِ، والبركة من اللهِ» ولقد رأيتُ الماءَ ينبعُ من بينِ أصابعِ رسولِ الله ﷺ، ولقد كنَّا نسمعُ تسبيحَ الطعامِ وهو يُؤكلُ. رواه البخاري.

٥٩١١ - * وعن أبي قتادةَ، قال: خطبَنا رسولُ الله ﷺ فقال: «إنَّكم تسيرونَ عشيَّتكم وليلتكم، وتأتونَ الماء إنْ شاء اللهُ غدًا» فانطلق النَّاسُ لايَلوي أحدٌ على أحد. قال أبو قتادة: فبينما رسولُ الله ﷺ يسيرُ حتى ابهار الليلُ فمالَ عن الطريقِ، فوضع رأسَه، ثمَّ قال: «احفَظوا علينا صلاتنا» فكانَ أوَّل من استيقظَ رسولُ الله ﷺ والشمسُ في ظهرِه، ثمَّ قال: «اركبوا» فركبنا. فسِرنَا حتى إذا ارتفعتِ الشمسُ نزلَ، ثمَّ دَعا بميضأةٍ كانتْ معي فيها شيءٌ من ماء، فتوضَّأ منها وضوءًا دونَ وضوءٍ. قال:

قوله: «لا يلوى أحد على أحد» أى لا يلتفت ولا يعطف عليه، ولا يصرف همه إليه، بل يمشى كل واحد على حدته من غير أن يراعى الصحبة لاهتمامه بطلب الماء.

و«ابهار الليل» أى انتصف، وبهرة كل شيء وسطه.

وقيل: ابهار الليل إذا طلعت نجومه واستنارت.

قوله: «بميضأة» فا: هى على مفعلة ومفعالة، وميضأة مطهرة كبيرة يتوضأ منها.

قوله: «دون وضوء» أى دون وضوء كامل، أى وضوء خفيفًا لقلة الماء.

قوله: «فلم يعد أن رأى الناس» لم يضبط الشيخ محيى الدين هذه اللفظة، وفي أكثر نسخ المصابيح وقعت بفتح الياء وسكون العين وضم الدال، وإثبات الفاء في قوله: «فتكابوا» وليس في صحيح مسلم ولا شرحه الفاء.

و«أن رأى الناس» يحتمل أن يكون فاعلا أى لم تتجاوز رؤية الناس الماء أكبأتهم فتكابوا وأن يكون مفعولاً* أى لم يتجاوز السقى أو الصب رؤية الناس الماء في تلك الحالة وهى كبهم عليه.

قوله: «فتكابوا عليها» أى ازدحموا على الميضأة مكبا بعضهم على بعض.

قوله: «أحسنوا الملأ» فا: الملأ حسن الخلق، وقيل: للخلق الحسن ملأ لأنه أكرم ما في الرجل وأفضله، من قولهم لكرام القوم ووجوههم: ملاء.

---

* مابين المعكوفتين سقط من (ط) وأثبتناه من (ك).

وبقي فيها شيءٌ من ماءٍ. ثمَّ قال: «احفَظْ علينا ميضأتكَ؛ فسيكونُ لها نبأ» ثمَّ أذَّن بلالٌ بالصلاةِ، فصلَّى رسولُ الله ﷺ ركعتين، ثمَّ صلَّى الغداةَ، وركبَ وركبنا معه، فانتهينا إلى الناس حين امتدَّ النهارُ وحمي كلُّ شيء، وهُم يقولونَ: يارسول الله! هلكنا وعطشنا، فقال: «لا هُلْكَ عليكم» ودعا بالميضأة فجعلَ يصبُّ، وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعْدُ أنْ رأى النَّاسُ ماءً في الميضأةِ تكابُّوا عليها، فقال رسولُ الله ﷺ: «أحسِنوا الملأ، كلُّكم سيُروى» قال: ففعَلوا، فجعل رسولُ الله ﷺ يصُبُّ وأسقيهم، حتى ما بقيَ غيري وغيرُ رسول الله ﷺ، ثمَّ صبَّ فقال لي: «اشربْ» فقلتُ: لا أشربُ حتى تشربَ يارسولَ الله! فقال: «إنَّ ساقي القومِ آخرُهم» قال: فشربتُ وشربَ، قال: فأتى النَّاسُ الماء جامِّينَ رواءً. رواه مسلم هكذا في «صحيحه»، وكذا في «كتاب الحميديّ». و«جامع الأصول». وزادَ في «المصابيح» بعد قوله: «آخرهُم» لفظة: «شربًا».

قال المازنى عن أبي عبيدة: يقال لكرام القوم ملأ، ثم يقولون: ما أحسن ملأه أى خلقه، وإنما قيل للكرام: ملأ، لأنهم يتمالئون، أى يتعاونون.

قوله: «فأتى الناس الماء» الفاء سببية، أى فحصل للناس عن آخرهم مما جرى ما راموا من الرى مستريحين.

تو: «جامين» أى مستريحين، قد ذهب عنهم إعياؤهم، من الجمام بالفتح وهو الراحة، وأكثر ما يستعمل ذلك في الفرس.

و«رواء» بالكسر جمع راو وهو الذى روى من الماء.

الحديث الثالث والأربعون عن أبي هريرة رضى الله عنه:

قوله: «خذوا في أوعيتكم» أى صبوا في أوعيتكم آخذين، أو: خذوا صابين في أوعيتكم.

وقوله: «بهما» يجوز أن تكون الباء فيه سببية أو استعانة أو حالا، وقد جىء بالجملة استطرادًا بالشهادتين واستبشارًا للأمة.

حس: احتج البخارى في النهد في الطعام وفي جواز قسم ما يكال ويوزن مجازفة وقبضة قبضة بهذا الحديث.

قوله: «غير شاك» مرفوع صفة «عبد».

وقوله: «فيحجب» مرفوع عطفًا على الجملة السابقة، والنفي منصب عليهما معًا.

٥٩١٢ - * وعن أبي هريرةَ، قال: لما كانَ يومُ غزوة تبوكَ، أصابَ النَّاس مجاعةٌ. فقال عمرُ: يارسول الله! ادْعُهم بفضل أزوادِهم، ثمَّ ادعُ الله لهم عليها بالبركة. فقال: «نعم». فدَعا بنطعٍ، فبُسطَ، ثمَّ دعا بفضل أزوادِهم، فجعلَ الرجلُ يجيءُ بكف ذرةٍ، ويجيءُ الآخرُ بكفّ تمرٍ، ويجيءُ الآخرُ بكسرةٍ، حتى اجتمعَ على النِطع شيءٌ يسير، فدعا رسولُ الله ﷺ بالبركة. ثم قال «خذوا في أوعيتكم» فأخذوا في أوعيتهم حتى ماتركوا في العسكر وعاءً إلا ملأوه قال: فأكلوا حتى شبعوا، وفضَلَتْ فضلةٌ. فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيحجبُ عن الجنة». رواه مسلم.

الحديث الرابع والأربعون والخامس والأربعون عن جابر رضي الله عنه:

قوله: «وأنا على ناضح» نه: الناضح الإبل التي يستقى عليها، والجمع النواضح ويجمع أيضًا على «نضاح».

وفقار الظهر: خرزاته، الواحدة فقارة.

قوله: «قدامها» بدل أو بيان لقوله: «بين يدي الإبل» وهو ظرف لقوله: «فما زال» ويجوز أن يكون ظرفًا ليسير، ويسير خبره، واسمه عائد إلى ناضح.

الحديث السادس والأربعون عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه:

قوله: «وادي القرى» تو: وادي القرى لايعرب الياء من الوادي فإن الكلمتين جعلتا اسمًا واحدًا.

وجبلا طيء أحدهما سلمى، والآخر أجأ على فعل بالتحريك وهما بأرض نجد.

الحديث السابع والأربعون عن أبي ذر رضي الله عنه:

قوله: «يسمى فيها القيراط» أي يذكر، قض: أي يكثر أهلها ذكر القراريط في معاملاتهم لتشددهم فيها وقلة مروءتهم، وأنشد جار الله لبعض البدويات:

عريـض القفا ميزانه فـي شـماله قد انحصر في حسب القراريط شاربه

وقيل: القراريط كلمة يذكرها أهلها في المسابة.

ومعنى الحديث: أن القوم لهم دناءة وخسة، أو في لسانهم بذاء وفحش، فإذا استوليتم عليهم وتمكنتم منهم فأحسنوا إليهم بالصفح والعفو عما تنكرون، ولا يحملنكم سوء أفعالهم

٥٩١٣ - * وعن أنس، قال: كان النبيُّ ﷺ عروسًا بزينبَ، فعمدتْ أمي أمّ سُلَيم إلى تمرٍ وسمنٍ وأَقِطٍ، فصنعتْ حيسًا فجعلته في تَوْر فقالت: ياأنس! اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ فقل بعثتْ بهذا إليكَ أمي، وهي تقرئك السلام، وتقول: إنَّ هذا لك منَّا قليلٌ يارسول الله! فذهبتُ فقلت، فقال: «ضعْهُ» ثم قال: «اذهبْ فادعُ لي فلانًا وفلانًا وفلانًا» رجالا سمَّاهم «وادعُ مَنْ لقيتَ» فدَعوْتُ من سمَّى ومن لقيتُ، فرجعتُ فإذا البيتُ غاصٌّ بأهله قيل لأنسٍ: عددكم كم كانوا؟ قال: زُهاءَ ثلاثمائة. فرأيتُ النبيَّ ﷺ وضعَ يدَه على تلكَ الحيسة، وتكلَّمَ بما شاء الله، ثمَّ جعلَ يدعو عشرةً عشرةً يأكلون منه، ويقول لهم: «اذكروا اسم الله، وليأكلْ كلُّ رجلٍ ممَّا يليه»، قال: فأكلوا حتى شبعوا، فخرجت طائفةٌ، ودخلت طائفةٌ، حتى أكلوا كلُّهم. قال لي: «يا أنس! ارفعْ» فرفعت، فما أدري حين وضعتُ كان أكثر أم حين رفعتُ. متفق عليه.

٥٩١٤ - * وعن جابر، قال: غزوتُ معَ رسول الله ﷺ وأنا على ناضحٍ قد أعيى، فلا يكاد يسير، فتَلاحق بي النبيُّ ﷺ فقال: «ما لِبَعيركَ؟» قلت: قد عيِيَ، فتخلَّفَ رسولُ الله ﷺ فزجرَهُ فدعا له، فمازال بين يدي الإبل قدَّامَها يسيرُ فقال لي:

وأقوالهم على الإساءة فإن لهم ذمة ورحمًا، وذلك لأن هاجر أم إسماعيل عليه الصلاة والسلام، ومارية أم إبراهيم ﷺ ابن النبي ﷺ كانتا من القبط.

قوله: «يختصمان في موضع لبنة» لعله ﷺ علم من طريق الوحي والمكاشفة أنه ستحدث هذه الحادثة في مصر، وسيكون عقيب ذلك فتن وشرور لخروج المصريين على عثمان رضي الله عنه أولا، وقتلهم محمد بن أبي بكر ثانيًا، فجعل ذلك علامة وأمارة لتلك الفتن وأمره بالخروج منها حينما رآه، وعلم أن في طباع سكانها خسة ومماكسة كما دل عليه صدر الحديث، فإذا اقتضت الحال إلى أن يتخاصموا في مثل هذا المحقر فينبغي أن يتحرز عن مخالطتهم ويتجنب عن مساكنتهم.

الحديث الثامن والأربعون عن حذيفة رضي الله عنه:

قوله: «في أصحابي» تو: صحبة النبي ﷺ المعتد بها هي المقرونة بالإيمان، ولايصح أن تطلق إلا على من صدق في إيمانه وظهر منه أمارته دون من أغمض عليهم بالنفاق وإضافتها إليهم لاتجوز إلا على المجاز لتشبههم بالصحابة وتسترهم بالكلمة وإدخالهم أنفسهم في

«كيفَ ترى بعيركَ؟» قلت: بخيرٍ، قد أصابته بركتُك. قال: «أفتَبيعنيه بوَقيَّة؟» فبعتُه على أنَّ لى فقارَ ظهرهِ إلى المدينة. فلما قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ غدوتُ عليه بالبعير، فأعطانى ثمنَهُ وردَّهُ عليَّ. متفق عليه.

٥٩١٥ - * وعن أبى حُمَيدٍ الساعدىِّ، قال: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ غزوةَ تبوك، فأتينا وادى القرى على حديقة لامرأة، فقال رسول الله ﷺ: «اخْرُصوها» فخرصناها، وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسُق وقال: «أحصيها حتى نرجعَ إليكِ إن شاء الله» وانطلقنا، حتى قدمنا تبوك، فقال رسول الله ﷺ: «ستَهبُّ عليكم الليلةَ ريحٌ شديدةٌ» فلا يقمْ فيها أحد، فمن كان له بعيرٌ فليشدَّ عِقالَهُ» فهبت ريح شديدة، فقامَ رجلٌ فحملته الريح حتى ألقته بجبلى طيءٍ، ثم أقبلنا حتى قدمنا وادى القُرى، فسأل رسولُ الله ﷺ المرأة عن حديقتها «كم بلغ ثمرها؟» فقالت: عشرة أوسق. متفق عليه.

٥٩١٦ - * وعن أبى ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستفتحونَ مصْرَ وهى أرضٌ يسمَّى فيها القيراط، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإنَّ لها ذمَّةً ورحمًا ـ أو قال: ذمَّةً وصهرًا ـ فإذا رأيتم رجلين يختصمان فى موضع لَبِنَةٍ فاخرجْ منها». قال: فرأيت عبدالرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان فى موضع لبنةٍ، فخرجت منها. رواه مسلم.

غمارهم ولهذا قال: «في أصحابي» ولم يقل: من أصحابي، وذلك مثل قولنا:إبليس كان في الملائكة، أي في زمرتهم، ولا يصح أن يقال: كان من الملائكة، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿كان من الجن﴾[1] وقد أسر هذا القول إلى خاصته وذوي المنزلة من أصحابه أمر هذه الفئة المشئومة المتلبسة لئلا يقبلوا منهم الإيمان، ولا يأمنوا من قبلهم المكر والخداع، ولم يكن يخفى على المحفوظين شأنهم لاشتهارهم بذلك في الصحابة إلا أنهم كانوا لايواجهونهم بصريح المقال أسوة برسول الله ﷺ، وكان حذيفة أعلمهم بأسمائهم، وذلك لأنه كان ليلة العقبة مع النبي ﷺ مرجعه من غزوة تبوك حين هموا بقتله، ولم يكن على العقبة إلا رسول الله ﷺ وعمار يقود به وحذيفة يسوق به، وكان منادي رسول الله ﷺ قد نادى أن: «خذوا بطن

(١) الكهف: ٥٠

٥٩١٧ - * وعن حذيفة، عن النبيِّ ﷺ قال: «فى أصحابى - وفى رواية قال: فى أمتى - اثنا عشر منافقًا لا يدخلون الجنة، ولايجدون ريحها حتى يلجَ الجملُ فى سم الخياط، ثمانيةٌ منهم تكفيهمْ الدُّبيلة: سراجٌ من نارٍ يظهر فى أكتافهم حتى تنجُم فى صدورهم». رواه مسلم.

وسنذكر حديث سهل بن سعد: «لأعطين هذه الراية غدًا» فى «باب مناقب علىّ» [رضى الله عنه].

وحديث جابر «من يصعد الثنيَّة» فى «باب جامع المناقب» إن شاء الله تعالى.

الوادي فإنه أوسع لكم فإن رسول الله ﷺ قد أخذ الثنية» فلما سمعه المنافقون طمعوا في المكر به فاتبعوه متلثمين وهم اثنا عشر رجلا، فسمع رسول الله ﷺ خشفة القوم من ورائه فأمر حذيفة أن يردهم، فاستقبل حذيفة وجوه رواحلهم بمحجن كان معه فضربها ضربًا فرعبهم الله حين أبصروا حذيفة، فانقلبوا مسرعين على أعقابهم حتى خالطوا الناس، فأدرك حذيفة رسول الله ﷺ، فقال: لحذيفة: هل عرفت منهم أحدًا؟ قال: لا فإنهم كانوا متلثمين ولكن أعرف رواحلهم، فقال: إن الله تعالى أخبرني بأسمائهم وأسماء آبائهم وسأخبرك بهم إن شاء الله عند الصباح، فمن ثمة كان الناس يراجعون حذيفة في أمر المنافقين، وقد ذكر عن حذيفة أنهم كانوا أربعة عشر فتاب اثنان ومات اثنا عشر رجلا على النفاق على ما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ، وقد اطلعت على أسمائهم في كتب حفاظ الحديث مروية عن حذيفة، غير أني وجدت في بعضها اختلافًا فلم أر أن أخاطر بديني فيما لاضرورة لي.

قوله: «تكفيهم الدبيلة» قض: الدبيلة في الأصل تصغير الدبل وهى الداهية، فأطلقت على قرحة رديئة تحدث في باطن الإنسان.

ويقال لها: الدبلة بالفتح والضم.

وفسرها في الحديث بنار تخرج فى أكتافهم.

«حتى تنجم» أي تظهر، من نجم ينجم بالضم إذا طلع وظهر، ولعله أراد بها ورمًا حارًّا يحدث في أكتافهم بحيث يظهر أثر تلك الحرارة وشدة لهبها في صدورهم ممثلة بسراج من نار وهو شعلة المصباح.

وقد روي عن حذيفة رضى الله عنه أن النبي ﷺ عرفه إياهم، وأنهم هلكوا كما أخبره الرسول ﷺ.

الفصل الثانى

٥٩١٨ - * عن أبى موسى، قال: خرج أبوطالب إلى الشام، وخرج معه النبى ﷺ فى أشياخٍ من قريشٍ، فلمَّا أشرفوا على الراهب هَبَطوا، فحلُّوا رحالهم، فخرج إليهم الراهب، وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرج إليهم، قال: فهم يحلُّون رحالهم، فجعل يتخلَّلهم الراهب، حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ، قال: هذا سيِّد العالمين، هذا رسولُ ربِّ العالمين، يبعثه الله رحمة للعالمين. فقال له أشياخٌ من قريش: ما عِلْمُك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبقَ شجرٌ ولاحجرٌ إلاخرَّ ساجدًا، ولا يسجدان إلا لنبىٍّ، وإنى أعرفه بخاتم النبوَّة أسفل من غُضْروفِ كتفه مثل التُّفَّاحة، ثمَّ رجعَ فصنَعَ لهم طعامًا، فلمَّا أتاهم به، وكان هو فى رعيْةِ الإبلِ، فقال: أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظلُّه. فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فىءِ شجرةٍ، فلمَّا جلس مال فىءُ الشجرة عليه، فقال: انظروا إلى فىءِ الشجرةِ مال عليه. فقال: أنشُدكم الله أيُّكم وليُّه؟ قالوا: أبوطالب. فلم يزلْ يُناشده حتى ردَّه أبوطالب، وبعثَ معه أبوبكر بلالاً، وزوَّده الرَّاهب من الكعك والزيت. رواه الترمذى. [٥٩١٨]

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبي موسى رضى الله عنه:

قوله: «فلما أشرفوا» مظ: أي اطلعوا عليه ووصلوا إليه نزلوا، واسم ذلك الراهب كان «بحيرا» وكان أعلم النصرانية، والموضع الذي كان فيه هو: «بصرى» من بلاد الشام.

«فجعل يتخللهم» أي أخذ يمشي بين القوم.

قوله: «مثل التفاحة» يروى بالضم والنصب، الضم على أنه خبر مبتدأ محذوف، والنصب على إضمار الفعل، ويجوز الجر على البدل لا الصفة لأن مثل وغير لايتعرفان بالإضافة إلى المعرفة.

قوله: «عليه» حال أي مال ظله عليه.

وقوله: «أيكم وليه؟» متعلقه محذوف، هو جواب للاستعطاف، أي: لتنبئن أيكم وليه؟ وبطل عمل الفعل للتعليق الاستفهامي.

[٥٩١٨] انظر صحيح الترمذى بنحوه ح (٢٨٦٢)، وقال الشيخ الألبانى: لكن ذكر بلال فيه خطأ ظاهر، فإنه لم يكن قد خلق بعد.

٥٩١٩ - * وعن عَلى بن أبى طالب [رضى الله عنه]، قال: كنتُ معَ النبىِّ ﷺ بمكة، فخرجنا فى بعض نواحيها، فما استقبله جبلٌ ولاشجر إلا وهو يقول: السَّلام عليك يارسول الله. رواه الترمذى. والدارمى [٥٩١٩].

٥٩٢٠ - * وعن أنسٍ، أنَّ النبى ﷺ أُتىَ بالبُراقِ ليلةَ أُسرى به مُلجمًا مُسْرجًا، فاستصعب عليه، فقال: له جبريل: أبمحمدٍ تفعل هذا؟ قال: فما ركبك أحدٌ أكرم على الله منه قال: فارفَضَّ عرقًا. رواه الترمذى، وقال: هذا حديث غريب[٥٩٢٠].

٥٩٢١ - * وعن بُريدة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما انتهَينا إلى بيتِ المقدس قال جبريل بأصبعه، فخرق بها الحجر، فشدَّ به البُراق». رواه الترمذى[٥٩٢١].

٥٩٢٢ - * وعن يعلى بن مرَّةَ الثَّقفى، قال: ثلاثة أشياءَ رأيتُها من رسول الله ﷺ بَينا نحنُ نسير معه إذ مررنا ببعير يُسنى عليه، فلمَّا رآه البعير جرجر، فوضع جِرانه، فوقف عليه النبى ﷺ فقال: «أينَ صاحبُ هذا البعير؟» فجاءه، فقال: «بِعنيه» فقال: بل نهَبُهُ لك يارسول الله! وإنَّه لأهل بيت مالهم معيشةٌ غيره. قال: أمَّا إذ ذكرتَ هذا

فلم يزل يناشده: أي الراهب يقول لأبي طالب: بالله عليك أن ترد محمدًا إلى مكة وتحفظه من العدو، حتى رده إلى مكة.

قيل: كان الراهب يخاف أن يذهبوا به إلى الروم فيقتله الروم.

و«الكعك» الخبز، وهو فارسي معرب.

و«ماعلمك» سؤال عن وصف العلم، أي بين لنا كيفية علمك به.

الحديث الثاني والثالث عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «فاستصعب عليه» تو: يريد أنه لم يمكنه من الركوب، يقال: استصعب عليه الأمر أي صعب.

ووجدنا الرواية في «أكرم» بالنصب فلعل التقدير، فما ركبك أحد كان أكرم على الله منه.

و«فارفض عرقًا» أي فاض، وارفضاض الدمع ترششها، وكل ذاهب متفرق مرفض.

الحديث الرابع عن بريدة رضي الله عنه:

[٥٩١٩] رواه الترمذى فى كتاب المناقب وقال: هذا حديث غريب.

[٥٩٢٠] صحيح الترمذى ح/ ٢٥٠٣.

[٥٩٢١] انظر صحيح الترمذى ح/ ٢٥٠٤

من أمره، فإنه شكا كثرَة العملِ وقلّةَ العلفِ، فأحسنوا إليه، ثم سرنا حتى نزلنا منزلا، فنام النبى ﷺ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته، ثم رجعت إلى مكانها، فلمَّا استيقظ رسولُ الله ﷺ ذكرت له. فقال: «هى شجرةٌ استأذَنَت ربها فى أن تسلم على رسول الله ﷺ، فأذِن لها». قال: ثم سرنا فمررنا بماءٍ فأتته امرأة بابن لها به جِنَّةٌ، فأخذ النبى ﷺ بمنخره ثم قال: «اخرج فإنى محمَّد رسول الله». ثم سرنا فلمَّا رجعنا مررنا بذلك الماء فسألها عن الصبى، فقالت: والذى بعثك بالحق ما رأينا منه رَيبًا بعدك. رواه فى «شرح السنة»[٥٩٢٢].

٥٩٢٣ - * وعن ابن عباس، قال: إنَّ امرأة جاءت بابنٍ لها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله! إن ابنى به جنون، وإنه ليأخذه عِند غدائنا وعشائنا فيخبث علينا فمسح رسول الله ﷺ صدره ودعا، فثعَّ ثعَّةً وخرج من جوفه مثل الجِرو الأسود يسعى. رواه الدارمى[٥٩٢٣].

قوله: «فخرق بها الحجر» فإن قلت: كيف الجمع بين هذا وبين قوله في حديث أنس: «فربطه بالحلقة التي كان يربط بها الأنبياء»؟.

قلت: لعل المراد من الحلقة الموضع الذي كان فيه الحلقة وقد انسد فخرقه جبريل عليه السلام.

الحديث الخامس عن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله عنه:

قوله: «يسني عليه» قض: يعني يستسقى عليه من سنت الناقة الأرض تسنوا إذا سقتها.

و«الجرجرة» صوت تردد البعير في حلقه.

والجران: مقدم العنق، وجمعه جرن.

«منه ريبًا بعدك» أي شيئًا نكرهه فيريبنا ويقلقنا ويضجزنا.

قوله: «أما إذ ذكرت» جواب «أما» محذوف.

[٥٩٢٢] انظر مسند أحمد: ٤ / ١٧٣، وانظر شرح السنة ١٣/ ٢٩٥ رقم ٣٧١٨ وقال المحقق: وفيه عبدالله ابن حفصة وهو مجهول، وعطاء بن السائب رمى بالاختلاط، والراوى عنه- وهو معمر - سمع منه بعد الاختلاط، لكن أخرجه الحاكم ٢/ ٦١٧، ٦١٨ من طريق الأعمش عن المنهال بن عمرو، عن ابن يعلى بن مرة، عن أبيه قال: .... وساق الحديث، وسنده صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبى، وهو فى المسند ٤/ ١٧٠ بنحوه أيضًا. وهذا سند حسن فى الشواهد.

[٥٩٢٣] رواه الدارمى فى سننه ح (١٩) ١/ ٢٤، وقال الشيخ الألبانى فى المشكاة: وإسناده ضعيف.

٥٩٢٤ - * وعن أنسٍ، قال: جاءَ جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ وهو جالس حزينٌ، قد تخضَّب بالدَّم من فعل أهل مكة، فقال: يارسول الله! هل تُحب أن نُريَك آيةً؟ قال: «نعم». فنَظَر إلى شجرةٍ من ورائه فقال: ادعُ بها، فدعا بها، فجاءت، فقامت بين يديه فقال: مرها فلترجع، فأمرها، فرجعت. فقال رسول الله ﷺ: «حسبى حسبى». رواه الدارمى[٥٩٢٤].

٥٩٢٥ - * وعن ابن عمر، قال: كنَّا مَعَ النبى ﷺ فى سفرٍ فأقبل أعرابىٌّ فلما دنا قال له رسول الله ﷺ: «تشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأنَّ محمَّدًا عبدهُ ورسوله؟». قال: ومَنْ يشهدُ على ما تقولُ؟ قال: «هذه السَّلَمَةُ». فدعاها رسولُ الله ﷺ وهو بشاطىء الوادى، فأقبلَت تَخُدُّ الأرضَ حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثًا، فشهدت ثلاثًا، أنه كما قال، ثم رجعت إلى منبتها. رواه الدارمى[٥٩٢٥].

٥٩٢٦ - * وعن ابن عبَّاس، قال: جاءَ أعرابىٌّ إلى رسولِ الله ﷺ قال: بما أَعرف أنَّك نبىٌّ؟ قال: «إن دعوتُ هذا العِذق من هذه النخلة يشهدُ أنى رسولُ الله»

وقوله: «فإنه شكا» جواب لأما المقدرة، تقديره: أما إذ ذكرت أن البعير لأهل بيت مالهم معيشة فلا ألتمس شراه، وأما البعير فعاهدوه فإنه اشتكى، إذ لابد لأما التفصيلية من التكرار.

الحديث السادس عن ابن عباس رضي الله عنهما:

قوله: «فثع ثعة» نه: الثع القيء، والثعة المرة الواحدة.

الحديث السابع عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «حسبي» أي: كفاني فى تسليتى عما لقيته من الحزن، هذه الكرامة من ربي ومنحه لي هذه المعجزة.

الحديث الثامن عن ابن عمر رضي الله عنهما:

قوله: «هذه السلمة» نه: السلم من شجر العضاة، واحدها سلمة بفتح اللام، ورقها القرظ الذي يدبغ به، وبها سمي الرجل سلمة.

[٥٩٢٤] قال الشيخ: إسناده صحيح.

[٥٩٢٥]رواه الدارمى ح (١٦) (١/ ٢٢) وقال الشيخ فى المشكاة: إسناده صحيح.

فدعاه رسولُ اللهِ ﷺ فجعلَ ينزلُ من النخلةِ حتَّى سقطَ إلى النبيِّ ﷺ، ثم قال: «ارجع» فعادَ، فأسلم الأعرابيُّ. رواه الترمذي وصححه[٥٩٢٦].

٥٩٢٧ - * وعن أبي هريرةَ، قال: جاء ذئبٌ إلى راعي غَنَمٍ فأخذ منها شاةً، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال فَصَعِدَ الذئبُ على تَلٍّ فأقعى واستثفر، وقال: قد عمدتُ إلى رزقٍ رزقنيه اللهُ أخذتُه، ثم انتزعتَه مني؟! فقال الرجل: تاللهِ إن رأيتُ كاليومِ ذئبٌ يتكلم! فقال الذئب: أعجَبُ من هذا رجلٌ في النخلاتِ بين الحرَّتينِ يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم. قال: فكانَ الرجلُ يهوديًا، فجاء إلى النبيِّ ﷺ فأخبره، وأسلم، فصدَّقه النبيُّ ﷺ ثم قال النبي ﷺ: «إنها أماراتٌ بينَ يَدَيِ السَّاعةِ، قَد أوشك الرجُلُ أن يخرج فلا يرجع حتى يحدِّثَهُ نعلاه وسوطُه بما أحدث أهلُه بَعدَه». رواه في «شرح السنة»[٥٩٢٧].

٥٩٢٨ - * وعن أبي العلاء، عن سَمُرةَ بن جندب، قال: كُنَّا مَعَ النبيِّ ﷺ نتداول من قصعةٍ، من غُدوَةٍ حتَّى الليلِ، يقوم عشرةٌ ويقعد عشرةٌ قلنا: [فَمِمَّا]* كانت

والخد والأخدود الشق في الأرض.

الحديث التاسع عن ابن عباس رضي الله عنهما:

قوله: «إن دعوت» جواب لقوله: «بما أعرف» أي بأني إذا دعوتها تشهد.

وقوله: «هذا العذق» بكسر العين المهملة العرجون بما فيه من الشماريخ وهو بمنزلة العنقود من العنب.

وبالفتح: النخلة.

الحديث العاشر عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «فأقعى» أي جلس مقعيًا.

و«استثفر» أي أدخل ذنبه بين رجليه.

وقوله: «عمدت» إن روي على صيغة المتكلم يكون إخبارًا على سبيل الشكاية، وإن روي على الخطاب يكون استفهامًا على سبيل الإنكار.

[٥٩٢٦] انظر صحيح الترمذي رقم ٢٨٦٨

[٥٩٢٧] انظر شرح السنة ٨٧/١٥ ح ٤٢٨٢ قال الشيخ في المشكاة: وكذا أحمد: وإسناده صحيح، وعند الترمذي الجملة الأخيرة منه، وقد خرجته في الأحاديث الصحيحة (المائة الثانية)

* كذا في المطبوع من المشكاة، بإثبات الألف.

تُمَدُّ؟ قال: من أيِّ شيء تعجب؟ ما كانت تُمَدُّ إلا من هاهنا وأشار بيده إلى السماء. رواه الترمذي، والدارمي[٥٩٢٨].

٥٩٢٩ - * وعن عبدالله بن عمرو، أنَّ النبيَّ ﷺ خرَجَ يومَ بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر. قال: «اللهمَّ إنهم حفاةٌ فاحملْهم، اللهمَّ إنهم عُراةٌ فاكسُهم اللهمَّ إنهم جياعٌ فأشبعهم» ففتح الله له، فانقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجعَ بجملٍ أو جَملين، واكتسوا، وشبعوا. رواه أبوداود[٥٩٢٩].

٥٩٣٠ - * وعن ابن مسعود، عن رسولِ الله ﷺ قال: «إنكم منصُورون ومُصيبُون ومفتوح لكم؛ فمن أدركَ ذلك منكم فليتَّق اللهَ ولْيأمر بالمعروف ولْينهَ عن المنكر». رواه أبو داود.[٥٩٣٠]

٥٩٣١ - * وعن جابر، أنَّ يهوديةً من أهل خيبرَ سمَّت شاةً مَصْليَّةً، ثمَّ أهدتْها لرسولِ الله ﷺ، فأخذ رسولُ الله ﷺ الذراعَ، فأكل منها وأكل رهطٌ من أصحابِه معه، فقال رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم» وأرسَلَ إلى اليهوديةِ فدعاها، فقال:

قوله: «إن رأيت كاليوم» «فا»: أي ما رأيت أعجوبة كأعجوبة اليوم، فحذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، وحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

«تو»: الراعي، قيل: إنه هبار بن أوس الخزاعي، ويقال له: مكلم الذئب.

قوله: «إنها أمارات» الضمير يحتمل أن يكون للقصة وأن يكون مبهما يفسره ما بعده، وأن يرجع إلى معنى ما تكلم به الذئب باعتبار الحالة والقصة.

الحديث الحادي عشر عن أبي العلاء:

قوله: «نتداول» أي نتناوب بأكل الطعام منها.

«نه»: وفي الحديث: «يوشك أن تدال الأرض منا» أي يجعل لها الكرة والدولة علينا فتأكل لحومنا كما أكلنا ثمارها، وتشرب دماءنا كما شربنا مياهها.

[٥٩٢٨] قال الشيخ: وإسناده صحيح، وصححه الحاكم (٢/ ٦١٨) ووافقه الذهبي.

[٥٩٢٩] انظر صحيح أبي داود رقم ٢٣٨٦.

[٥٩٣٠] ورواه أحمد في المسند (١/ ٣٨٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٨٠) و(١٠/ ٩٤).

«سممتِ هذه الشاة؟» فقالت: مَن أخبركَ؟ قال: «أخبرتنى هذه فى يدى» للذراع، قالت: نعم، قلت: إن كان نبيًّا فلَن تَضرُّهُ، وإن لم يكن نبيًّا استرَحنا منه، فعفا عنها رسول الله ﷺ، ولم يعاقبها، وتُوفّى أصحابُه الذين أكلوا من الشاة، واحتجمَ رسول الله ﷺ على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة، حجمه أبو هند بالقرن والشَّفْرة، وهو مولى لبنى بياضة من الأنصار. رواه أبوداود. والدارمى[٥٩٣١].

٥٩٣٢ - * وعن سهل بن الحنظلية، أنَّهم ساروا معَ رسولِ الله ﷺ يَومَ حُنَينٍ، فأطنبوا السَّيرَ حتى كانَ عشية، فجاءَ فارسٌ فقال: يارسول الله! إنى طلعتُ على جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهوازن على بكرة أبيهم بظُعْنهم ونَعَمهم، اجتمعوا إلى حنين فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: «تلك غنيمةُ المسلمينَ غداً إن شاء الله تعالى» ثمَّ قال: «من يحرسنا الليلة؟» قال أُنس بن أبى مَرثد الغَنَوى: أنا يارسولَ الله. قال: «اركب» فركَبَ فرسًا له. فقال: «استقبل هذا الشِّعبَ حتَّى تكونَ فى أعلاه» فلمَّا أصبحنا خرج رسول

قوله: «فمما كانت تمد؟» أيْ أيُّ شيءٍ كانت القصعة تمد به، وهو من المدد من قولك: مد السراج بالزيت، وفيه معنى التعجب، ولذلك قال: «من أي شيء تعجب؟».

وذهب المظهر ومن تبعه أن قوله: «من أي شيء تعجب؟» هو من قول النبي ﷺ، ويحتمل أن يكون من قول سمرة، والسائل أبوالعلاء وهو الظاهر.

الحديث الثاني عشر والثالث عشر عن ابن مسعود رضي الله عنه:

قوله: «منصورون» على أعداء الدين.

«مصيبون» أي الغنائم.

«مفتوح لكم» أي البلاد.

الحديث الرابع عشر عن جابر رضي الله عنه:

قوله: «شاة مصلية» تو: المصلية المشوية من قولك: صليت اللحم إذا شويته.

والمرأة: قيل: إنها زينب بنت الحارث وهي بنت أخي مرحب بن أبي مرحب جاءت بشاة مشوية فسمتها وأكثرت في الكتف والذراع لما بلغها أنهما أحب أعضاء الشاة إلى رسول الله ﷺ.

[٥٩٣١] انظر صحيح أبى داود بنحوه رقم ٣٧٨٤من حديث أبى سلمة،وكذا (٣٧٨٥و٣٧٨٦)من حديث أم مبشر.

الله ﷺ، إلى مُصَلاَّه، فركعَ ركعتين، ثمَّ قال: «هَل حسستم فارسكم؟» فقال رجل: يارسول الله! ماحسسنا، فَثُوب بالصلاة، فجعل رسول الله ﷺ وهو يُصلى يلتفتُ إلى الشِّعب، حتَّى إذا قضى الصلاة قال: «أبشروا، فقد جاء فارسُكم» فجعلنا ننظر إلى خلال الشجر فى الشعب، فإذا هو قد جاء، حتَّى وقَفَ على رسول الله ﷺ فقال: إنى انطلقتُ حتَّى كنتُ فى أعلى هذا الشعب، حيث أمرنى رسولُ الله ﷺ، فلمَّا أصبحتُ طلعتُ الشعبين كليهما، فلم أر أحدًا. فقال له رسول الله ﷺ: «هل نزلت الليلةَ» قال لا إلا مصليًا أو قاضيَ حاجة. قال رسول الله ﷺ: «فلا عليك أن لاتعمَلَ بعدَها». رواه أبوداود[٥٩٣٢].

٥٩٣٣ - * وعن أبى هريرة، قال: أتيت النبى ﷺ بتمرات، فقلت: يارسول الله! ادع الله فيهن بالبركة، فضمَّهنَّ، ثم دعا لى فيهن بالبركة، قال: «خُذهُنَّ فاجعلهن فى مزودك، كلما أردت أن تأخذ منه شيئًا فأدخل فيه يدك فخذه ولاتنثره نثرا». فقد حملتُ من ذلك التمر كذا وكذا من وَسقٍ فى سبيل الله، فكنا نأكل منه ونُطعم، وكان لايفارق حقوى حتى كانَ يوم قُتِل عثمان فإنه انقطع. رواه الترمذى[٥٩٣٣].

وقوله: «فعفا عنها رسول الله ﷺ»: فيه اختلاف إذ الرواية وردت أنه أمر بقتلها فقتلت، ووجه التوفيق بينهما: أنه عفا عنها في أول الأمر، فلما مات بشر بن البراء بن معرور من الأكلة التي ابتلعها أمر بها فقتلت مكانه.

قوله: «في يدي» حال من هذه، أي مستقرة فيها.

قوله: «بالقرن والشفرة» أي كانت المحجمة: قرنًا، والمبضع السكين العريضة.

الحديث الخامس عشر عن سهل بن الحنظلية رضي الله عنه:

قوله: «حتى كان عشية» أي حتى كان السير ممتدًا إلى وقت العشية.

قوله: «على بكرة أبيهم» «قض»: يقال: جاء القوم على بكرة أبيهم أي جاءُوا بأجمعهم بحيث لم يبق منهم أحد، و«على» هنا بمعنى مع، وهو مثل تضربه العرب، وكان السبب فيه أن جمعًا من العرب عرض لهم انزعاج فارتحلوا جميعًا ولم يخلفوا شيئًا حتى إن بكرة كانت

[٥٩٣٢] انظر صحيح أبى داود رقم ٢١٨٣

[٥٩٣٣] انظر صحيح الترمذى رقم ٣٠١٥

الفصل الثالث

٥٩٣٤ - * عن ابن عبَّاس، قال: تشاورتْ قريشٌ ليلةً بمكةَ، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوَثاقِ يريدون النبى ﷺ فقال بعضهم بل اقتلوه. وقال بعضهم: بل أخرجوه، فأطلع اللهُ نبيَّه ﷺ على ذلك، فباتَ عليٌّ [رضى الله عنه] على فراشِ النبيِّ ﷺ تلكَ الليلةَ، وخرجَ النبى ﷺ حتى لحقَ بالغار. وبات المشركونَ يحرسُونَ عليًّا يحسبونه النبيَّ ﷺ، فلمَّا أصبحوا ثاروا عليه، فلمَّا رأوا عليًّا ردَّ اللهُ مكرَهُم فقالوا:

لأبيهم أخذوها معهم، فقال من وراءهم: «جاءُوا على بكرة أبيهم» فصار ذلك مثلا في قوم جاءُوا بأجمعهم وإن لم يكن معهم بكرة - وهي التي يستقى عليها الماء - فاستعيرت في هذا الموضع.

قوله: «فثوب بالصلاة» «نه»: التثويب هنا إقامة الصلاة، والأصل في التثويب أن يجيء الرجل مستصرخًا فيلوح بثوبه ليرى ويشتهر، فسمي الدعاء تثويبًا لذلك وكل داع مثوب.

قوله: «فلا عليك أن لاتعمل بعدها» أي لابأس عليك أن لاتعمل بعد هذه الليلة من المبرات والخيرات فإن عملك الليلة كاف لك عند الله مثوبة وفضيلة، وأراد النوافل والتبرعات من الأعمال لا الفرائض، فإن ذلك لايسقط. ويمكن أن ينزل على ما عليه من عمل الجهاد في ذلك اليوم جبرانا لقلبه وتسلية له.

الحديث السادس عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «أن تأخذ منه شيئًا » إن جعل «منه» صلة لتأخذ و«شيئًا» مفعولا له فيكون نكرة شائعة فلا يختص بالتمر، وإن جعل حالا من «شيئًا» اختص به.

و«حملت» يجوز أن يحمل على الحقيقة وأن يحمل على معنى الأخذ، أي أخذت مقدار كذا بدفعات.

و«الحقو» معقد الإِزار وسمي الإِزار به للمجاورة.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما:

قوله: «فاقتصوا أثره» الاقتصاص الاتباع والتتبع، يقال: قص الأثر واقتصه إذا اتبعه.

و«اختلط عليهم» أي اشتبه.

الحديث الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه:

أينَ صاحبُك هذا، قال: لا أدرى. فاقتَصُّوا أثرَه، فلمَّا بلغوا الجبَل اختلطَ عليهم، فصعدوا الجبل، فمرُّوا بالغارِ، فرأوا على بابه نسجَ العنكبوتِ فقالوا: لو دخلَ هاهنا لم يكن نسج العنكبوتِ على بابِه،فمكثَ فيه ثلاثَ ليالٍ. رواه أحمد. [٥٩٣٤]

٥٩٣٥ - * وعن أبى هريرة، قال: لما فُتحت خيبرُ أهديتْ لرسول الله شاةٌ فيها سُمٌّ ، فقال رسول الله ﷺ: «اجمعُوا لى من كان هاهنا من اليهود». فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إنى سائلكم عن شيءٍ فهل أنتم مصدقيَّ عنه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسم. فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم؟» قالوا: فلان. قال: «كذبتم، بل أبوكم فلان». قالوا: صدقتَ وبررت. قال: «فهل أنتم مصدقيَّ عن شيءٍ إن سألتكم عنه؟» . قالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناكَ عرفتَ كما عرفتَه فى أبينا. فقال لهم: «مَن أهلُ النار؟» قالوا: نكونُ فيها يسيرًا ثم تَخلفونا فيها. قال رسول الله ﷺ: «اخسئوا فيها، واللهِ لانخلفكم فيها أبدًا». ثم قال: «هل أنتم مصدقيَّ عن شيءٍ إن سألتكم عنه؟». فقالوا: نعم يا أبا القاسم قال:

قوله: «فهل أنتم مصدقيَّ» وفي أصل المالكي: « فهل أنتم صادقوني» قال: كذا في ثلاثة مواضع في أكثر النسخ، قال: مقتضى الدليل أن تصحب نون الوقاية الأسماء المعربة المضافة إلى ياء المتكلم لتقيها من خفاء الإعراب، فلما منعوها ذلك كان الأصل متروكًا فنبهوا عليه في بعض الأسماء المعربة المشابهة للفعل، كقول الشاعر:

وليس يُعْيِيني وفي الناس ممتنع صديق إذا أعي (عليك)* صديق

ولما كان لأفعل التفضيل شبه بفعل التعجب اتصلت به النون المذكورة أيضًا في قول النبي ﷺ: «غير الدجال أخوفني عليكم» والأصل أخوف مخوفاتي عليكم فحذف المضاف إلى الياء وأقيمت هي مقامه فاتصلت أخوف بها مقرونة بالنون كما اتصل معنى في البيت المذكور.

قوله: «وبررت» بالكسر أي أحسنت.

وقوله: «نكون فيها يسيرًا» هذا هو الذي حكى الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿ وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات﴾ (١).

[٥٩٣٤] قال الشيخ: رواه أحمد في المسند (١/ ٣٤٨) بسند ضعيف.

(*) فى«ط» يمنعنى «عليَّ»، وماأثبتناه من«ك» وهو الأقيس والأصوب. والله أعلم.

(١) آل عمران: ٢٤.

«هل جعلتم فى هذه الشاة سُمًّا؟». قالوا: نعم. قال: «فما حملكم على ذلك؟» قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا أن نستريحَ منك، وإن كنتَ صادقًا لم يَضُرَّك. رواه البخارى.

٥٩٣٦ -* وعن عمرو بن أخطَب الأنصارى، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ يومًا الفجر وصَعِدَ على المنبر فخطبنا، حتى حضرت الظهرُ، فنزل فصلَّى، ثم صعِد المنبر، فخطبنا، حتى حضرتِ العصرُ. ثم نزل فصلى، ثم صعِد المنبر، حتى غربت الشمسُ، فأخبرنا بماهو كائن إلى يوم القيامة فأعلمُنا أحفظُنا . رواه مسلم.

٥٩٣٧ - * وعن معن بن عبدالرحمن، قال: سمعت أبى قال: سألت مسروقًا: مَنْ آذَنَ النبى ﷺ بالجن ليلةَ استمعُوا القُرآن؟ قال: حدَّثنى أبوك - يعنى عبدالله بن مسعود - أنه قال: آذنت بهم شجرةٌ . متفق عليه.

وأشار ﷺ بقوله: «اخسئوا» إلى خلودهم فيها، قال تعالى: ﴿اخسئوا فيها ولاتكلمون﴾(١)وهو في الأصل زجر الكلب.

وقوله: «أن نستريح» مفعول لأردنا، وجزاء الشرط المتوسط بين الفعل والمفعول محذوف لوجود القرينة، أي إن كنت كاذبًا يضرك فنستريح منك، وإن كنت صادقًا لم يضرك فننتفع بهدايتك، وحاصله أردنا الامتحان.

الحديث الثالث عن عمرو بن أخطب الأنصاريّ رضي الله عنه:

قوله: «فأعلمنا» أي أحفظنا، أي أعلمنا الآن أحفظنا يومئذ.

الحديث الرابع والخامس عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «فجعل لايراه» كأنه إتباع لقوله: «فجعلت أقول» أي طفقت أريه الهلال فهو لايراه فأقحم «جعل» مشاكلة كما أقحم: «ولاتحسبنهم» في قوله تعالى: ﴿ فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾(٢) :تأكيدًا لقوله ﴿ لاتحسبن الذين يفرحون﴾ (٢).

قوله: «سأراه» أي لايهمني الآن رؤيته بتعب وسأراه بعد من غير تعب.

الحديث السادس إلى التاسع عن عاصم بن كليب:

---

(١) المؤمنون: ١٠٨.

(٢) آل عمران: ١٨٨.

٥٩٣٨ - * وعن أنسٍ، قال: كنا مَع عُمر بينَ مكةَ والمدينةِ، فتراءينا الهلال، وكنتُ رجلاً حديد البصر، فرأيته وليس أحدٌ يزعم أنه رآه غيرى، فجعلتُ أقولُ لعُمر: أما تراه؟ فجعل لايراه قال: يقول عمر: سأراه وأنا مستلق على فراشي، ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدرٍ قال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارعَ أهل بدرٍ بالأمس، يقول: «هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله، وهذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله». قال عمر: والذى بعثه بالحق ما أخطئوا الحدود التى حدَّها رسولُ الله ﷺ قال: فجُعلوا فى بئرٍ، بعضُهم على بعض، فانطلق رسولُ اللهِ حتى انتهى إليهم، فقال: «يافلان بن فلان! ويافلان بن فلانَ هل وجدتم ماوعدكم اللهُ ورسولُه حقًا؟ فإنى قد وجدتُ ماوعدنى الله حقًا». فقال عمر: يارسول الله! كيف تكلِّم أجسادًا لا أرواح فيها؟ فقال: «ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم، غيرَ أنهم لايستطيعون أن يردوا علىَّ شيئًا». رواه مسلم.

٥٩٣٩ - * وعن أُنيسة بنت زيد بن أرقم، عن أبيها ، أن النبى ﷺ دَخَلَ على زيدٍ يعودُه من مرضٍ كان به، قال: «ليس عليك من مرضك بأسٌ، ولكن كيف لك إذا عمرتَ بعدى فَعَميتَ؟». قال: أحتسبُ وأصبرُ. قال: «إذًا تدخلُ الجنةَ بغيرِ حساب». قال: فعمي بعدما مات النبىُّ ﷺ، ثم ردَ اللهُ عليه بصره ثم مات. [٥٩٣٩]

قوله: «الأسرى» الأسرى والأسارى جمع أسير، وهم كفار، وذلك أنه لما لم يوجد صاحب الشاة ليستحلوا منه وكان طعامًا فى صدد الفساد فلم يكن بد من إطعام هؤلاء ، فأمر النبى ﷺ بإطعامهم.

الحديث العاشر عن حبيش بن خالد:

قوله: «مرملين» «حس»: المرمل من نفد زاده، يقال: أرمل الرجل إذا ذهب طعامه.

«مستين» أى أصابهم القحط، يقال: أسنتَ الرجل فهو مسنتٌ.

«كِسرُ الخيمة»- بكسر الكاف وفتحها -جانب الخيمة.

[٥٩٣٩] انظر دلائل النبوة للبيهقى (٦/ ٤٧٩).

٥٩٤٠ - * وعن أسامةَ بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: « من تَقَوَّلَ عَلَيَّ ما لم أقُل فليتبـوَّأ مقعده من النار». وذلك أنه بَعَثَ رجلاً ، فكذب عليه، فدعا عليه رسول الله ﷺ ، فوُجد ميتًا، وقد انشقَّ بطنه، ولم تقبله الأرض. رواهما البيهقى فى «دلائل النبوة»[٥٩٤٠].

٥٩٤١ - * وعن جابرٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ جاءه رجلٌ يستطعمُه ، فأطعمه شطر وسق شعير، فما زال الرجل يأكل منه وامرأتهُ وضيفهما حتى كالَه، ففني ، فأتى النبيُّ ﷺ فقال: «لو لم تكله لأكلتم منه ولقام لكم». رواه مسلم.

٥٩٤٢ - * وعن عاصمِ بن كُلَيبٍ، عن أبيه، عن رجل من الأنصار، قال: خرجنا معَ رسول الله ﷺ فى جنازةٍ، فرأيتُ رسولَ الله ﷺ وهو على القبر يوصى الحافر يقول: «أوسع من قبَل رجليه، أوسع من قِبَل رأسه» فلمّا رجع استقبله داعي امرأته، فأجاب ونحن معه، فجيء بالطعام، فوضع يده، ثم وضع القومُ، فأكلوا،

و«الجَهْدُ» الهزال.

«فتفاجت» أى فتحت مابين رجليها للحلب.

«اجترت» الجرة ما يخرج البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه، يقال: اجتر البعير يجتر.

«يربض الرهط»أي يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا ، أيْ على الأرض، من ربض فى المكان يربض إذا لصق به وأقام ملازمًا له.

و«الثج» السيلان ، «وبهاء اللبن» [وبيص]* رغوته.

و«غادره» أى تركه.

و«بايعها على الإسلام» وتمام الحديث:

«فقلما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنُزًا عجافا، يتساوكن هزلى ضحى، مُخُهُنَّ قليل، فلما رأى أبو معبد اللبن، عجب، وقال: من أين لك هذا اللبن يا أم معبد والشاء عازب حيال لاحلوب فى البيت؟.

[٥٩٤٠] انظر صحيح ابن ماجه بنحوه رقم ٣٣، وأخرجه أحمد فى «مسنده» (٢/ ٣٢١) من حديث مسلم بن يسار عن أبى هريرةورواه البيهقى فى دلائل النبوة (٦/ ٢٤٥).

(*) الوبيص: البريق.

فنظرنا إلى رسول الله ﷺ يلوكُ لُقمةً فى فيه ثم قال: «أجدُ لحم شاة أخذَت بغيرِ إذن أهلها». فأرسلت المرأة تقولُ: يارسول الله : إنى أرسلت إلى النقيع - وهو موضعٌ يباع فيه الغنم- ليشترى لى شاة ، فلم توجدْ، فأرسلتُ إلى جارٍ لى قد اشترى شاةً أن يُرسِلَ بها إلىَّ بثمنها ، فلم يوجَد، فأرسلتُ إلى امرأته ، فأرسلت إلىَّ بها. فقال رسول الله ﷺ: «أطعِمى هذا الطعام الأسرى». رواه أبو داود، والبيهقى فى «دلائل النبوة»[٥٩٤٢].

٥٩٤٣ - * وعن حِزام بن هشام، عن أبيه، عن جده حُبيش بن خالد - وهو أخو أمِّ مَعْبَدٍ- أنَّ رسول الله ﷺ حين أخرجَ من مكَّة خرج مهاجرًا إلى المدينة، هو وأبو بكرٍ، ومولى أبى بكر عامر بن فهيرة ودليلُهما عبدالله الليثى، مرُّوا على خيمَتَيْ أم معبد، فسألوها لحمًا وتمرًا ليشتروا منها، فلم يُصيبوا عندها شيئًا من ذلك. وكان القوم مُرملين مُسنِتين، فنظرَ رسولُ الله ﷺ إلى شاة فى كِسْرِ الخيمة، فقال: « ماهذه

قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا.

قال: صفيه لى يا أم معبد.

قالت: رأيت رجلا ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه لم تَعبْهُ نُحْلَةٌ ولم تُزْرِ به صُقْلَةٌ، وسيم قسيم، فى عينه دعج، وفى أشفاره وطف، وفى صوته صهل، وفى عنقه سطع، وفى لحيته كثاثة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاه من بعيد، وأحلاه وأحسنه من قريب، حلو المنطق، فصل لانزر ولاهذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، ربعة لايأس من طول ولاتقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدرًا، له رفقاء يحفُّون به، إن قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، محشود محفود، لاعابس ولا مفنَّد.

قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا.

وأصبح صوتٌ بمكة عاليًا يسمعون الصوت ولايدرون من صاحبه وهو يقول:

جزى الله رب الناس خير جزائه ... رفيقين قالا خيمة أم معـــبد

هما نزلاهـا بالهدى واهتـدت بـه ... فقد فاز من أمسى رفيق محمد

فيال قصيٍّ ما زوى الله عنكــــمُ ... به من فعال لاتجازى وســودد

[٥٩٤٢] انظر صحيح أبي داود رقم ٢٨٥٠ .

الشاةُ يا أم معبد؟» قالت: شاةٌ خلَّفَها الجهدُ عن الغنم. قال: «هل بها من لبن؟» قالت: هى أجهدُ من ذلك، قال: «أتأذَنين لى أن أحلبَها؟» قالت: بأبى أنت وأمى إن رأيتَ بها حلبًا فاحلبها. فدعا بها رسول الله ﷺ فمسَحَ بيده ضَرعها، وسمى الله تعالى، ودعا لها فى شاتها، فتفاجَّت عليه، ودرت واجترت، فدعا بإناء يُربض الرهطَ، فحلَب فيه ثجًّا، حتى علاهُ البهاء، ثم سقاها حتى رَوِيَت، وسقى أصحابه

ليهن بنى كعب مقام فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد
سلوا أختكم عن شاتها وإنائها فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلبت عليه صريحًا ضرةُ الشاةِ مزبدِ
فغادرها رهنا لديها لحالب يردِّدها فى مصدر ثم مورد

قوله: «يتساوكن» تساوكت الإبل إذا اضطربت أعناقها من الهزال، أراد أنها تتمايل من ضعفها.

«ولم تَعِبْهُ نُحْلَةٌ» من نحول الجسم وكذا صُقْلَةٌ.

والوسيم: الحسن الوضيءُ، وكذا القسيم.

والدعج: السواد فى العين.

والوطف: طول شعر العين.

والصهل: الحدة والصلابة فى الصوت.

والسطع: الطول.

والزجج: فى الحاجبين تقوس فيهما مع طول فى أطرافهما وسبوغٍ.

والقرن: التقاء الحاجبين.

وسما: أى علا برأسه وارتفع من جلسائه.

وفصلٌ: بَيْنَ لانزر ولاهذر أى: وسط لاقليل ولاكثير.

ولايأس من طول: أى ليس بالطويل البائن ولا بالقصير.

ولاتقتحمه: أي لاتحتقره العين ولاتزدريه.

والمحشود: - بالحاء والشين المعجمة - الجماعة.

والمحفود: المخدوم.

حتى رووا، ثم شرب آخرهم، ثم حلب فيه ثانيًا بعد بَدء، حتى ملأ الإناءَ، ثم غادره عندها، وبايعها، وارتحلوا عنها. رواه في «شرح السنّة»، وابن عبدالبرّ في «الاستيعاب»، وابن الجوزى فى كتاب «الوفاء» وفى الحديث قصّة[٥٩٤٣].

ولامفند: أى خرف لافائدة فى كلامه.

وقول الهاتف فى الشعر: «فيال قصيّ.. البيت» مقالة فيال قصيّ أي تعالوا ليتعجب منكم فيما أغ لتموه من حقكم وأضعتموه من عزكم بعصيانكم رسول الله ﷺ وإلجائكم إياه إلى الخروج من بين أظهركم، «وما» مبتدأ بمعنى الذى، والخبر «من فعال»، و«لاتجازى» صفته.

و«سودد» عطف عليه.

و«زوى» نحّى وباعد.

الضمير فى «به» راجع إلى رسول الله ﷺ، والباء للسببية.

والصريح: اللبن الخالص الذى لم يمذق.

فغادرها رهنًا: أى ترك الشاة عندها مرتهنة بأن تدر.

وقال: الصوت الذى سمعوا بمكة صوت بعض مسلميْ الجن، أقبل من أسفل مكة، والناس يتبعونه ويسمعون الصوت ولايرونه، حتى خرج بأعلى مكة.

قالت أسماء: فلما سمعناه عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ وإن وجهه إلى المدينة- انتهى كلام محيي السنة.

وقال ابن عبدالبر: فلما بلغ حسان بن ثابت ذلك جعل يجاوب الهاتف وهو يقول:

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم ... وقدس من يسرى إليهم ويغتدى

ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجدد

هداهم به بعد الضلالة ربهم ... وأرشدهم، من يتبع الحق يرشد

وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا ... عمى وهداة يهتدون بمهتد

لقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسعد

نبى يرى مالايرى الناس حوله ... ويتلو كتاب الله فى كل مسجد

وإن قال فى يوم مقالة غائب ... فتصديقه فى اليوم أو فى ضحى الغد

ليهن أبا بكر سعادة جده ... بصحبته من يُسْعِد اللهَ يسعد

[٥٩٤٣] انظر شرح السنة (١٣/٢٦١) وقال الشيخ فى تخريجه للمشكاة: وكذلك رواه الحاكم (٩/٢, ١٠) وصححه ووافقه الذهبى. قلت. وهشام بن حبيشة، أورده ابن أبى حاتم فى «الجرح والتعديل» (٤/٢/٥٣) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً، ولا ذكر له غير ابنه راويًا، فأنى لإسناده الصحة؟ نعم قد يرتقى الحديث إلى الحسن أو الصحة بطرق ساقها الحاكم، وقال الذهبى «ما فى هذه الطرق شئ على شرط الصحيح».

(٨) باب الكرامات

الفصل الأول

٥٩٤٤ - * عن أنس، أن أسيد بن حُضير وعباد بن بشر تحدَّثا عند النبيِّ ﷺ في حاجة لهما، حتى ذهب من الليل ساعة، في ليلة شديدة الظلمة، ثمَّ خرجا من عند رسول الله ﷺ ينقلبان، وبيد كل واحد منهما عُصيَّةٌ ، فأضاءت عصى أحدِهما لهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه، فمشى كل واحدٍ منهما في ضوءِ عصاه حتى بلغ أهله. رواه البخاري.

٥٩٤٥ - وعن جابر ، قال: لما حضَرَ أُحُدٌ دعاني أبي من اللَّيل ، فقال ما أراني إلا مقتولاً في أوَّل من يُقتل من أصحاب النبيﷺ ، وإني لا أترك بعدي أعَزَّ علَيَّ منك غيرَ نفس رسول اللهﷺ ، وإنَّ عليَّ دينًا فاقضِ، واستوص بأخواتك خيرًا، فأصبحنا فكان أوَّل قتيلٍ، ودفنتُه مع آخرَ في قبرٍ. رواه البخاري.

باب الكرامات

الكرامات: جمع كرامة وهي اسم من الإكرام والتكريم، وهي فعل خارق للعادة غير مقرون بالتحدي، وقد اعترف بها أهل السنة وأنكرها المعتزلة، واحتج أهل السنة بحدوث الحمل لمريم من غير الفحل، وحضور الرزق عندها من غير سبب ظاهر،وأيضًا ففي لبث أصحاب الكهف ثلثمائة سنة وأزيد في النوم أحياء من [عرافه]* دليلٌ ظاهر. والمعتزلة بأنه لو جاز ظهور الخارق في حق الولي لخرج عن كونه دليلا على النبوة.

وأجيب بأنه تمتاز المعجزة عن الكرامة باشتراط الدعوى في المعجزة وعدم اشتراطها في الكرامة.

الفصل الأول

الحديث الأول إلى الثالث عن عبدالرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه:

قوله: «إن أصحاب الصفة» هم أصحاب النبي ﷺ ومشاهيرهم على ماذكره الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء: أبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وصهيب ، وبلال،وأبو هريرة، وخباب بن الأرت، وحذيفة بن اليمان، وأبو سعيد الخدري، و[بشير]**بن الخصاصية، وأبو مويهبة مولى رسول الله ﷺ، وغيرهم، وفيهم نزل قوله

---

* من «ك» وفي «ط» «عوانه».

** في الأصول «بشر» والصواب «بشير»، كما في التهذيب، والإصابة،

٥٩٤٦ - *وعن عبدالرَّحمن بن أبى بكر، قال: إن أصحاب الصفَّة كانوا أُناسًا فقراءَ، وإن النبىَّ ﷺ قال: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعامُ أربعةٍ فليَذهب بخامسٍ أو سادس» وإنَّ أبا بكرٍ جاء بثلاثة وانطلق النبى ﷺ بعشرة، وإن أبا بكر تعَشَّى عند النبىِّ ﷺ ثم لبث حتى صُلِّيَتِ العشاء، ثم رجع فلبث حتى تَعَشَّى النبىﷺ ، فجاء بعدما مضى من الليل ماشاء الله. قالت له امرأته: ماحبَسك عن أضيافك؟ قال: أوماعشيتيهم؟ قالت: أبوا حتى تجىءَ، فغَضِبَ وقال: والله لا أَطْعَمُهُ أبداً، فحلفت المرأة أن لاتَطعَمَه، وحلف الأضيافُ أن لايَطعَمُوه. قال أبو بكر: كان هذا من الشيطان، فدعا بالطعام، فأكل وأكلوا، فجعلوا لايرفعون لقمةً إلا ربَتْ من أسفلِها أكثر منها. فقال لامرأته: يا أختَ بنى فراسٍ!ماهذا؟ قالت: وقُرَّةَ عينى إِنَّها الآن لأكثرُ منها قبل ذلك بثلاث مرارٍ، فأكلوا، وبعثَ بها إلى النبى ﷺ فذُكِرَ أنه أكل منها. متفق عليه.

وذكر حديث عبدالله بن مسعود: كنا نسمع تسبيح الطعام فى «المعجزات».

تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيِّ﴾[1] وكانت الصفة فى المسجد مسقفة بجريد النخل، وكان هؤلاء الفقراء يستوطنون تلك السقيفة ويبيتون فيها فنسبوا إليها، وكان الرجل إذا قدم المدينة وكان له بها عريف ينزل على عريفه، فإن لم يكن له بها عريف نزل الصفة.

قوله«بثالث» هذا هو الصحيح، وفى أكثر نسخ المصابيح بثلاثة وهو غير صحيح رواية ومعنى.

ومعنى: «ربت» أى ارتفع الطعام من أسفل القصعة ارتفاعًا أكثر، وإسناد «ربت» إلى القصعة مجازى.

قوله: «يا أخت بنى فراس» تو: امرأة أبى بكر هذه كانت أم رومان- أم عبدالرحمن وعائشة رضى الله عنهم- من بنى فراس بن تميم بن مالك بن النضر بن كنانة والمنتمون إلى النضر بن كنانة كلهم قريش.

أ

(١) الكهف:٢٨.

الفصل الثاني

٥٩٤٧ - * عن عائشة قالت: لما ماتَ النجاشي كنَّا نتحدث أنه لايزال يُرى على قبره نور. رواه أبو داود [٥٩٤٧].

٥٩٤٨ - * وعنها، قالت: لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا: لاندرى أنجرد رسولَ الله ﷺ من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه؟ فلما اختلفوا ألقى اللهُ عليهم النوم، حتى ما منهم رجلٌ إلا وذقنهُ فى صدره، ثمَّ كلَّمهم مُكلمٌ من ناحية البيت، لايدرون من هو؟»: اغسلوا النبى ﷺ وعليه ثيابه. فقاموا ، فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص. رواه البيهقى فى «دلائل النبوة»[٥٩٤٨].

٥٩٤٩ - * وعن ابن المنكدر أن سفينةَ مَولى رسولِ الله ﷺ أخطأ الجيشَ بأرض الروم أو أسر، فانطلق هاربًا يلتمس الجيشَ، فإذا هو بالأسد. فقال: يا أبا الحارث! أنا مولى رسول الله ﷺ، كانَ من أمرى كَيتَ وكيتَ، فأقبل الأسدُ، له بصبصةٌ حتى

الفصل الثاني

الحديث الأول إلى الثالث عن ابن المنكدر:

قوله: «بصبصة» نه: يقال: بصبص الكلب بذنبه إذا حركه وإنما يفعل ذلك من طمع أو خوف.

الحديث الرابع عن أبى الجوزاء:

قوله: «منه كوى إلى السماء» أى منافذ، واحدتها كوة -بفتح الكاف وضمها-.

مظ: قيل فى سبب كشف قبر النبى ﷺ أن السماء لما رات قبر النبى ﷺ سال الواديْ من بكائها، قال تعالى: ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض﴾(١) حكاية عن حال الكفار.

وقيل: إنه ﷺ كان يستشفع به عند الجدب فتمطر السماء، فأمرت عائشة رضى الله عنها بكشف قبره مبالغة فى الاستشفاع به فلا يبقى بينه وبين السماء حجاب.

قوله: «يسمى عام الفتق» أى عام الخصب.

[٥٩٤٧] انظر سنن أبي داود برقم ٢٥٢٣

[٥٩٤٨] وانظر صحيح أبي داود رقم ٢٦٩٣، وبه زيادة.

(١) الدخان: ٢٩.

قام إلى جنبه، كلما سمع صوتًا أهوى إليه، ثم أقبل يمشى إلى جنبه حتى بلغ الجيش، ثم رجع الأسدُ. رواه فى «شرح السنة»[٥٩٤٩].

٥٩٥٠ - * وعن أبى الجوزاء. قال: قُحِطَ أهلُ المدينة قَحطًا شديدًا، فشكَوا إلى عائشة فقالت: انظروا قبرَ النبى ﷺ، فاجعلوا منه كُوى إلى السَّماء، حتى لايكونَ بينه وبين السَّماء سقف. ففعلوا، فمُطِروا مَطَرًا حتى نَبَتَ العُشبُ، وسمنت الإبل، حتى تَفتَّقَت من الشحمِ، فسمي عامَ الفتق. رواه الدارمى[٥٩٥٠].

٥٩٥١ - * وعن سعيد بن عبدالعزيز، قال: لما كانَ أيام الحرَّة لم يُؤذَّن فى مسجدِ النبى ﷺ ثلاثًا ولم يقَم، ولم يبرَح سعيد بنُ المسيِّب المسجدَ، وكان لايعرف وقت الصلاة إلا بهمهمةٍ يسمعُها من قبرِ النبى ﷺ. رواه الدارمى[٥٩٥١].

٥٩٥٢ - * وعن أبى خلدة، قال: قلت لأبى العالية: سَمِعَ أنسٌ من النبى ﷺ؟ قال: خدمه عشر سنين، ودعا له النبىﷺ، وكان له بستانٌ يحمل فى كل سنة الفاكهةَ مرَّتين، وكان فيها ريحانٌ يجيء منه ريحُ المسك. رواه الترمذى، وقال: هذا حديث حسن غريب[٥٩٥٢].

الحديث الخامس عن سعيد بن عبدالعزيز:

قوله: «أيام الحرة» هو يوم مشهور فى الإسلام، أيام يزيد بنِ معاوية لما نهب المدينة عسكر أهل الشام، ندبهم لقتال أهل المدينة من الصحابة والتابعين وأمَّر عليهم مسلم بن عقبة المري فى ذى الحجة سنة ثلاث وستين، وعقيبها هلك يزيد.

والحرة هذه أرض بظاهر المدينة بها حجارة سود كثيرة وكانت الوقعة بها.

والهمهمة: كلام خفى لايفهم.

الحديث السادس عن أبى خلدة:

قوله: «سمع أنس؟» أى سمع أنس من رسول الله، أحاديث ورواها عنه؟.

[٥٩٤٩] قال الشيخ: ورواه أيضًا الحاكم (٣/٦٠٦) بنحوه، وقال: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

[٥٩٥٠] انظر سنن الدارمى باب ما أكرم الله تعالى نبيه ....ص٥٦ ح رقم ٩٢ وقال الشيخ: إسناده ضعيف، وحقق شيخ الإسلام ابن تيمية بطلانه فى رده على الأخنائى أو البكرى وهما مطبوعان معًا.

[٥٩٥١] انظر سنن الدارمى فى الباب السابق ذكره ح/ ٩٣ ص٥٦، ٥٧. قال الشيخ: وإسناده ضعيف، فيه من كان قد اختلط.

[٥٩٥٢] انظر صحيح الترمذى ح رقم ٣٠١٠، والصحيحة ٢٢٤١

الفصل الثالث

٥٩٥٣ - * عن عروة بن الزبير أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل خاصمته أروى بنتُ أوس إلى مروان بن الحكم، وادَّعَت أنه أخذ شيئًا من أرضها، فقال سعيد: أنا كنت آخذُ من أرضها شيئًا بعد الذى سمعتُ من رسول الله ﷺ؟! قال: ماذا سمعتَ من رسول الله ﷺ؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أخذ شبرًا من الأرضِ ظُلمًا طُوقَهُ إلى سبع أرضين» فقال له مروان: لا أسألك بينةً بعد هذا. فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبةً فاعمِ بصرَها واقتُلها فى أرضها قال: فما ماتَت حتَّى ذهَبَ بصرُها، وبينما هى تمشى فى أرضها إذ وقعَت فى حفرة فماتت. متفق عليه.

وفى رواية لمسلم عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بمعناه، وأنه رآها عمياء تلتمس الجدُرَ، تقول: أصابتنى دعوةُ سعيدٍ، وأنها مرَّت على بئرٍ فى الدار التى خاصمته، فوقعت فيها، فكانت قبرَها.

٥٩٥٤ - * وعن ابن عمر، أن عمرَ بعث جيشًا وأمرَ عليهم رجلاً يُدعى سارية، فبينما عُمَرُ يخطبُ، فجعل يصيح: ياساريَ! الجبل. فقَدِمَ رسولٌ من الجيش. فقال: يا أمير المؤمنين! لقينا عدُونا فهزمونا، فإذا بصائح يصيح: ياساري! الجبلَ. فأسندنا ظهورَنا إلى الجبلِ، فهزمهم الله تعالى. رواه البيهقى فى «دلائل النبوَّة» [٥٩٥٤].

فأجاب: من كانت له هذه المنزلة والصحبة من النبى ﷺ كيف لايسمع ولايروى عنه؟.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عروة بن الزبير:

قوله: «أنا كنت آخذ؟» فيه معنى الإنكار على نفسه، وقوله: «بعد الذى..» مقرر لجهة الإنكار على نفسه.

قوله: «سبع أرضين» بفتح الراء، وإسكانها قليل.

وفى الحديث تصريح بأن الأرض سبع طباق وهو موافق لقوله تعالى: ﴿سبع سموات ومن

[٥٩٥٤] انظر دلائل النبوة ٦/ ٣٧٠ وقال الشيخ الألبانى فى تخريجه للمشكاة: ورواه ابن عساكر وغيره بإسناد حسن نحوه.

٥٩٥٥ - * وعن نبيهة بن وهب، أن كعبًا دخلَ على عائشةَ، فذكروا رسول الله ﷺ، فقال كعبٌ: مامن يومٍ يَطلُعُ إلا نزلَ سبعونَ ألفًا من الملائكة حتى يحفوا بقبر رسول الله ﷺ يضربونَ بأجنحتهم، ويصلون على رسول الله ﷺ، حتى إذا أمسَوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج في سبعين ألفًا من الملائكة يزفونه. رواه الدارمي [٥٩٥٥].

(٩) باب

هجرة أصحابه ﷺ من مكة ووفاته

الفصل الأول

٥٩٥٦ - * عن البراء، قال: أوَّل من قدم علينا من أصحاب رسولِ الله ﷺ

الأرض مثلهن﴾ ومن قال: المراد بالسبع الأقاليم فقد وهم لأنه لو كان كذلك لم يطوق الظالم بشبر من كل إقليم بخلاف طباق الأرض فإنها تابعة لهذا الشبر.

قوله: «لا أسألك بينة» كأن سعيدًا لما أنكر توجه عليه البينة وعند فقدها توجه عليه اليمين فأجرى مروان هذا الكلام منه مجرى اليمين وقال: لا أسألك بينة بعد هذا.

قوله: «يزفونه» يحتمل أن يكون من الإسراع، أو من زفاف العروس.

«نه»: يزف بالكسر من زف في مشيته، إذا أسرع، وبالفتح من زففت العروس إذا أهديتها إلى زوجها.

باب هجرة أصحابه ﷺ من مكة ووفاته

الفصل الأول

الحديث الأول عن البراء بن عازب رضي الله عنه:

قوله: «الولائد» «نه» الولائدجمع وليدة وهي الجارية الصغيرة، والذكر وليد، فعيل بمعنى مفعول.

قوله: «قرأت: ﴿سبح اسم ربك﴾»[١] أي تعلمت، ذكر المسبب وهو القراءة وأراد السبب وهو التعلم.

قوله: «في سور مثلها» أي في جملة سور مثلها في المقدار.

[٥٩٥٥] انظر سنن الدارمي باب ما أكرم الله تعالى نبيه بعد موته ح ٩٤ ص ٥٧ قال الشيخ: وإسناده ضعيف، مع كونه مقطوعًا.

(١) الأعلى: ١

مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرآننا القرآن، ثم جاء عمّار وبلال وسعدٌ، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين من أصحاب النبى ﷺ ثمَّ جاء النبىُّ ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء، فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيانَ يقولون: هذا رسولُ اللهِ ﷺ قد جاء، فما جاء حتى قرأتُ: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾[1] فى سُور مثلِها من المفصَّل. رواه البخاريُّ.

٥٩٥٧ - * وعن أبى سعيد الخدرى، أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال: «إن عبدًا خيَّرهُ الله بينَ أن يُؤتيَهُ مِن زهرةِ الدنيا ما شاء، وبين ماعنده، فاختار ماعنده». فبكى أبو بكر قال: فديناك بآبائنا وأمَّهاتنا فعجبنا له، فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ماعنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمَّهاتنا!! فكان رسولُ اللهِ ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا. متفق عليه.

٥٩٥٨ - * وعن عقبة بن عامر، قال: صلَّى رسول الله ﷺ على قتلى أُحُدٍ بعدَ ثمان سنين، كالمودِّع للأحياء والأموات، ثم طَلَع المنبرَ فقال: «إنى بين أيديكم فَرَطٌ، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكمُ الحوضُ، وإنى لأنظر إليه وأنا فى مقامى هذا، وإنى قد أعطيتُ مفاتيح خزائن الأرض، وإنى لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدى، ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها» وزاد بعضهم: «فَتَقتَتِلُوا، فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم». متفق عليه.

الحديث الثانى عن أبى سعيد رضى الله عنه:

قوله: «إن عبدًا خيره الله» فهم الصديق من هذا الكلام مفارقته ﷺ الدنيا فبكى، كما فهمت الصديقة من قوله ﷺ: «مع الذين أنعمت عليهم من النبيين» أنه ﷺ خيِّر كما يجيء بعد.

الحديث الثالث عن عقبة بن عامر رضى الله عنه:

قوله: «على قتلى أحد» «مظ»: أى استغفر لهم، واستغفاره لهم كالوداع للأحياء والأموات، أما الأحياء فبخروجه من بينهم، وأما الأموات فبانقطاع دعائه واستغفاره لهم.

---

(١) الأعلى: ١.

٥٩٥٩ - * وعن عائشة، قالت: إن من نعم الله عَلَىَّ أنَّ رسولَ الله ﷺ تُوفى فى بيتى وفى يومى وبين سحرى ونحرى، وأنَّ الله جمَع بين ريقى وريقه عند موته، دخل علىَّ عبدالرحمن بن أبى بكر وبيده سواكٌ وأنا مُسندةٌ رسولَ الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه. وعرفتُ أنه يحبّ السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته، فاشتدَّ عليه، وقلت: أُلينهُ لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فَلَيّنتهُ، فأمرَّهُ وبين يديه ركوةٌ فيها ماءٌ ، فجعل يُدخِل يديه فى الماءِ فيمسح بهما وجهه، ويقول: «لا إله إلا الله، إنَّ للموتِ سكَرات». ثم نصب يده ، فجعل يقول: «فى الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده. رواه البخارى.

٥٩٦٠ - * وعنها، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما من نبى يمرَضُ إلا خُير بينَ الدنيا والآخرة» وكان فى شكواه الذى قُبِض أخذته بُحَّةٌ شديدةٌ، فسمعتُه

والفرط: بالتحريك بمعنى فارط كتبع بمعنى تابع وهو الذى يتقدم الواردة فيهيء لهم الأرشاء والدلاء ويسقى لهم.

يريد أنه شفيع لأمته يتقدمهم، فإنه يتقدم على المشفوع له.

«مح»: فيه معجزات لرسول الله ﷺ، فإن فيه الإخبار بأن أمته تملك خزائن الأرض، وقد وقع ذلك.

وأنهم لايرتدون، وقد عصمهم الله تعالى من ذلك.

وأنهم يتنافسون فى الدنيا، وقد وقع ذلك.

الحديث الرابع عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «بين سحرى ونحرى» «نه»: السحر الرئة، أى أنه ﷺ توفى وهو مستند إلى صدرها وما يحاذى نحرها منه.

وقيل: السحر ما يلصق بالحلقوم من أعلى البطن.

قوله: «دخل علىَّ عبدالرحمن» بيان لجمع الله تعالى بين ريق النبى ﷺ وريقها.

قوله: «فى الرفيق الأعلى» «نه»: الرفيق الأعلى الجماعة من الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين، وهو اسم جاء على فعيل، ومعناه الجماعة، كالصديق والخليط ومنه قوله تعالى: ﴿وحسن أولئك رفيقًا﴾ (١).

---

(١) النساء : ٦٩.

يقول: مَعَ الذينَ أنعمتَ عليهِمْ من النبيينَ والصِّديقينَ والشهداءِ والصَّالحينَ. فعلمت أنه خُيِرَ. متفق عليه.

٥٩٦١ - * وعن أنس، قال: لما ثَقُلَ النبيُّ ﷺ جعل يتغشاه الكربُ فقالت فاطمة واكرب أباه! فقال لها: «ليس على أبيك كَربٌ بعد اليوم». فلما مات قالَتْ: يا أبتاه ! أجاب ربًّا دَعاه، ياأبتاه! من جنة الفردوس مأواه، ياأبتاه!إلى جبريل نَنعاه. فلما دُفِنَ قالت فاطمة: يا أنس! أطابت أنفسُكم أن تحثوا على رسولِ الله ﷺ التراب؟ رواه البخاري.

والرفيق: المرافق فى الطريق.

وقيل : المعنى أَلْحِقنِى بالرفيق الأعلى، أى بالله تعالى، يقال: الله رفيق بعباده، من الرفق والرأفة، فهو فعيل بمعنى فاعل، ومنه حديث عائشة رضى الله عنها: سمعته يقول عند موته: «بل الرفيق الأعلى» وذلك أنه خير بين البقاء فى الدنيا وبين ماعند الله، فاختار ما عند الله.

«تو»: قد ذهب بعضهم «فى الرفيق الأعلى» أنه اسم من أسماء الله تعالى.

قال الأزهرى: غلط قائل هذا، الرفيق هاهنا جماعة الأنبياء الذين يسكنون أعلى عليين، اسم جاء على فعيل ومعناه الجماعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وحسن أولئك رفيقًا**﴾(١).

وقوله: «إن الله رفيق» لم يوجب إطلاق هذا الاسم عليه كما لم يوجب «إن الله حيي ستير» إطلاق ذلك عليه، وإنما أراد به إيضاح معنى لم يكن يقع فى الأفهام إلا من هذا الطريق.

أقول: لم لايجوز أن يستدل بهذا الحديث على إطلاق هذا الاسم عليه وما المانع وليس هذا نحو قوله: « إن اللهحيي» لأن ذلك إخبار.

وقول صاحب النهاية: إنه اختار ما عند الله تعالى، تصريح بأن المراد منه القرب والزلفى عند الله تعالى، ولو أريد به الملائكة والنبيون لقيل: من عند الله تعالى، ويؤيده حديث أبى سعيد رضى الله عنه: «إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الحياة الدنيا ماشاء، وبين ماعنده فاختار ما عنده» وحديث جعفر فى آخر الفصل الثالث من هذا الباب: «يا محمد إن الله قد اشتاق إلى لقائك.. الحديث» ولأن حصول هذه البغية مستلزم لحصول تلك المنزلة كما قال تعالى: ﴿**يأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى**﴾(٢).

---

(١) النساء:٦٩.

(٢) الفجر: ٢٧ : ٣٠.

الفصل الثانى

٥٩٦٢ - * عن أنس، قال: لما قَدِمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ لعبتِ الحبشةُ بحرابهم فرحا لقدومه . رواه أبو داود[٥٩٦٢].

وفى رواية الدارمى قال: ما رأيتُ يومًا قط كانَ أحسنَ ولاأضوأَ من يومٍ دخلَ علينا فيه رسولُ اللهِ ﷺ، وما رأيتُ يومًا كانَ أقبحَ ولا أظلمَ من يومٍ ماتَ فيه رسولُ اللهِ* ﷺ .

وفى إدخال «فى» على «الرفيق الأعلى» إيذان بغاية القرب وشدة تمكنه منه وحلول رضوانه عليه وحصول رضاه عن الله تعالى، وإليه الإشارة بقوله: ﴿راضية مرضية﴾ (١). والله أعلم

الحديث الخامس عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «بحة» «نه»: البحة بالضم غلظ فى الصوت، يقال: بح يبح بحوحًا، وإن كان من داء فهو البحاح، ورجل أبح بين البحح إذا كان ذلك فيه خلقة.

الحديث السادس عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «قالت: يا أبتاه» أصله يا أبى، فالتاء بدل من الياء لأنهما من الحروف الزوائد، والألف للندبة لمد الصوت، والهاء للسكت، ولابد للندبة من إحدى العلامتين: ياء أو واو، لأن الندبة لإظهار التوجع ومد الصوت وإلحاق الألف فى آخرها للفصل بينها وبين النداء، وزيادة الهاء فى الوقف إرادة بيان الألف لأنها خفية وتحذف فى الوصل.

وقوله: «من جنة الفردوس» فى البخارى وشرح السنة وقع «من» موصولة، وفى بعض نسخ المصابيح وقعت جارة، والأول أنسب لأنه من وادى قولهم: «وامن حفر بئر زمزماه».

الفصل الثانى

الحديث الأول والثانى عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «أضاء منها» الضمير راجع إلى المدينة، وفيه معنى التجريد كقولك: لئن لقيته لتلقين منه الأسد، وهذا يدل على أن الإضاءة كانت محسوسة.

[٥٩٦٢] إسناده صحيح، و انظر صحيح أبى داود رقم ٤١١٥.

(١) الفجر: ٣٠.

* قال الشيخ : سنده صحيح.

وفى رواية الترمذى قال: لما كانَ اليومُ الذى دَخَل فيه رسولُ الله ﷺ المدينةَ أضاء منها كلٌّ شىءٍ، فلما كانَ اليومُ الذى ماتَ فيهِ أظلمَ منها كلُّ شىءٍ، وما نفضنا أيدينا عن التراب وإنا لفى دفنه، حتى أنكرنا قلوبنا*.

٥٩٦٣ - * وعن عائشة، قالت. لما قُبِضَ رسولُ الله ﷺ اختلفوا فى دفنه فقال أبو بكر سمعتُ من رسولِ الله ﷺ شيئًا قال: «ماقَبَضَ اللهُ نبيًّا إلا فى الموضعِ الذى يحبُ أن يُدفنَ فيه» ادفنوه فى موضعِ فراشِهِ. رواه الترمذى [٥٩٦٣].

الفصل الثالث

٥٩٦٤ - * عن عائشة، قالت: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لن

قوله: «وما نفضنا أيدينا» «تو»: يريد أنهم لم يجدوا قلوبهم على ماكنت عليه من الصفاء والألفة و[الرقة]**، لانقطاع مادة الوحى وفقدان ما كان يمدهم من قِبَلِ الرسول ﷺ من التأييد والتعليم، ولم يرد أنهم لم يجدوها على ما كانت عليه من التصديق.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «الرفيق الأعلى» أى أختار الرفيق الأعلى.

وقوله : «أنه الحديث» أى أن هذا القول إشارة إلى الحديث الذى قال، وهو صحيح.

الحديث الثانى عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «أبهرى» «نه»: الأبهر عرق فى الظهر، وهما أبهران، وقيل: هما الأكحلان اللذان فى الذراعين، وقيل : هو عرق مستبطن القلب فإذا انقطع لم يبق معه حياة.

وقيل: الأبهر عرق منشؤه من الرأس ويمتد إلى القدم وله شرايين تتصل بأكثر الأطراف والبدن، فالذى فى الرأس منه يسمى «النَّأْمَـة» ومنه قولهم: أسكت الله نَأْمَته ، أى أماته، ويمتد إلى الحلق فيسمى فيه «الوريد» ويمتد إلى الصدر فيسمى «الأبهر» ويمتد إلى الظهر فيسمى «الوتين» - والفؤاد معلق به - ويمتد إلى الفخذ فيسمى «النسا» ويمتد إلى الساق فيسمى «الصافن».

والهمزة فى «الأبهر» زائدة.

[٥٩٦٣] انظر صحيح الترمذى ح رقم ٨١٢ مع زيادة (ما نسيته)

* صحيح الترمذى (٢٨٦١).

** فى «ك»: الروم.

يُقبَضَ نبيٌّ حتى يُرى مقْعَده مِنَ الجنةِ ثم يُخيَّرُ». قالت عائشة: فلما نزَلَ به، ورأسه على فَخذى غُشىَ عليه، ثم أفاقَ، فأشخص بَصَرَهُ إلى السقفِ ثم قال: «اللهم الرفيقَ الأعلى». قلت: إذن لايختارُنا. قالت: وعَرَفتُ أنه الحديثُ الذى كانَ يُحدثنا به وهو صحيح فى قوله : «إنه لن يُقبض نبىٌّ قطُّ حتى يُرى مقعده من الجنَّة ثم يُخَيَّرُ» قالت عائشة : فكان آخر كلمةٍ تكلَّم بها النبىُّ ﷺ قولهُ: «اللهم الرفيقَ الأعلى». متفق عليه.

٥٩٦٥ - * وعنها، قالت: كانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ فى مرضه الذى مات فيه: «ياعائشة! ما أزالُ أجدُ ألم الطعامِ الذى أكلتُ بخيبرَ، وهذا أوانُ وجدتُ انقطاع أبهرى من ذلك السمّ». رواه البخارى.

ويجوز فى «أوان» الضم والفتح، فالضم لأنه خبر المبتدأ ، والفتح على البناء لإضافته إلى مبنى، كقوله:

على حين عاتبت المشيب على الصِّبَا   وقلت [ألما أصحُ]* والشيب وازع

الحديث الثالث عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قوله: «أكتب لكم كتابًا» قال النووى: اعلم أن النبى ﷺ معصوم من الكذب ، ومن تغيير شىء من الأحكام الشرعية فى حال صحته ومرضه، ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه، وتبليغ ما أوجب الله تعالى عليه تبليغه، وليس هو معصومًا من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام مما لا نقص فيه لمنزلته، ولافساد لما تمهد من شريعته، وقد سحر ﷺ حتى صار يخيل إليه أنه فعل الشىء ولم يكن فعله، ولم يصدر منه فى هذا الحال كلام فى الأحكام مخالف لما سبق، فإذا علمت ما ذكرنا فقد اختلفوا فى الكتاب الذى أراد كتابته.

فقيل: أراد أن ينص على الخلافة فى إنسان معين لئلا يقع نزاع.

وقيل: أراد كتابًا يبين فيه مهمات الأحكام ملخصة ليرتفع النزاع ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه، وكان النبى ﷺ هم بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة أو أوحى إليه بذلك، ثم ظهر أن المصلحة تركه أو أوحى إليه بذلك ونسخ.

وأما كلام عمر رضى الله عنه: «حسبكم كتاب الله » فقد اتفقوا على أنه من دلائل فقه عمر رضى الله عنه وفضائله ودقيق نظره، لأنه خشى أن يكتب النبى ﷺ أموراً ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها لكونها منصوصة لامجال للاجتهاد فيها.

---

* فى «ط» «إنما يصح»، وفى «ك» «ألما تصح» والمثبت من لسان العرب، ونسبه للنابغة.

٥٩٦٦ - * وعن ابن عباس، قال: لما حُضِر رسولُ الله ﷺ، وفى البيت رجال، فيهم عمر بن الخطاب، قال النبى ﷺ: «هلموا أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده». فقال عمر: قد غَلَب عليه الوجعُ، وعندكم القرآن، حسبُكم كتابُ الله، فاختلف أهلُ البيت واختصموا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ. ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغط والاختلاف، قال رسول الله ﷺ: «قوموا عنى». قال عبيد الله: فكان ابنُ عباس يقول: إن الرزيئة كل الرزيئة ما حالَ بينَ رسول الله ﷺ وبين أن يكتبَ لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم.

وأشار بقوله: «حسبكم كتاب الله» إلى قوله تعالى ﴿ما فرطنا فى الكتاب من شىء﴾ (١). وقوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى﴾ (٢).

قال البيهقى فى كتاب دلائل النبوة: إنما قصد عمر رضى الله عنه بذلك التخفيف على رسول الله ﷺ حين غلب الوجع عليه، [ولو]* كان مراده ﷺ أن يكتب مالا يستغنون عنه لم يتركه لاختلافهم لقوله تعالى: ﴿بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾(٣) كما لم يترك التبليغ لمخالفة من خالفه ومعاداة من عاداه، وكما أَمَر فى تلك الحالـة بإخراج اليهود من جزيرة العرب وغير ذلك.

وقال البيهقى: وقد حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله أنه ﷺ أراد أن يكتب استخلاف أبى بكر رضى الله عنه ثم ترك ذلك اعتماداً على ما علمه من تقدير الله تعالى ذلك، كما هم بالكتابة فى أول مرضه حين قال: «وارأساه» ثم ترك الكتاب وقال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» وذلك بسبب استخلافه أبا بكر فى الصلاة.

وقال أيضًا: وإن كان المراد منه بيان أحكام الدين ورفع الخلاف فيها فقد علم عمر حصول ذلك من قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ (٤)وعلم أنه لاتقع واقعة إلى يوم القيامة إلا وفى الكتاب والسنة بيانها نصًا أو دلالة، وفى تكلف النبى ﷺ فى مرضه مع شدة وجعه كتابة ذلك مشقة، فرأى الاقتصار على ما سبق بيانه تخفيفًا عليه ولئلا ينسد باب الاجتهاد على أهل العلم والاستنباط وإلحاق الفروع بالأصول، فرأى عمر رضى الله عنه الصواب ترك الكتابة تخفيفًا على رسول الله ﷺ وفضيلة للمجتهدين، وفى تركه ﷺ الإنكار على عمر دليل على استصواب رأيه، وكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه.

---

(١) الأنعام: ٣٨. (٢) المائدة: ٣. (٣) المائدة: ٦٧. (٤) المائدة: ٣.

* فى «ك» «ولما»، والوجه ما أثبتناه.

وفى رواية سليمان بن أبى مُسلم الأحول قال ابن عباس: يوم الخميس، وما يوم الخميس؟ ثم بكى حتى بَلَّ دمعُهُ الحصى. قلت يا بن عباس! وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسولِ الله ﷺ وجعُه فقال: «ائتونى بكتف أكتب لكم كتابًا لاتضلوا بعده أبدًا». فتنازعوا ولاينبغى عِندَ نبى تنازع. فقالوا: ما شأنُه؟! أهجر؟ استفهموه، فذهبوا يردونَ عليه. فقال: «دعونى، ذرونى، فالذى أنا فيه خيرٌ مما تدعوننى إليه». فأمرهم بثلاث: فقال: «أخرجُوا المشركينَ من جزيرة العرب، وأجيزوا الوَفد بنحو ماكنت أجيزهم». وسكتَ عن الثالثة، أو قالها فنسيتُها قال سفيان: هذا من قول سليمان. متفق عليه.

قال الخطابى: ولايجوز أن يحمل قول عمر رضى الله عنه على أنه توهم الغلط على رسول الله ﷺ أو ظن به غير ذلك مما لايليق بحاله، لكنه لما رأى ما غلب عليهﷺ من الوجع وقرب الوفاة مع ما غشيه من الكرب خاف أن يكون ذلك القول مما يقوله المريض مما لاعزيمة له فيجد المنافقون بذلك سبيلا إلى الكلام فى الدين، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يراجعونه فى بعض الأمور قبل أن يجزم فيها بتحتيم، كما راجعوه يوم الحديبية فى الخلاف وفى كتاب الصلح بينه وبين قريش، فأما إذا أمر بالشىء أمر عزيمة فلا يراجعه فيه أحد منهم، ومعلوم أنه ﷺ وإن كان الله تعالى رفع درجته فوق الخلق كلهم لم ينزهه عن سمات الحدَث والعوارض البشرية، وقد سها فى الصلاة، فينبغى أن يتوقف فى مثل هذا حتى تتبين حقيقته، فلهذه المعانى وشبهها راجعه عمر رضى الله عنه.

وقد قال الخطابى: وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «اختلاف أمتى رحمة»(1).

والاختلاف فى الدين ثلاثة أقسام:

أحدها: فى إثبات الصانع ووحدانيته، وإنكارها ذلك كفر.

وثانيها: فى صفاته ومشيئته، وإنكارها بدعة.

وثالثها: فى أحكام الفروع المحتملة وجوهًا. فهذا جعله الله تعالى رحمة وكرامة للعلماء.

وقال المازرى: إن قيل: كيف جاز للصحابة الاختلاف فى هذا الكتاب مع قوله: «ائتونى بكتف أكتب لكم»؟.

---

(1) موضوع. قال الشيخ الألبانى فى الضعيفة (٥٧): لا أصل له. ولقد جهد المحدثون فى أن يقفوا له على سند، فلم يوفقوا. ا.هـ مختصرا. وان ظر ضعيف الجامع (٢٣٠).

٥٩٦٧ - * وعن أنس، قال: قال أبو بكر لعمر [رضى الله عنهما] بعد وفاة رسول الله ﷺ: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورُها كما كان رسول الله ﷺ يزورُها، فلمَّا انتهيا إليها بكت. فقالا لها: مايبكيك؟ أما تعلمين أن ماعند اللهِ خيرٌ لرسولِ الله ﷺ؟ فقالت: إنى لا أبكى أنى لا أعلم أنَّ ماعندَ الله خيرٌ لرسول الله ﷺ، ولكن أبكى أنَّ الوحيَ قد انقطع من السَّماءِ فهيَّجتهُما على البكاءِ، فجعلا يبكيان معها. رواه مسلم.

فالجواب: أن الأوامر تقارنها قرائن تنقلها من الندب إلى الوجوب عند من قال: أصلها الندب، ومن الوجوب إلى الندب عند من قال: أصلها الوجوب، فلعله ظهر منه ﷺ من القرائن ما دل على أنه لم يوجب ذلك عليهم بل جعله إلى اختيارهم فاختلف اختيارهم بحسب اجتهادهم، وأدى اجتهاد عمر رضى الله عنه إلى الامتناع، ولعله اعتقد أن ذلك صدر منه ﷺ من غير قصد جازم، وكان هذا قرينة فى إرادة عدم الوجوب.

- هذا آخر ما فى شرح مسلم-

قوله: «أهجر؟» «نه»: أهجر أى اختلف كلامه بسبب المرض على سبيل الاستفهام، أى : هل تغير كلامه واختلط لأجل ما به من المرض؟ ولايجعل إخباراً فيكون من الفحش والهذيان، والقائل عمر ولايظن به ذلك.

«مح»: قال القاضى عياض: أهجر رسول الله ﷺ؟ هكذا فى صحيح مسلم وغيره«أهجر» على الاستفهام، وهو أصح من رواية من روى «هجر» بغير همز لأنه لايصح منه ﷺ، لأن معنى «هجر» هذى، وإنما جاز ذلك من قائله استفهامًا للإنكار على من قال: «لاتكتبوا» أى لاتتركوا أمر رسول الله ﷺ وتجعلوه كأمر من هجر فى كلامه لأنه ﷺ لايهجر، وإن صحت الرواية الأخرى كانت خطأ من قائلها لأنه قالها من غير تثبت لما أصابه من الحيرة والدهشة لعظم ما شاهده من النبى ﷺ من هذه الحالة الدالة على وفاته وخوف الفتن والضلال بعده، وقول عمر رضى الله عنه: «حسبكم كتاب الله» رد على من نازعه لا على أمر النبى ﷺ.

قوله: «دعونى ذرونى» معناه دعونى من النزاع واللغط الذى شرعتم فيه، فالذى أنا فيه من مراقبة الله تعالى والتأهب للقائه والفكر فى ذلك ونحوه أفضل مما أنتم فيه.

قوله: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب» مر بيانه فى باب: إخراج اليهود من جزيرة العرب.

٥٩٦٨ - * وعن أبى سعيد الخدرى، قال: خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ فى مرضه الذى مات فيه، ونحن فى المسجد، عاصبًا رأسهُ بخرقةٍ، حتى أهوى نحو المنبر، فاستوى عليه واتَّبعناه، قال: «والذى نفسى بيده إنى لأنظر إلى الحوضِ من مقامى هذا، ثم قال: «إنَّ عبدًا عرضتْ عليه الدنيا وزينتُها ، فاختار الآخرة» قال: فلم يفطن لها أحدٌ غيرَ أبى بكر، فذرفت عيناه، فبكى، ثمَّ قال: بل نفديك بآبائنا وأمَّهاتنا وأنفسنا وأموالنا يارسولَ اللهِ! قال: ثمَّ هبطَ فما قام عليه حتى الساعة . رواه الدارمى[٥٩٦٨].

قوله: «وأجيزوا الوفد» «مح»: أمر ﷺ بإكرام الوفود وضيافتهم تطييبًا لنفوسهم وترغيبًا لغيرهم من المؤلفة.

وقالوا: سواء كان الوفد مسلمين أو كفارًا، لأن الكافر إنما يفد غالبًا فيما يتعلق بمصالحنا ومصالحهم.

وقوله«وسكت عن الثالثة» الساكت هو ابن عباس رضى الله عنهما، والناسى: سعيد بن جبير.

قال مهلب: الثالثة: تجهيز جيش أسامة.

قال القاضى عياض: ويحتمل أنه قوله ﷺ: «لاتتخذوا قبرى وثنًا يعبد».

الحديث الرابع عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «نزورها» هو أفخم بلاغة من أن لو قال: «أزورها» حسب ما اقتضاه تعظيم المزور، كأنه قيل: لم ننطلق إليها؟ فأجيب: نزورها، لأنها مستحقة لذلك، ونحوه فى الاستئناف قول الشاعر:

وقال رائدهم ارسوا نزاولها

قوله: «إنى لا أعلم» مفعول لقوله: «لا أبكى».

الحديث الخامس عن أبى سعيد رضى الله عنه:

قوله: «حتى الساعة» حتى هى الجارة، والمراد بالساعة القيامة، يعنى فما قام عليه بعد فى حياته.

[٥٩٦٨] انظر سنن الدارمى باب وفاة النبى ﷺ ح ٧٧ (١/ ٤٩، ٥٠).

٥٩٦٩ - * وعن ابن عبَّاس، قال: لما نزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾(١). دعا رسولُ الله ﷺ فاطمة قال: «نُعيَت إليَّ نفسي» فبكت قال: «لاتبكي فإنك أوَّل أهلي لاحقٌ بي» فضحكت: فرآها بعضُ أزواج النبيِّ ﷺ فقلن: يافاطمةُ رأيناكِ بكيت ثم ضحكتِ. قالت: إنه أخبرني أنه قد نُعيَت إليه نفسه فبكيتُ، فقال لي: لاتبكي فإنك أوَّل أهلي لاحقٌ بي فضحكتُ. وقال رسول الله ﷺ: «إذا جاء نصرُ الله والفتح، وجاءَ أهل اليمن، هم أرق أفئدةً، والإيمان يمانٍ، والحكمة يمانية» رواه الدارمي [٥٩٦٩].

الحديث السادس عن ابن عباس رضي الله عنهما:

قوله: «نعيت إليَّ نفسي» ضُمِّنَ «نعى» معنى الإنهاء، وعُدِّيَ بإلى، أي أُنهِي إليَّ نَعْيُ نفسي، كما تقول: أحمد إليك فلانًا.

يقال: نعى الميت ينعاه نعيًا، ونعاه إذا أذاع موته وأخبر به، ولعل السر في ذلك أنه تعالى رتب قوله: ﴿فسبح بحمد ربك﴾ (١) على مجموع قوله: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس﴾ (١) فهو أمر لرسول الله ﷺ بالاشتغال بخاصة نفسه في الثناء على الله بصفات الجلال حامدًا له على ما أولى من النعم بصفات الإكرام وهي بذل المجهود فيما كلف به من تبليغ الرسالة ومجاهدة أعداء الدين، وبالإقبال على العبادة والتقوى، والتأهب للمسير إلى المقامات العليا، واللحوق بالرفيق الأعلى.

وقوله: «فرآها بعض أزواج النبي ﷺ» يراد بها عائشة رضي الله عنها وجمعها في قوله: «فقلن» تعظيمًا لشأنها.

وقوله: «وجاء أهل اليمن» عطف على قوله: «جاء» وتفسير لقوله تعالى: ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا﴾(١) وإيذان بأن المراد بالناس هم أهل اليمن.

قوله «والإيمان يمان» قيل: إنما قال ذلك لأن الإيمان بدأ من مكة وهي تهامة، وتهامة من أرض اليمن، ولهذا يقال: الكعبة يمانية.

وقيل: إنه قال هذا القول وهو بتبوك، ومكة والمدينة يومئذ بينه وبين اليمن فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة.

[٥٩٦٩] انظر سنن الدارمي باب وفاة النبي ح٧٩ قال الشيخ: وإسناده حسن.

(١) النصر: ١، ٢، ٣.



٥٩٧٠ - * وعن عائشة، أنها قالت: وارأساه! قال رسول الله ﷺ : «ذاك لو كان وأنا حيٌّ فأستغفرُ لك وأدعو لك» فقالت عائشة: واثُكلياه! والله إنى لأظنكَ تحِبُّ موتى، فلو كان ذلك لظَلِلْتَ آخرَ يومك مُعْرِسًا ببعض أزواجك . فقال النبى ﷺ: «بل أنا وارأساه! لقد هممت- أو أردت- أن أرسل إلى أبى بكر وابنه وأعهَد، أن يقول القائلون: أو يتمنَّى المتمنون، ثم قلت: يأبى اللهُ ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون» رواه البخارى.

٥٩٧١ - * وعنها: قالت: رجَعَ إلىَّ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ من جنازة من البقيع فوجدَنى وأنا أجدُ صداعًا، وأنا أقول: وارأساه! قال: «بل أنا ياعائشة! وارأساه» قال: وما ضرَّكِ لو متِّ قبلى، فغسلتُكِ وكفَّنتُكِ، وصليتُ عليكِ، ودفنتُكِ؟» قلت: لكأنى بكَ والله لو فعلتَ ذلك لرجعتَ إلى بيتى فعرست فيه بعض نسائك، فتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ ثم بُدِئَ فى وجعه الذى مات فيه. رواه الدارمى[٥٩٧١].

«والحكمة يمانية» الحكمة كل كلمة صالحة تمنع صاحبها من الوقوع فى المهالك.

الحديث السابع عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «وارأساه» ندبت نفسها وأشارت إلى الموت.

قوله: «ذاك لوكان وأنا حى» أى إن حصل ذاك، أى موتك وأنا حى أستغفر لك.

فأجابت بقولها: «واثكلياه والله إنى لأظنك» يعنى إن فقدتنى وعشت بعدى وتفرغت لغيرى نسيتنى.

وقوله: «أن يقول القائلون» مفعول له على تقدير محذوف، أى أجعل أبا بكر ولى عهدى كراهة أن يقول القائلون: لم يعهد رسول الله ﷺ إلى أبى بكر الخلافة ، أو يتمنى المتمنون الخلافة ، ثم قلت: «يأبى الله إلا خلافته، ولذلك يدفع المؤمنون خلافة غيره لاستخلافى إياه فى الإمامة الصغرى والله أعلم.

الحديث الثامن عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «لكأنى بك» فيه جواب قسم محذوف، والمذكور معترض بين الحال وصاحبها، والمعنى: والله لكأنى أبصرتك والحال كيت وكيت.

[٥٩٧١] انظر سنن الدارمى باب وفاة النبى ح ٨٠ وهو حديث حسن كما قال الشيخ.

٥٩٧٢ - وعن جعفر بن محمَّد، عن أبيه، أن رجلاً من قريشٍ دخلَ على أبيه على بن الحسين، فقال: ألا أُحدثُكَ عن رسول الله ﷺ؟ قال: بَلى حدثنا عن أبى القاسم ﷺ قال: لما مَرِضَ رسولُ الله ﷺ أتاه جبريلُ فقال: «يا محمَّد! إنَّ الله أرسلنى إليك تكريمًا لك، وتشريفًا لك، خاصةً لك يسألك عما هو أعلم به منك، يقول: كيف تجدك؟ قال: أجدُنى ياجبريل! مغمومًا، وأجدنى ياجبريل! مكروبًا». ثم جاءه اليوم الثانى، فقال له ذلك، فرد عليه النبى ﷺ كما رد أوَّل يوم، ثم جاءه اليومَ الثالث، فقال له كما قال أوَّل يوم، ورد عليه كما رد عليه، وجاءَ معَه ملَكٌ يقال له: إسماعيل على مائة ألف مَلَك، كل ملَك على مائة ألف ملَك ، فاستأذن عليه، فسأله عنه. ثم قال جبريل: هذا مَلَكُ الموت يستأذنُ عليك. ما استأذنَ على آدمى قبلك ، ولايستأذن على آدميٍّ بعدك. فقال: ائذن له، فأذِنَ له، فسلَّم عليه، ثم قال يا محمَّد! إنَّ الله أرسلنى إليك، فإن أمرتنى أن أقبضَ روحك قبضتُ ، وإن أمرتنى أن أتركه تركته فقال: وتفعلُ ياملكَ الموت؟ قال: نعم، بذلك أُمرتُ، وأمرتُ أن أطيعَك. قال: فنظَرَ النبىُّ ﷺ إلى جبريل عليه السلام، فقال جبريل: يامحمَّد! إنَّ الله قد اشتاق إلى لقائك، فقال النبىُّ ﷺ لملك الموت: «امض لما أُمِرْتَ به» فَقَبَضَ روحَهُ، فلما توفى رسولُ الله ﷺ وجاءت التَّعزيةُ سمعوا صوتًا من ناحية البيت: السَّلامُ عليكم أهلَ البيت ورحمةُ اللهِ وبركاته، إنَّ فى اللهِ عزاءً من كل مصيبة،

الحديث التاسع عن جعفر بن محمد:

قوله: «وأمرت أن أطيعك» عطف على قوله: «بذلك أمرت» أى بقبض روحك وهو من العطف المخصِّص للمعطوف عليه.

وقوله: «امض لما أمرت به» أى انفذ لما أمرت به ولاتتوقف فيه.

وإلى هاهنا ذكره ابن الجوزى فى كتابه «الوفاء» وذكر بعده:

«فقال جبريل عليه السلام: السلام عليك يارسول الله ، هذا آخر موطئ الأرض إنما كنت حاجتى من الدنيا».

وخَلَفًا من كل هالك، ودَرَكًا من كل فائت، فبالله فاتَّقوا، وإيَّاه فارجوا، فإنما المصابُ من حرم الثواب. فقال عليٌّ: أتدرونَ من هذا؟ هو الخَضِر عليه السلام. رواه البيهقى فى «دلائل النبوَّة» [٥٩٧٢].

(١٠) باب

الفصل الأول

٥٩٧٣ - * عن عائشةَ، قالت: ماتركَ رسول الله ﷺ دينارًا ولادرهمًا ولاشاةً ولابعيرًا، ولا أوصى بشيءٍ. رواه مسلم.

قوله: «عزاء من كل مصيبة» أى تعزية من كل مصيبة، فأقام الاسم مقام المصدر.

«نه»: فى الحديث: «من لم يتعز بعزاء الله»قيل: أراد بالتعزى فى هذا الحديث التسلى والتصبر عند المصيبة وأن يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فعلى هذا يجوز أن يقدر مضاف فى قوله: «فى الله» أى فى لقاء الله تسليًا وتصبرًا من كل مصيبة، وأن يراد أن فى الله تسلية على التجريد ، نحو قوله: «وفى الرحمن للضعفاء كاف» ويؤيده القرينتان، يعنى: «خلفًا» و«دركًا» أى ومدركًا.

قوله: «فبالله فاتقوا» الله الفاء فيه جواب للشرط، وبالله حال قدمت على عاملها اختصاصًا كما فى قوله تعالى: ﴿فإياى فاعبدون﴾[1] ، أى إذا كان الله معزيًا وخلفًا ومدركًا فخصوه بالتقوى مستعينين به.

والفاء فى «فاتقوا» وردت لتأكيد الربط، وكذا فى قوله: «فارجوا» وتقديم المفعول ليس لإرادة التخصيص بل لتتعادل به القرينة فى اقتران الفاء.

وفيه دلالة بينة على أن الخضر عليه السلام حى موجود.

باب

الفصل الأول

الحديث الأول عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «ولا أوصى بشيء» «مح»: وفى رواية أخرى ذكروا عند عائشة رضى الله عنها: أن عليًا رضى الله عنه كان وصيًا، فقالت: متى أوصى إليه؟ وقد كنت مسندته حتى مات فمتى أوصى؟.

[٥٩٧٢] انظر دلائل النبوة ٧/ ٢١١ و ٢٦٧ باب ما يؤثر عنه من ألفاظه،وقال الشيخ الألبانى: وإسناده واه، وكل حديث فيه حياة الخضر إلى عهده ﷺ لايصح.

(١) العنكبوت ٥٦.

٥٩٧٤ - * وعن عمرو بن الحارث أخي جويرية، قال: ماتَرَكَ رسولُ الله ﷺ عند موته دينارًا ولادرهمًا ولاعبدًا ولا أمةً ولاشيئًا إلا بغلتَه البيضاء، وسلاحَهُ، وأرضًا جعلها صدقةً. رواه البخاري.

٥٩٧٥ - * وعن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لايقتسم ورثتي دينارًا ، ماتركتُ بعد نفقةِ نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقةٌ». متفق عليه.

٥٩٧٦ - * وعن أبي بكر [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «لا نُورثُ، ما تركناه صدَقةٌ». متفق عليه.

ومعنى : «ولا أوصى بشىء» أى لا أوصى بثلث ماله ولاغيره إذ لم يكن له مالٍ ولاأوصى إلى على رضى الله عنه ولا إلى غيره خلاف ما يزعمه الشيعة، وأما الأحاديث الصحيحة فى وصيته ﷺ بكتاب الله، ووصيته لأهل البيت، وإخراج اليهود من جزيرة العرب، وإجازة الوفد، فليست مرادة بقولها: «ولا أوصى».

وأما الأرض التى كانت له ﷺ بخيبر وفدك فقد [سبلها]* ﷺ فى حياته وجعلها صدقة على المسلمين.

الحديث الثانى والثالث عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «لايقتسم ورثتي دينارًا» هو إخبار ، ويجوز أن يكون بمعنى النهى، فهو على منوال قوله: على لاحب لايهتدى بمناره.

أي لادينار هناك فيقتسم.

قوله: «ما تركت بعد نفقة نسائي» «حس»: قال سفيان بن عيينة: كان أزواج النبي ﷺ في معنى المعتدات إذ كن لا يجوز لهن أن ينكحن أبدًا فجرت لهن النفقة.

وقوله: «مؤنة عاملى» أراد بالعامل الخليفة بعده، وكان ﷺ يأخذ نفقة أهله من الصفايا التي كانت من أموال بني النضير وفدك، ويصرف الباقي في مصالح المسلمين، ثم وليها أبو بكر، ثم عمر كذلك، فلما صارت إلى عثمان رضى الله عنه استغنى عنها بماله فأقطعها مروان وغيره من أقاربه فلم تزل في أيديهم حتى ردها عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه.

الحديث الرابع عن أبي بكر رضي الله عنه:

قوله: «لا نورث» أصله «لايورث منها» فحذف «من» فاستتر ضمير المتكلم في الفعل فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم، كما في قوله تعالى: ﴿لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين﴾[1] في وجه، وقوله تعالى: ﴿نرتع ونلعب﴾[2] أي يبرح سيري، وترتع إبلنا، فلما حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه انقلب الفعل من الغيبة إلى التكلم.

---

(١) الكهف: ٦٠ .   (٢) يوسف: ١٢ .

* فى «ط»: «سلبها»، والصواب من «ك». و«سبلها»: أى جعلها فى سبيل الله صدقة.

٥٩٧٧ - * وعـن أبي موسى، عـن النبي ﷺ، أنـه قال: «إن الله إذا أراد رحمةَ أمَّةٍ من عباده قبض نَبيَّها قَبلها فجعله لها فَرَطًا وسَلَفًا بين يديها، وإذا أرادَ هَلَكةَ أمَّةٍ عذَّبها ونبيها حيٌّ فأهلكها وهو ينظر، فأقرَّ عينيه بهَلَكَتِها حين كـذَّبُوه وعصَوْا أمره» رواه مسلم.

٥٩٧٨ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسُ محمَّدٍ بيدِه ليأتينَّ على أحدكم يوم ولا يراني، ثم لأن يراني أحبُّ إليه من أهلِه ومالِه معهم» رواه مسلم.

[كتاب المناقب]

(١) باب مناقب قريش وذكر القبائل

الكشاف ـ وهو وجه لطيف قوله «ما تركناه صدقة» جملة مستأنفة، كأنه لما قيل: لا نورث. فقيل: ما تفعلون بتركتكم؟ فأجيب: ما تركناه صدقة.

قال المالكي: «ما» في قوله: «ما تركناه صدقة» موصولة مبتدأ، وتركناه صلته، والعائد محذوف، وصدقة خبر.

وروي: «صدقة» بالنصب، فالتقدير: ما تركنا مبذول صدقة، فحذف الخبر وبقي الحال كالعوض منه، ونظيره: ﴿ونحن عصبة﴾[1] بالنصب وقد تقدم بيانه في باب السجود من هذا الكتاب مستقصى.

«مح»والحكمة في أن الأنبياء لايورثون أنه لايؤمن أن يكون في الورثة من يتمنى موته فيهلك، ولئلا يظن بهم الرغبة في الدنيا، فيهلك الظان وينفر الناس عنهم.

الحديث الخامس والسادس عن أبي موسى رضي الله عنه:

قوله: «وسلفًا بين يديها» «نه»: قيل: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح.

باب مناقب قريش وذكر القبائل

«غب»: المنقبة طريق منفذ في الجبل، واستعير للفعل الكريم إما لكونه تأثيرًا له، أو لكونه منهجًا في رفعة.

---

(١) يوسف:٨

الفصل الأول

٥٩٧٩ - * عن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ قال: «الناسُ تَبَعٌ لقريش فى هذا الشأن، مسلمُهم تبَعٌ لمسلمهم، وكافرهُم تبَعٌ لكافرهم» متفق عليه.

٥٩٨٠ - * وعن جابر، أنَّ النبي ﷺ قال: «الناس تَبَعٌ لقريش في الخير والشر» رواه مسلم.

٥٩٨١ - * وعن ابن عمر، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لايزالُ هذا الأمرُ في قريشٍ ما بقي منهم اثنان» متفق عليه.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «في هذا الشأن» حس: معناه تفضيل قريش على قبائل العرب وتقديمها في الإمامة والإمارة.

خط: كانت العرب تقدم قريشًا وتعظمها، وكانت دارهم موسمًا، والبيت الذي هم سدنته منسكًا، وكانت لهم السقاية والرفادة، ويعظمون الحجيج ويسقونهم فحازوا به الشرف والرياسة عليهم.

قض: المراد بهذا الشأن الدين، والمعنى أن مسلمي قريش قدوة غيرهم من المسلمين لأنهم المتقدمون في التصديق، السابقون بالإيمان، وكافرهم قدوة غيرهم من الكفار لأنهم أول من رد الدعوة، وكفر بالرسول، وأعرض عن الآيات «شف» فلا يكون حينئذ قوله: «وكافرهم.. إلى آخره» في معرض المدح.

أقول: يؤيد قول القاضي الحديث الذي يتلوه، كأنه قيل: هم متبوعون في كل أمر، والناس يقتفون أثرهم ويزعمون أن كل ما صدر عنهم خير، ونحوه قول الشاعر:

ونحن التاركون لما سخطنا   ونحن الآخذون لما رضينا

الحديث الثاني والثالث عن ابن عمر رضي الله عنهما:

قوله: «لا يزال هذا الأمر في قريش» مح: هذه الأحاديث وأشباهها فيها دليل ظاهر على أن الخلافة مختصة بقريش لايجوز عقدها لغيرهم، وعلى هذا انعقد الإجماع في زمن الصحابة ومن بعدهم، ومن خالف فيه من أهل البدع فهو محجوج بإجماع الصحابة.

وبين ﷺ أن هذا الحكم مستمر إلى آخر الدهر ما بقي من الناس اثنان، وقد ظهر ما قاله ﷺ من زمنه إلى الآن.

٥٩٨٢ - * وعن معاوية، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ هذا الأمرَ في قريش، لايُعاديهم أحدٌ إلا كبَّهُ اللهُ على وجهه، ما أقامُوا الدِّينَ» رواه البخاري.

٥٨٩٣ - * وعن جابر بن سَمُرَةَ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لايزال الإسلام عزيزًا إلى اثني عشر خليفةً، كلهم من قُريشٍ» وفي رواية: «لا يزالُ أمر النَّاسِ ماضيًا ما وَلِيهُم اثنا عشر رجلا كلُّهم من قُريش» وفي رواية «لايزال الدِّين قائمًا حتى تقومَ الساعة أو يكونَ عليهم اثنا عشرَ خليفة كلُّهم من قريش» متفق عليه.

الحديث الرابع عن معاوية رضي الله عنه:

قوله: «ما أقاموا الدين» ما مصدرية، والوقت مقدر وهو متعلق بقوله: «كبه الله».

مظ: أي الخلافة في قريش لايعاديهم ولا يخالفهم أحد في ذلك إلا أذله الله ما داموا يحافظون على الدين. انتهى كلامه.

ويفهم من قول الشيخ التوربشتي أن قوله: «ما أقاموا» إذا علق بكبه يستقيم المعنى إذا حمل الدين على الصلاة، وأما إذا حمل على الدين بأصوله وتوابعها فلا لأن منهم من غير وبدل ولم يصرف عنه الأمر.

وقيل: معنى الحديث لا يخالف قريشًا أحد في الأمور المتعلقة في الدين بأن أرادوا نقضه وبطلانه وقريش تريد إقامته وإمضاءه إلا أذله الله وقهره.

أقول: واللفظ لايساعد إلا ما عليه المظهر وهو أظهر.

الحديث الخامس عن جابر رضي الله عنه:

قوله: «إلى اثني عشر خليفة» تو: السبيل في هذا الحديث وما يعتقبه في هذا المعنى أن يحمل على المقسطين منهم فإنهم هم المستحقون لاسم الخليفة على الحقيقة، ولايلزم أن يكونوا على الولاء وإن قدرأنهم على الولاء فإن المراد منه المسمون بها على المجاز.

قال القاضي عياض: يوجه هاهنا سؤال وهو: أنه قد جاء «الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا عضوضًا» وهو مخالف لهذا الحديث؟.

وأجيب: بأن المراد بثلاثون سنة خلافة النبوة وقد جاء مفسرًا في بعض الروايات: «خلافة النبوة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكًا» ولم يشترط هذا في الاثنى عشر.

وقيل: المراد باثني عشر أن يكونوا مستحقين الخلافة من العادلين وقد مضى منهم من علم ولابد من تمام هذا العدد قبل قيام الساعة.

قوله: «إلى اثنى عشر» إلى هاهنا نحو حتى في الرواية الأخرى، لأن التقدير: لا يزال الدين قائمًا حتى يكون عليهم اثنا عشر خليفة، في أن ما بعدها داخل في ماقبلها.

٥٩٨٤ - * وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «غِفارُ غفر الله لها، وأسلم سالَمَها الله، وعُصيَّةُ عصتِ اللهَ ورسولَه» متفق عليه.

٥٩٨٥ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قريش والأنصارُ وجُهينةُ ومُزينةُ وأسلمُ وغِفارٌ وأشجعُ مواليَّ، ليس لهم مولى دونَ الله ورسوله» متفق عليه.

الكشاف[1] في قوله تعالى ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾[2] إلى تفيد معنى الغاية مطلقًا، فأما دخولها في الحكم وخروجها فحكم يدور مع الدليل، ومما فيه دليل على الخروج قوله تعالى: ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾[3] لأنه لو دخل الليل لوجب الوصال، ومما فيه دليل على الدخول قولك: حفظت القرآن من أوله إلى آخره، لأن الكلام مسوق لحفظ القرآن كله.

الحديث السادس عن ابن عمر رضي الله عنهما:

قوله: «غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله» يحتمل أن يكونا خبرين وأن يحمل على الدعاء لهما، وأما قوله: «وعصية عصت الله» فهو إخبار ولا يجوز حمله على الدعاء، لكن فيه إظهار شكاية منهم تستلزم الدعاء عليهم بالخذلان لا بالعصيان.

حس: قيل إنما دعا لغفار وأسلم لأن دخولهما في الإسلام كان من غير حرب، وكانت غفار تزن - أي تتهم - بسرقة الحجاج، فدعا رسول الله ﷺ بأن يمحو عنهم تلك السيئة ويغفر لهم.

وأما عصية فهم الذين قتلوا القراء ببئر معونة فكان النبي ﷺ يقنت عليهم.

مح: قال القاضي: هو من حسن الكلام والمجانسة في الألفاظ مأخوذ من سالمته إذا لم تر منه مكروها، وكأنه دعا لهم بأن يضع الله عنهم التعب الذي كانوا فيه.

الحديث السابع عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «ليس لهم مولى» جملة مقررة للجملة الأولى على الطرد العكس، وفي تمهيد ذكر الله لذكر رسوله وفي تخصيص ذكر الرسول إيذان بمكانته ومنزلته عند الله وإشعار بأن توليه إياهم بلغ مبلغًا لايقدر قدره ولايكتنه كنهه.

---

(١) الكشاف: ١/ ٣٢٤

(٢) المائدة: ٦

(٣) البقرة: ١٨٧

٥٩٨٦ - * وعن أبي بكرَةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أسلم وغفار ومزينة وجهينة خير من بني تميم ومن بني عامرٍ والحليفين بني أسد وغطفان» متفق عليه.

٥٩٨٧ - * وعن أبي هريرة، قال: مازِلتُ أُحب بني تميم منذ ثلاثٍ، سمعتُ من رسول الله ﷺ يقول فيهم، سمعته يقول: «هم أشد أمتي على الدَّجال» قال: وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله ﷺ: «هذه صدقاتُ قومِنا» وكانت سبيَّة منهم عند عائشة، فقال: «أَعتقيها فإنها من ولد إسماعيل» متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٩٨٨ - * عن سعد، عن النبيِّ ﷺ قال: «من يرد هوانَ قريش أهانه الله» رواه الترمذي[٥٩٨٨].

مح: «موالي» أي هم ناصروه والمختصون به، وهو أيضًا وليهم وناصرهم والمتكفل بهم وبمصالحهم.

الحديث الثامن عن أبي بكرة رضي الله عنه:

قوله: «والحليفين» إنما يقال لهم: «الحليفان» لأنهم تحالفوا على التناصر«مح» وتفضيل هذه القبائل لسبقهم إلى الإسلام وحسن آثارهم فيه.

الحديث التاسع عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «ثلاث» صفة موصوف محذوف، وكذا «سمعت».

و«يقول فيهم» جملة حالية، أي خصال ثلاث سمعتها في حالة كونه ﷺ قائلا إياها في حقهم.

وقوله: «سمعته» بيان أو بدل لقوله: سمعت من رسول الله ﷺ.

والخصال الثلاث:

أحدها قوله: «هم أشد أمتي على الدجال».

وثانيها: «هذه صدقات قومنا» شرفهم بإضافتهم إلى نفسه ﷺ.

وثالثها: «اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل» فإنه دل على فضيلتهم لكونهم من بني إسماعيل، والولد بضم الواو وسكون اللام جمع ولد.

[٥٩٨٨] انظر صحيح الترمذي رقم ٣٠٦٥

٥٩٨٩ - * وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ أذَقتَ أوَّل قريش نكالا، فأذِق آخرهم نوالا» رواه الترمذي[٥٩٨٩].

٥٩٩٠ - * وعن أبي عامر الأشعريّ، قال: قال رسولَ الله ﷺ: «نعم الحيُّ الأسْد والأشعرونَ لايفرونَ في القتال، ولا يغُلون، هم مني وأنا منهم» رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب[٥٩٩٠].

٥٩٩١ - * وعن أنس: قال قال رسول الله ﷺ: «الأزد أزدُ اللهِ في الأرض، يريد الناس أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفَعهم، وليأتين على النَّاسِ زمانٌ يقول الرجل: ياليت أبي كان أزديًّا، وياليت أمي كانت أزدية» رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب[٥٩٩١].

الفصل الثاني

الحديث الأول والثاني عن ابن عباس رضي الله عنهما:

قوله: «أول قريش نكالا» يوم بدر والأحزاب، والنكال: العبرة، وقيل: العقوبة، ويؤيده حديث عياض المجاشعي: «إن الله أمرني أن أحرق قريشًا، فقلت: رب إذن يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة. . .» الحديث.

الحديث الثالث عن أبي عامر الأشعري رضي الله عنه:

قوله: «الأسد» تو: هو بسكون السين وهم حي من اليمن، ويقال: هم الأزد، وهو بالسين أفصح، وهما أزدان: أزد شنوءة وأزد عمان.

قوله: «الأشعرون» بسقوط الياء في جامع الترمذي وجامع الأصول، وبإثباتها في المصابيح.

قال الجوهري: تقول العرب: جاءتك الأشعرون، بحذف الياء.

الحديث الرابع عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «الأزد أزد الله في الأرض» قض: يريد الأزد أزد شنوءة وهم حي من اليمن أولاد أزد ابن الغوث بن بنت مالك بن كهلان بن سبأ، وإضافتهم إلى الله تعالى من حيث إنهم حزبه وأهل نصرة رسول الله ﷺ.

أقول: قوله: «أزد الله» يحتمل وجوهًا:

[٥٩٨٩] انظر صحيح الترمذي ح رقم ٣٠٦٧

[٥٩٩٠] انظر ضعيف الجامع رقم ٥٩٧٥

[٥٩٩١] انظر ضعيف الجامع رقم ٢٢٧٥

٥٩٩٢ - * وعن عمران بن حصين، قال: مات النبي ﷺ وهو يكره ثلاثة أحياء: ثقيف، وبني حنيفة، وبني أمية. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب[٥٩٩٢].

٥٩٩٣ - * وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «في ثقيف كذَّابٌ ومُبيرٌ». قال عبدالله بن عَصمة يقال: الكذاب هو المختار بن أبي عُبيد، والمبير هو الحجَّاج ابن يوسف وقال هشام بن حسان: أحصَوا ما قَتَل الحجَّاجُ صَبرًا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفًا. رواه الترمذي[٥٩٩٣].

٥٩٩٤ - * وروى مسلم في «الصحيح» حين قتَل الحجَّاج عبدالله بن الزبير قالت أسماءُ: إنَّ رسول الله ﷺ حدثنا «أنَّ في ثقيف كذابًا ومبيرًا» فأما الكذاب فرأيناه، وأمَّا المبير فلا إخالك إلا إِياه.وسيجيء تمام الحديث في الفصل الثالث.

٥٩٩٥ - * وعن جابر، قال: قالوا: يارسول الله! أحرقتنا نبالُ ثقيف، فادعُ اللهَ عليهم. قال: «اللهمَّ اهدِثقيفًا» رواه الترمذي[٥٩٩٥].

أحدها: اشتهارهم بهذا الاسم بأنهم ثابتون في الحرب لايفرون ـ على ما مر في الحديث السابق، وعليه كلام القاضي.

وثانيها: أن تكون الإضافة للاختصاص والتشريف كبيت الله وناقة الله، على ما يدل عليه قوله: «يريد الناس أن يضعوهم».

وثالثها: أن يراد بها الشجاعة، والكلام على التشبيه، أي: الأزد أسد الله، فجاء به إما مشاكلة، أو قلب السين زايًا.

الحديث الخامس عن ابن عمر رضي الله عنهما:

قوله: «كذاب ومبير» قض: أشار بالكذاب إلى «المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي» قام بعد وقعة الحسين ودعا الناس إلى طلب ثاره وكان غرضه من ذلك أن يصرف إلى نفسه وجوه الناس ويتوصل به إلى تحصيل الإمارة، وكان طالبًا للدنيا مدلسًا في تحصيلها، وإياه عنت أسماء بقولها: «فأما الكذاب فرأيناه» وبالمبير إلى «الحجاج» وهو من البوار بمعنى الهلاك.

قوله: «أحصوا ما قتل الحجاج صبرًا» أصل الصبر الحبس، وقالوا: قتل فلان صبرًا أي قتل وهو مأسور ولم يقتل في معركة ولاخلسة.

[٥٩٩٢] قال الشيخ: وعلته عنعنة الحسن البصري، فقد كان مدلسًا على جلالة قدره.

[٥٩٩٣] انظر صحيح الترمذي رقم ٣٠٩٠

[٥٩٩٥] انظر الدلائل ٥/٣٥٩ قال الشيخ:وهو على شرط مسلم، لكنه من رواية أبي الزبير معنعنًا، وهو مدلس.

٥٩٩٦ - * وعن عبدالرزاق، عن أبيه، عن ميناء، عن أبي هريرة، قال: كنَّا عند النبي ﷺ، فجاءه رجل أحسبه من قيس فقال: يارسول الله! العن حميراً. فأعرض عنه، ثمَّ جاءه من الشق الآخر، فأعرض عنه، ثم جاءه من الشق الآخر، فأعرض عنه، فقال النبي ﷺ: «رحم الله حميراً، أفواهُهم سلام، وأيديهم طعامٌ، وهم أهل أمنٍ وإيمان» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث عبدالرزاق، ويُروى عن ميناء هذا أحاديثُ منا كير[٥٩٩٦].

٥٩٩٧ - * وعنه، قال: قال لي النبي ﷺ: «ممن أنت؟ قلت: من دوس. قال: «ما كنتُ أرى أنَّ في دوسٍ أحداً فيه خير» رواه الترمذي[٥٩٩٧].

٥٩٩٨ - * وعن سلمان، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لا تبغضني فتفارقَ دينك» قلت: يارسول الله! كيف أبغُضك وبك هدانا الله؟ قال: «تبغض العربَ فتبغضني» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسنٌ غريب [٥٩٩٨].

٥٩٩٩ - * وعن عثمان بن عفَّان، قال: قال رسول الله ﷺ: «من غَشَّ العربَ لم يدخل في شفاعتي، ولم تَنَلهُ مَوَدتي» رواه الترمذي وقال: هذا حديثٌ غريبٌ لانعرفه إلا من حديث حصين بن عمر، وليس هو عند أهل الحديث بذاك القوي[٥٩٩٩].

الحديث السادس والسابع عن عبدالرزاق:

قوله: «أفواهم سلام» أي يفشون السلام، فجعل أفواهم نفس السلام مبالغة، وعلى هذا قوله: «وأيديهم طعام» أي يطعمون الطعام.

الحديث الثامن إلى آخره عن سلمان رضي الله عنه:

قوله: «تبغض العرب» العرب ما يقابل العجم.

نه: العرب اسم لهذا الجيل المعروف من الناس، ولا واحد له من لفظه، وسواء أقام بالبادية أو المدن، والنسب إليها أعرابي وعربي.

[٥٩٩٦] انظر ضعيف الجامع ح رقم ٣١٠٩.

[٥٩٩٧] انظر صحيح الترمذي ح رقم ٣٠١٤.

[٥٩٩٨] قال الشيخ: وسنده ضعيف.

[٥٩٩٩] موضوع، انظر ضعيف الجامع رقم ٥٧٢٧

٦٠٠٠ - * وعن أم الحرير، مولاة طلحة بن مالك، قالت: سمعتُ مولاي يقول: قال رسول الله ﷺ: «من اقترابِ الساعة هلاكُ العرَب» رواه الترمذي. [٦٠٠٠]

٦٠٠١ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المُلك في قريش، والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة، والأمانة في الأزد» يعني اليمن. وفي رواية موقوفًا. رواه الترمذي وقال: هذا أصح[٦٠٠١].

الفصل الثالث

٦٠٠٢ - * عن عبدالله بن مطيع، عن أبيه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول يوم فتح مكة: «لا يُقْتل قرشي صبراً بعد هذا اليوم، إلى يوم القيامة» رواه مسلم.

٦٠٠٣ - * وعن أبي نوفل، معاوية بن مسلم، قال: رأيت عبدالله بن الزبير على عقبة المدينة، قال: فجعلت قريشٌ تمرّ عليه والناس، حتى مَر عليه عبدُالله بنُ عمر،

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عبدالله بن مطيع:

قوله: «لا يقتل قرشي صبرًا» قال الحميدي: وقد تأول بعضهم هذا الحديث فقال: معناه لا يقتل قرشي بعد هذا اليوم صبرا إلى يوم القيامة وهو مرتد عن الإسلام ثابت على الكفر، إذ قد وجد من قريش من قتل صبرًا فيما سبق ومضى من الزمان بعد النبي ﷺ ولم يوجد منهم من قتل صبرًا وهو ثابت على الكفر.

أقول: ويجوز أن يكون النفي بمعنى النهي وهو أبلغ من صريح النفي كما أن رحمك الله ويرحمك الله أبلغ من: ليرحمك الله، ونحوه قوله تعالى ﴿الزاني لاينكح إلا زانية﴾[1] في وجه، وهذا الوجه أقرب إلى مدح قريش وتعظيمهم، ويبقى الكلام على إطلاقه.

الحديث الثاني إلى آخره عن أبي نوفل:

قوله: «على عقبة المدينة» يريد على عقبة في مكة واقعة على طريق المدينة وكان عبدالله بن الزبير مصلوبًا.

[٦٠٠٠] قال الشيخ: وضعفه بقوله:(حديث غريب)، وهو كما قال.

[٦٠٠١] صحيح الجامع ح (٦٧٢٩).

(١) النور: ٣

فوقف عليه، فقال: السَّلام عليك أبا خبيب! السَّلام عليك أبا خبيب! السَّلام عليك أبا خبيب! أما والله لَقَد كنتُ أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا، أما والله إن كنتَ ماعلمتُ صوَّامًا قوَّامًا وَصولا للسرحم، أما والله لأمَّةٌ أنت شرها لأمةُ سوءٍ ـ وفي رواية لأمَّةُ خيرٍ ـ ثم نَفَذَ عبدالله ابنُ عمر، فبلغ الحجَّاجَ موقفُ عبدالله وقولهُ، فأرسل إليه، فأنزلَ عن جذْعِه، فألقي في قبور اليهود، ثم أرسل إلى أمّه أسماء بنتِ أبي بكرٍ، فأبت أن تأتيه، فأعادَ عليها الرسول لَتأتيني أولأبعثنَّ إليك من يَسحبُك بقرونك قال: فأبَت وقالت: والله لا آتيك حتى تبعث إليَّ من يسحبُني بقروني. قال: فقال: أروني سِبتي، فأخذ نعليه، ثم انطلق يَتَوَذَّفُ حتى دخل عليها، فقال: كيف رأيتني صنعتُ بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسدَ عليك آخرَتك، بلغني أنك تقول له: يا بنَ ذاتِ النطاقين!

وقوله: «أنهاك عن هذا» المشار إليه بهذا إلى صلبه، يعني كنت أنهاك عما يؤدي إلى ما أراك فيه فعلى هذا هو من وادي قوله تعالى: ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾(١).

وقوله: «إن كنت» هي المخففة من الثقيلة، وضمير الشأن محذوف وما زائدة.

وقوله: «وصولا للرحم» بفتح الواو، مح: قال القاضي عياض: هذا أصح من قول بعض الإخباريين ووصفه بالإمساك، وقد عده صاحب كتاب الأجواد فيهم، وهو المعروف من أحواله.

قوله: «لأمة أنت شرها لأمة خير» هكذا هو مروي عن مشايخنا، وكذا نقله القاضي عياض عن جمهور رواة صحيح مسلم ونقله القاضي عن رواية السمرقندي: «لأمة سوء» قال: وهو خطأ وتصحيف.

«ثم نفذ» أي مضى وذهب.

وقوله: «من يسحبك بقرونك» أي: يجرك بضفائر شعرك.

و«سبتي» بكسر السين المهملة وإسكان الباء الموحدة وتشديد الياء المثناة من تحت هي النعل التي لاشعر عليها.

و«يتوذف» بالواو والذال المعجمة، قال: أبوعبيد: معناه يسرع، وقيل: يتبختر.

قوله: «ذات النطاقين» النطاق: ما تشد به المرأة وسطها عند الأشغال لترفع به ثوبها، وسميت بذلك لأنها قطعت نطاقها نصفين عند مهاجرة رسول الله ﷺ وشدت بأحدهما قربته وبالآخر سفرته، فسماها رسول الله ﷺ يومئذ «ذات النطاقين».

---

(١) النساء: ١٠

أنا واللهِ ذاتُ النطاقين، أمَّا أحدُهما فكنتُ أرفع به طعامَ رسولِ الله ﷺ وطعام أبي بكر من الدَّواب، وأمَّا الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، أما إن رسول الله ﷺ حدثنا «إن في ثقيفٍ كذَّابًا ومُبيرًا»، فأمَّا الكذّاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه. قال: فَقامَ عنها فلم يُراجعها. رواه مسلم.

٦٠٠٤ - * وعن نافع، أن ابنَ عمر أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير، فقالا: إن الناسَ صنعوا ماترى، وأنت ابن عمر، وصاحبُ رسول الله ﷺ فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أنَّ اللهَ حرَّمَ عَليَّ دَمَ أخي المسلم. قالا: ألم يَقُل اللهُ تعالى ﴿**وقاتلوهم**

وقيل: شدت بأحدهما سفرته وبالآخر وسطها للشغل، وكان الحجاج من خبثه حمل قوله ﷺ في حقها: «ذات النطاقين» على الذم وأنها خادمة خراجة ولاجة تشد نطاقها للخدمة، والعرب تمدح بترك الانتطاق، قال امرؤ القيس(١):

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها   نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

كأنها سلمت أنها «ذات النطاقين» ولكن نطاق ليس هذا شأنه، وإليه الإشارة بقولها: «أنا والله ذات النطاقين، أما أحدهما... إلخ» ونظيره قوله تعالى: ﴿**ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين**﴾(٢) كأنه قيل: نعم هو أذن كما قلتم، إلا أنه أذن خير لا أذن سوء فسلم لهم قولهم فيه، إلا أنه فسر بما هو مدح له وإن كانوا قصدوا به المذمة.

قوله: «فلا إخالك إلا إياه» الظاهر أن يقال: لا إخاله إلا إياك، فقدم ثاني مفعوليه اهتمامًا وأن المحكوم عليه بهذا الحكم هو، لا أن المبير من هو، فهوينظر إلى قوله تعالى: ﴿**وجعلوا لله شركاء الجن**﴾(٣) قدم شركاء وهو المفعول الثاني على الأول وهو الجن، وقدم أيضًا لله عليهما اهتمامًا ومزيدًا للإنكار ـ كما مر فيه البيان في شرح التبيان ـ.

مح: في سلام ابن عمر رضى الله عنهما عليه وهو مصلوب استحباب السلام على الميت وتكريره.

وفيه الثناء على الموتى بجميل صفاتهم المعروفة.

---

(١) هو من قصيدته التي مطلعها: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل.. (ديوان امرىء القيس: ص١٧، بتحقيق أبوالفضل إبراهيم).

(٢) التوبة: ٦١.

(٣) الأنعام: ١٠٠ .

حتي لا تكونَ فتنة﴾(*) فقال ابن عمر: قد قاتلنا حتَّى لم تكن فتنةٌ وكانَ الدينُ لله، وأنتم تريدونَ أن تقاتلوا حتى تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدينُ لغيرِ الله. رواه البخاري.

٦٠٠٥ - * وعن أبي هريرة، قال: جاء الطفيل بن عَمرٍو الدَوسِي إلى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ دَوسًا قد هلكت، عصَت وأبت، فادعُ الله عليهم، فظنَّ الناسُ أنَّه يدعو عليهم، فقال: «اللهمَّ اهد دَوسًا وأتِ بهم» متفق عليه.

٦٠٠٦- * وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبُّوا العَربَ لثلاث: لأني عربيٌّ، والقرآنُ عربيٌّ، وكلامُ أهل الجنَّة عربيٌّ» رواه البيهقي في «شعب الإيمان»[٦٠٠٦].

(٢) باب مناقب الصحابة [رضي الله عنهم أجمعين]

وفيه منقبة عظيمة لابن عمر رضى الله عنهما لقوله الحق في الملأ وعدم اكتراثة بالحجاج، لأنه يعلم أن مقامه وثناءه عليه يبلغه، فلم يمنعه ذلك أن يقول الحق ويشهد لابن الزبير بما يعلمه فيه من الخير، وبطلان ما أشاع عنه الحجاج من قوله: عدو الله، وظالم، ونحوه. فأراد ابن عمر رضي الله عنهما براءة ابن الزبير من الذي نسب إليه الحجاج، وإعلام الناس بمحاسنه.

ومذهبنا أن ابن الزبير كان مظلومًا. والله أعلم بالصواب

باب مناقب الصحابة رضي الله عنهم

الصحابي المعروف عند أهل الحديث وبعض أهل الأصول: كل من رأى رسول الله ﷺ، وهو مسلم ويعرف كونه صحابيًا بالتواتر كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أوبالاستفاضة أو بقول صحابي غيره إنه صحابي، أو بقوله عن نفسه إنه صحابي، إذا كان عدلا والصحابة كلهم عدول مطلقًا لظواهر الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به.

«مح»: قال أبو منصور البغدادى: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور، ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر، ثم أحد، ثم بيعة الرضوان، ومن له مزية من أهل العقبتين من الأنصار، وكذلك السابقون الأولون وهم: من صلى إلى القبلتين، وقيل: أهل بيعة الرضوان، وكذلك اختلفوا في عائشة وخديجة أيتهما أفضل؟ وفي عائشة وفاطمة.

وأما معاوية فهو من العدول الفضلاء ومن الصحابة الخيار، والحروب التي جرت بينهم كانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها، وكلهم متأولون في حروبها، ولم يخرج أحد منهم من العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا فى مسائل كما اختلف المجتهدون بعدهم فى مسائل، ولا يلزم من ذلك نقص* أحد منهم.

[٦٠٠٦] البيهقى شعب الإيمان (٢/ ١٥٩) والحديث موضوع، انظر السلسلة الضعيفةح(١٦١).

(*) فى(ط) «بغض» وما أثبتناه من (ك).

الفصل الأول

٦٠٠٧ - * عن أبى سعيد الخدرى، قال: قال النبيُّ ﷺ: «لاتَسُبوا أصحابى، فلو أنَّ أحدكم أنْفق مثل أحُدٍ ذهبًا ما بَلَغ مدَّ أحدهم ولانصيفه» متفق عليه.

٦٠٠٨ - * وعن أبى بردة، عن أبيه ، قال: رفع- يعنى النبيَّ ﷺ - رأسَه إلى السَّماء، وكان كثيرًا مما يرفعُ رأسَه إلى السماء . فقال: «النجوم أمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبتِ النجومُ أتى السماءَ ما توعد؛ وأنا أمَنَةٌ لأَصحابى، فإذا ذهبتُ أنا أتى أصحابى ما يوعدون، وأصحابى أمنَةٌ لأمتى، فإذا ذَهبَ أصحابى أتى أمتى مايُوعَدُونَ» رواه مسلم.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي سعيد رضي الله عنه:

قوله: «لاتسبوا» مح: اعلم أن سب الصحابى حرام وهو من أكبر الفواحش، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر، وقال بعض المالكية: يقتل، وقال القاضي عياض: سب أحدهم من الكبائر.

قوله: «ولا نصيفه» قض: النصيف النصف، أي نصف مد، وقيل هو : مكيال دون المد، والمعنى أنه لاينال أحدكم بإنفاق مثل أحد ذهبًا من الفضيلة والأجر ما ينال أحدهم بإنفاق مد طعام أو نصفه لما يقارنه من مزيد الإخلاص وصدق النية وكمال النفس.

أقول: ويمكن أن يقال: إن فضيلتهم بحسب فضيلة إنفاقهم وعظم موقعه، كما قال الله تعالى﴿ **لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا**﴾ (١)، من قبل الفتح أي قبل فتح مكة، يعني قبل عز الإسلام وقوة أهله ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وقلة الحاجة إلى القتال والنفقة فيه، هذا في الإنفاق فكيف بمجاهدتهم وبذل أرواحهم ومهجهم وفراغهم بين يدي رسول الله ﷺ وغير ذلك.

الحديث الثاني عن أبي بردة رضي الله عنه:

قوله : «مما يرفع» بيان لكثير، أو هو خبر كان، أي كثيرًا رفع رأسه، وما مصدرية ويجوز أن تكون زائدة.

قوله: «أمنة للسماء» يقال: أمنته وأمنته غيري وهو في أمن منه، وفلان أمنة وأمنة بسكون الميم كأنها المرة من الأمن. ويجوز أن يكون جمع آمن كبارّ وبررة.

---

(١) الحديد: ١٠.

٦٠٠٩ - * وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يأتي على الناسِ زمانٌ فيغزو فئامٌ من الناس، فيقولون: هل فيكم من صاحبَ رسول الله ﷺ. فيقولون: نعم فيفتح لهم، ثم يأتي على النَّاس زمانٌ، فيغزو فئامٌ من النَّاسِ، فيُقال: هل فيكم من صاحبَ أصحاب رسولِ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتَح لهم، ثم يأتي على الناس زمانٌ فيغزو فئام من الناس، فيُقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحابَ رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتَحُ لهم» متفق عليه.

وفي رواية لمسلم قال: «يأتي على النَّاس زمانٌ يُبعث منهم البعث فيقولون: انظروا هل تجدون فيكم أحدًا من أصحاب رسولِ الله ﷺ؟ فيوجد الرجل، فيفتح

وأمنة إذا نسب إلى رسول الله ﷺ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون مصدرًا مبالغة من قولهم: رجل عدل.

أو: جمعًا فيكون من باب قوله تعالى: ﴿شهابًا رصدًا﴾(١) أي راصدين، وقوله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتًا﴾ (٢).

فجعل النبي ﷺ أمنًا لأصحابه بمنزلة الجماعة.

«نه»أراد بوعد السماء انشقاقها وذهابها يوم القيامة، وذهاب النجوم تكويرها وانكدارها وانعدامها.

وأراد بوعد أصحابه ماوقع بينهم من الفتن.

وكذلك أراد بوعد الأمة.

والإشارة في الجملة إلى مجيء الشر عند ذهاب أهل الخير، فإنه لما كان بين أظهرهم كان يبين لهم ما يختلفون فيه، فلما توفي جالت الآراء واختلفت الأهواء وكان الصحابة يسندون الأمر إلى رسول الله ﷺ في قول أو فعل أو دلالة حال، فلما فقد قلت الأنوار، وقويت الظلم، وكذلك حال السماء عند ذهاب النجوم، والأمنة في هذا الحديث جمع أمين وهو الحافظ.

الحديث الثالث عن أبي سعيد رضي الله عنه:

قوله: «فئام من الناس» مح: هو بفاء مكسورة ثم همزة، أي جماعة، وحكى القاضي عياض بالياء مخففة بلا همز، ولغة أخرى بفتح الفاء عن الخليل، والمشهور الأول.

---

(١) الجن: ٩.

(٢) النحل: ١٢٠.

لهم [به]، ثم يبعث الثانى فيقولون: هل فيهم من رأى أصحاب رسول الله ﷺ فيفتح لهم[به] ثم يبعث البعث الثالث فيقال: انظروا، هل ترون فيهم من رأى من رأى أصحاب النبى ﷺ؟ ثمَ يكونُ البعثُ الرابع فيقال: انظروا هل ترون فيهم أحدًا رأى من رأى أحدًا رأى أصحاب النبى ﷺ؟ فيوجد الرجل، فيفتح لهم [به]».

٦٠١٠ - * وعن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتى قرنى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم إن بعدَهم قومًا يشهدون ولايُستشهدون، ويخونون ولايؤتمنون، وينذرون ولايفون ويظهر فيهم السمَنُ» وفى رواية: «ويحلفون ولا يُستحلفون». متفق عليه.

وفيه معجزات لرسول الله ﷺ وفضل لأصحابه والتابعين وتابعيهم.

والبعث هنا الجيش.

الحديث الرابع عن عمران رضي الله عنه:

قوله: «قرني ثم الذين يلونهم» نه: يعني الصحابة ثم التابعين، والقرن أهل كل زمان وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان، مأخوذ من الاقتران، فكأنه المقدار الذي يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم.

وقيل: القرن أربعون سنة. وقيل: ثمانون، وقيل : مائة، وقيل: هو مطلق من الزمان، وهو مصدر قرن يقرن - انتهى كلامه-.

و «ثم» فيه بمنزلة الفاء في قوله: الأفضل فالأفضل ، على أنه بيان لتراخي الرتبة في النزول، والخير الأول أطلق على ما اقتضاه معنى التفضيل من الاشتراك حتى انتهى إلى حد يرتفع فيه الاشتراك فيختص بالموصوف فلا يدخل ما بعده من قوله: « ثم إن بعدهم قوما يشهدون. . . » الحديث فهو كما في قوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرًا﴾[1]. وقولك: الصيف أحر من الشتاء.

قوله: «ويظهر فيهم السمن» نه: في الحديث: «يكون في آخر الزمان قوم يتسمنون» أي يتكبرون بما ليس فيهم، ويدعون ما ليس لهم من الشرف.

وقيل: أراد جمعهم الأموال.

وقيل: يحبون التوسع في المآكل والمشرب وهي أسباب السمن.

تو: كنى به عن الغفلة وقلة الاهتمام بأمر الدين، فإن الغالب على ذوي السمانة أن لايهتموا بارتياض النفوس، بل معظم همهم تناول الحظوظ، والتفرغ للدعة والنوم.

---

(١) الفرقان: ٢٤.

٦٠١١ - * وفى رواية لمسلم عن أبى هريرة «ثم يخلُف قومٌ يحبون السَّمانة»

الفصل الثانى

٦٠١٢ - * عن عمر [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «أكرموا أصحابى، فإنهم خياركم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يظهرُ الكذبُ حتى إن الرجل ليحلف ولايستحلف، ويشهد ولايُستشهد، ألا منْ سرَّهُ بحبوحةُ الجنة فليلزم الجماعة، فإنَّ الشيطانَ مع الفذ وهو من الاثنين أبعد، ولايخلُونَّ رجُلٌ بامرأةٍ فإنَّ الشيطان ثالثهم، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن» رواه.[٦٠١٢]

٦٠١٣ - * وعن جابر، عن النبى ﷺ، قال: «لاتمس النَّار مسلمًا رآنى أو رأى من رآنى» رواه الترمذى [٦٠١٣].

مح: قالوا: والمذموم من السمن ما يستكسبه، وأما ماهو خلقة فلا يدخل في هذا.

قوله: «يشهدون ولايستشهدون» مح: هذا مخالف في الظاهر لحديث: «خير الشهود من يأتي بالشهادة قبل أن يسأل »؟ قالوا: والجمع بينهما أن الذم في ذلك لمن بادر بالشهادة في حق من هو عالم بها قبل أن يسألها له صاحبها، وأما المدح فهو لمن كانت عنده شهادة لأحد لايعلم بها فيخبره بها ليستشهده عند القاضي، ويلحق به من كانت عنده شهادة في حد ورأى المصلحة في الكشف، هذا ما عليه الجمهور.

ومعنى الجمع في قوله: «يخونون ولايؤتمنون» أنهم يخونون خيانة ظاهرة بحيث لايبقى معها ثقة، بخلاف من خان حقيراً مرة واحدة فإنه لايخرج به عن أن يكون مؤتمنا في بعض المواطن.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن عمر رضي الله عنه:

قوله: «بحبوحة الجنة» نه: بحبوحة الدار وسطها، يقال: بحبح إذا تمكن وتوسط المنزل والمقام.

قوله: «فليلزم الجماعة» المراد بالجماعة السواد الأعظم وما عليه الجمهور من الصحابة والتابعين والسلف الصالح، فيدخل فيه حبهم وإكرامهم دخـولا أوليًّا.

قوله: «وهو من الاثنين أبعد» أفعل هنا لمجرد الزيادة، ولو كان مع الثلاثة لكان بمعنى التفضيل إذ البعد مشترك بين الثلاثة والاثنين وليس بمشترك بين الاثنين والفذ على مالايخفى.

[٦٠١٢] قال الشيخ: بياض فى الأصول كلها، وقال القارى: (والحق به: النسائى، وإسناده صحيح، ورجاله رجال الصحيح، إلا إبراهيم بن الحسن الخثعمى فإنه لم يخرج له الشيخان، وهو ثقة ثبت، ذكره الجزرى، فالحديث بكماله إما صحيح أو حسن) أ.هـ «مرقاة» قلت: هو صحيح لاشك فيه، فقد رواه أحمد أيضًا (رقم ١١٤، ١٧٧)، والحاكم فى «الإيمان» من طرق صحيحة.

[٦٠١٣] انظر ضعيف الجامع برقم ٦٢٩١.

٦٠١٤- * وعن عبدالله بن مُغَفَّل، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهَ الله فى أصحابى، الله الله فى أصحابى، لاتتَّخذوهم غرضًا من بعدى، فمن أحبَّهم فبحبى أحبَّهم، ومن أبغَضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانى فقد آذى الله، ومن آذى الله فيُوشِكُ أن يأخذه». رواه الترمذى وقال: هذا حديث غريب[٦٠١٤].

٦٠١٥ - * وعن أنس، قال : قال رسول الله ﷺ: «مثلُ أصحابى فى أُمَّتى كالملح فى الطعام، لايصلح الطعام إلا بالملح» قال الحسن: فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح؟ رواه فى «شرح السنة»[٦٠١٥].

٦٠١٦ - * وعن عبدالله بن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «مامن أحدٍ من أصحابي يموتُ بأرضٍ إلا بُعِث قائدًا ونورًا لهم يوم القيامة» رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب [٦٠١٦].

وذكر حديث ابن مسعود «لايبلغني أحد» في باب «حفظ اللسان».

الفصل الثالث

٦٠١٧ - * عن ابن عمر، قال : قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الذين يسبُّون

الحديث الثاني إلى آخره: عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه:

قوله: «الله الله في أصحابي»أى اتقوا الله ثم اتقوا الله في حق أصحابي، لاتنقصوا من حقهم ولاتسبوهم.

أو التقدير: أذكركم الله وأنشدكم في حق أصحابي وتعظيمهم وتوقيرهم، كما يقول الأب المشفق: الله الله في حق أولادي.

وقوله: «فبحبي أحبهم» أي بسبب حبه إياي أحبهم، أي إنما أحبهم لأنه يحبني، وإنما أبغضهم لأنه يبغضني والعياذ بالله تعالى، فحق لذلك قول من قال: إن من قد سبهم فقد استوجب القتل في الدنيا على ما سبق فى مذهب بعض المالكية.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن ابن عمر رضي الله عنهما:

[٦٠١٤] انظر ضعيف الجامع برقم ١٢٥٩.

[٦٠١٥] انظر ضعيف الجامع برقم ٥٢٣٨ ، و الضعيفة ١٧٦٢.

[٦٠١٦] انظر ضعيف الجامع ٥١٤٠ ، والضعيفة ٤٤٦٨.

أصحابي فقولوا: لعنةُ الله على شرِّكم» رواه الترمذي[٦٠١٧].

٦٠١٨ ـ * وعن عمر بن الخطاب: قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «سألت ربي عن اختلاف أصحابي من بعدي، فأوحى إليَّ: يا محمَّد! إنَّ أصحابك عندي بمنزلةِ النجوم في السَّماءِ، بعضُها أقوى من بعض، ولكلٍ نورٌ، فمن أخذَ بشيءٍ مماهم عليه من اختلافهم فهو عندي على هُدىً» قال: وقال رسول الله ﷺ: «أصحابي كالنجوم، فبأيِّهم اقتديتم اهتديتم». رواه رزين [٦٠١٨].

(٣) باب مناقب أبي بكر [رضي الله عنه]

الفصل الأول

٦٠١٩ ـ * عن أبي سعيد الخدري، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ من أَمَنِّ الناس عليَّ

قوله: «لعنة الله على شركم» هو من الكلام المنصف الذي كل من سمعه من موال أو مناف، قال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك، ومنه بيت حسان في حق من هجا رسول الله ﷺ.

أتهجوه ولست له بكفء ... فشركما لخيركما الفداء

والتعريض والتورية أوصل بالمجادل إلى الغرض وأهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وقلة شوكته بالهوينا.

الحديث الثاني عن عمر رضي الله عنه:

قوله: «عن اختلاف أصحابي» أي في فروع الشرائع لا في أصولها، لقوله بعد ذلك: «فمن أخذ بشيء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى».

و«من» في قوله: «مما هم» بيان شيء. ومن في «من اختلافهم» بيان.

وفيه أن اختلاف الأئمة رحمة للأمة، والله أعلم.

باب مناقب أبي بكر الصديق رضي الله عنه

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

قوله: «إن من أمن الناس عليَّ في صحبته وماله أبو بكر» كذا هو في صحيح مسلم، وفي البخاري: «أبا بكر» بالنصب وهو الظاهر، لأنه اسم «إن» والرفع مشكل.

[٦٠١٧] انظر ضعيف الجامع برقم ٦١٢ وقال: ضعيف جداً.

[٦٠١٨] قال الشيخ: حديث باطل وإسناده واه جداً كما بينته في «الأحاديث الضعيفة» رقم (٦٠). ا.هـ.

في صحبته وماله أبو بكر - وعند البخاري: أبا بكر - ولو كنتُ متخذًا خليلا لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن أُخوة الإسلام ومودَّتِه، لا تُبقَيَنَّ في المسجدِ خوخَةٌ إلا خوخَةُ أبي

مظ: وفيه أوجه:

الأول: أن تكون «من» زائدة على مذهب الأخفش.

وقيل: «إن» هاهنا بمعنى نعم كما في جواب قوله: لعن الله ناقة حملتني إليك، قال: إن وصاحبها. فقوله: «أبو بكر» مبتدأ، و«من أمنِّ الناس» خبره.

وقيل: اسم «إن» ضمير الشأن.

تو: يريد أن من أبذلهم وأسمحهم مَنْ منَّ عليه منّا لامَن مَنَّ عليه مِنَّة، إذ ليس لأحد أن يمتن على رسول الله ﷺ، ثم إنه ورد مورد الأحماد، وإذا حمل على معنى الامتنان عاد ذمًا على صاحبه لأن المنَّة تهدم الصنيعة.

و«الخوخة» كوة في الجدار تؤدي الضوء.

وقال الليث: ناس من أهل اللسان يسمون هذا الباب الذي يسميه العرب، المحترف «خوخة»، فعلى هذا الخوخة ممر بين بيتين أو دارين ينصب عليه باب.

وكان هذا القول منه ﷺ في مرضه الذي توفي فيه في آخر خطبة خطبها، ولا خفاء بأن ذلك تعريض بأن أبا بكر هو المستخلف بعده.

وهذه الكلمة إن أريد بها الحقيقة فذلك لأن أصحاب المنازل اللاصقة بالمسجد قد جعلوا من بيوتهم مخترقًا يمرون فيه إلى المسجد، أو كوة ينظرون منها إليه، فأمر بسد جملتها سوى خوخة أبي بكر تكريما له بذلك أولا، ثم تنبيها للناس في ضمن ذلك على أمر الخلافة حيث جعله مستحقًا لذلك دون الناس.

وإن أريد به المجاز فهو كناية عن الخلافة، وسد أبواب المقالة دون التطرق إليه والتطلع عليها، وأرى المجاز فيه أقوى إذ لم يصح عندنا أن أبا بكر كان له منزل بجنب المسجد وإنما كان منزله بالسنح من عوالي المدينة، ثم إنه مهد المعنى المشار إليه وقرره بقوله: «ولو كنت متخذًا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا» ليعلم أنه أحق الناس بالنيابة عنه، وكفانا من الحجة على هذا التأويل تقديمه إياه في الصلاة وإباؤه كل الإباء أن يقف غيره ذلك الموقف والله أعلم.

قوله: «لاتخذت أبا بكر خليلا» قض: الخليل الصاحب الوادّ الذي يفتقر إليه ويعتمد في الأمور عليه، فإن أصل التركيب للحاجة، والمعنى لو كنت متخذًا من الخلق خليلا أرجع إليه في الحاجات وأعتمد عليه في المهمات لاتخذت أبا بكر، ولكن الذي ألجأ إليه وأعتمد عليه في جملة الأمور ومجامع الأحوال هو الله تعالى، وإنما سمي إبراهيم عليه السلام خليلا من الخلة

بكر» وفي رواية: «لو كنت متَّخذًا خليلا غيرَ ربِّي لاتخذتُ أبا بكر خليلا» متفق عليه.

٦٠٢٠ - * وعن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «لو كنت متَّخذًا خليلا لاتخذتُ أبا بكر خليلاً ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذَ الله صاحبكم خليلا» رواه مسلم.

٦٠٢١ - * وعن عائشة، قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: ادعِي لي أبا بكر أباك، وأخاك، حتى أكتب كتابًا؛ فإني أخاف أن يتمنَّى متمنٍ ويقولُ قائل: أنا، ولا؛ [و] يأبى اللهُ والمؤمنون إلا أبا بكر» رواه مسلم وفي «كتاب الحميدي»: «أنا أَولى» بدل: «أنا ولا».

بالفتح التي هي الخصلة فإنه تخلق بخلال حسنة اختصت به، أو من التخلل فإن الحب تخلل شغاف قلبه واستولى عليه، أو من الخلة من حيث إنه ﷺ ما كان يفتقر حال الافتقار إلا إليه، وما كان يتوكل إلا عليه، فيكون فعيلا بمعنى فاعل، وفي الحديث بمعنى مفعول.

وقوله: «ولكن أخوة الإسلام»استدراك عن مضمون الجملة الشرطية، ونحوها: كأن ليس بيني وبينه خلة«ولكن أخوة الإسلام» نفى الخلة المنبئة عن الحاجة وأثبت الإخاء المقتضي للمساواة.

الحديث الثاني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

قوله: «وقد اتخذ الله» فيه مبالغة من وجهين:

أحدهما: أنه أخرج الكلام على التجريد حيث قال: «صاحبكم» ولم يقل: اتخذني.

وثانيهما: «اتخذ صاحبكم» بالنصب عكس ما لمح إليه الحديث السابق من قوله: «غير ربي» فدل الحديثان على حصول المخاللة من الطرفين.

الحديث الثالث عن عائشة رضي الله عنها:

قوله: «أنا ولا» مح: هكذا هو في بعض النسخ المعتمدة، أي يقول: أنا أحق بالخلافة ولا يستحقها غيري.

وفي بعضها: «أنا أولى» أي أنا أحق بالخلافة.

قال القاضي عياض: هذه الرواية أجود.

وأما طلبه لأخيها مع أبي بكر فلأن يكتب الكتاب، وهذا دليل لأهل السنة على أن خلافة

٦٠٢٢ ـ * وعن جبير بن مطعم، قال: أتتِ النبي ﷺ امرأةٌ فكلَّمته في شيءٍ فأمرها أن ترجع إليه قالت: يارسول الله! أرأيت إن جئتُ ولم أجدك؟ كأنها تريدُ الموتَ. قال: «فإن لم تجديني فأتى أبا بكر» متفق عليه.

٦٠٢٣ ـ * وعن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ بعثَه على جيشِ ذاتِ السَّلاسل، قال: فأتيتُه، فقلت: أى الناس أحبُّ إليك؟ قال: «عائشة». قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها». قلت: ثم من؟ قال: «عمر». فعد رجالا، فسكت مخافةَ أن يجعلني فى آخرهم . متفق عليه.

٦٠٢٤ ـ * وعن محمد بن الحنفيَّة، قال، قلت لأبي: أي الناسِ خيرٌ بعدَ النبي ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: عمر. وخشيتُ أن يقولَ: عثمانُ قلت: ثم أنت قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين. رواه البخارى.

٦٠٢٥ ـ * وعن ابن عمر، قال: كنا فى زمن النبي ﷺ لا نعدِلُ بأبي بكرٍ أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نتركُ أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم. رواه البخاري.

أبي بكر ليست بنص من النبي ﷺ صريحًا بل أجمعت الصحابة على عقد الخلافة له وتقديمه لفضله، ولو كان هناك نص عليه أو على غيره لم تقع المنازعة بين الأنصار وغيرهم أولا، ولذكر حافظ النص ما معه ورجعوا إليه أولا، ثم اتفقوا عليه.

وأما ما تدعيه الشيعة من النص على «على» رضي الله عنه والوصية إليه فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين، وأول من كذبهم على رضي الله عنه حين سئل: هل عندكم شيء ليس في القرآن؟ قال: ما عندي إلا ما في هذه الصحيفة. . الحديث. ولو كان عنده نص لذكره.

وأما قوله في الحديث الذي يليه حين قال للمرأة: «فإن لم تجديني فأت أبا بكر» فليس فيه نص على خلافته بل هو إخبار بالغيب الذي أعلمه الله به.

الحديث الرابع والخامس عن عمرو بن العاص رضي الله عنه:

قوله: «على جيش ذات السلاسل» قض: السلاسل رمل ينعقد بعضه ببعض، وسمي الجيش بذلك لأنهم كانوا مبعوثين إلى أرض بها رمل كذلك.

الحديث السادس والسابع عن ابن عمر رضي الله عنهما:

قوله: «لا نفاضل بينهم» «خط»: وجه ذلك أنه أراد به الشيوخ وذوي الأسنان منهم، الذين كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر شاورهم فيه، وكان على رضى الله عنه في زمان رسول الله ﷺ حديث السن، ولم يرد ابن عمر الإزراء بعلى ولا تأخيره عن الفضل بعد عثمان، وفضله مشهور لا ينكره ابن عمر ولا غيره من الصحابة.

وفي رواية لأبي داود، قال: كنَّا نقولُ ورسولُ الله ﷺ حيٌّ: أفضل أمَّةِ النبيِّ ﷺ بعده أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، رضي الله عنهم.[٦٠٢٥]

الفصل الثاني

٦٠٢٦ ـ * عن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ:«ما لأحد عندنا يدٌ إلا وقد كافيناه، ما خلا أبا بكرٍ، فإن له عندنا يدًا يكافيه اللهُ بها يومَ القيامة، وما نفعني مالُ أحدٍ قطُّ ما نفعني مالُ أبي بكرٍ، ولو كنت متخذًا خليلا لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلا ألا وإنَّ صاحبكم خليلُ الله» رواه الترمذي [٦٠٢٦].

٦٠٢٧ ـ * وعن عمر [رضي الله عنه] قال: أبو بكر سيِدنا وخيرُنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ. رواه الترمذي [٦٠٢٧].

٦٠٢٨ ـ * وعن ابن عمر، عن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر:«أنت صاحبي في الغار، وصاحبي على الحوض» رواه الترمذي [٦٠٢٨].

تو: وأيضا قد عرف أن أهل بدر وأهل بيعة الرضوان وأصحاب العقبتين الأولى والثانية يفضلون غيرهم، وكذلك علماء الصحابة وذووا الفهم منهم المتبتلون عن الدنيا.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه» وفسر قوله تعالى: **﴿وسيُجنَّبُها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى﴾**(١) بأن المراد منه أبو بكر رضي الله عنه.

الحديث الثاني والثالث عن ابن عمر رضي الله عنهما:

قوله:«أنت صاحبي في الغار» كما قال الله تعالى: **﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾**(٢) قيل: من أنكر صحبة أبي بكر كفر لأنه أنكر النص الجلي.

[٦٠٢٥] انظر صحيح أبي داود رقم ٣٨٧٠ ، ٣٨٧١.

[٦٠٢٦] انظر صحيح الترمذي رقم ٢٨٩٤.

[٦٠٢٧] سنده جيد انظر صحيح الترمذي رقم ٢٨٩٠.

[٦٠٢٨] انظر ضعيف الجامع برقم ١٤٢١ ، الضعيفة ٢٩٥٦.

(١) الليل: ١٧ :١٨ :١٩. (٢) التوبة: ٤٠.

٦٠٢٩ ـ * وعن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمَّهم غيرهُ» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب [٦٠٢٩].

٦٠٣٠ ـ * وعن عمر، قال: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدقَ، ووافق ذلك عندي مالا، فقلتُ: اليومَ أسبقُ أبا بكر إنْ سبقتُه يومًا. قال: فجئت بنصفِ مالي. فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيتَ لأهلك» فقلت: مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده. فقال: «يا أبا بكر؟ ما أبقيتَ لأهلك؟». فقال: أبقيتُ لهم الله ورسولَه قلت: لا أسبقه إلى شيءٍ أبدًا. رواه الترمذي، وأبو داود [٦٠٣٠].

٦٠٣١ ـ * وعن عائشة، أن أبا بكرٍ دَخَلَ على رسول الله ﷺ فقال: «أنت عتيق الله من النار» فيومئذ سُمي عتيقًا رواه الترمذي [٦٠٣١].

الحديث الرابع عن عائشة رضي الله عنها:

قوله: «أن يؤمهم غيره» مظ: هذا دليل على فضله على جميع الصحابة فإذا ثبت هذا فقد ثبتت خلافته؛ لأن خلافة المفضول مع وجود الفاضل لا تصح.

الحديث الخامس عن عمر رضي الله عنه:

قوله: «ووافق ذلك عندى مالا» أي صادف أمره بالتصدق حصول مال عندي.

قوله: «أبقيت» قول الصديق رضي الله عنه: «أبقيت لهم الله ورسوله» إطنابًا يوافق قول الفاروق رضي الله عنه اختصاراً في قوله: «مثله» في تطابقهما على [مجرى]* البلاغة، ونظيره في الإطناب قول الله تعالى حكاية عن عبدة الأصنام بعد ما سئلوا : ما تعبدون؟: ﴿نعبد أصنامًا فنظل لها عاكفين﴾(1) قالوه ابتهاجًا منهم بعبادة الأصنام وافتخاراً بمواظبتها.

الحديث السادس عن عائشة رضي الله عنها:

قوله: «عتيق الله» غب: العتيق المتقدم في الزمان أو المكان، أو الرقبة، ولذلك قيل للقديم: عتيق، وللكريم: عتيق، ولمن حل عن الرق: عتيق.

[٦٠٢٩] انظر ضعيف الجامع برقم ٦٣٨٦.

[٦٠٣٠] حسن انظر صحيح أبي داود رقم ١٤٧٢ .

[٦٠٣١] وقال : غريب - يعني «ضعيف»: قال الشيخ الألباني فى المشكاة: وهو كما قال.

(1) الشعراء : ٧١.

* فى «ك» «مجرى»، وما أثبتناه هو الأولى

٦٠٣٢ - * وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أولُ من تنشق عنه الأرض، ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم آتي أهلَ البقيع فيُحشرونَ معي، ثم أنتظر أهل مكة حتى أحشر بين الحرمين» رواه الترمذي [٦٠٣٢].

٦٠٣٣ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فأخذ بيدي، فأراني باب الجنة الذي يدخل منه أمتي» فقال أبو بكر: يارسول الله! وَددتُ أني كنتُ معَكَ حتى أنظر إليه. فقال رسول الله ﷺ: «أما إنك يا أبا بكر! أوَّلُ من يدخل الجنَّةَ من أُمتي» رواه أبو داود [٦٠٣٣].

الفصل الثالث

٦٠٣٤ - * عن عمر، ذُكر عنده أبو بكر فبكى وقال: وَددتُ أنَّ عملي كلَّه مثل عمله يومًا واحدًا من أيامه، وليلةً واحدةً من لياليه، أما ليلته فليلةٌ سار مع رسول الله ﷺ إلى الغار فلما انتهيا إليه قال: والله لا تدخلهُ حتى أدخل قبلك، فإن كان فيه شيء أصابني دونك، فدخل فكسحه، ووجد في جانبه ثقبًا، فشقَّ إزاره وسدَّها به،

الحديث السابع عن ابن عمر رضي الله عنهما:

قوله: «فيحشرون معي» المراد بالحشر هنا الجمع، كقوله تعالى: ﴿وأن يحشر الناس ضحي﴾(1) وكذا معنى قوله: «حتى أحشر».

الحديث الثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «أول من يدخل الجنة من أمتي» لما تمنى رضي الله عنه بقوله: «وددت» والتمنى إنما يستعمل فيما لا يستدعى إمكان حصوله، قيل له: «لا تتمنى النظر إلى الباب فإن لك ما هو أعلى منه وأجل، وهو دخولك فيه أوَّل أمَّتي» وحروف التنبيه ينبهك على [الرمزة]* التي لوحنا بها.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عمر رضي الله عنه:

قوله «فكسحه» أى كنسه، الكسح الكنس.

[٦٠٣٢] قال الشيخ: وضعفه بقوله «غريب» وهو كما قال.

[٦٠٣٣] انظر ضعيف الجامع برقم ٦٥، والضعيفة ١٧٤٥.

(1) طه: ٥٩.
* فى «ك»: [الزمرة].

وبقي منها اثنان فألقمهما رجليه. ثمَّ قال لرسول الله ﷺ: ادخُل فدخل رسولُ الله ﷺ، ووضع رأسه فى حجره ونام، فلُدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسولُ الله ﷺ، فسَقَطت دموعُه على وجه رسولِ الله ﷺ فقال: «مالك ياأبابكر؟» قال: لدغت، فداك أبى وأمى، فتفل رسول الله ﷺ فذَهبَ ما يَجدهُ، ثم انتقَض عليه، وكان سببَ موته. وأما يومُه، فلمَّا قُبضَ رسولُ الله ﷺ ارتدَّت العربُ وقالوا: لا نؤدِّي زكاةً. فقال: لو منعوني عِقالا لجاهدتُهم عليه. فقلت:

وقوله: «فألقمهما» أي جعل رجليه كاللقمة لها غاية للحرص على سدها.

«ثم انتقض عليه» أي نكست الجراحة بعد أن اندملت لتفل رسول الله ﷺ، قال في أساس البلاغة ، انتقضت القرحة نكست.

قوله: «في رجله» بدل من أبي بكر، بدل البعض، وجيء بفي بيانًا لشدة تمكن اللدغ فيها، كما في قول الشاعر:

يجرح فى عراقيبها نصلي

قوله: «لو منعوني عقالا» نه: أراد بالعقال الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة، لأن على صاحبها التسليم وإنما يقع القبض بالرباط.

وقيل: أراد ما يساوي عقالا من حقوق الصدقة.

وقيل: إذا أخذ المصدق أعيان الإبل، قيل: أخذ عقالا، وإذا أخذ أثمانها قيل: أخذ نقدًا.

وقيل: أراد بالعقال صدقة العام، يقال: أخذ المصدق عقال هذا العام إذا أخذ منهم صدقته، وبعث فلان على عقال بني فلان إذا بعث على صدقاتهم، واختاره أبو عبيد، وقال: هو أشبه عندي بالمعنى.

وقال الخطابي: إنما يضرب المثل في هذا بالأقل لا بالأكثر، وليس بسائر في كلامهم أن العقال صدقة عام.

وفي أكثر الروايات: «لو منعوني عناقًا» وفي أخرى: «جديًا».

قلت: قد جاء في الحديث ما يدل على القولين، فمن الأول: حديث عمر رضي الله عنه أنه كان يأخذ مع كل فريضة عقالا، فإذا جاءت إلى المدينة باعها ثم تصدق بها. وحديث محمد بن سلمة أنه كان يعمل بالصدقة في عهد رسول الله ﷺ، وكان يأمر الرجل إذا جاء بفريضتين أن يأتي بعقالهما وقرانهما.

ياخليفةَ رسول الله ﷺ! تألَّفِ الناسَ وارفُق بهم فقال لي : أجبَّارٌ في الجاهلية وخَوَّارٌ في الإِسلام؟ إِنَّهُ قد انقطعَ الوحيُ وتمَّ الدينُ أينقُص وأنا حي؟. رواه رزين

(٤) باب مناقب عمر

الفصل الأول

٦٠٣٥ ـ * عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:«لقد كانَ فيما قبلكم من الأمم مُحدَّثون فإِن يَكُ في أمتي أحدٌ فإِنَّه عمر» متفق عليه.

ومن الثاني: حديث عمر رضي الله عنه أنه أخر الصدقة عام الرمادة، فلما أحيا الناس بعث عامله فقال: اعقل عنهم عقالين فاقسم فيهم عقالا وائتنى بالآخر ، يريد صدقة عامين.

قوله:«وخوار في الإسلام» نه: هو من خار يخور إذا ضعفت قوته ووهنت.

أقول: أنكر عليه ضعفه ووهنه في أمر الدين، ولم يرد أن يكون جباراً بل أراد به التصلب والشدة في الدين، ولكن لما ذكر الجاهلية قرنه بذكر الجبار، ومن العجب أن أبا بكر كان منسوبًا إلى الرفق والأناة وعمر رضي عنه إلى الشدة والصلابة فعكس الأمر في هذه القضية.

باب مناقب عمر رضي الله عنه

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي عنه:

قوله:«محدثون» «نه»: المحدث في كلامهم هو الرجل الصادق الظن، وهو في الحقيقة من ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى، فيكون كالذي حدث به.

وفي قوله:«وإن يك في أمتى أحد فهو عمر» لم يرد هذا القول مورد التردد، فإن أمته أفضل الأمم، وإذا كانوا موجودين في غيرهم من الأمم فبالحري أن يكونوا موجودين في هذه الأمة أكثر عددًا وأعلى رتبة، وإنما ورد مورد التأكيد والقطع به، ولا يخفى على ذي الفهم محله من المبالغة كما في قول الرجل: إن يكن لي صديق فإنه فلان، يريد بذلك اختصاصه بالكمال في صداقته لا نفي الأصدقاء.

أقول: هذا الشرط من باب قول الأجير: إن كنت عملت لك فوفني حقي، وهو عالم بذلك، ولكنه يخيل في كلامه أن تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع وضوحه.

٦٠٣٦ ـ * وعن سعد بن أبي وقَّاص، قال: استأذن عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] على رسول الله ﷺ وعنده نسوةٌ من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عاليةً أصواتهن، فلما استأذن عمر قُمنَ فبادرن الحجابَ، فدخل عمر ورسولُ الله ﷺ يضحكُ، فقال: أضحك اللهُ سِنَّك يارسول الله! فقال النبي ﷺ: «عجبت من هؤلاءِ اللاتي كنَّ عندي، فلما سمعنَ صوتَك ابتدرن الحجاب» قال عمر: ياعدوَّاتِ أنفسهن! أتهبَنني ولا تَهَبْنَ رسولَ اللهِ ﷺ؟ فقلن: نعم؛ أنت أفظ وأغلظ. فقال رسول الله ﷺ: «إيهٍ يا بن

فالمراد بالمحدث: الملهم المبالغ فيه الذي انتهى إلى درجة الأنبياء في الإلهام فالمعنى: لقد كان فيما قبلكم من الأمم أنبياء ملهمون من قبل الملأ الأعلى، فإن يكن في أمتي أحد هذا شأنه فهو عمر، جعله لانقطاع قرينه وتفوقه على أقرانه في هذا كأنه تردد هل هو نبي أم لا؟ فاستعمل إن، يؤيده ما ورد في الفصل الثاني: «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» فلو في هذا الحديث بمنزلة إن على سبيل الفرض والتقدير كما في قول عمر رضي الله عنه: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه».

الحديث الثاني عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

قوله: «ويستكثرونه» مح: أي يطلبن منه النفقات الكثيرة.

قال القاضي عياض في قوله: «عالية أصواتهن» يحتمل أن هذا قبل النهى عن رفع الصوت فوق صوته ﷺ.

ويحتمل أن علو أصواتهن إنما كان لاجتماعهن في الصوت لا أن كلام كل واحدة بانفراده أعلى من صوته ﷺ.

قوله: «أنت أفظ وأغلظ» لم يرد بذلك مزيد الفظاظة والغلظة لعمر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ فإنه كان حليمًا مواسيًا رقيق القلب في الغاية، بل المبالغة في فظاظة عمر رضي الله عنه مطلقًا.

قوله: «إيه» تو: هو اسم يسمى به الفعل، لأن معناه الأمر، تقول للرجل إذا استزدته من حديث أو عمل: «إيه» بكسر الهاء، فإن وصلت نونت وقلت: «إيه حدثنا»، وإذا أسكته وكففته قلت: «إيها عنا» ومن حقه في هذا الحديث أن يكون: «إيها» أي اكفف يا بن الخطاب عن هذا الحديث، ورواه البخاري في كتابه مجروراً منونًا والصواب: «إيها» وروى مسلم هذا الحديث في جامعه وليس لهذه الكلمة في روايته ذكر.

أقول: معنى قول عمر: «أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟» أي أتوقرنني ولا توقرن رسول الله ﷺ؟.

الخطاب! والذي نفسي بيده ما لقيَك الشيطان سالكًا فجًّا قط إلا سَلَك فجًّا غير فجِّك»
متفق عليه. وقال الحميدي: زاد البرقاني بعد قوله: يارسول الله: ما أضحكك.

٦٠٣٧ ـ * وعن جابر قال: قال رسول لله ﷺ: «دخلتُ الجنةَ فإذا أنا بالرمَيصاء امرأةِ أبي طلحة، وسمعتُ خَشفَةَ، فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلالٌ، ورأيتُ قصراً بفنائه جاريةٌ، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله فأنظرَ إليه فذكرتُ غيرتك» فقال [عمر]: بأبي أنت وأمّي يارسول الله! أعليك أغار؟. متفق عليه.

حس: هو من قولهم: هبت الرجل إذا وقرته وعظمته، يقال: هب الناس يهابوك، أي وقرهم يوقروك ـ انتهى كلامه ـ.

ولا شك أن الأمر بتوقير رسول الله ﷺ مطلوب لذاته يجب الاستزادة منه فكان قول رسول الله ﷺ: «إيه» استزادة منه في طلب توقيره وتعظيم جانبه، ولذلك عقبه بقوله: «والذي نفسي بيده.. إلخ» فإنه يدل على استرضاء ليس بعده استرضاء، إحمادًا منه ﷺ لفعاله كلها لا سيما هذه الفعلة.

قوله: «ما لقيك الشيطان سالكًا» تو: فيه تنبيه على صلابته في الدين واستمرار حاله على الجد الصرف والحق المحض، حتى كان بين يدي رسول الله ﷺ كالسيف الصارم والحسام القاطع إن أمضاه مضى وإن كفه كف، فلم يكن له على الشيطان سلطان إلا من قبل رسول الله ﷺ، فكان هو كالوازع بين يدي الملك فلهذا كان الشيطان ينحرف عن الفج الذي سلكه، ولما كان النبي ﷺ رحمة مهداة إلى العالمين مأموراً بالعفو عن المذنبين، معنيا بالصفح عن الجاهلين لم يكن ليواجههم فيما لا يحمده من فعل مكروه أو سوء أدب بالفظاظة والغلظة والزجر البليغ ،إذ لا يتصور الصفح والعفو مع تلك الخلال، فلهذا تسامح هو فيها واستحسن استشعارهن الهيبة من عمر رضي الله عنه.

مح: هذا الحديث محمول على ظاهره وأن الشيطان متى رآه سالكًا فجًّا هرب لرهبته من عمر رضي الله عنه، وفارق ذلك الفج لشدة بأسه.

قال القاضي عياض: ويحتمل أنه ضرب مثلا بالشيطان وإغوائه وأن عمر رضي الله عنه فارق سبيل الشيطان وسلك طريق السداد وخالف ما يأمره به.

والصحيح الأول.

٦٠٣٨ - * وعن ابن عمر، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «بينا أنا نائمٌ رأيت الناس يُعرَضون عليَّ، وعليهم قُمُص، منها ما يبلغُ الثديَ، ومنها ما دون ذلك، وعُرِضَ عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره» قالوا: فما أوَّلت ذلك يارسول الله؟ قال: «الدينَ» متفق عليه.

٦٠٣٩ - * وعن ابن عمر، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائمٌ أُتيتُ بقدح لبن، فشربت حتى إني لأرى الريَّ يخرج [في] أظفاري، ثم أعطيتُ فضلي عُمَر ابنَ الخطاب» قالوا: فما أوَّلته يارسول الله؟ قال: «العلم» متفق عليه.

٦٠٤٠ - * وعن أبي هريرة، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائمٌ رأيتُني علي قَليب عليها دلوٌ؟ فنزعتُ منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قُحافة فنزع منها ذَنوبًا أو ذَنوبين وفي نزعِهِ ضعفٌ، واللهُ يغفرُ له ضَعفه، ثم استحالت غربًا

الحديث الثالث والرابع عن ابن عمر رضي الله عنهما:

قوله: «قميص»«مح» القميص الدين، وجره يدل على بقاء آثاره الجميلة وسنته الحميدة فى المسلمين بعد وفاته ليقتدى به.

وأما تفسير اللبن بالعلم فلكثرة الانتفاع بهما، وفى أنهما سببا الصلاح ، فاللبن غذاء الإنسان وسبب صلاحهم وقوة أبدانهم، والعلم سبب في صلاح الدنيا والآخرة وغذاء للأرواح.

الحديث الخامس عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «رأيتني على قليب» قض: لعل القليب إشارة إلى الدين الذى هو منبع ما به تحي النفوس، وهو أمر المعاش.

ونزع الماء منها إشارة إلى إشاعة أمره وإجراء حكمه والقيام لمراسمه وسياساته.

وتناوبهم في ذلك إشارة إلى أن هذا الأمر ينتهي من الرسول صلوات الله عليه إلى أبي بكر، ومنه إلى عمر.

ونزع أبي بكر ذنوبًا أو ذنوبين إشارة إلى قصر مدة خلافته وأن الأمر إنما يكون بيده سنة أو سنتين ثم ينتقل إلى عمر ، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر.

وضعفه: فيه إشارة إلى ما كان في أيامه من الاضطراب والارتداد واختلاف الكلمة، أو إلى ما كان له من لين الجانب وقلة السياسة والمداراة مع الناس ، ويدل على هذا قوله: «غفر الله ضعفه» وهو اعتراض ذكره الرسول الله ﷺ ليعلم أن ذلك موضوع ومغفور عنه غير قادح في منصبه.

فأخذها ابنُ الخطَّاب، فلم أَر عبقريًّا من النَّاس ينزِع نزع عمر حتى ضـرب الناس بعَطَن».

٦٠٤١ ـ * وفي رواية ابن عمر، قال: «ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر، فاستحالت في يده غَربًا، فلم أرَ عبقريًّا يفري فَريه، حتى رَوِي النَّاسُ وضربوا بعطنٍ» متفق عليه.

ومصير الدلو في نوبة عمرغربًا ـ وهو الدلو الكبير الذي يستقى به البعير ـ إشارة إلى ما كان في أيامه من تعظيم الدين وإعلاء كلمته وتوسيع خططه وقوته، وجده في النزع إشارة إلى ما اجتهد في إعلاء أمر الدين وإفشائه في مشارق الأرض ومغاربها اجتهادًا لم يتفق لأحد قبله ولا بعده.

والعبقري: القوي، قيل: العبقر اسم واد يزعم العرب أن الجن تسكنه فنسبوا إليه كل من تعجبوا منه أمرا كقوة أو غيرها، فكأنهم وجدوا ماوجدوا منه خارجًا عن وسع الإنسان فحسبوا أنه جني من العبقر ، ثم قالوا لكل شيء نفيس.

وقوله: «حتى ضرب الناس بعطن» أي حتى رووا إبلهم فأبركوها وضربوا لها عطنًا وهو مبرك الإبل.

مح: في قوله: «وفي نزعه ضعف» ليس فيه حط لمنزلته ولا إثبات فضيلة لعمر عليـه رضي الله عنهما، وإنما هو إخبـار عن مـدة ولايتهما، وكثرة انتفاع النـاس في ولاية عمر لطـولهـا، ولاتساع الإسلام وفتح البلاد وحصول الأموال والغنائم.

وأما قوله: «والله يغفر له ضعفه» فليس فيه نقص له، ولا إشارة إلى ذنب وإنما هي كلمة كان المسلمون يزينون بها كلامهم ، وقد جاء في صحيح مسلم أنها كلمة كان المسلمون يقولونها: افعل كذا والله يغفر لك.

أقول: أراد أنه من باب التتميم وهو أن يقيد بكلام فيه نوع إيهام للنقص بما يصونه عنه، مثاله قول أبي الطيب:

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب ترى كل ما فيها وحاشاك فانيا

«مح»وقوله: «فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة» إشارة إلى نيابة أبي بكر رضي الله عنه وخلافته بعده، وراحته ﷺ بوفاته من نصب الدنيا ومشاقها.

وفي قوله: «ثم أخذها ابن الخطاب من يد أبي بكر .. إلى قوله: وضربوا بعطن»إشارة إلى أن أبا بكر رضي الله عنه قمع أهل الردة وجمع شمل المسلمين وابتدأ الفتوح ، ومهد الأمور، وتمت ثمرات ذلك وتكاملت في زمن عمر رضي الله عنه.

الفصل الثاني

٦٠٤٢ - * عن ابن عمر، قال قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ جَعَل الحقَّ على لسان عمرَ وقلبه». رواه الترمذي. [٦٠٤٢]

٦٠٤٣ - * وفي رواية أبي داود، عن أبي ذر، قال: [سمعتُ رسول الله ﷺ يقول] [«إنَّ] اللهَ وضعَ الحقَّ على لسان عمر يقول به». [٦٠٤٣]

٦٠٤٤ - * وعن علي [رضي الله عنه] قال: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر. رواه البيهقي في «دلائل النبوة» [٦٠٤٤].

وفريه: تروى بإسكان الراء وتخفيف الياء، وكسرالراء وتشديد الياء، وهما لغتان صحيحتان، وأنكر الخليل التشديد، ومعناه: لم أر شيئًا يعمل عمله ويقع قطعه.

وأصل «الفري» بالإسكان القطع تقول العرب: تركته يفري الفري إذا عمل العمل فأجاد.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن ابن عمررضي الله عنهما:

قوله: «جعل الحق على لسان عمر» ضمن جعل معنى أجرى فعداه بعلى، وفيه معنى ظهور الحق واستعلائه على لسانه، وفي وضع الجعل والوضع موضع أجرى إشعار بأن ذلك كان خلقيًا ثابتًا مستقرًا.

الحديث الثاني عن على رضي الله عنه:

قوله: «إن السكينة تنطق» تو: أي لم يكن يبعد أنه ينطق بما يستحق أن تسكن إليها النفوس وتطمئن به القلوب، وأنه أمر غيبي ألقي على لسانه، ويحتمل أنه أراد بالسكينة الملك الذي يلهمه ذلك القول.

نه: قيل: أراد بها السكينة التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز، قيل في تفسيرها: إنها حيوان له وجه كوجه الإنسان مجتمع وسائرها خلق رقيق كالريح والهواء.

وقيل: هي صورة كالهرة كانت معهم في جيوشهم فإذا ظهرت انهزم أعداؤهم.

[٦٠٤٢] انظر صحيح الترمذي رقم ٢٩٠٨.

[٦٠٤٣] صحيح أبي داود برقم ٢٥٦٦

[٦٠٤٤] انظر دلائل النبوة ٦/ ٣٦٩، ٣٧٠.

٦٠٤٥ ـ * وعن ابن عبَّاس، عن النبيِّ ﷺ قال: «اللهمَّ أعز الإسلامَ بأبي جهل ابنِ هشام، أو بعمرَ بن الخطاب» فأصبح عمر، فغدا على النبيِّ ﷺ فأسلم، ثم صلَّى في المسجدِ ظاهراً. رواه أحمد، والترمذي[٦٠٤٥].

وقيل: هي ما كانوا يسكنون إليه من الآيات التي أعطيها موسى عليه الصلاة والسلام، والأشبه بحديث عمر أن تكون هي الصورة المذكورة.

أقول: لعله إنما حمله على هذا القول لما أثبت للسكينة النطق، لكن ما ذهب إليه الشيخ التوربشتي أولا أولى فهو يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون إسناداً مجازيًا وذلك أن نزول السكينة لما كان سببًا لنطقه بالحق أسنده إليها.

وثانيهما: أن يكون استعارة مكنية، شبه السكينة بمتكلم يفصح عن الحق تشبيهًا بليغًا كما تقرر في موضعه، ثم خيل لها ما به قوام المتكلم في الإفصاح من النطق ونسب إليها لتكون قرينة بالغة لإرادة الحقيقة.

ونظيره في الوجهين قوله تعالى: ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾[١] الكشاف[٢]: الذكر الحكيم القرآن، وصف بوصفه من هو بسببه أوكأنه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه. انتهى كلامه. يعني الضمير في الحكم راجع إلى القرآن. فإسناد الحكيم إليه مجازي وذلك أن قائله لما كان حكيمًا وصف بصفته، أو شبه القرآن بالشخص الذي ينطق بالحكمة فأثبت له النطق على الاستعارة المكنية، فإن قلت: ما محل قوله على لسان عمر وما موقعه؟.

قلت: محله الحال، وموقعه موقع الترشيح من الاستعارة كما في قول من قال:

جلالك يا خير الملوك مساعيًا　　　على منبر المجد المؤثل خاطب

وقول الآخر:

على منبر العلياءجدك يخطب　　　وللبلدة العذراء سيفك يخطب

الحديث الثالث عن ابن عباس رضي الله عنهما:

قوله: «اللهم أعز الإسلام» أي قوه وانصره كقوله تعالى: ﴿فعزَّزنا بثالث﴾[٣] أي فقويناه، يقال: المطر يعزز الأرض إذا لبدها وشدها، وتعزز لحم الناقة.

[٦٠٤٥] انظر صحيح الترمذي رقم ٢٩٠٧ بنحوه.

(١) آل عمران: ٥٨.

(٢) الكشاف: ١/١٩٢.

(٣) يس: ١٤.

٦٠٤٦ ـ * وعن جابر، قال: قال عمر لأبي بكر: ياخير النَّاس بعدَ رسولِ الله ﷺ. فقال أبو بكر: أما إنك إن قلتَ ذلك ، فلقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما طلعت الشمسُ على رجلٍ خير من عُمَر» رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب[٦٠٤٦].

قوله: «على النبي ﷺ» إما خبر، أي غدا مقبلا على النبي ﷺ ، أو ضمن «غدا» معنى «أقبل» نحو قوله تعالى: ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾(١) روى الحاكم أبو عبد الله في دلائل النبوة عن ابن عباس أن أبا جهل قال: إن من يقتل محمدًا فله على مائة ناقة وألف أوقية من فضة، فقال عمر: الضمان صحيح؟ قال: نعم عاجلا غير آجل، فخرج عمر فلقيه رجل فقال: أين تريد؟ قال: أريد محمدًا لأقتله، قال: كيف تأمن من بني هاشم؟ قال: إني لأظنك قد صبأت؟ قال: ألا أخبرك بأعجب من هذا؟ إن أختك وختنك قد صبئا مع محمد.

فأقبل عمر إلى منزل أخته وكانت تقرأ سورة طه، فوقف يستمع ثم قرع الباب فأخفوها، فقال عمر: ما هذه الهينمة، فأظهرت الإسلام، فبقي عمر حزينًا كئيبًا فباتوا كذلك إلى أن قامت الأخت وزوجها يقرآن ﴿طه ما أنزلنا...﴾(٢) فلما سمع قال: ناوليني الكتاب حتى أنظر فيه، فلما قرأ إلى قوله: ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾(٣) قال: اللهم إن هذا أهل أن لا يعبد سواه، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فبات ساهر العين ينادي كل ساعة: واشوقاه إلى محمد حتى أصبح، فدخل عليه خباب بن الأرت فقال: ياعمر إن رسول الله ﷺ بات الليلة ساهرًا يناجي الله عز وجل أن يعز الإسلام بك أو بأبي جهل، وأنا أرجو أن تكون دعوته قد سبقت فيك.

فخرج متقلدًا سيفه، فلما وصل إلى منزل فيه رسول الله ﷺ خرج إليه رسول الله ﷺ فقال: «يا عمر أسلم أو لينزلن الله فيك ما أنزل بوليد بن المغيرة»، فارتعدت فرائص عمر ووقع السيف من يده فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: إن اللات والعزى تعبد على رءوس الجبال وفي بطون الأودية ودين الله يعبد سرًا، والله لا يعبد الله سرًا بعد يومنا هذا.

الحديث الرابع عن جابر رضي الله عنه:

قوله: «فلقد سمعت» جواب قسم محذوف وقع جوابًا للشرط على سبيل الإخبار، كأنه أنكر عليه قوله: «ياخير الناس بعد رسول الله ﷺ» «ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر» ونحوه في الإخبار والإنكار قوله تعالى: ﴿وما بكم من نعمة فمن الله﴾(٤).

[٦٠٤٦] انظر المستدرك ٣/ ٩٠ وقال شبه موضوع وقال الشيخ الألباني: بل هو باطل ظاهر البطلان.

(١) القلم: ٢٥. (٢) طه: ١:٢.

(٣) طه : ٨ . (٤) النحل: ٥٣.

٦٠٤٧ ـ * وعن عقبة بن عامر، قال: قال النبي ﷺ: «لو كان بعدي نبيٌّ لكانَ عمر بن الخطاب» رواه الترمذي. وقال: [هذا] حديث غريب [٦٠٤٧].

٦٠٤٨ ـ * وعن بريدة، قال: خرجَ رسولُ الله ﷺ في بعضِ مغازيه فلما انصرفَ جاءت جارية سوداءُ. فقالت: يارسولَ الله! إني كنتُ نذرتُ إن ردَّك اللهُ صالحا أن أضربَ بين يديكَ بالدُّف وأتغنّى. فقال لها رسول الله ﷺ: «إن كنتِ نذرتِ فاضربي، وإلا فلا» فجعلت تضرِبُ، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثمَّ دخل عليٌّ وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثمَّ دخلَ عُمَر فألقت الدف تحت إستها ثم قعدت عليها، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الشيطانَ ليخافُ منك ياعمر! إني كنتُ جالسًا وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلمَّا دخلت أنت ياعمر! ألقت الدفَّ» رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسن صحيحٌ غريب [٦٠٤٨].

الحديث الخامس عن بريدة رضي الله عنه:

قوله: «إني كنت نذرت» تو: النبي ﷺ إنما مكنها من ضرب الدف بين يديه لأنها نذرت، فدل نذرها على أنها عدت انصرافه على حال السلامة نعمة من نعم الله عليها، فانقلب الأمر فيه من صفة اللهو إلى صفة الحق، ومن المكروه إلى المستحب، ثم إنه لم يكره من ذلك ما يقع به الوفاء بالنذر، وقد حصل ذلك بأدنى ضرب، ثم عاد الأمر في الزيادة إلى حد المكروه ولم ير أن يمنعها لأنه لو منعه ﷺ كان يرجع إلى حد التحريم فلهذا سكت عنها وحمد انتهاءها عما كانت فيه بمجيء عمر رضي الله عنه.

فإن قلت: كيف قرر إمساكها عن ضرب الدف هاهنا بمجيء عمر ووصفه بقوله «إن الشيطان ليخاف منك يا عمر» ولم يقرر انتهاء أبي بكر رضي الله عنه الجاريتين اللتين كانتا تدففان أيام منى؟.

قلت: منع أبا بكر بقوله: «دعهما» وعلله بقول: «فإنها أيام عيد» وقرر ذلك هنا فدل ذلك على أن الحالات والمقامات متفاوتة، فمن حالة تقتضي الاستمرار، ومن حالة لا تقتضيه.

[٦٠٤٧] حسن انظر صحيح الترمذي رقم ٢٩٠٩، الصحيحة ٣٢٧

[٦٠٤٨] انظر صحيح الترمذي رقم ٢٩١٣

٦٠٤٩ ـ * وعن عائشة، قالت: كانَ رسولُ الله ﷺ جالسًا، فسمعنا لغَطًا وصوت صبيانٍ. فقام رسول الله ﷺ فإذا حبشيَّة تَزفِن والصبيانُ حولَها فقال: «ياعائشة! تعالي فانظري» فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله ﷺ ، فجعلتُ أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه. فقال لي: «أما شبعتِ؟ أما شبعتِ؟» فجعلت أقول: لا، لأنظر منزلتي عنده، إذ طلع عمر فارفضَّ النَّاسُ عنها. فقال رسول الله ﷺ: «إنّي لأنظر إلى شياطينِ الجنّ والإنس قد فروا من عُمَر» قالت: فرجعتُ. رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب [٦٠٤٩].

الفصل الثالث

٦٠٥٠ ـ * عن أنس. وابن عمر، أنَّ عُمَر قال: وافقتُ ربي في ثلاث: قلت: يارسولَ الله! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلًّى؟ فنزلت (**واتَّخذوا من مقام إبراهيم**

الحديث السادس عن عائشة رضي الله عنها:

قوله: «لغطًا» قض: اللغط الصوت الشديد الذي لا يفهم.

و«تزفن» أي ترقص، والزفن: الرقص.

«فارفض الناس عنها» أي تفرق النظارة الذين كانوا حول الحبشية الراقصة عنها لمهابة عمر رضي الله عنه والخوف من إنكاره عليهم.

قوله: «ما بين المنكب» ظرف لأنظر، أي فيما بين، فحذف «في» كما في قوله: كما عسل الطريق الثعلب.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «وافقت ربي في ثلاث» ما أحسن هذه العبارة وما ألطفها حيث راعى فيها الأدب الحسن، ولم يقل: وافقني ربي في ثلاث، لأن الآيات إنما نزلت موافقة لرأيه واجتهاده.

[٦٠٤٩] انظر صحيح الترمذى رقم ٢٩١٤

مصلًى﴾[١] . وقلت: يارسول الله! يدخلُ على نسائك البر والفاجرُ، فلو أمرْتَهُنَّ يحتجبنَ؟ فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبيِّ ﷺ في الغيرة، فقلت: ﴿عسى ربه إن طلَّقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن﴾[٢] فنزلت كذلك.

٦٠٥١ ـ * وفي رواية لابن عمر قال: قال عمر: وافقتُ ربي في ثلاث : في مقام إبراهيم ،وفي الحجاب ، وفي أسارى بدر. متفق عليه.

٦٠٥٢ ـ * وعن ابن مسعود، قال: فُضِّل النَّاسَ عمرُ بن الخطاب بأربع: بذكر الأسارى يوم بدر، أُمر بقتلهم، فأنزل الله تعالى(**لولا كتاب من الله سبق لمسكّم فيما أخذتم عذاب عظيم**)[٣] وبذكره الحجاب، أُمرنساء النبي ﷺ أن يحتجبن، فقالت لـه زينب: وإنك علينا يا بن الخطاب والوحيُ ينزل في بيوتنا؟فأنزل الله تعالى (**وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب**)[٤] وبدعوة النبيِّ ﷺ: «اللهّم أيِّد الإسلام بعمر» وبرأيه في أبي بكر [رضي الله عنه] كان أوَّل ناسٍ بايعه. رواه أحمد. [٦٠٥٢]

قوله: «في الغيرة» عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يحب العسل والحلو، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن ، فدخل على حفصة بنت عمر، فاحتبس عندها أكثر مما كان يحتبس، فغرت فسألت عن ذلك فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل، فسقت النبي ﷺ منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالن له. . . الحديث، فنزل: ﴿لم تحرم ما أحل الله لك...﴾[٥].

الحديث الثاني عن ابن مسعود رضي الله عنه:

قوله: «لولا كتاب من الله سبق لمسكم» أي لولا حكم منه سبق إثباته في اللوح المحفوظ، وهو أنه لا يعاقب أحدًا بخطأ، وكان أخذهم الفدية يوم بدر من الكفار خطأ في الاجتهاد، وقيل: إن أهل بدر مغفور لهم.

قوله: «وبرأيه في أبي بكر» أي باجتهاده حين قال أبو بكر للأنصار: الأئمة من قريش، ثم بايعه أول الناس.

[٦٠٥٢] أحمد في المسند (١/ ٤٥٦) بسند ضعيف.

(١) البقرة: ١٢٥ . (٢) التحريم: ٥.

(٣) الأنفال: ٦٨ . (٤) الأحزاب : ٥٣ .

(٥) التحريم: ١ .

٦٠٥٣ ـ * وعن أبي سعيد. قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاك الرجلُ أرفع أمتي درجةً في الجنة» قال أبو سعيد: والله ما كنَّا نُرى ذلك الرجلَ إلا عمر بنَ الخطاب حتى مضى لسبيله . رواه ابن ماجه [٦٠٥٣].

٦٠٥٤ ـ * وعن أسلم ، قال سألني ابن عمر بعضَ شأنه ـ يعني عمر ـ فأخبرتُه، فقالَ: ما رأيتُ أحدًا قط بعد رسولِ الله ﷺ من حين قُبض كان أجدَّ وأجودَ حتى انتهى من عمر . رواه البخاري.

٦٠٥٥ ـ * وعن المِسور بن مَخرمَةَ، قال: لما طُعِنَ عمرُ جعل يَألم، فقال له ابن عبَّاس وكأنه يُجزِّعُه: يا أمير المؤمنين! ولا كل ذلك؟! لقد صحبتَ رسولَ الله ﷺ فأحسنتَ صحبته، ثم فارقَك وهو عنك راضٍ، ثم صحبتَ أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقكَ وهوعنك راضٍ، ثم صحبتَ المسلمين فأحسنتَ صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنَّهم وهم عنك راضون قال: أمَّا ما ذكرت من صحبةِ رسول الله ﷺ ورضاه

الحديث الثالث عن أبى سعيد رضي الله عنه:

قوله: «إلا عمر بن الخطاب» فإن قلت فيلزم من هذا أنه أفضل من أبى بكر. قلت ﷺ قوله ﷺ: «ذلك الرجل» إشارة إلى مبهم والقصد فيه أن يجتهد ويتحرى كل واحد من أمته أن ينال تلك الدرجة، وإنما ينال بتوخى العمل وتحرى الأصوب من الأخلاق الفاضلة والاجتهاد فى الدين، والمواظبة على المبرات، ولم تشاهد هذه الخلال فى أحد كما شوهدت منه رضى الله عنه من أول حاله إلى منتهاه ، وبهذا القياس ظنوا أن المشار إليه هو لا غيره، ونحوه إخفاء ليلة القدر فى الليالى فلا يلزم من هذا أن يكون هو أفضل من أبى بكر، وأيضًا يجوز أن يحمل على الخصوص، ويؤيد التقرير الأول الحديث الذى يتلوه.

الحديث الرابع عن أسلم رضى الله عنه:

قوله: «بعد رسول الله ﷺ» يحتمل وجهين: أى بعد وفاة رسول الله ﷺ، أو بعد رسول الله ﷺ، فى هذه الخلال وتعقيبه بقوله من حين قبض أي رسول الله ﷺ يدل على الأول لأن المراد بيان ابتداء استمراره على تلك الحالات وثباته عليها حتى مضى لسبيله ، وتنازع فى قوله: أجد وأجود.

الحديث الخامس عن المسور بن مخرمة رضى الله عنه:

قوله: «وكان يجزعه» أى ينسبه إلى الجزع ويلومه عليه، ويقول له ما يسليه، يدل عليه قوله: «ولا كل ذلك» أى لا تبالغ فيما أنت فيه من الجزع.

[٦٠٥٣] ابن ماجه برقم (٤٠٧٧) ، وإسناده واه.

فإنما ذلك مَنٌّ منَ الله مَنَّ به عليَّ، وأمَّا ما ذكرتَ من صحبة أبي بكرٍ ورضاه، فانما ذلكَ منٌّ من الله منَّ به عليَّ. وأما ما ترى من جزعي، فهو من أجلك ومن أجل أصحابك، واللهِ لو أنَّ لي طِلاع الأرض ذهبًا لافتديتُ بهِ من عذابِ اللهِ قبل أن أراه. رواه البخاري

(٥) باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

الفصل الأول

٦٠٥٦ - * عن أبي هريرةَ، عن رسول الله ﷺ، قال: «بينما رجلٌ يسوقُ بقرةً إذ أعيى، فركبها، فقالت: إنا لم نُخلَق لهذا، إنما خُلقنا لحراثة الأرض . فقال النَّاس: سبحانَ الله! بقرةٌ تكلَّمُ!». فقال رسول الله ﷺ: «فإني أُومنُ به أنا وأبو بكر وعمر».

قوله: «فهو من أجلك ومن أجل أصحابك» كأنه رضى الله عنه رجح جانب الخوف على الرجاء لما أشعر من فتن تقع بعده فى أصحاب رسول الله ﷺ فجزع حزنًا لهم وترحمًا عليهم، ومن استغناء الله تعالى عن العالمين، كما قال عيسى عليه الصلاة والسلام: ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾[1] وكان جانب الخوف غالبًا عليه فاستمر على ذلك هضمًا لنفسه وانكسارًا لذلك نسب ما حصل له من الفضيلة إلى منة الله تعالى وإفضاله.

وفى الاستيعاب: أن عمر رضى الله عنه حين احتضر قال: ورأسه في حجر ابنه:

ظلوم لنفسه غير أني مسلم ... أصلى الصلاة كلها وأصوم

وطلاع الأرض ما يملأها حين تطلع وتسيل

باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضى الله عنه:

قوله: «فإنى أومن» الفاء جزاء شرط محذوف، أى فإذا كان الناس يستغربونه ويتعجبون منه فإنى لا أستغربه وأؤمن به.

وقوله: «أنا وأبو بكر وعمر» فإن قلت: ما فائدة ذكر «أنا» وعطف ما بعده عليه، وهذا عطف على المستتر فى «أومن» مستغنيًا عنه بالجار والمجرور؟.

---

(١) المائدة :١١٨

وما هما ثمَّ وقال: «بينَما رجلٌ في غنمٍ له إِذ عدا الذئب على شاة منها، فأخذها، فأدركهـا صاحبُها، فاستنقــذها، فقــال لــه الذئب: فمن لهـا يومَ السَّبُعُ، يوم لا راعي لها غيرى؟ فقال الناس: سبحانَ اللهِ ذئبٌ يتكلمُ؟!». فقال: أُومنُ به أنا وأبو بكر وعمر» وما هما ثَمَّ. متفق عليه.

قلت: لو لم يذكر «أنا» لاحتمل أن يكون «وأبو بكر» عطفًا على محل «إن» واسمها والخبر محذوف فلا يدخل فى معنى التأكيد، وتكون هذه الجملة واردة على التبعية ولا كذلك فى هذه الصورة.

تو: إنما أراد بذلك تخصيصهما بالتصديق الذى بلغ عين اليقين وكوشف صاحبه بالحقيقة التى ليس وراءها للتعجب مجال.

قوله: «فقال له الذئب فمن لها؟» وفى أصل المالكى: «فقال الذئب: هذا استنقذتها منى فمن لها؟».

قال المالكى: فى هذا ثلاثة أوجه: أن يكون منادى؛ أى يا هذا، أجازه الكوفيون خلافًا للبصريين، وقول المجيز أصح لثبوتها فى الكلام الفصيح كقول ذى الرمة:

إذا هملت عينى لها قال صاحبى: لمثلك هذا لوعة وغرام

وأن يكون فى موضع نصب على الظرفية مشارًا به إلى اليوم، والأصل هذا اليوم استنقذتها منى.

وأن يكون فى موضع نصب على المصدرية، والأصل: هذا الاستنقاذ استنقذتها منى.

والأصل فى السبع ضم الباء فسكنها على لغة بنى تميم، «نه» فإنهم يسكنون العين المضمومة من الأسماء والأفعال.

قوله: «فمن لها يوم السبع» نه: قال ابن الأعرابى: السبع بسكون الباء الموضع الذى يكون إليه المحشر يوم القيامة، أراد من لها يوم القيامة.

والسبع أيضًا الذعر، يقال: سبعت فلانًا إذا ذعرته، وسبع الذئب الغنم إذا فرسها، أى من لها يوم الفزع.

وقيل: هذا التأويل يفسد بقول الذئب فى تمام الحديث: «يوم لا راعى لها غيرى» والذئب لا يكون لها راعيًا يوم القيامة.

وقيل: أراد من لها عند الفتن حين يتركها الناس هملا لا راعى لها فتكون نهبة للذئاب والسباع، فجعل السبع لها راعيًا إذ هو منفرد بها، ويكون حينئذ بضم الباء، وهذا إنذار بما يكون من الشدائد والفتن التى يهمل الناس فيها شياههم فيتمكن منها السباع بلا مانع.

٦٠٥٧ ـ * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: إني لواقفٌ في قومٍ فدَعوُا الله لعمرَ وقد وُضع على سريره، إذا رجلٌ من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول يرحمك الله، إني لأرجو أن يجعلَك الله معَ صاحبيك، لأني كثيرًا ما كنتُ أسمع رسول الله ﷺ يقول: «كنتُ وأبو بكر وعمر، وفعلتُ وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر، ودخلت وأبو بكر وعمر، وخرجت وأبو بكر وعمر» . فالتفتُّ فإذا علي بن أبي طالب [رضي الله عنه] . متفق عليه.

قال أبو موسى بإسناده عن أبى عبيدة: يوم السبع عيد كان لهم فى الجاهلية يشتغلون بعيدهم ولهوهم وليس بالسبع الذى يفترس الناس.

قال: وأملاه أبو عامر العبدرى الحافظ بضم الباء، وكان من العلم والإتقان بمكان.

الحديث الثانى عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قوله: «وقد وضع على سريره» جملة حالية من عمر.

والخطاب فى«يرحمك الله» له.

والمراد «بصاحبيه» النبي ﷺ وأبو بكر.

واللام فى «لأنى» تعليل لقوله: «أن يجعلك الله مع صاحبيك» أى يجمعك معهما فى عالم القدس

قوله: «كنت وأبو بكر» قال المالكي: تضمن الحديث صحة العطف على ضمير المرفوع المتصل غير مفصول بتوكيد أو غيره، وهو ما لا يجيزه النحويون فى النثر إلا على ضعف ويزعمون أن بابه الشعر، والصحيح جوازه نثرًا ونظمًا فمن النثر ما تقدم من قول على رضى الله عنه، وكذا قول عمر رضى الله عنه: «كنت وجار لى من الأنصار» ومنه قوله تعالى: ﴿ولو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا﴾[1] فإن واو العطف فيه متصلة بضمير المتكلمين ووجود «لا» بعدها لا اعتداد بها لأنها بعد العاطف ولأنها زائدة إذ المعنى تام بدونها.

قوله: «لأنى كثيرًا ما كنت» كذا فى صحيح البخاري و«ما» فيه إبهامية مؤكدة، وليس فى جامع الأصول لفظ «ما» فقوله «كنت» خبر«أن» و«كثيرًا» ظرف زمان وعامله «كان» قدم عليه، ونحوه قوله تعالى: ﴿قليلا ما تشكرون﴾[2].

---

(١) الأنعام: ١٤٨.

(٢) الأعراف: ١٠.

الفصل الثاني

٦٠٥٨ - * عن أبي سعيد الخدري، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إن أهلَ الجنَّة ليتراءَون أهلَ عليين، كما تَرَونَ الكوكبَ الدرِّيَّ في أُفُق السماء، وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما» رواه في«شرح السنة» ورَوَى نحوه أبوداود، والترمذي، وابن ماجه [٦٠٥٨].

٦٠٥٩ - * وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أبو بكر وعمر سيِدا كهولِ أهل الجنةِ من الأوَّلين والآخرين إلا النبيين والمرسلين» رواه الترمذي [٦٠٥٩].

٦٠٦٠ - * ورواه ابن ماجه عن علي [رضي الله عنه] [٦٠٦٠].

وفى أكثر نسخ المصابيح وقع هكذا: «لأني كثيراًمما كنت» بزيادة «من»وليس له محمل صحيح، إلا أنه يتعسف ويقال: إني أجد كثيراً مما كنت.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبي سعيد رضى الله عنه:

قوله: «وأنعما» أى زادا وفضلا، يقال: أحسنت إلى وأنعمت، أى زدت على الإنعام، وقيل: معناه صار إلى النعيم وخلا فيه، كما يقال: أشمل إذا دخل في الشمال، ومعنى قولهم أنعمت على فلان أى أسديت إليه نعمة.

تو: أى زاد على تلك الرتبة والمنزلة.

وفى أكثر نسخ المصابيح: «لمنهم» واللام زائدة على الراوية ، فإنه نقل هذا الحديث من كتاب الترمذي وفيه: «منهم وأنعما» من غير لام.

أقول: وكذا أيضًا فى سنن أبى داود وابن ماجه وجامع الأصول بغير لام.

الحديث الثانى عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «سيدا كهول أهل الجنة» اعتبر ما كانوا عليه فى الدنيا وإلا لم يكن فى الجنة كهل، كقوله تعالى: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم﴾[1].

[٦٠٥٨] شرح السنة ١٤/ ١٠٠، وصحيح الترمذى بنحوه رقم ٢٠٧١.

[٦٠٥٩] سنده جيد: انظر صحيح الترمذى برقم ٢٨٩٧ بروايات مختلفة.

[٦٠٦٠] انظر سنن ابن ماجه رقم ٩٥.

(١) النساء : ٢.

٦٠٦١ - * وعن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إني لا أدري ما بقائي فيكم؟ فاقتدوا باللَّذَيْنِ من بعدي: أبي بكر وعمر» رواه الترمذي [٦٠٦١].

٦٠٦٢ - * وعن أنسٍ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخلَ المسجدَ لم يرفع أحد رأسه غيرَ أبي بكر وعمر، كان يتبسمان إليه ويتبسم إليهما. رواه الترمذي. وقال: هذا حديثٌ غريب [٦٠٦٢].

٦٠٦٣ - * وعن ابن عمر، أنَّ النبيَّ ﷺ خرَجَ ذاتَ يومٍ ودَخَلَ المسجدَ وأبو بكر وعمر، أحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وهو آخذ بأيديهما. فقال: «هكذا نُبعثُ يوم القيامة» رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب [٦٠٦٣].

٦٠٦٤ - وعن عبد الله بن حنطب، أنَّ النبيَّ ﷺ رأى أبا بكر وعمر فقال: «هذان السَّمعُ والبصرُ» رواه الترمذي مرسلا [٦٠٦٤].

٦٠٦٥ - * وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من نبيٍ إلا

الحديث الثالث عن حذيفة رضى الله عنه:

قوله«ما بقائى فيكم؟» : «ما» هى استفهامية معناه: لا أدرى كم مدة بقائى فيكم أقليل أو كثير؟ وفيه تعليق.

الحديث الرابع إلى السادس عن عبد الله بن حنطب:

قوله: «هذان السمع والبصر» قض: أى هما فى المسلمين بمنزلة السمع والبصر فى الأعضاء، أو منزلتهما في الدين منزلة السمع والبصر فى الجسد، أو هما منى فى العزة كالسمع والبصر.

ويحتمل أنه ﷺ سماهما بذلك لشدة حرصهما على استماع الحق واتباعه، وتهالكهما على النظر فى الآيات المبينة فى الآفاق والأنفس والتأمل فيها والاعتبار بها.

الحديث السابع عن أبى سعيد رضى الله عنه:

[٦٠٦١] انظر صحيح الترمذى ح رقم ٢٨٩٦ والذى قبله بنحوه

[٦٠٦٢] قال الشيخ: ليس فى نسخه بولاق من سنن الترمذى هذا القول، والموجود فيها: «هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث الحكم بن عطية، وقد تكلم بعضهم فيه» ا.هـ.

[٦٠٦٣] انظر ضعيف الجامع برقم ٦١٠٢.

[٦٠٦٤] انظر صحيح الترمذى برقم ٢٨٩٩ ، الصحيحة ٨١٤.

وله وزيرانِ من أهل السماء، ووزيران من أهل الأرض، فأما وزيراي من أهلِ السماءِ فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهلِ الأرضِ فأبو بكرٍ وعمر» رواه الترمذي[٦٠٦٥].

٦٠٦٦ ـ * وعن أبي بكرة، أنَّ رجلا قال لرسول الله ﷺ: رأيتُ كأنَّ ميزانًا نزَلَ مِنَ السماءِ، فوُزنتَ أنت وأبو بكر، فرجحتَ أنتَ؛ ووزن أبو بكر وعمرُ فرجح أبو بكر، ووزن عمرُ وعثمانُ، فرجح عمر؛ ثم رُفِعَ الميزانُ» فاستاءَ لها رسولُ الله ﷺ، يعني فساءَهُ ذلك. فقال: «خلافةُ نبوةٍ، ثم يؤتي اللهُ الملْكَ مَن يشاء» رواه الترمذي، وأبو داود [٦٠٦٦].

قوله: « فأما وزيراى من أهل السماء فجبريل وميكائيل» فيه دلالة ظاهرة على فضله صلوات الله وسلامه عليه على جبريل وميكائيل.

والوزير من الوزر: الثقل؛ لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه، قال تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿واجعل لى وزيراً من أهلى﴾(١).

الحديث الثامن عن أبى بكرة رضى الله عنه:

قوله: «فاستاء لها» نه: استاء بوزن افتعل من السوء وهو مطاوع ساء، يقال: استاء فلان، أى ساءه ذلك.

ويروى: «فاستأولها» أى طلب تأويلها بالتأمل والنظر.

تو: إنما ساءه ـ والله أعلم ـ من الرؤيا التى ذكرها ما عرفه من تأويل رفع الميزان، فإن فيه احتمالا لانحطاط رتبة الأمر في زمان القائم به بعد عمر رضى الله عنه عما كان عليه من النفاذ والاستعلاء والتمكن بالتأييد، ويحتمل أن يكون المراد من الوزن موازنة إياهم لما كان يطرأ فيها من رونق الإسلام وبهجته، ثم إن الموازنة إنما تراعى فى الأشياء المتقاربة مع مناسبة ما، فيظهر الرجحان ، فإذا تباعدت كل التباعد لم يوجد للموازنة معنى فلهذا رفع الميزان.

قوله: «خلافة نبوة» قيل: أى انقضت خلافة نبوة، يعنى أن هذه الرؤيا دالة على أن الخلافة بالحق تنقضى وتنتهى حقيقتها بانقضاء خلافة عمر رضى الله عنه.

[٦٠٦٥] سنده ضعيف انظر ضعيف الجامع رقم ٥٢٢٧

[٦٠٦٦] سنده جيد انظر صحيح أبى داود رقم ٣٨٧٦ بنحوه وما قبله

(١) طه: ٢٩

الفصل الثالث

٦٠٦٧ ـ * عن ابن مسعود، أنَّ النبي ﷺ قال: «يطَّلع عليكم رجلٌ من أهلِ الجنة». فاطّلع أبو بكر، ثم قال: «يطَّلع عليكم رجل من أهل الجنة» فاطَّلع عمر. رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب [٦٠٦٧].

٦٠٦٨ ـ * وعن عائشة، قالت: بينا رأسُ رسولِ الله ﷺ في حجري في ليلة ضاحيةٍ إذْ قُلتُ: يارسول الله! هل يكون لأحدٍ من الحسنات عدد نجوم السماءِ؟ قال: «نعم، عمر» قلت: فأين حسناتُ أبي بكر؟ قال: «إنما جميع حسنات عمر كحسنة واحدةٍ من حسنات أبي بكر» رواه رزين [٦٠٦٨].

(٦) باب مناقب عثمان رضي الله عنه

الفصل الأول

٦٠٦٩ ـ * عن عائشة ، قالت: كان رسولُ الله ﷺ مضطجعًا في بيته، كاشفًا عن فخذيه ـ أو ساقيه ـ فاستأذن أبو بكرٍ، فأذِنَ له وهو على تلك الحال، فتحدَثَ، ثم

أقول: دل إضافة الخلافة إلى النبوة على أن لا ثبوت فيها من طلب الملك والمنازعة فيه لأحد، وكانت خلافة الشيخين على هذا ، وكون المرجوحية انتهت إلى عثمان رضى الله عنه دل على حصول المنازعة فيها، وأن الخلافة فى زمن عثمان وعلى رضى الله عنهما مشوبة بالملك، وأما بعدهما فكانت ملكًا عضودًا والله أعلم بالصواب.

باب مناقب عثمان رضى الله عنه

الفصل الأول

الحديث الأول عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «أو كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه»مح: احتج به المالكية وغيرهم ممن يقول: ليس الفخذ عورة، ولا حجة فيه لأن شك الراوى فى المكشوف، هل هما الساقان أوالفخذان؟ فلا يلزم منه الجزم بجواز كشف الفخذ.

[٦٠٦٧] قال الشيخ: يعنى ضعيف، وهو كما قال.

[٦٠٦٨] لم أجده ولم يعزه فى موسوعة أطراف الحديث إلاَّ إلى المشكاة.

استأذن عُمرُ، فأذِن له وهو كذلك، فتحدَّثَ، ثم استأذنَ عثمانُ فَجَلَس رسولُ الله ﷺ وسوَّى ثيابَه، فلما خرج قالت عائشة: دَخَلَ أبو بكرٍ فلم تهتش له ولم تبَالِه، ثم دخل عمرُ فلم تهتشَّ ولم تُبالِه، ثم دخل عثمان فجلست وسويتَ ثيابك فقال: «ألا أستحيي من رجل تستحيي منه الملائكة؟»

وفي رواية قال: «إن عثمانَ رجلٌ حييٌّ، وإني خشيتُ إن أذنتُ له على تلك الحالة أن لا يبلغ إليَّ في حاجته» رواه مسلم.

الفصل الثاني

٦٠٧٠ ـ * عن طلحةَ بنِ عبيدِ الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «لكلِّ نبي رفيق، ورفيقي ـ يعني في الجنة ـ عثمان» رواه الترمذي [٦٠٧٠].

والهشاشة هى البشاشة وطلاقة الوجه وحسن الالتقاء وفيه فضيلة ظاهرة لعثمان رضى الله عنه، وأن الحياء صفة جميلة من صفات الملائكة

مظ: وفيه دليل على توقير عثمان رضى الله عنه عند رسول الله ﷺ ولكن لا يدخل على حظ منصب أبى بكر وعمر رضى الله عنهما منه ﷺ وقلة الالتفات إليهما، لأن قاعدة المحبة إذا كملت واشتدت ارتفع التكلف، كما قيل: إذا حصلت الألفة بطلت الكلفة.

وقوله: «أن لا يبلغ إلى فى حاجته» أى أخاف أن يرجع فلا يصل إلى حتى أقضى حاجته.

الفصل الثاني

الحديث الأول والثانى عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه:

قوله: «على جيش العسرة» تو: يريد جيش غزوة تبوك، وسميت جيش العسرة لأنها كانت زمان شدة الحر وجدب البلاد، وكانت المناهضة إلى عدو جم العدد شديد البأس.

و«الحلس» كساء رقيق يجعل تحت البرذعة.

[٦٠٧٠] انظر ضعيف الجامع برقم ٤٧٤١، الضعيفة ٢٢٩١

٦٠٧١ ـ * ورواه ابن ماجه عن أبي هريرة.

وقال الترمذي هذا حديثٌ غريب، وليس إِسناده بالقويِّ، وهو منقطع.

٦٠٧٢ ـ * وعن عبد الرحمن بن خبَّاب، قال: شهدتُ النبيَّ ﷺ وهو يحثُّ على جيش العُسْرة، فقام عثمان، فقال: يارسول الله! عَلَيَّ مائةُ بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش، فقام عثمان، فقال: عليَّ مائتا بعيرٍ بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله،ثم حضَّ ، فقام عثمان، فقال: عليَّ ثلاثمائة بعيرٍ بأحلاسِها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيتُ رسولَ الله ﷺ ينزل عن المنبر وهو يقول: «ما على عثمانَ ما عمِل بعد هذه،ما على عثمان ما عمل بعد هذه» رواه الترمذي [٦٠٧٢].

و«القتب» للجمل كالإكاف لغيره.

يريد: بجميع أسبابها وأدواتها.

قوله: «ما على عثمان ما عمل بعد هذه» مظ: أى ما عليه أن لا يعمل بعد هذه من النوافل دون الفرائض، لأن تلك الحسنة تكفية عن جميع النوافل، كما ذكر فى حديث أنس بن أبى مرثد الغنوى فى آخر الفصل في المعراج.

أقول : فرق بين هذا التركيب وبين ذاك، لأن المذكور هناك: «فلاعليك أن لاتعمل بعدها» واسم «لا» إن مع ما بعدها، وقد ذكر أن المراد فيه أنه لا يضره أن لا يعمل من النوافل، أو لا عليه أن لا يعمل الجهاد فى ذلك اليوم المذكور هنا «ما» على عثمان ما عمل بعد هذه» و«ما» بمعنى ليس يقتضى اسمًا وخبرًا، فاسمه «ما عمل بعد اليوم» و«ما» موصولة ولا يجوز أن تحمل على أنها نافية، يدل عليه فى الحديث الذى يتلوه: «ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم» والمعنى: فلا على عثمان بأس الذى عمل بعد هذا اليوم من الذنوب فإنها مغفورة مكفرة، ونحوه قوله ﷺ فى حديث حاطب بن أبى بلتعة: «لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم».

[٦٠٧٢] انظر صحيح الترمذى بنحوه رقم ٤٩٢٠.

٦٠٧٣ ـ * وعن عبد الرحمن بن سمرة، قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينارٍ في كُمِّه حين جهَّز جيش العسرة، فنثرها في حجره، فرأيتُ النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول: «ما ضرَّ عثمانَ ما عمل بعد اليوم» مرَّتين. رواه أحمد. [٦٠٧٣].

٦٠٧٤ ـ * وعن أنسٍ، قال: لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمانُ [رضي الله عنه] رسولَ رسولِ الله ﷺ إلى مكة، فبايَعَ النّاس. فقال رسول الله ﷺ: «إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله» فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يدُ رسولِ الله ﷺ لعثمانَ خيراً من أيديهم لأنفسهم. رواه الترمذي [٦٠٧٤].

٦٠٧٥ ـ * وعن ثُمامة بن حَزْنٍ القشيري، قال: شهدتُ الدار حينَ أشرفَ عليهم عثمان فقال: أنشدكم الله والإسلام هل تعلمون أن رسولَ الله ﷺ قَدِمَ المدينة وليس بها ماءٌ يُستعذَب غيرُ بئر رُومة ؟ فقال : «من يشتري بئرَ رُومةَ يجْعلُ دلوه مع دلاءِ المسلمين بخيرٍ لهُ منها في الجنة؟» . فاشتريتها من صلب مالي، وأنتم اليوم تمنعونني

الحديث الثالث والرابع عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «ببيعة الرضوان» هى البيعة التى جرت تحت الشجرة عام الحديبية، سميت ببيعة الرضوان لما نزل فى أهلها قوله تعالى: ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة...﴾(١).

وقوله: «حاجة الله وحاجة رسوله» من باب قوله تعالى: ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾(٢) في أن رسول الله ﷺ بمنزلة عند الله ومكانة، وأن حاجته حاجته وتعالى الله عن الاحتياج علواً كبيراً.

الحديث الخامس عن ثمامة بن حزن القشيرى:

قوله: «شهدت الدار» أى حضرت دار عثمان التى حاصروه فيها.

و«بئر رومة» بضم الراء اسم بئر بالمدينة اشتراه عثمان رضى الله عنه ثم سبَّلها*.

وقوله: «مع دلاء المسلمين» هو المفعول الثانى ليجعل ، أى ليجعل دلوه مصاحبًا وواحدًا من دلاء المسلمين ولا يختص بها دون المسلمين، وهو كناية عن الوقف والتسبيل.

[٦٠٧٣] إسناده حسن.

[٦٠٧٤] انظر سنن أبى داود رقم ٢٧٢٦ وقال الشيخ : وإسناده ضعيف.

(١) الفتح: ١٨ . (٢) الأحزاب: ٥٧ .

* أى جعلها وقفًا للمسلمين.

أن أشرب منها حتى أشرب من ماء البحر؟! فقالوا: اللهم نعم. فقال: أنشدكم اللهَ والإسلام، هل تعلمون أن المسجد ضاقَ بأهله فقال رسول الله ﷺ: «من يشتري بقعةَ آل فلانٍ فيزيدها في المسجد بخير له منها في الجنة؟». فاشتريتها من صلب مالي، فأنتم اليوم تمنوعنني أن أصلي فيها ركعتين؟! فقالوا: اللهم نعم. قال أنشدكم الله والإسلام، هل تعلمون أني جهزت جيش العسرة من مالي؟ قالوا: اللهم نعم. قال: أنشدكم اللهَ والإسلامَ، هل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان على ثبير مكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا، فتحرَّك الجبلُ حتى تساقطت حجارتهُ بالحضيضِ، فركَضَه برجله قال: «اسكن ثبيرُ! فإنما عليك نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدانِ»؛ قالوا: اللهم نعم. قال: الله أكبر! شهدوا ورب الكعبة أني شهيدٌ، ثلاثًا رواه الترمذي، والنسائي، والدارقطني [٦٠٧٥].

والباء في «بخير» باء البدل يتعلق بيشترى، وليست مثلها فى قولهم: اشتريت هذا بدرهم، ولا فى قوله تعالى: ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾(١).

فالمعنى: من يشتريها بثمن معلوم ثم يبدلها بخير منها.

و«ماء البحر» أى ما فيه ملوحة كماء البحر، والإضافة فيه للبيان، أى ما يشبه ماء البحر.

قوله: «اللهم نعم» المطَرِّزى: قد يؤتى [باللهم ما قبل إلا إذا كان المستثنى عزيزًا نادرًا]*، وكان قصدهم بذلك الاستظهار بمشيئة الله فى إثبات كونه ووجوده إيماء إلى أنه بلغ من الندرة حد الشذوذ.

وقيل: كلمتى الجحد والتصديق فى جواب المستفهم كقولهم: اللهم لا ونعم.

«الحضيض» قرار الأرض وأسفل الجبل.

وقوله: «الله أكبر» كلمة يقولها المتعجب عند إلزام الخصم وتبكيته، وذلك أنه لما أراد أن يظهر لهم أنه على الحق وأن خصماءه على الباطل على طريق يلجئهم إلى الإقرار بذلك. أورد حديث ثبير مكة وأنه من أحد الشهيدين مستفهمًا عنهم، فأقروا بذلك وأكدوا إقرارهم بقولهم: «اللهم» فقال: «الله أكبر» تعجبًا وتعجيبًا وتجهيلا لهم، واستهجانًا لفعلهم، ونظيره قوله تعالى: ﴿هل يستويان مثلا، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾(٢) كأنه لما ضرب مثل عابد الأصنام وعابد الله برجلين أحدهما له شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعى أنه عبده فهم يتجاذبونه

[٦٠٧٥] انظر صحيح الترمذى برقم ٢٩٢١.

(١) البقرة: ١٦.. (٢) الزمر: ٢٩..

* كذا فى «ط» و«ك».

٦٠٧٦- * وعن مرّة بن كعب، قال: سمعت من رسول اللهﷺ وذكر الفتن فقرّبها، فمر رجل مقنع(1) في ثوب فقال «هذا يومئذ على الهدى» فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان. قال: فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: «نعم» رواه الترمذى، وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

٦٠٧٧- * وعن عائشة [رضى الله عنها]، أن النبي ﷺ قال: «ياعثمان! إنه لعل الله يُقمِّصُك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعْه لهم» رواه الترمذى وابن ماجه، وقال الترمذي: في الحديث قصة طويلة [٦٠٧٧].

٦٠٧٨-* وعن ابن عمر، قال: ذكر رسول اللهﷺ، فتنة فقال: «يقتل هذا فيها مظلومًا» لعثمان. رواه الترمذى، وقال: هذا حديث حسن، غريب إسنادًا [٦٠٧٨].

٦٠٧٩-* وعن أبى سهلة، قال: قال لي عثمان يوم الدار: إن رسول اللهﷺ، قد

فهو متحير فى أمره لا يدرى أيهم يرضي بخدمته، والآخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو يلتزم خدمته فهمه واحد وقلبه مجتمع، واستفهم منهم بقوله: ﴿هل يستويان مثلا؟﴾ فلا بد لهم أن يذعنوا ويقولوا: لا، فقال: إذن الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون.

الحديث السادس والسابع: عن عائشة[رضى الله عنها]. قوله: (يقمصك قميصًا) استعار القميص للخلافة، ورشحها بقوله (على خلعه فلا تخلعْه لهم) قال فى أساس البلاغة: (ومن المجاز: قمصه الله وشي الخلافة، وتقمّص لباس العزّ)* ومن هذا الباب قوله: في الكبرياء: ردائى، والعظمة إزارى، وقولهم: المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه.

الثامن والتاسع: أبوسهلة: قوله: (قد عهد إليَّ عهدًا) أوصانى بقوله: (فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم).

[٦٠٧٦] أخرجه الترمذى أبواب المناقب، مناقب عثمان، وابن ماجه باب فى فضائل أصحاب رسول اللهﷺ، وصححه الشيخ الألبانى (صحيح الترمذى ٢٩٢٢)و(صحيح ابن ماجه٨٩).

[٦٠٧٧] أخرجه الترمذي أبواب المناقب، مناقب عثمان بن عفان رضى الله عنه ،وابن ماجه باب فى فضائل أصحاب رسو ل الله ﷺ، وصححه الشيخ الألبانى فى (صحيح الترمذى ٢٩٢٣)و(صحيح ابن ماجه ٩٠).

[٦٠٧٨] أخرجه الترمذي (أبواب المناقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضى الله عنه، وحسنه الشيخ الألباني فى (صحيح الترمذي ٢٩٥٢).

(1) المُقَنّع: المغطّى رأسَه، لسان العرب (قنع).

(*) بنصه من أساس البلاغة للزمخشرى ٢/٢٧٦ط الهيئة العامة للكتاب.

عـهد إلـيَّ عـهدًا وأنـا صـابـر علـيـه رواه التـرمـذى وقال: هـذا حـديـث حسـن صحيح[٦٠٧٩].

الفصل الثالث

٦٠٨٠-* عن عثمان بـن عبدالله بن مَوْهب، قال: جاء رجل من أهـل مصر يريد حج البيـت فرأى قومًا جلوسًا، فقـال: من هؤلاء القوم؟ قالوا: هـؤلاء قريش. قال: فمن الـشيخ فيهـم؟قالوا: عبدالله بن عـمر. قال:يابن عـمر! إنى سائلـك عن شيء فحدثنى: هل تعلم أن عثمان فرّ يوم أحد؟ قال: نعم قال: هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولـم يشهدها؟قال: نعم قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟قال: نعم. قال: الله أكـبر. قال ابن عمر: تعـال أُبيِّن لك. ، أما فِراره يوم أحـد فأشهد أن الله عفا عـنه، وأما تغـيبه عن بـدر فإنه كانـت تحته رقيـة بنت رسول اللهﷺ وكـانت مريضة، فـقال له رسول اللهﷺ :«إن لك أجر رجـل ممن شهد بدرًا وسهـمه». وأما تغيبه عن بيعة الرضوان، فلو كان أحد أعز ببـطن مكة من عثمان لبعثه، فبعث رسول اللهﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول اللهﷺ بيده اليمنى: «هذه يدُ عثمان» فضرب بها على يده، وقال:«هذه لعثمان». ثم قال ابن عمر: اذهب بها الآن معك. رواه البخاري.

٦٠٨١-* وعن أبي سهلة مولى عثمان [رضى الله عنهما] قال:جعل النبيﷺ يُسِرُّ

الفصل الثالث

الحديث الأول: عن عثمان رضى الله عنه. قوله:(الله أكـبر) بعدما عدَّ من الأمور بمنزلة (الله أكبر) فى الحديث السابق. فإنه أراد أن يلزم ابن عمر ويحطّ من منزلة عثمان [رضى الله عنه] عن الطريق المذكور، فلما قال ابن عمر: نعم، قال الله أكبـر، تعجبًا وتعجيبًا وإظهارًا لإفحامه إياه، ثم إن ابن عمر رضى الله عنهما لما نقض كل واحد مما نبَّأه به، خلعه من سنخه.

قال: فكـأنه أذهب بها، أى إنمـا جئت به وتمسـكت بعدمـا بينت لك الحـق المحض الذي لاستُران منه.

[الحديث الثاني:]* عن أبى سهلة رضى الله عنه:قوله:(إن رسول اللهﷺ عهد إلىّ أمرًا) أى

[٦٠٧٩] وأخرجه ابن ماجه، باب فضائل رسول اللهﷺ وصححه الشيخ الألبانى (صحيح ابن ماجه ٩١).

(*) فى(ك) (الثالث) وهو خطأ، والصواب ماأثبتناه.

إلى عثمان، ولون عثمان يتغير، فلما كان يومُ الدار قلنا: ألا نقاتل؟قال: لا، إن رسول اللهﷺ، عهد إليَّ أمرًا، فأنا صابر نفسي عليه. [٦٠٨١].

٦٠٨٢-* وعن أبى حبيبة، أنه دخل الدار وعثمان محصور فيها، وأنه سمع أبا هريرة يستأذن عثمان فى الكلام، فأذن له، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إنكم ستلقون بعدى فتنة واختلافًا- أو قال: اختلافًا وفتنة- فقال له قائل من الناس: فمن لنا يارسول الله؟! أوما تأمرنا به؟ قال: «عليكم بالأمير وأصحابه» وهو يشير إلى عثمان بذلك. رواهما البيهقى فى «دلائل النبوة»[٦٠٨٢].

باب مناقب هؤلاء الثلاثة(رضى الله عنهم)

الفصل الأول

٦٠٨٣-* عن أنس، أن النبيﷺ صَعِد أحُدًا، وأبوبكر وعمر وعثمان، فرجف

أوصاني بأن أصبر ولا أقاتل، ولايجوز أن يقال: الوصية هى قوله: «فإن أرادوك على خلعه، فلا تخلعه لهم»فإن ذلك يوهم المقاتلة معهم للدفع، فعلى هذا ينبغى أن يحمل الحديث إلى الآخر من الفصل الثانى على هذا ليتفقا.

الحديث الثالث: عن أبى حبيبة رضى الله عنه: قوله: (فمن لنا) هو متوجه إلى قوله «اختلافًا»أي ستلقون اختلافًا بين الأمير ومن خرج عليه، فمن تأمرنا أن نتبعه ونلزمه؟ فتكون لنا العاقبة لاعلينا، فأجاب: عليكم بالأمير وأصحابه، والله أعلم.

باب مناقب هؤلاء الثلاثة (رضى الله عنهم)

الفصل الأول

الحديث الأول: عن أنس رضى الله عنه: قوله: «نبى وصدِّيق وشهيدان» وفى رواية للبخارى: «اسكن فما عليك إلا نبى أو صدِّيق أو شهيد»، قال المالكى: أو فيه بمعنى الواو، ومنه قول ابن عباس: (كل ماشئت، واشرب ماشئت، ماأخطأتْك خلَّتان: سَرَفٌ أو مَخيلَة) أى سرف ومخيلة، ونظائرها عند أمن اللبس كثيرة منها قول الحُماسى:

[٦٠٨١] تقدم تخريجه.

[٦٠٨٢] دلائل النبوة(٦/ ٣٩٣) وقال المحقق: نقله ابن كثير فى «البداية والنهاية»(٦/ ٢٠٦) وقال: وقد رواه الإمام أحمد عن عثمان عن وهيب عن موسى بن عقبة.

بهم، فضـربه برجله، فقـال: «اثبت أحد، فإنما عـليك نبيٌّ وصدِّيـق وشهيدان» رواه البخارى.

٦٠٨٤-* وعن أبـى موسى الأشعـري: قال: كنـت مع النـبى ﷺ فى حائـط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقـال النبي ﷺ: «افتح له وبشره بالجنة» ففتحت له، فإذا أبـوبكر، فبشرتـه بما قال رسول الله ﷺ فحمـد الله، ثم جاء رجل فاستـفتح فقال الـنبى ﷺ: «افتـح له وبشره بالجـنة» ففتـحت له، فإذا عمـر، فأخبرتـه بما قال النبي ﷺ فحمد الله، ثـم استفتح رجل، فقال لي: «افتح له وبشره بـالجنة على بلوى تصيبه» فإذا عثمان، فأخبرته بما قال النبى ﷺ. فحمد الله، ثم قال: الله المستعان. متفق عليه.

الفصل الثاني

٦٠٨٥-* عن ابـن عمر، قـال: كنا نقـول ورسول الله ﷺ حيّ: أبـوبكر وعـمر وعثمان، رضى الله عنهم. رواه الترمذي [٦٠٨٥].

الفصل الثالث

٦٠٨٦-* عن جابر، أن رسول الله ﷺ قال: «أُرِيَ الليلـة رجل صالح كأن أبا بكر

فقالوا لنا ثنتان لابد منهما .·. صدور رماح أُشرعت أوسلاسل

الحديث الثانى: عن أبى موسى رضى الله عنه: قوله: «عـلى بلوى تصيبه» «شف»: على هاهنا بمعنى مع، أى بشره بـالجنة مع بلوى تصيبه، أقول: إذا جُعل عـلى (متعلقًا)* بقوله: بالجنة، يكون المـبشر به مركـبًا، [وإذا جعل حالا مـن ضمير المـفعول كانت الـبشارة مقارنـة بالإنذار، ولايكون المبشـر به مركبًا]** وهو الظاهـر، وعلى بمعناه، ويـؤيده قوله: (الله المستـعان) أى على ماأنذر به ﷺ فإن ماأخبر به مـن البلاء يصيبنى لامحالة، فبالله أستعين عـلى مرارة الصبر عليه وشدة مقاساته.

الفصل الثانى والثالث

عن جابـر رضى الله عنه: قـوله: «رجل صالـح» بيانٌ للضـمير المرفـوع فى أري على سـبيل

[٦٠٨٥] أخرجه الترمذي أبواب المنـاقب، باب مناقب عثمان بن عفان رضى الله عنه، وصححه الشيخ الألباني فى (صحيح الترمذي ٢٩٢٤).

(*) فى ك: (متعلقة)، والتصويب من (المرقاة).

(**) مابين المعكوفتين سقط من (ك)، وتم إثباته من (المرقاة) للعلامة القارى.

نيط برسول الله ﷺ ،ونيط عمر بأبي بكر، ونيط عثمان بعمر»، قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ، قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله، وأمَّا نوط بعضهم ببعض فهم ولاة الأمر الذي بعث الله به نبيَّه ﷺ. رواه أبو داود[٦٠٨٦].

باب مناقب علي بن أبى طالب(رضى الله عنه)

الفصل الأول

٦٠٨٧-* عن سعد بن أبي وقاص، قال: قال رسول الله ﷺ، لعليٍّ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لانبيَّ بعدي». متفق عليه.

التجريد، نظيره قول ابن جنّي: لئن لقيت رسول الله ﷺ لتلقين منه رجلا فياضًا بالخير*، ورسولا جامعًا لسبل الفضل فقد آلت به الحال إلى معنى التجريد، كان من الظاهر أن يقال: رأيت نفسى الليلة وأبوبكر نيط بى، أى عُلّق، فجرد منه ﷺ لكونه رسول الله ﷺ وحبيبه رجلاً صالحًا، ووضع رسول الله ﷺ موضع ضمير (رجلا) تفخيمًا غب تفخيم والله أعلم.

باب مناقب علي(رضي الله عنه)

الفصل الأول:

الحديث الأول: عن سعد رضي الله عنه:

قوله: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى» «تو»: كان هذا القول من النبي ﷺ مخرجه إلى غزوة تبوك وقد خلّف عليًا رضى الله عنه على أهله وأمره بالإقامة فيهم، فأرجف به المنافقون وقالوا: ماخلفه إلا استثقالا له وتخففًا منه، فلما سمع به علي أخذ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف، فقال: يارسول الله أزعم المنافقون كذا، فقال: «كذبوا، إنما خلفتك لما تركت ورائى فارجع فاخلفنى في أهلى وأهلك، أما ترضى ياعلي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى» تأوَّل قول الله تعالى: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى﴾[1].

«مح»: قال القاضى عياض: هذا مما تعلقت به الروافض وسائر فرق الشيعة فى أن الخلافة كانت مستحقة لعلي رضى الله عنه، وأنه وُصِّى له بها، فكفَّرت الروافض سائر الصحابة

[٦٠٨٦] وسنده ضعيف وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ١٠٢) وقال: قال الدارمي: فسمعت يحي بن معين يقول: محمد بن حرب يسند هذا الحديث، والناس يحدثون به عن الزهري مرسلا، إنما هو عمرو بن أبان، ولم يكن لأبان بن عثمان أن يقال له: عمرو. وانظر (ضعيف الجامع ٨٨٧).

(*) فى (ك) كأنها (رجلا فينا هيابى الخير) ولامعنى له، فقدرته بالمذكور اجتهادًا.

(١) الأعراف: ١٤٢.

٦٠٨٨-* وعن زرِّ بن حُبَيْش، قال: قال علي رضى الله عنه: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهدُ النبي الأمِّي ﷺ إليَّ: أن لايحبُّنى إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق. رواه مسلم

٦٠٨٩-* وعن سهل بن سعد، أن رسول الله: قال يوم خيبرٍ: «لأُعطينَّ هذه الرَّاية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبُّه الله ورسوله» فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يُعْطاها فقال: «أينَ عليٌّ بن أبى

كانت مستحقة لعلي رضى الله عنه، وأنه وُصِّى له بها، فكفَّرت الروافض سائر الصحابة بتقديمهم غيره، وزاد بعضهم: فكفَّر عليًا لأنه لم يقم فى طلب حقه، وهؤلاء أسخف عقلاً وأفس مذهبًا من أن يُذكر قولهم، ولاشك فى تكفير هؤلاء، لأن من كفَّر الأمة كلها، والصدر الأول خصوصًا، فقد أبطل الشريعة وهدم الإسلام، ولاحجة فى الحديث لأحد منهم، بل فيه إثبات فضيلة لعلي، ولاتعرض فيه كلونه أفل من غيره، وليس فيه دلالة على استخلافه بعده، لأن النبي ﷺ إنما قال هذا حين استخلفه على المدينة فى غزوة تبوك، ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى، لأنه توفى قبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة، وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة.

أقول: وتحريره من جهة علم المعاني ان قوله: «منى» خبر للمبتدأ، ومن: اتصالية (وخبرا)* ومتعلق الخبر خاص، والباء زائدة كما فى قوله تعالى: ﴿فإن آمنوا بمثل ماآمنتم به﴾[1] أى فإن آمنوا إيمانًا مثل إيمانكم، يعنى أنت منفصل بى ونازل منى منزلة هارون من موسى، وفيه تشبيه، ووجه الشبه فبُهم لم يفهم أنه رضي الله عنه فيما شبهه به ﷺ فبين بقوله: «إلا أنه لانبى بعدى» أن اتصاله به ليس من جهة النبوة، فبقى الاتصال من جهة الخلافة لأنها تلي النبوة في المرتبة، ثم إما أن يكون في حياته أوبعد حماته، فخرج من أن يكون بعد مماته لأن هارون عليه السلام مات قبل موسى، فتعين أن يكون فى حياته عند مسيره إلى غزوة تبوك.

«مح»: قال بعض العلمآء فى قوله: «إلا أنه لانبى بعدى» دليل على أن عيسي بن مريم إذا نزل ينزل حكمًا من حكام هذه الأمة يدعو بشريعة نبينا محمد ﷺ ولاينزل نبيًا.

الحديث الثانى والثالث عن سهل رضى الله عنه: قوله: (يرجون أن يعطاها) عبّر** فى الأول بمعنى كلة** فجمع، والثانى لفظة فأفرد، أقول: أي، أين على؟ مالى لاأراه حاضرًا؟

---

(١) البقر: ١٣٧.

* كذا فى (ك).

** كانها كذلك فى (ك).

طالب؟». فقالوا: هو يارسول الله! يشتكي عينيه. قال: «فأرسلوا إليه» فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: يارسول الله! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ قال: «انفُذْ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدى اللهُ بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم». متفق عليه.

وذكر حديث البراء قال لعلى: «أنت منى وأنا منك» فى باب «بلوغ الصغير».

الفصل الثاني

٦٠٩٠- * عن عمران بن حصين، أن النبي ﷺ قال: «إن عليًا مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن» رواه الترمذي [٦٠٩٠].

فيستقيم جوابهم: هو يارسول الله! يشتكى عينيه، ونحوه قوله تعالى: ﴿مالى لاأرى الهدهد﴾(١) كأنه ﷺ استبعد غيبته عن حضرته فى مثل تلك المواطن، لاسيما وقد قال ﷺ: «لأعطين هذه الراية غدًا رجلاً» إلى آخره، وقد حضر الناس كلهم طمعًا بان يكون هو الذى يفوز بذلك الوغد، وتقديم القوم الضمير وبناء يتكي (عليه)* اعتذار منهم على سبيل التأكيد.

و«انفذ على رسلك» أى امض علىّ رفق وسكون حتي تبلغ فناءهم، وكأنه ﷺ استحسن قوله: «أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، واستحمده على ماقصده من مقاتلته إيَّاهم حتى يكونوا أمثالهم مهتدين إعلاءً لدين الله، ومن ثم حثه ﷺ على مانراه حمر الإبل وهى أغرها وأنفسها، ويضربون بها المثل فى نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه.

«مح»: تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب للأفهمام، وإلا فقدر يسير من الآخره خير من الدنيا بأسرها وأمثالها معه.

الفصل الثانى:

الحديث الأول عن عمران رضى الله عنه: قوله: «وهو ولى كل مؤمن» إشارة لقوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ إلى قوله: ﴿ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾(٢)

[٦٠٩٠] أخرجه الترمذي زبواب المناقب، مناقب على بن أبى طالب رضى الله عنه وفيه قصته، وصححه الشيخ الألبانى فى (صحصح الترمذى ٢٩٢٩). و(الصحيحية ٢٢٢٣)، و(صحيح الجامع ٥٥٩٨).

(١) النمل: ٢٠.

(٢) المائدة: ٥٥

* فى (ك): (عينيه)، وما أثبتناه من المرقاة.

٦٠٩١- وعن زيد بن أرقم، أن النبيﷺ قال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه». رواه احمد، والترمذى [٦٠٩١].

٦٠٩٢-* وعن حُبْشي بن جنادة، قال: قال رسول اللهﷺ: «عليٌّ مني وأنا من علي، ولا يؤدِّي عني إلا أنا أوعليّ». رواه الترمذى، ورواه أحمد عن أبى جنادة[٦٠٩٢].

الكشاف: قيل: نزلت عليّ رضى الله عنه، فإن قلت: كيف يصح فى مثل فّعله لينالوا مثل ثوابه، ولينبه على أن سجية المؤمنين يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان.

الحديث الثاني عن زيد رضى الله عنه: قوله: «من كنت مولاه»«نه»: المولى يقع على جماعة كثيرة فهو الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق والناصر والمحب والتابع(والجار)* وابن العم والحيف والعقيد والصهر والعبد والمعتق والممنعم عليه، وأ:ثرها قد جاءت فى [الحديث فيضاف كل واحد إلي مايقتضيه]** الحديث الوارد فيه، وقوله: «من كنت مولاه» يحمل على أكثر هذه الأسماء المذكورة. قال الشافعى رضى الله عنه: يعنى بذلك ولاء الإسلام كقوله تعالى: ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لامولى لهم﴾(١)وقول عمر لعلي: (أصبحت مولى كل مؤمن) [أى: ولى كل مؤمن]●، وقيل سبب ذلك أن أسامة قال لعلى: لست مولاي إنما مولاي رسول اللهﷺ، فقالﷺ: معني الحديث أن عليًا رضى الله عنه يستحق التصرف في كل مايستحق الرسول ﷺ التصرف فيه، ومن ذلك أمور المؤمنين فيكون إمامهم. أقول: لايستقيم أن تحمل الولاية على الإقامة التي هي التصرف فى أمور المؤمنين، لأن المتصرف المستقل فى حياته ﷺ هو هو ﷺ لاغير، فيجب أن يحمل على المحبة وولاء الإسلام ونحوهما.

الحديث الثالث عن حُبْشيٍّ رضى الله عنه: قوله: «ولايؤدِّى عنِّي إلا أنا أو على» كان الظاهر أن يقال: لايؤدي عنى إلا على، فأدخل أنا تأكيدًا لمعنى الاتصال فى قوله: «عليّ منى وأنا منه».

[٦٠٩١] صحيح وانظر (صحيح الترمذى ٢٩٦٣٠) ـ(الصحيحة ١٧٥٠) وغيرهما.

[٦٠٩٢] حسن وانظر (صحيح الترمذي ٢٩٣١)و(صحيح ابن ماجة ١١٩).

(١) محمدﷺ: ١١.

* فى (ك): (والخال)، وما أثبتناه من النهاية.

** مابين المعكوفتين سقط من (ك) وأثبتناه من النهاية.

● زيادة من (النهاية) لابن الأثير وقد سقطت من (ك).

٦٠٩٣-* وعن ابن عمر، قال: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، فجاءَ عليٌّ تَدْمَعُ عيناه، فقال: آخيت بين أصحابك، ولم تُوَاخِ بيني وبين أحد. فقال رسول الله ﷺ: «أنت أخي في الدنيا والآخرة». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب[٦٠٩٣].

٦٠٩٤-* وعن أنس، قال: كان عند النبي ﷺ طيرٌ، فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير» فجاءه علي، فأكل معه. رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب [٦٠٩٤].

«تو»: كان من دأب العرب إذا كان بينهم مقاولة في نقض وإبرام وصلح ونبذ عهد أن لايؤدي ذلك الاسيد القوم، أو من يليه من ذوي قرابته القريبة، ولايقبلون فمن (سواهم)*، ولما كان العام الذي أمر رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه أن يحج بالناس رأى بعد خروجه أن يبعث عليًا رضي الله عنه خلفه لينبذ إلى المشركين عهدهم، ويقرأ عليهم سورة براءة، وفيها: ﴿إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾(١) إلى غير ذلك من الأحكام، فقال قوله هذا تكريمًا له بذلك.

الحديث الرابع والخامس عن أنس رضي الله عنه: قوله: «بأحب خلقك إليك» «تو»: نحن وإن كنا بحمد الله لانجهل فضل عليٍّ رضي الله عنه، وقدمه وسوابقه في الإسلام ، واختصاصه برسول الله ﷺ لقرابته القريبة، ومؤاخاته إياه في الدين ونتمسك من حبه بأقوي وأولى مما يدعيه الغالون فيه، فلسنا نرى أن يُضرب عن تقرير أمثال هذه الأحاديث في نصابها لما يخشى فيها من تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين.

وهذا باب أُمرنا بمحافظته وجئ أمرنا بالذبِّ عنه، فحقيق علينا أن ننصر فيه الحق، ونقدم فيه الصدق، وهذا حديث يريش لبه المبتدع سهامة، ويوصل به [المتحل]** جناحه ليتخذه ذريعة إليه العطن في خلافه أبي بكر رضي الله عنه التي هي أول حكم أجمع عليه المسلمون في هذه الأمة، وأقوم عماد أقيم به الدين بعد رسول الله ﷺ فنقول، وبالله التوفيق: هذا الحديث ولايقاوم ماأوجب تقديم أبي بكر، والقول بخيريته من الأخبار الصحاح منضمًا اليها

[٦٠٩٣] الحديث رواه الترمذي بإسناد ضعيف جدًا، وانظر ضعيف الجامع (١٤١٩)

[٦٠٩٤] أي ضعيف، وهو كما قال، وانظر كلام الإمام ابن حجر على هذا الحديث في الرسالة المحلقة في آخر الكتاب.

(*) في(ك): (سواه)، وماأثبتناه من المرقاة. ** في (ك): (المبتدع)، وماأثبتناه من المرقاة.

(١) التوبة: ٢٨.

٦٠٩٥-* وعن عليّ [رضى الله عنه] ، قال: كنت إذا سألت رسول الله ﷺ أعطاني وإذا سكتُّ ابتدأني. رواه الترمذى، وقال: هذا حديث «حسن غريب» [٦٠٩٥].

٦٠٩٦-* وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا دار الحكمة، وعليٌّ بابها» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب، وقال: روى بعضهم هذا الحديث عن شريك ولم يذكروا فيه عن الصنابحيّ، ولا نعرف هذا الحديث عن أحد من الثقات غير شريك [٦٠٩٦].

إجماع[الصحابة]* لمكان سنده، فإن فيه لأهل النقل مقالاً، ولايجوز حمل أمثاله على مايخالف الإجماع، لاسيما الصحابى الذي يرويه منم ذخل فى هذا الإجماع واستقام عليه مدة عمره، ولم ينقل عنه خلافه، فلو ثبت عنه هذا الحديث؛ فالسبيل أن يؤوّل على وجه لاينتقض عليه ماإعتقده، ولايخالف ماهو أصح منه متنًا وإسنادًا، وهو أن يقال: يحمل قوله:بأحب خلقك عليّ، أن المراد منه ائتنى بمن هو مِن أحب خلقك إليك، فيشاركه فيه غيره، وهم المفضلون بإجماع الأمة، وهذا مثل قولهم: لان أعقل الناس وأفضلهم أي: من أعلقهم وأفضلهم، ومما يبن لك أن حمله على العموم غير جائز هو أن النبيﷺ من جملة خلق الله، ولاجائز أن يكون عليّ أحب إلى الله منه، فإن قيل: ذلك شيء عُرف بأصل الشرع؛ قلن: والذى نحن فيه عرف أيضًا بالنصوص الصحيحة وإجماع الأمة، فيؤوّل هذا الحديث على الوجه الذى ذكرناه، أو على أنه اراد به أحب خلقه إليه من بنى عم وذويه، وقد كان النبىﷺ يطلق القول، وهو يريد تقييده، ويعم به، وهو يريد تخصيصه، فيعرفه ذوو الفهم بالنظر إلى الحال أو الوقت او الأمر الذي هو فيه.

أقول: والوجه الذى يقتضيه المقام هو الوجه الثانى، لأنهﷺكان يكره أن يأكل وحده، لأنه ليس من سمت أهل المروءات، فطلب من الله تعالى أن (يوتي)● زيادة من (النهاية) لابن الأثير وقد سقطت من (ك). له من يؤاكله، وكان ذلك برًا وإحسانًا منه إليه، وأبر المبرات بذوي الرحم وصلته، كأنه قال: بأحب خلقك إليك من ذوى القرابة القريبة، ومن هو أولي بإحسانى وبرِّى إليه.

الحديث السادس والسابع عن عليٍّ رضى الله عنه: قوله: «وعلي بابها» لعل الشيعة ارادوا بهذا

[٦٠٩٥] الحديث رواه الترمذي، وساده ضعيف لانقطاعه.

[٦٠٩٦] انظر كلام الإمام ابن حجر عليه فى الرساله الملحقه فى آخر الكتاب، وشريك سيء الخفظ.

* فى (ك): المسلمين (الصحابة) وماأثبتناه من المرقاة.

● سقطت من (ك)، وأثبتناها من المرقاة.

٦٠٩٧-* وعن جابر، قال: دعا رسول الله ﷺ عليًا يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طال نجواه مع ابن عمه، فقال رسول الله ﷺ «ماانتجيته، ولكن الله انتجاه» رواه الترمذى [٦٠٩٧].

٦٠٩٨-* وعن أبى سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: «ياعلى! لايحل لأحد يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك» قال علي بن المنذر: فقلت لضرار بن صُرَد: مامعنى هذا الحديث؟ قال: لايحل لأحد يستطرقه جنبًا غيري وغيرك. رواه الترمذى، وقال: هذا حديث حسن غريب [٦٠٩٨].

التمثيل أن أخذ العلم والحكمة منه محتص به لايتجاوزه إلى غيره إلا بواسطته رضى الله عنه، لأن الدار إنما يدخل فيها من بابها، وقد قال تعالى: ﴿وليس البُّر بأن تآتوا البيوت من ظهورها ولكنَّ البرَّ من اتَّقى، وأتوا البيون من أبوابها﴾(١) ولاحجة لهم فيه، إذا ليس دار الجنة بأوسعه من دار الحكمه ولها ثمانية أبواب.

الحديث الثامن عن جابر رضى الله عنه: قوله: «انتجاه» «نه»: يقال قد تناجينكا مناجاجة وانتجاء، أى أن الله أمرى أن أناجيه أقول : كان ذلك أسرارًا إلهية وأمورًا غيبية جعله(من)* خُزَّانها، قال تعالى: ﴿ومارميت إذ رميت ولكنَّ الله رمى﴾(٢).

الحديث التاسع عن أبى سعيد رضى اللهعنه: قوله: «لايحل لأحد يجنب»[ظاهره«أن يجنب»]* ليكون فاعلاً لوقله: «لايحل»، [وقوله: «فى هذا المسجد»]**: ظرف ليجنب، وفيه إشكال، ولذلك أوّله ضرار من صرد [صفة لأحد]*. «قض»: ذكر فى شرحه: أنه لايحل لأحد يستطرقه جنبًا غيرى وغيرك، وهذا إنما يستقيم إذا جعل يجنب صفة لأحد ومتعلق الجار محذوفًا، فيكون تقدير الكلام: لايحل لأحخد تصيبه الجنابة يمر فى هذا المسجد غيري وغيرك، وكان ممر دارهما خاصة في المسجد.

أقول: والإشارة بقوله: «فى هذا المسجد» مُشعرة بأن له اختصاصًا بهذا الحكم وليس لغيره من

[٦٠٩٧] وقال: حسن غريب . قال الشيخ الألبانيك ورجاله ثقات، إلا أن فيه عنعنة أبى الزبير.

[٦٠٩٨] وإسناده ضعيف وانظر كلام الإمام الحافظ ابن حر على هذا الحديث فى الرسالة المحلقة آخر الكتاب.

(١) البقرة: ١٨٩.　　(٢) الأنفال: ١٧.

(*) سقطت من (ك)، وثم إثباتها من المرقاة.

(**) فى (ك): (وفى المسجد)، وماأثبتناه من المرقاة.

٦٠٩٩-* وعن أم عطيَّة، قالت: بعث رسول اللهﷺ جيشًا فيهم عليّ، قالت: فسمعت رسول اللهﷺ وهو رافع يديه يقول: «اللهم لاتمتنى حتى ترينى عليًا». رواه الترمذى [٦٠٩٩].

الفصل الثالث

٦١٠٠ - * عن أم سلمة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لايحُبّ عليًا منافق، ولا يبغضه مؤمن». رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديث حسن، غريب إسنادًا [٦١٠٠].

٦١٠١-* وعنها، قالت: قال رسول اللهﷺ«من سبَّ عليًا فقد «سبَّني». رواه أحمد[٦١٠١].

٦١٠٢-* وعن عليّ [رضي الله عنه]، قال: قال رسول اللهﷺ: «فيك مَثَل عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمَّه، وأحَبّته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التى ليست له». ثم قال: يهلك فىَّ رجلان: مُحِبٌّ مفرط يقرِّظنى بما ليس فيَّ، ومبغض يحمله شنآني على أن يَبهتني. رواه أحمد [٦١٠٢].

المساجد، وليس ذلك إلا لأن باب رسول اللهﷺ يفتح إلى المسجد، وكذا باب علي، ويؤيده حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى الفصل الثالث: (أمر بسد الأبواب إلا باب علي).

الفصل الثالث:

الحديث الأول إلى الثالث عن على رضى الله عنه:

قوله: «يقرِّظنى» بالقاف وبتشديد الراء المكسورة والظاء المعجمة، «مح»: التقريظ مدح الحيّ ووصفه.

[٦٠٩٩] وقال: حديث حسن غريب: قال الشيخ الألباني: وسنده ضعيف.

[٦١٠٠] قال الشيخ الألباني: وفيه المساور الحميرى، قال الحافظ فى «التقيب»: مجهول.

[٦١٠١] ورجاله ثقات، إلا أن أبا سحاق وهو السبيعى كان اختلط، فلا تغتر بتصحيح الحام (٢/ ١٢١) للحديث وموافقه الذهبى له. ا. هـ كلام الشيخ الألباني.

[٦١٠٢] كمال الشيخ الألباني: كلام يروه أحمد، وإنما رواه ابنه عبدالله فى زوائد «المسند» (١/ ١٦٠)وإسناده ضعيف.

٦١٠٣-* وعن البراء بن عازب، وزيد بن أرقم، أن رسول الله ﷺ لما نزل بغدير خُمٍّ(١) أخذ بيد عليٍّ فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟». قالوا: بلى قال: «ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟». قالوا: بلى، قال: «اللهمّ من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ والِ مَنْ والاه، وعاد من عاداه». فلقيه عمر بعد ذلك، فقال له: هنيئًا يابن أبى طالب! أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة. رواه أحمد [٦١٠٣].

٦١٠٤-* وعن بريدة، قال: خطب أبو بكر وعمرُ فاطمةَ، فقال رسول الله ﷺ: «إنها صغيرة» ثم خطبها عليٌّ فزوَّجها منه» رواه النسائي [٦١٠٤].

٦١٠٥-* وعن ابن عبَّاس، أنَّ رسول الله ﷺ أمر بسدِّ الأبوابِ إلا باب عليّ. رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب [٦١٠٥].

٦١٠٦-* وعن علي، قال: كانت لي منزلةٌ من رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الخلائق، آتيه بأعلى سحر(١)، فأقول: السَّلام عليك يانبيَّ الله! فإن تنحنح انصرفتُ إلى أهلي، وإلا دَخَلْتُ عليه. رواه النسائي [٦١٠٦].

الحديث الرابع عن البرآء رضى الله عنه: قوله: «بغد يرخمّ» «مح»: هو بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم، اسم لغيضة على ثلاثة أيال من الجحفة، عندها غدير مشهور يضاف إلى الغيضة.

[قوله: «ألستم تعلمون أنى]* أولى بالمؤمنين من أنفيهم» يعى به قول الله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾(١) أطلق فلم يعرف لأى شيء هو أولى بهم من أنفسهم، ثم قيد بقوله: ﴿وأءواجه أمهاتهم﴾(٢) ليؤذن بأنه بمزلة الأب وأواجه بمنزلة الأمهات، وتؤيده قراءة ابن مسعود: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم»، وقال مجاهد: كل نبي هو أبو أمته، ولذلك صار المؤمنون إخوة. فإذن (وقع)** النسبية فى قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فى كونه كالأب، فيجب على الأمّة احترامة وتوقيره وبره، وعليه أن يشفق عليهم ويرأف بهم رأفة الوالد على الأولاد، ولذلك هنَّأة عمر بقوله: «هنيئًا ياابن أبى طالب! أصبحت وأسيت مولى كلِّ مؤمن ومؤمنة».

[٦١٠٣] فى «المسند»(٤/ ٢٨١) من حديث البراء وسنده ضعيف والسياق له. ثم واه (٤/ ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٢) من طرق عن زيد بن أرقم نحوه دون قوله: «فلقيه عمر..» فلم يحسن المؤلف فى عزوه السياق لزيد بن أرقم أيضا، وبالجملة فالمرفوع من الحديث صحصح، وورواه الترمذي بسند صحيح كما تقدم رقم (٦٠٨٢٥) ا.هـ كلام الشيخ الألباني.

[٦١٠٤] وإسناده جيد [٦١٠٥] يعني ضعيف، وهو كما قال. [٦١٠٦] وإسناده ضعيف.

(١) الأحزاب: ٦. (٢) أى بأول أوقات السحر.

(*) مابينا المعكوفتين مطموسٌ فى (ك)، واستفيد إثباته من المرقاة. وفى ك: (أنا) بدل (أنى).

(**) كذا فى (ك).

٦١٠٧-* وعنه، قال كنت شاكيًا، فمر بى رسول اللهﷺ وأنا أقول: اللهم إن كان أجلى قد حضر، فأرحنى وإن كان متأخرًا فارفَغْنى(٢)، وإن كان بلاء فصبرنى. فقال رسول اللهﷺ كيف قلت» فأعاد عليه ماقال، فضربه برجله وقال:«اللهم عافه- أو اشفه» شك الراوى قال: فما اشتكيت وجعى بعد. رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح [٦١٠٧].

(٩) باب مناقب العشرة رضى الله عنهم

الفصل الأول

٦١٠٨-* عن عمر رضى الله عنه، قال: ماأحدٌ أحقُّ بهذا الأمرِ من هؤلاء النفر الذين تُوفى رسول اللهﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمَّى عليًّا، وعُثمانَ، والزبيرَ، وطلحةَ، وسعدًا، وعبدالرَّحمن. رواه البخاري.

٦١٠٩-* وعن قيس بن أبي حازِم. قال: رأيتُ يد طلحة شَلاءَ وقَىَ بها النبيَّ، يوم أُحدٍ. رواه البخاري.

الحديث الخامس إلى آخر الفصل عن على رضى الله عنه: قوله: «فارفغني» هو بالغين المعجمة، أي وسع لي عيشي.

[تو:]* في حديث على رضي الله عنه: أرفغ لكم المعاش،أي أوسع،وعيش رافغ أي واسع.

باب مناقب العشرة المبشرة رضى الله عنهم

الفصل الأول

الحديث الأول عن عمر رضى الله عنه:

قوله: «بهذا الأمر» أى بالخلافة، قاله يوم الشورى عند وفاته، وعلل الأحقيةبقوله: «توفى

[٦١٠٧] إسناده ضعيف.

* فى «ك» «نه».

٦١١٠- * وعن جابر، قال: قال النبي ﷺ: «من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب؟» قال الزبير: أنا، فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ لكل نبيٍّ حَوَارِيًّا، وحَوَارِيَّ الزبيرُ». متفق عليه.

٦١١١ - * وعن الزبير، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟» فانطلقتُ، فلما رجعتُ جَمع لي رسول الله ﷺ أبويَه فقال: «فداك أبي وأمي» متفق عليه.

٦١١٢ - * وعن عليٍّ، قال: ما سمعتُ النبيَّ ﷺ جَمَعَ أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك، فإني سمعته يقول يوم أُحُد: «يا سعدُ! ارمِ فداك أبي وأمي» متفق عليه.

٦١١٣-* وعن سعد بن أبي وقاص، قال: إني لأوَّلُ العرب رمَى بسهمٍ في سبيلِ اللهِ. متفق عليه.

رسول الله ﷺ وهو عنهم راض» والحال أنه ﷺ كان راضيًا عن الصحابة كلهم، فيحمل رضاه عنهم على الزيادة لكونهم من العشرة المبشرة بالجنة، وكلهم من قريش، والأئمة منهم.

الحديث الثانى والثالث عن جابر رضى الله عنه:

قوله: «وحوارى» مح: قال القاضى عياض: ضبطه جماعة من المحققين بفتح الياء المشددة، وضبطه أكثرهم بكسرها، «حس» المراد منه الناصر، وحوارى عيسى عليه الصلاة والسلام أنصاره سموا به لأنهم كانوا يغسلون الثياب فيحوورونها أي يبيضونها.

الحديث الرابع عن الزبير رضى الله عنه:

قوله: «جمع لى رسول الله ﷺ أبويه»: أى فى الفداء تعظيمًا لى وإعلاءلقدرى وذلك أن الإنسان لا يفدى إلا من يعظمه فيبذل نفسه له.

[نه]* : فى الحديث: «فاغفر فداء لك ما اقتفينا» إطلاق هذا اللفظ مع الله تعالى محمول على المجاز والاستعارة، لأنه إنما يفدى من المكاره من يلحقه فيكون المراد بالفداء التعظيم والإكبار.

الحديث الخامس والسادس عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه:

قوله: «العرب» التعريف فيه للجنس.

و«رمى بسهم» صفة له، فهوكقوله:

ولقد أمر على اللئيم يسبنى

---

* فى «ك» «تو».

٦١١٤-* وعن عائشة، قالت: سَهِرَ رسول اللهﷺ مَقْدمَه المدينةَ ليلةً فقال: «ليتَ رجلاً صالحًا يحرسني» إذ سمعنا صوتَ سِلاح فقال: «من هذا؟» قال: أنا سعدٌ، قال: «ماجاء بك؟» قال: وقع في نفسي خوفٌ على رسولِ اللهﷺ فجئتُ أحْرسُه، فدعا له رسول اللهﷺ، ثم نام. متفق عليه.

٦١١٥-* وعن أنسٍ قال: قال رسول اللهﷺ: «لكل أمَّةٍ أمينٌ، وأمينُ هذه الأمة أبو عبيدةَ بنُ الجراح» متفق عليه.

٦١١٦-* وعن ابن أبي مليكة، قال: سمعت عائشة وسُئلت: من كان رسولُ الله ﷺ مستخلفًا لو استخلفَه؟ قالت: أبوبكر. فقيل: ثم مَن بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. قيل: مَن بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح. رواه مسلم.

٦١١٧-* وعن أبي هريرة، أنَّ رسولَ اللهﷺ كانَ على حراء هو وأبو بكرٍ، وعمَرُ، وعثمانُ، وعليٌّ، وطلحةُ، والزبيرُ، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «اهدأْ فما عليك إلا نبيٌّ أو صدِّيق أو شهيد» وزاد بعضهم: وسعدُ بنُ أبي وقاص، ولم يذكر عليًّا. رواه مسلم.

الحديث السابع عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «مقدمه» مصدر ميمي ليس بظرف لعمله فى المدينة، ونصبه على الظرف على تقدير مضاف وهو الوقت أو الزمان، و«ليلة» بدل البعض من المقدَّر، أى: سهر ليلة من الليالى وقت قدومه المدينة من بعض الغزوات.

الحديث الثامن عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «وأمين هذه الأمة» أى هو الثقة المرضى، والأمانة مشتركة بينه وبين غيره من الصحابة، لكن النبيﷺ خص بعضهم بصفات غلبت عليه وكان بها أخص.

الحديث التاسع والعاشر عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «اهدأ»: بالهمز. وقوله: «أو شهيد» يريد به الجنس لأن المذكورين فى الحديث بعد الصديق كلهم شهداء.

مح: فى الحديث معجزة لرسول اللهﷺ بإخباره أن هؤلاء شهداء، فقتل عمر وعثمان وعلى مشهور، وقتل الزبير بوادى السباع بقرب البصرة منصرفًا تاركًا للقتال، وكذلك طلحة اعتزل

الفصل الثاني

٦١١٨-* عن عبدالرحمن بن عوف، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أبوبكر في الجنة، وعمرُ في الجنة، وعثمانُ في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحةُ في الجنة، والزبيرُ في الجنة، وعبدالرَّحمن بن عوف في الجنَّة، وسعدُ بن أبي وقاص في الجنة، وسعيدُ بن زيد في الجنة، وأبوعبيدة بن الجراح في الجنة» رواه الترمذي [٦١١٨].

٦١١٩-* ورواه ابن ماجه عن سعيد بن زيد.

٦١٢٠-* وعن أنس، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أرحم أمَّتي بأمَّتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأفرضهم زيْد بن ثابت، وأقرؤهم أُبيٌّ بن كعب، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمينٌ وأمينُ هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح» رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وروي عن مَعمر عن قتادة مرسلا وفيه: «وأقضاهم على» [٦١٢٠].

٦١٢١-* وعن الزبير، قال: كانَ على النبيِّ ﷺ يوم أُحُد دِرْعانِ، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع، فقعد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة، فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «أوجب طلحةُ» رواه الترمذي [٦١٢١].

الناس تاركًا للقتال فأصابه سهم فقتله، وقد ثبت أن من قتل ظلمًا فهو شهيد.

وفيه بيان فضيلة هؤلاء.

وفيه إثبات التمييز فى الحجارة وجواز التزكية.

الفصل الثانى

الحديث الأول إلى الثالث عن الزبير رضى الله عنه:

قوله: «فنهض إلى الصخرة» فقام منتهيًا إلى الصخرة ليستوى عليها فلم يستطع لثقل درعبه.

قوله: «أوجب طلحة» قض: معناه أوجب طلحة لنفسه الجنة بفعله هذا، أوبما فعل فى ذلك

[٦١١٨] انظر صحيح الترمذى رقم ٢٩٤٦

[٦١١٩] قال الشيخ: وهو حديث صحيح.

[٦١٢٠] انظر صحيح الترمذى ح رقم ٢٩٨١

[٦١٢١] انظر صحيح الترمذى رقم ١٣٨٣ وصحيح الترمذى أيضًا برقم ٢٩٣٩

٦١٢٢-* وعن جابر، قال: نظرَ رسولُ اللهﷺ إلى طلحةَ بن عبيد الله قال: «من أحبَّ أنْ يَنظُرَ إلى رجلٍ يمشى على وجه الأرض وقد قضى نحبه فلْيَنظُر إلى هذا»وفى رواية: «من سرَّه أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»رواه الترمذى [٦١٢٢].

٦١٢٣-* وعن على [رضى الله عنه] قال: سمعَت أُذني من في رسول اللهﷺ يقول: «طلحةُ والزبيرُ جاراي في الجنة» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب[٦١٢٣].

٦١٢٤-* وعن سعد بن أبي وقاص، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال يومئذ، يعنى يومَ أُحُد: «اللهمَّ اشدُد رَمْيَتَهُ وأجب دعوتَه» رواه في «شرح السنة» [٦١٢٤].

اليوم فإنه خاطر بنفسه يوم أحد وفدى بها رسول اللهﷺ وجعلها وقاية له، حتى طعن دونه وجرح جميع جسده وأصيب ببضع وثمانين جراحة.

الحديث الرابع عن جابر رضى الله عنه: قوله: «وقد قضى نحبه» تو: النحب النذر، والنحب المدةوالوقت، ومنه يقال: قضى فلان نحبه إذا مات، وعلى المعنيين يحمل قوله تعالى: ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾[1] فعلى النذر، أى نذره فيما عاهد الله عليه من الصدق فى مواطن القتال والنصرة لرسول اللهﷺ، وعلى الموت أي مات فى سبيل الله وذلك أنهم عاهدوا الله أن يبذلوا نفوسهم فى سبيله ، فأخبر أن طلحة ممن وفَّى بنذره، أو ممن ذاق الموت فى سبيله وإن كان حيًا، تدل عليه الرواية الأخرى:«من سره أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة» وكان طلحة قد جعل نفسه وما به يوم أحد وقاية لرسول اللهﷺ وكان يقول: «قد عقرت يومئذ فى سائر جسدى حتى عقرت فى ذكري» وكانت الصحابة رضوان الله عليهم إذا ذكروا يوم أحد قالوا: «ذلك يوم كان كله لطلحة» انتهى كلامه.

وفى معنى قوله:«من أحب أن ينظر إلى رجل يمشى على وجه الأرض وقد قضى نحبه» قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص السهروردى: إن هذا ليس على سبيل المجاز معنيًا به التعبير بالحال عن المآل بل هوظاهر فى معناه، جلى من حيث فحواه، إذ الموت عبارة عن الغيبوبة عن عالم الشهادة، وقد كان هذا حاله من الانجذاب بكليته إلى عالم الملكوت، وهذا إنما يحدث بعد إحكام المقدمات من كمال التقوى والزهد فى الدنيا والخروج عن الارتهان بنظر الخلق،

[٦١٢٢] انظر صحيح الترمذى رقم ٢٩٤٠

[٦١٢٣] انظر ضعيف الجامع رقم ٣٦٢٩

[٦١٢٤]قال الشيخ: وإسناده ضعيف عندى.

(١) الأحزاب :٢٣.

٦١٢٥-* وعنه، أنَّ رسولَ اللهِﷺ قال: «اللهمَّ استجب لسعدٍ إذا دعاك» رواه الترمذي[٦١٢٥].

٦١٢٦-* وعن علي [رضي الله عنه] قال : ماجَمَع رسولُ الله ﷺ أباه وأمه إلا لسعد، قال له يوم أحد: «ارمِ فداك أبي وأُمّي» وقال له: «ارم أيُّها الغلامُ الحَزَوَّر» رواه الترمذي [٦١٢٦].

٦١٢٧-* وعن جابر، قال: أقبلَ سعدٌ فقال النبيُّﷺ: «هذا خالي فلْيُرني امرؤٌ خاله» رواه الترمذي. وقال: كان سعدٌ من بني زهرة، وكانت أم النبيﷺ من بني زهرة، فلذلك قال النبي ﷺ: «هذا خالي» وفي «المصابيح»: «فليكر مَنَّ» بدل «فليُرني» [٦١٢٧].

الفصل الثالث

٦١٢٨ - * عن قيس بن أبي حازم، قال: سمعت سعدَ بنَ أبي وقاص يقول: إني

وامتطاء صهوة الإخلاص، وكمال الشغل بالله عز وجل بتناوب أعمال القلب والقالب، وصدق العزيمة في العزلة، واغتنام الوحدة، والفرار من مساكنة الأنس بالجلساء والإخوان.

الحديث الخامس إلى الثامن عن علي رضى الله عنه: قوله: «الحزور» «نه»: هو الذي قارب البلوغ ، والجمع الحزاورة.

الحديث التاسع عن جابر رضى الله عنه

قوله: وفي المصابيح «فليكرمن» الفاء فيه على تقدير الشرط في الكلام، فإن الإشارة بهذا لمزيد التمييز وكمال التعيين، فهو كالإكرام له أي: أنا أكرم خالى هذا ، وإذا كان كذلك فليتبع كل سنتي وليكرمن كل أحد خاله.

وعلى رواية المشكاة كما في الترمذي والجامع تقديره: أنا أميز خالى كمال تمييز وتعيين لأباهي به الناس، فليرني كل امرئ خاله مثل خالى، ونحوه في التعبير قول الشاعر:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا ياجرير المجامع

الفصل الثالث

الحديث الأول عن قيس بن أبي حازم:

[٦١٢٥] قال الشيخ: وإسناده صحيح.

[٦١٢٦] انظر صحيح الترمذي رقم ٢٩٥٣.

[٦١٢٧] انظر صحيح الترمذي رقم ٢٩٥١.

لأوَّلُ رجلٍ من العربِ رمى بسهمٍ في سبيل الله، ورأيتُنا نغزو مع رسول الله ﷺ ومالنا طعامٌ إلا الحبلةَ وورق السَّمُرِ، وإن كان أحدنا ليضع كما تضع الشاةُ مالَه خلْطٌ، ثم أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام، لقد خبت إذًا وضلَّ عملي، وكانوا وشوا به إلى عمر، وقالوا: لايُحسن يصلي. متفق عليه.

٦١٢٩-* وعن سعد قال: رأيتُني وأنا ثالثُ الإسلام، ومماأسلم أحد إلا في اليوم الذي أسلمتُ فيه، ولقد مكثتُ سبعة أيام وإني لثالث الإسلام. رواه البخاري.

قوله: «إلا الحبلة وورق السمر»

قال أبو عبيد: هما ضربان من الشجر.

وقال ابن الأعرابي: الحبلة ثمر السمر شبه اللوبيا.

وقيل: الحبلة ثمر العضاة.

ومعنى قوله: «كما تضع الشاة» أن نجوهم يخرج بعرًا ليبسه وعدم الغذاء المألوف.

«وماله خلط» أي ما يختلط بعضه ببعض لجفافه ويبسه. و«إن» في «إن كان» هي المخففة، واللام هي الفارقة.

قوله: «تعزرني» «نه»: التعزير الإعانة والتوقير والنصرة مرة بعد أخرى، وأصل التعزير المنع والرد، وكأن من نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من آذاه، ولهذا قيل للتأديب الذي هو دون حد التعزير لأنه يمنع الجاني أن يعاود الذنب فهو من الأضداد، ومنه حديث سعد: «لقد أصبحت بنو أسد تعزرني على الإسلام» أي توقفني عليه، وقيل: توبخني على التقصير فيه.

أقول: عبر عن الصلاة بالإسلام، كما عبر عنها بالإيمان في قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾[1] إيذانًا بأنها عماد الدين ورأس الإسلام.

وأراد بقوله: «لقد خِبتُ إذًا وضل عملي» أي مع سابقتي في الإسلام وقدمي في الدين [إذا لم أحسن الصلاة وأفتقر إلى تعليم بني أسد إياي أكن خاسرًا ضالاً.

قوله: «وشوا به» يقال وشى به يشي وشاية إذا نم عليه وشى به فهو واش جمعه وشاة]*.

الحديث الثاني عن سعد: قوله: «وأنا ثالث الإسلام وما أسلم أحد ولقد مكثت» أحوال متداخلة، يعني يوم أسلمت كنت ثالث من أسلم، فأكون ثالث أهل الإسلام، وبقيت على ماكنت عليه سبعة أيام، ثم أسلم بعد ذلك من أسلم.

---

(١) البقرة: ١٤٣

* ما بين المعكوفتين سقط من «ط» وأثبتناه من «ك».

٦١٣٠-* وعن عائشة، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يقول لنسائه: «إنَّ أمركنَّ مما يَهُمني من بعدى، ولن يصبر عليكنَّ إلا الصابرون الصدِّيقون» قالت عائشة: يعنى المتصدقين، ثم قالت عائشة لأبي سلمة بن عبدالرحمن: سقى الله أباكَ من سلسبيل الجنة، وكان ابنُ عوفٍ قد تصدق على أمَّهات المؤمنين بحديقةٍ بيعت بأربعين ألفًا. رواه الترمذى [٦١٣٠].

٦١٣١-* وعن أم سلمة، قالت: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول لأزواجه: «إنَّ الذي يحثو عليكنَّ بعدي هو الصادق البار، اللهمَّ اسق عبدَالرَّحمن بنَ عوف من

الحديث الثالث عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «إلا الصابرون» جعل الصابر فاعلا ليصبر، وعداه بعلى ليؤذن بأن الأمر صعب وفيه مشقة ومخالفة لهوى لنفس فلا يتمكن منه إلا الصابر الصديق، وأنه لن يصبر عليكن إلا من له كمال الصبر والثبات فيه، ومن له قدم صدق فى الصدق، ولعلها إنما فسرت هذا بالمتصدق نظرًا إلى قوله: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتًا من أنفسهم﴾[1] فإن الصديق إنما يتصدق ابتغاء مرضات الله، وإن الصابر الذي راض نفسه ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله أشق شيء على النفس من سائر العبادات الشاقة ومن الإيمان وإنما يتحامل عليها تثبيتًا لها على الإيمان واليقين وتحقيقًا للجزاء من أصل نفسه، فإن قلت: فمن أين أول قوله: «ولن يصبر عليكن إلا الصابرون» على المتصدق؟ وماوجه دلالته عليه؟ فإن هذا مجاز لابد له من العلاقة؟.

قلت: وروده عقيب قوله: «مما يهمنى» لأن جل همه ﷺ كان مصروفًا إلى نفقاتهن، لأنه ﷺ لم يترك ميراثًا ولاهن آثرن الحياة الدنيا على الآخرة حين خيرن.

وأما وجه دلالته فإن تعديتة «يصبر» بعلى يشعر بلحوق المضرة والمشقة بالصابر، ولم يك يلحق الأمة منهن المضرة إلا لكونهن معسرات يجب عليهم إزالة إعسارهن بالتصدق، وفى الكلام إيجاز، أي: ما يهمنى من بعدى وهو أمر صعب، ولن يصبر عليه إلا الصابر فوضع موضع الأمر ضمير «هن» مبالغة، وأن الصبر على الإنفاق عليهن كالصبر عليهن.

وقوله: «وكان ابن عوف» من كلام الراوي حال من عائشة، والعامل «قالت» وفيه دلالة بينة على فضل التصدق لاسيما الإحسان والبر إلى أهل البيت، وعلى فضل عبدالرحمن رضى الله عنه.

الحديث الرابع عن أم سلمة رضي الله عنها: قوله: «يحثو عليكن» أى يجود وينثر عليكن ماتنفقن.

[٦١٣٠] انظر صحيح الترمذي رقم ٢٩٤٨

(١) البقرة: ٢٦٥

سلسبيل الجنة» رواه أحمد [٦١٣١].

٦١٣٢- * وعن حذيفة، قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يارسول الله! ابعث إلينا رجلاً أمينًا. فقال«لأبعثنَّ إليكم رجلاً حقَّ أمين» فاستشرف لها الناسُ، قال: فبعث أباعبيدةَ بن الجرَّاح. متفق عليه.

فا: في حديث عمر رضى الله عنه قال ابن عباس: دعانى عمر رضى الله عنه فإذا حصير بين يديه عليه الذهب منثور نثر الحثا، فأمرنى بقسمه وهو دقاق العين لأن الريح تحثوه. انتهى كلامه.

وفيه مبالغة فى الجود والإنفاق عليهن.

ومنه قوله ﷺ «ثلاث حثيات من حثيات ربى سبحانه وتعالى» وهو كناية عن المبالغة فى الكثرة، ولعمرى إن من بعض إنفاقه عليهن حديقة بيعت بأربعين ألفًا.

قوله: «من سلسبيل الجنة» هى عين سميت به لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها، يقال: شراب سلسل وسلسال وسلسبيل، وقد زيدت الباء فى التركيب حتى صارت الكلمة خماسية، ودلت على غاية السلاسة.

وقوله: «اللهم اسق» دعاء له قبل أن يصدر عنه ماصدر من الحثى كأنه صنع الصنيعة فشكره ودعا له، ومن هنا دعت الصديقة رضى الله عنها له بهذا الدعاء حين تصدق على أمهات المؤمنين بالحديقة.

وفيه معجزة لرسول الله ﷺ

الحديث الخامس عن حذيفة رضى الله عنه: قوله: «حق أمين» فيه توكيد، والإضافة، نحوها: إن زيدا العالم حق عالم وجد عالم، أى عالم حقًا وجدًا يعنى عالم لم يبالغ فى العلم جدًا ولم يترك من الجد المستطاع منه شيئًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده﴾(1) أى جهادًا فيه حقًا خالصًا لوجهه، فعكس وأضيف الحق إلى الجهاد مبالغة.

وقوله: «فاستشرف لها» الضمير للإمارة، أى طمعوا فيها وتوقعوا نيلها.

نه: وفى الحديث «وما جاءك من هذا المال وأنت غير مستشرف له فخذه» يقال: أشرفت الشيء علوته وأشرفت عليه اطلعت عليه من فوقه، أراد ماجاءك منه وأنت غير متطلع إليه ولا طامع فيه.

[٦١٣١] قال الشيخ: وإسناده ضعيف.

(1) الحج: ٧٨

٦١٣٣-* وعن عليّ، قال: قيل لرسول الله: من نُؤمِّر بعدك؟ قال: «إن تؤمِّروا أبابكرٍ تجدوه أمينًا زاهدًا فى الدنيا راغبًا فى الآخرة، وإن تؤمِّروا عمرَ تجدوه قويًا أمينًا لايخاف فى الله لومة لائم، وإن تؤمِّروا عليًا- ولاأراكم فاعلين- تجدوه هاديًا مَهديًا. يأخذُ بكم الطريق المستقيم» رواه أحمد. [٦١٣٣]

٦١٣٤-* وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبابكر، زوَّجني ابنتَه، وحملنى إلى دار الهجرة، وصحبنى فى الغار، وأعتق بلالاً من ماله، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرًا، تركه الحق ومالَه من صديقٍ. رحم الله عثمان تستحييه الملائكة، رحم الله عليًا، اللهمَّ أدِرِ الحقَّ معه حيث دار» رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب [٦١٣٤].

الحديث السادس عن على رضى الله عنه: قوله: «أن تؤمروا أبابكر» يعنى الأمر مفوض إليكم أيتها الأمة لأنكم أمناء مجتهدون مصيبون فى الاجتهاد، ولا تجمعون إلا على الحق الصرف، وهؤلاء المذكورون كالحلقة المفرغة لايدرى أيهم أكمل فيما بدلى إليه مما يستحق به الإمارة، وفى تقديم أبى بكر رضى الله عنه بالذكر إيماء إلى تقديمه، ولم يذكر عثمان رضى الله عنه صريحًا، ولكن فى قوله فى حق على رضى الله عنه: «ولا أراكم فاعلين» أى فاعلين بعد عمر رضى الله عنه إشارة إلى أنه المتقدم عليه، أو ذكره ﷺ وسقط من قلم الكاتب.

قوله: «لايخاف فى الله لومة لائم» أى أنه صلب فى الدين إذا شرع فى أمر من أموره، لا يخاف إنكار منكر، ومضى فيه كالمسمار المحمى لايرعه قول قائل ولااعتراض معترض ولالومة لائم يشق عليه جده. واللومة المرة من اللوم. وفيها وفى التنكير مبالغتان كأنه قيل: لا يخاف شيئًا قط من لوم أحد من اللوام.

الحديث السابع عن على رضى الله عنه: قوله: «تركه الحق وماله من صديق» الجملة مبينة لقوله: «يقول الحق وإن كان مرًا» لأن تمثيل الحق بالمرارة يؤذن باستبشاع الناس من سماع الحق استشباع من يذوق العلقم فيقل لذلك صديقه.

وقوله: «وماله من صديق» حال من المفعول، هذا إذا جعل «ترك» بمعنى خلى، وإذا ضمن معنى صير كان هذا مفعولا ثانيًا، والواو فيه كما فى قول الحماسى:

عدا والليث غضبان

[٦١٣٣] إسناده ضعيف، لاختلاط أبي إسحاق السبيعى.

[٦١٣٤] انظر ضعيف الجامع ح رقم ٣٠٩٥

(١٠) باب مناقب أهل بيت النبيﷺ ورضى الله عنهم

الفصل الأول

٦١٣٥-* عن سعد بن أبي وقاص، قال: لمانزلت هذه الآية ﴿ندْعُ أبناءنا وأبناءكم﴾(١) دعا رسول اللهﷺ عليًا وفاطمة وحَسنًا وحسَيْنًا فقال: «اللهم هؤلاء أهلُ بيتى» رواه مسلم.

٦١٣٦-* وعن عائشة، قالت: خرج النبيﷺ غداةً وعليه مِرطٌ مُرحَّل من شَعر أسود، فجاء الحسَنُ بنُ عليّ فأدخَله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمةُ فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله ثم قال: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجسَ أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً**﴾(٢). رواه مسلم.

باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ ورضى الله عنهم

«غب» أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو مايجرى مجراهما من صناعة وبيت وبلد، فأهل بيت الرجل فى الأصل من يجمعه وإياهم مسكن، ثم تجوز فيه وقيل: أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب، وتعورف فى أسرة النبيﷺ وعشيرته مطلقًا إذا قيل: «أهل البيت» لقوله عز وجل: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾(٢) وعبر بأهل الرجل عن امرأته، وأهل الإسلام الذين يجمعهم دين محمد ﷺ.

الفصل الأول

الحديث الأول والثانى عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «مرط مرحل» المرط واحد المروط، وهى أكسية من خز وصوف له علم.

والمرحل: بالحاء المهملة الذي قد نقش فيه تصاوير الرحال.

قوله: «عنكم الرجس» استعار للذنوب الرجس، وللتقوى الطهر، لأن المقترف للمقبحات ملوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالأرجاس، وأما المحسنات فالغرض منها نقى مصون كالثوب الطاهر، وفى هذه الاستعارة ماينفر أولى الألباب عما كرهه الله لعباده وينهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وأمرهم به.

---

(١) آل عمران : ١٩٣.

(٢) الأحزاب : ٣٣ .

٦١٣٧-* وعن البراء، قال: لما تُوفي إبراهيم قال رسول اللهﷺ: «إنَّ له مُرْضعًا في الجنة» رواه البخاري.

٦١٣٨-* وعن عائشة: قالت: كنا- أزواج النبيﷺ- عنده، فأقبلت فاطمة ماتَخفى مِشيتها من مشيةِ رسول اللهﷺ، فلما رآها قال: «مرحبًا بابنتي» ثم أجلسها،

و«أهل البيت» نصب على النداء أو على المدح، وفى هذا دليل بين على أن نساء النبى ﷺ من أهل بيته أيضًا لأنه مسبوق بقوله: ﴿يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن﴾[١].

الحديث الثالث عن البراء رضى الله عنه:

قوله: «مرضعًا فى الجنة» خط: هذا يروى على وجهين، أحدهما: مرضعًا بفتح الميم أى رضاعًا والآخر: مضمومة الميم أي من يتم رضاعه فى الجنة ، يقال: امرأة مرضع بلاهاء وأرضعت المرأة فهى مرضعة إذا نيب الاسم من الفعل.

تو: وأصوب الروايتين الفتح لأن العرب إذا أرادوا الفعل ألحقوا به هاء التأنيث، وإذا أرادوا أنها ذات رضيع أسقطوا الهاء فقالوا: امرأة مرضع بلاهاء، ولما كان المراد من هذا اللفظ أن الله يقسم له من لذات الجنة وروحها مايقع منه موقع الرضاع فإنه كان رضيعًا لم يستكمل مدة الرضاع كان المصدر فيه أقوم وأصوب، ولو كان على ماذكره من الرواية لكان من حقه أن يلحق به هاء التأنيث.

أقول: هذا إذا أريد تصوير حالة الإرضاع وإلقام المرضعة الثدى فى فى الصبى فى مشاهدة السامع كأنه ينظر إليها وإلا فلا.

الكشاف[٢] فى قوله تعالى: ﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾[٣] فإن قلت: لم قيل: مرضعة دون مرضع؟.

قلت: المرضعة التى هى فى حال الإرضاع ملقمة ثديها الصبى، والمرضع التى شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع فى حال وصفها به، فقيل: مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة عما أرضعت، أى عن إرضاعها، أو عن الذي أرضعته وهو الطفل.

ووجهه القاضى فى شرحه مجيبًا عنه بقوله: أو أن له من يقوم مقام المرضعةفى المحافظة والأنس.

الحديث الرابع عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «عنده» خبر «كان».

---

(١) الأحزاب: ٣٠ (٢) الكشاف : ٢/ ٢٤ (٣) الحج: ٢

ثمَّ سارَّها، فبكت بكاء شديدًا، فلمَّا رأى حُزنها سارَّها الثانية، فإذا هي تضحك، فلما قام رسول الله ﷺ سألتُها عما سارَّك؟ قالت: ماكنت لأفشي عَلَى رسول الله ﷺ سرَّهُ، فلما توفِّي قلتُ: عزَمتُ عليك بمالي عليك من الحق لما أخبرتنى. قالت: أمّا الآن فنعم؛ أما حين سارَّني في الأمر الأوَّل فإنه أخبرنى: «إنَّ جبريل كان يعارضنى القرآن كلَّ سنةٍ مرَّةً، وإنه عارضنى به العام مرَّتين، ولاأرى الأجل إلا قد اقترب، فاتَّقى الله واصبرى، فإنى نعم السَّلف أنالك» فبكيتُ، فلما رأى جزعى سارَّنى الثانيةَ قال: «يافاطمة! ألاترضين أن تكونى سيدةَ نساء أهل الجنَّة أو نساء المؤمنين». وفي رواية: فسارَّنى فأخبرني أنه يُقبَض في وجعه، فبكيتُ، ثم سارَّنى فأخبرنى أنى أوَّل أهل بيته أتبعُه، فضحكتُ. متفق عليه.

٦١٣٩-* وعن المِسور بن مَخْرَمة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «فاطمةُ بضعة مني، فمن أغضبَها أغضبني». وفى رواية: «يُريبني ماأرابها، ويؤذيني ماآذاها». متفق عليه.

و«أزواج النبي ﷺ» نصب على النداء أو على الاختصاص، أو تفسير للضمير المبهم على تقدير أعنى.

قوله: «لما أخبرتنى» «لما» فيه بمعنى إلا، يعنى ماأطلب منك إلا إخبارك إياى بما سارك، ونحوه: أنشدك بالله إلا فعلت.

قوله: «يعارضنى القرآن» «نه» أى يدارسنى جميع مانزل من القرآن، من المعارضة والمقابلة، ومنه: عارضت الكتاب بالكتاب أى قابلته به.

قوله: «أنالك» أنا مخصوص بالمدح، ولك بيان، كأنه لما قيل: نعم السلف أنا، قيل: لمن قيل لك.

الحديث الخامس عن المسور رضى الله عنه:

قوله: «بضعة منى» «نه» البضعة بالفتح القطعة من اللحم، وقد تكسر، أي أنها جزء منى كما أن القطعة من اللحم.

قوله: «يريبنى ما أرابها» «حس»: رابنى الشيء وأرابني بمعنى شككنى وأوهمنى، فإذا استيقنته قلت بغير ألف، معناه: يسوؤني ما يسوؤها، ويزعجنى ما أزعجها، وأول الحديث قال المسور: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: إن بنى [هاشم]* بن المغيرة استأذنونى فى أن ينكحوا على بن أبى طالب ولا آذن ثم آذن إلا أن يريد ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم، فإنما هى بضعة منى يريبني. . الحديث.

---

* كذا فى «ط» وفى «ك» «هشام».

٦١٤٠-* وعن زيد بن أرقم، قال: قام رسولُ الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى: خُمًّا، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظَ وذكر، ثم قال: «أمَّا بعدُ ألا أيُّها الناس! إنما أنا بشر، يوشِك أن يأتيَنى رسولُ ربى فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم الثَّقَلين: أولُهما كتاب الله ، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي أذكركم الله فى أهل بيتى» وفي رواية «كتابُ الله هو حبلُ الله، من اتّبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلالة». رواه مسلم.

«مح»: قالوا فى الحديث: تحريم إيذاء النبي ﷺ بكل حال وعلى كل وجه، وإن تولد الإيذاء مما كان أصله مباحًا وهو من خواصه ﷺ وهو لوجهين:

أحدهما: أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذى حينئذ النبي ﷺ فيهلك على رضى الله عنه من أذاه فنهى عن ذلك لكمال شفقته على عليٍّ رضى الله عنه.

وثانيهما: خاف الفتنة عليها بسبب الغيرة.

وقيل: ليس المراد بقوله: «لا آذن ثم لا آذن» النهى عن جمعهما، بل معناه أنه ﷺ علم أن من فضل الله تعالى أنهما لايجتمعان، كما قال أنس: والله لاتكسر ثنيتها.

الحديث السادس عن زيد رضى الله عنه:

قوله: «الثقلين» «فا» الثقل المتاع المحمول على الدابة، وإنما قيل للجن والإنس الثقلان لأنهما [قُطَّانُ]* الأرض فكأنهما ثقلاها. وقد شبه بهما الكتاب، والعبرة فى أن الدين يستصلح بهما ويعمر كما عمرت الدنيا بالثقلين.

«حس»: سماهما ثقلين لأن الأخذ والعمل بهما ثقيل.

وقيل فى تفسير قوله تعالى: ﴿إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا﴾[1]: أى أوامر الله ونواهيه لأنه لا يؤدي إلا بتكلف مايثقل.

وقيل قوله: «قولا ثقيلا»، أي له وزن وسمى الجن والإنس ثقلين لأنهما فضلا بالتميز على سائر الحيوان، فكل شيء له وزن وقدر يتنافس فيه فهو ثقل.

قوله: «أذكركم الله فى أهل بيتى» أى أحذركم الله فى شأن أهل بيتى وأقول لكم: اتقوا الله ولاتؤذوهم فاحفظوهم، فالتذكير بمعنى الوعظ، يدل عليه قوله: «ووعظ وذكر».

---

(١) المزمل: ٥.

* فى «ط» «ثقال» وما أثبتناه من «ك».

٦١٤١-* وعن ابن عمر، أنه كان إذا سلَّم على ابن جعفرٍ قال: السلام عليك يا بن ذي الجناحين! رواه البخاري.

٦١٤٢-* وعن البراء، قال: رأيت النبيﷺ والحسنُ بن علي على عاتقه يقول: «اللهمَّ إني أحبُّه فأحبَّه» متفق عليه.

٦١٤٣-* وعن أبى هريرة، قال: خرجتُ معَ رسولِ اللهﷺ فى طائفة من النهار حتى أتى خباء فاطمة فقال: «أثَمَّ لكع؟ أثَم لكع؟» يعنى حسنًا، فلم يلبث أن جاء يسعى، حتى اعتنق كل واحد منهما صاحبَه، فقال رسول اللهﷺ: «اللهم إنى أُحبُّه فأحبَّه، وأحبَّ من يحبّه». متفق عليه.

الحديث السابع عن ابن عمر رضى الله عنهما:

قوله: «يا بن ذي الجناحين» «قض»: لما رأى جعفراً رضى الله عنه يطير فى الجنة مع الملائكة لقبه بذى الجناحين، ولذلك سمى طياراً أيضًا.

الحديث الثامن والتاسع عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «فى طائفة من النهار» «مح»: المراد به قطعة منه.

و«خباء فاطمة رضى الله عنها» بكسر الخاء المعجمة والمد، أي بيتها.

أقول: هو من المجاز على نحو استعمال المشفر والجحفلة على الشفة، والمرسن على الأنف. وفى رواية«المخبأ» وهو المخدع.

وفى بعض نسخ المصابيح: «خباب فاطمة» والظاهر أنه مغير.

قوله: «أثم لكع؟» «نه» اللكع عند العرب العبد، ثم استعمل فى الحمق والذم، يقال للرجل: لكع، وللمرأة:لكاع، وقد لكع الرجل يلكع لكعًا فهو لكع، وأكثر مايقع فى النداء، وهو اللئيم. وقيل: الوسخ، وقد تطلق على الصغير، ومنه الحديث أنهﷺ جاء يطلب الحسن بن على فقال: «أثم لكع؟» فإن أطلق على الكبير أريد به الصغير العلم والعقل.

«قض»: المراد بهذا الاستصغار الرحمة والشفقة كالتصغير فى «ياحميراء».

«مح»: فيه استحباب ملاطفة الصبي ومداعبته ومعانقته رحمة ولطفًا، واستحباب التواضع مع الأطفال وغيرهم.

٦١٤٤-* وعن أبى بكرة، قال: رأيتُ رسول اللهﷺ على المنبر والحسنُ بن على إلى جنبه وهو يُقبل على النَّاس مرَّةً وعليه أخرى، ويقول: «إن ابنى هذا سيِّدٌ ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين». رواه البخاريُّ.

٦١٤٥-* وعن عبدالرحمن بن أبى نُعمٍ، قال: سمعتُ عبدَالله بن عمَرَ وسأله رجلٌ عن المحرِمِ، قال شعبةُ أحْسبه، يقتُل الذباب؟ قال: أهل العراقِ يسألونى عن الذباب وقد قتلوا ابنَ بنتِ رسولِ اللهِﷺ! وقال رسول اللهﷺ: «هما ريحانىَّ من الدنيا». رواه البخارى.

الحديث العاشر عن أبى بكرة رضى الله عنه: قوله: «إن ابنى هذا سيد» تو: كفى به شرفًا وفضلا فلا أسود ممن سماه رسول الله ﷺ سيداً.

وقوله: «ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين» إنما وصفهم بالعظيمتين لأن المسلمين كانوا يومئذ فرقتين فرقة معه وفرقة مع معاوية، وكان الحسن رضى الله عنه أحق الناس يومئذ بهذا الأمر فدعاه ورعه وشفقته على أمة جدهﷺ إلى ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله، ولم يكن ذلك لقلة ولاذلة فقد بايعه على الموت أربعون ألفًا، وقال: والله ماأحببت منذ علمت ماينفعنى ويضرنى أن لى أمر محمد ﷺ على أن يراق فى ذلك محجمة دم، وشق ذلك على بعض شيعته حتى حملته العصبية على أن قال عند الدخول عليه: السلام عليك يا عار المؤمنين، فقال: «العار خير من النار».

حس: فى الحديث دليل على أن واحداً من الفريقين لم يخرج بما كان منه فى تلك الفتنة من قول أو فعل عن ملة الإسلام، لأن النبيﷺ جعلهم كلهم مسلمين مع كون إحدى الطائفتين مصيبة والأخرى مخطئة، وهكذا سبيل كل متأول فيما يتعاطاه من رأى ومذهب إذا كان له فيما يتأوله شبهة وإن كان مخطئًا فى ذلك، ومن هذا اتفقوا على قبول شهادة أهل البغى ونفوذ قضاء قاضيهم، واختار السلف ترك الكلام فى الفتنة الأولى، وقالوا: «تلك دماء طهر الله عنها أيدينا فلا نلوث بها ألسنتنا». والله أعلم.

الحديث الحادى عشر عن عبدالرحمن بن أبى نعم رضى الله عنه:

قوله: «قال أهل العراق» حال من سمعت، وقد مقدرة، والأصل: سمعت قول عبدالله.

قوله: «وسأله رجل عن المحرم» أيضا حال.

قوله: «قال شعبة: أحسبه يقتل الذباب» قول بعض الراوة يفسير سؤال الرجل واستفتاؤه، أى: ماتقول فى شأن المحرم يقتل الذباب.

قوله: «هما ريحانى من الدنيا» «فا»: أى من رزق الله الذي رزقنيه، يقال: سبحان الله وريحانه، أى أسبح الله أسترزقه، وهو مخفف من «ريحان» مشدد فيعلان من الروح، لأن انتعاشه بالرزق. ويجوز أن يراد بالريحان المشموم لأن الشمامات تسمى ريحانًا.

٦١٤٦- * وعن أنس، قال: لم يكن أحدٌ أشبَه بالنبيﷺ من الحسن بن على، وقال فى الحسين أيضًا: كان أشبهَهم برسول اللهﷺ. رواه البخارى.

٦١٤٧- * وعن ابن عبَّاس، قال: ضمَّنى النبيُّﷺ إلى صدره فقال: «اللهم علمه الحكمة».

وفي رواية: «علمه الكتاب». رواه البخارى.

٦١٤٨- * وعنه، قال: إن النبيَّﷺ دخل الخلاَء فوضعتُ له وَضوءًا، فلما خرج قال: «من وضع هذا» فأخبِرَ فقال: «اللهمَّ فقهه في الدين». متفق عليه. [٦١٤٨]

٦١٤٩- * وعن أسامة بن زيد، عن النبىﷺ أنَّه كان يأخذه والحسنَ، فيقول: «اللهمَّ أحبَّهما فإنى أُحبهما».

وفى رواية: قال: كانَ رسول اللهﷺ يأخذنى فيُقعدنى على فخذه، ويقعد الحسن ابن علىٍّ على فخذه الأخرى، ثم يضمهما، ثم يقول: «اللهمَّ ارحمهُما فإنى أرحمهما». رواه البخارى.

ويقال: حباه بطاقة نرجس وبطاقة ريحان، فيكون المعنى: وإنهما مما أكرمنى الله به وحبانى أولأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين التى أنبتها الله تعالى.

أقول: موقع «من الدنيا» هاهنا كموقعها فى قوله ﷺ «حبب إلى من الدنيا: الطيب والنساء...» أى نصيبى منها، ونصب ريحانى على المدح.

الحديث الثانى عشر والثالث عشر عن أنس رضىّ الله عنه:

قوله: «علمه الحكمة» الظاهر أن يراد بها السنة لأنها إذا قرنت بالكتاب يراد بها السنة، قال الله تعالى: ﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾(١).

«نه»: الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، والحكيم الذي [يعلم]* الأشياء ويتيقنها.

الحديث الرابع عشر عن ابن عباس رضي الله عنهما:

قوله: «فقهه فى الدين» «مح»: فيه فضيلة الفقه، واستحباب الدعاء لمن عمل خيرًا، وقد أجاب الله تعالى دعاءة فى حقه، وكان من الفقه بالمحل الأعلى.

[٦١٤٨] قال الشيخ الألبانى فى المشكاة: هذا خطأ وإن ذهل عنه الشارح القارى وغيره فليس الحديث متفقًا عليه، ولا رواه أحد «الصحيحين» بهذا التمام، وإنما هو فى مسند أحمد بسند صحيح، وقد خرجته فى تخريج أحاديث شرح الطحاوية منبهًا على مثل هذا الخطأ من شارحها وإنما روى منه مسلم قوله «اللهم فقهه»، وروى البخارى الذى فى الحديث قبله.

(١) البقرة: ١٢٩.   * كذا فى «ط» وفى «ك» «يحكم».

٦١٥٠-* وعن عبدالله بن عمرَ، أنَّ رسولَ اللهِﷺ بعَثَ بعثًا وأمَّر عليهم أسامةَ ابن زيد، فطعن بعض الناس فى إمارته، فقال رسول اللهﷺ: «إن كنتم تَطْعنون فى إمارته فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه من قبل، وايم الله إن كان لخليقًا للإمارة، وإن كان لمن أحبِّ الناس إلىّ، وإنَّ هذا لمن أحبِّ الناس إلىَّ بعده» متفق عليه.

الحديث الخامس عشر عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما: قوله: «ثم يضمهما» كذا فى المصابيح وفى جامع الأصول، وفيه التفات من التكلم إلى الغيبة.

الحديث السادس عشر عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: قوله: «وايم الله إن كان لخليقًا» أى والله إن الشأن.

وفى أصل المالكى: «وايم الله لقد كان خليقًا للإمارة وإن كان من أحب الناس إلى» قال: استعمل «إن» المخففة المتروكة العمل عاريًا مابعدها من اللام الفارقة لعدم الحاجة إليها، وذلك لأنه إذا خففت «إن» صار لفظها كلفظ «إن» النافية، فيخاف التباس الإثبات بالنفى عند ترك العمل فألزموا اللام المؤكدة مميزة لها، ولايثبت ذلك إلا فى موضع صالح للإثبات والنفى، نحو: (إن علمتك لفاضلا) فاللام هنا لازمة إذ لو حذفت مع كون العمل متروكًا، وصلاحية الموضع للنفى لم يتيقن، فلو لم يصلح الموضع للنفى جاز ثبوت اللام وحذفها، فمن الحذف قول عبدالله بن بشير: « إن كنا فرغنا فى هذه المسألة الساعة» وقول عائشة رضى الله عنها: «إن كان رسول اللهﷺيبعثنا ومالنا طعام إلا السلف من التمر» ومنه قول الشاعر:

أخى إن علمت الجود للحمد مبقيًا ... وللود مثبتًا وللمال مفنيًا

وشواهده كثيرة.

وهاهنا نكتة وهى أن اللام الفارقة إن كان بعد ماولى «إن» نفى واللبس مأمون فحذفها واجب كقول الشاعر:

إن الحق لايخفى على ذى بصيرة ... وإن هو لم يعدم خلاف معاند

ولما غفل النحويون عن هذه الشواهد وأن حذف اللام عند الاستغناء عنها جائز بل واجب ألزموا ثبوت اللام.

قوله: «فقد كنتم طعنتم» هذا الجزاء إنما يترتب على الشرط بتأويل التنبيه والترشيح*، أي طعنكم الآن فيه سبب لأن أخبركم أن ذلك من عادة الجاهلية وهجيراهم، ومن ذلك طعنكم فى أبيه من قبل، نحوه قوله تعالى: ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾[1] .

تو: إنما طعن من طعن فى إمارتهما لأنهما كانا من الموالى وكانت العرب لاترى تولية الموالى وتستنكف من اتباعهم كل الاستنكاف، فلما جاء الله بالإسلام ورفع قدر من لم يكن له

---

(١) يوسف : ٧٧.

* هكذا فى (ك) وفى (ط) [التوبيخ].

وفي رواية لمسلم نحوه وفي آخره: «أوصيكم به، فإنه من صالحيكم».

٦١٥١-* وعنه قال: إن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ، ماكنا ندعوه إلا زيدَ ابن محمَّدٍ، حتى نزل القرآن﴿ادعوهم لآبائهم﴾. متفق عليه.

وذكر حديث البراء قال على: «أنت منى» فى «باب بلوغ الصغير وحضانته».

الفصل الثانى

٦١٥٢-* عن جابر، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ فى حجَّته يوم عرفة وهو على ناقته القَصواء يخطبُ، فسمعته يقول: «يأيها الناس! إنى تركتُ فيكم ماإن أخذتم به لن تضلوا: كتابَ الله، وعترتى أهل بيتى» رواه الترمذى [٦١٥٢].

عندهم قدر بالسابقة والهجرة والعلم والتقى عرف حقهم المحفوظون من أهل الدين، وأما المرتهنون بالعادة والممتحنون بحب الرئاسة من الأعراب ورؤساء القبائل فلم يزل يختلج فى صدورهم شيء من ذلك لاسيما أهل النفاق فإنهم كانوا يسارعون إلى الطعن وشدة التكبر عليه، وكان رسول الله ﷺ قد بعث زيد بن حارثة رضى الله عنه أميراً على عدة سرايا، وأعظمها جيش مؤتة، وسار تحت رايته فى تلك الغزوة نجباء الصحابة، منهم: جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه، وكان خليقًا بذلك لسوابقه وفضله وقربه من رسول الله ﷺ، ثم كان بعث أسامة وقد أمره فى مرضه على جيش فيهم جماعة من مشيخة الصحابة وفضلائهم رضى الله عنهم، وكأنه رأى فى ذلك سوى ماتوسم فيه من النجابة أن يمهد الأمر ويعطيه لمن يلى الأمر بعده لئلا ينزع أحد من طاعة، وليعلم كل منهم أن العادات الجاهلية قد عميت مسالكها وخفيت معالمها.

الحديث السابع عشر عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما:

قوله: «ادعوهم لآبائهم» أى انسبوهم إلى آبائهم.

مح: كان ﷺ تبنى زيداً ودعاه ابنه، وكان العربى يتبنى مولاه أو غيره فيصير ابنًا له يوارثه وينسب إليه، حتى نزلت الآية فرجع كل إنسان إلى نسبه.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه:

قوله: «وعترتى أهل بيتى» تو: عترة الرجل أهل بيته ورهطه الأدنون، ولاستعمالهم العترة على أنحاء كثيرة بينها رسول الله ﷺ: «أهل بيتى» ليعلم أنه أراد بذلك نسله وعصابته الأدنين وأزواجه.

[٦١٥٢] انظر صحيح الترمذى برقم ٢٩٧٨.

٦١٥٣- * وعن زيد بن أرقَم، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى تاركٌ فيكم ماإن تمسَّكتم به لن تضلوا بعدى، أحدُهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبلٌ ممدود من السَّماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، ولن يتفرَّقا حتى يردا عَلَىَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونى فيهما» رواه الترمذي. [٦١٥٣]

الحديث الثاني عن زيد بن أرقم رضى الله عنه:

قوله: «ما إن تمسكتم به» ماموصولة، والجملة الشرطية صلتها، وإمساك الشيء التعلق به وحفظه، قال الله تعالى: ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض﴾(١). واستمسك بالشيء إذا تحرى الإمساك به، ولهذا لما ذكر التمسك عقبه بالمتمسك به صريحًا وهو الحبل فى قوله: «كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض» وفيه تلويح إلى قوله تعالى: ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾(٢) كأن الناس واقعون فى مهواة طبيعتهم مشتغلون بشهواتها، وأن الله يريد بلطفه رفعهم فيدلى حبل القرآن إليهم ليخلصهم من تلك الورطة، فمن تمسك به نجا، ومن أخلد إلى الأرض هلك.

ومعنى التمسك بالقرآن العمل بما فيه، وهو الائتمار بأوامره، والانتهاء عن نواهيه.

والتمسك بالعترة محبتهم والاهتداء بهديهم وسيرتهم.

وفى قوله: «إنى تارك فيكم» إشارة إلى أنهما بمنزلة التوأمين الخلفين عن رسول الله ﷺ، وأنه يوصى الأمة بحسن المخالفة معهما وإيثار حقهما، كما يوصى الأب المشفق الناس فى حق أولاده، ويعضده الحديث السابق فى الفصل الأول: «أذكركُم الله فى أهل بيتى» كما يقول الأب المشفق: «الله الله فى حق أولادى».

ومعنى كون أحدهما أعظم من الآخر أن القرآن هو أسوة للعترة وعليهم الاقتداء به، وهم أولى الناس بالعمل بما فيه.

ولعل السر فى هذه التوصية، واقتران العترة بالقرآن، أن إيجاب محبتهم لاتخلو من معنى قوله تعالى: ﴿قل لاأسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى﴾(٣) فإنه تعالى جعل شكر إنعامه وإحسانه بالقرآن منوطًا بمحبتهم على سبيل الحصر، فكأنه صلوات الله عليه يوصى الأمةبقيام الشكر وقيد تلك النعمة به، ويحذرهم عن الكفران، فمن أقام بالوصية وشكر تلك الصنيعة

[٦١٥٣] انظر صحيح الترمذى رقم ٢٩٨٠

(١) الحج: ٦٥ .

(٢) الأعراف: ١٧٦ .

(٣) الشورى: ٢٣ .

٦١٥٤-* وعنه، أنَّ رسول اللهﷺ قال لعلى وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حربٌ لمن حاربَهم، وسِلمٌ لمن سالَمهم»رواه الترمذى[٦١٥٤]

٦١٥٥-* وعن جُميع بن عُمير، قال: دخلتُ مع عمَّتى على عائشة، فسألت أى الناس كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ؟ قالت: فاطمة. فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها إن كان ماعلمت صوامًا قوامًا. رواه الترمذى.[٦١٥٥]

٦٤٥٦-* وعن عبدالمطلب بن ربيعة، أنَّ العباس دخلَ على رسولِ اللهﷺ مغُضبًا وأنا عنده، فقال: «ما أغضبَك؟» قال: يارسول الله! مالنا ولقريش إذا تلاقَوا بينهم تلاقَوا بوجوه مُبشَرَة. وإذا لقونا لقونا بغير ذلك؟ فغضبَ رسولُ اللهﷺ حتى احمرَّ وجهُه، ثم قال: «والذى نفسى بيده لايدخلُ قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتى يُحبَّكم لله

بحسن الخلافة فيهما لن يفترقا، فلا يفارقانه فى مواطن القيامة ومشاهدها حتى يردا الحوض، فيشكرا صنيعه عند رسول اللهﷺ فحينئذ هوبنفسه يكافئه والله تعالى يجازيه بالجزاء الأوفى، ومن أضاع الوصية وكفر النعمة فحكمه على العكس، وعلى هذا التأويل حسن موقع قوله: «فانظروا كيف تخلفونى فيهما» والنظر بمعنى التأمل والتفكر ، أى تأملوا واستعملوا الروية فى استخلافى إياكم هل تكونون خلف صدق أو خلف سوء؟

وإن استغربت قولى: لا يفارقانه في مواقف الحشر حتى يردا على الحوض، تمسكت بماورد عن رسول الله ﷺ: «اقرءوا الزهراوين...» إلى قوله «يحاجان عن صاحبهما وإن استبعدت قولى: هما توأمان خلفان، أنشدت لك قول الأعشى:

نشب لمقرورين يصطليانها .·. وبات على النار الندى والمحلق

رضيعي لبان ثدي أم تحالفا .·. بأسحم داج عوض لا نتفرق

أغرب الأعشى حيث جعل الممدوح يعنى «المحلق»أحد نوعى الجود لكثرة صدوره عنه، كما أضيف حاتم إليه فى قولك: حاتم الجود، ثم جعلهما أخوى أم واحدة راضعين ثديها، وما اكتفى بذلك بل ذكر أنهما تحالفا على أن لايفترقا.

الحديث الثالث عن زيد بن أرقم رضى الله عنه:

قوله: «أنا حرب» أى محارب، جعل نفسه ﷺ نفس الحرب مبالغة كقولك: رجل عدل.

الحديث الرابع والخامس عن عبدالمطلب بن ربيعة.

قوله: «بوجوه مبشرة» كذا هو فى جامع الترمذى، وفى جامع الأصول: «مسفرة».

[٦١٥٤] حسن. انظر صحيح الجامع (١٤٦٢).

[٦١٥٥] قال الشيخ: إسناده حسن، وله عنده شاهد من حديث بريدة وحسن أيضًا.

ولرسوله، ثم قال «أيُّها الناس! من آذى عَمي فقد آذاني، فإنما عم الرجل صِنوُ أبيه». رواه الترمذي. وفي«المصابيح» عن المطلب [٦١٥٦].

٦١٥٧-* وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ:«العباس مني وأنا منه». رواه الترمذي. [٦١٥٧]

٦١٥٨-* وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ للعباس:«إذا كان غداة الاثنين فأتني أنتَ وولدُك حتى أدعوكَهم بدعوة ينفعُك الله بها وولدك» فغدا وغدَونا معه، وألبسنا كساءه ثم قال: «اللهمَّ اغفر للعبّاس ووُلده مغفرةً ظاهرة وباطنة لاتغادر ذنبًا، اللهمَّ احفظه في ولده». رواه الترمذي. وزاد رزين:«واجعل الخلافةَ باقيةً في عقبه» وقال الترمذي: هذا حديث غريب [٦١٥٨].

تو: هو بضم الميم وسكون الباء وفتح الشين، يريد بوجوه عليها البشر، من قولهم: فلان مؤدم مبشر، إذا كانت له أدمة وبشرة محمودتان.

قوله: «صنو أبيه»: تو: الصنو المثل، وأصله أن تطلع نخلتان من عرق واحد، يريد أن أصل عباس وأصل أبي واحد، وهو مثل أبي، أو مثلي، وجمعه صنوان.

الحديث السادس والسابع عن ابن عباس رضي الله عنهما:

قوله:«حتى أدعولهم» كذا في الترمذي، وفي جامع الأصول وبعض نسخ المصابيح: «لكم».

قوله:«وألبسنا كساءه» تو: أشار بذلك إلى أنهم خاصته وأنهم بمثابة النفس الواحدة منه التي يشملها كساء واحد، وأنه سأل الله تعالى أن يبسط عليهم رحمته بسط الكساء عليهم، وأن يجمعهم في الآخرة تحت لوائه، وفي هذه الدار تحت رايته لإعلاء كلمة الله ونصرة دعوته ورسوله.

قوله:«اللهم احفظه في ولده» أي أكرمه وراع أمره كيلا يضيع في شأن ولده، وهذا معنى رواية رزين:«واجعل الخلافة باقية في عقبه».

قال في المغرب: يقال: فلان يحفظ نفسه ولسانه، أي لايبتذله فيما لايعنيه، وعليه قوله تعالى: ﴿واحفظوا أيمانكم﴾(1) في أحد الأوجه، أي صونوها ولاتبتذلوها، والغرض صون المقسم به عن الابتذال لأنه أمرمذموم، وعليه قول كثير:

[٦١٥٦] انظر صحيح الجامع ٤١٠٠ وذكر آخر فقرة في الحديث فقط وذكره أيضًا بنحوه في صحيح الجامع ح رقم ٤١٢٠ وذكر أيضًا في صحيح الترمذي ٢٩٦٠ بنحوه.

[٦١٥٧] قال الشيخ: إسناده ضعيف.

[٦١٥٨] انظر صحيح الترمذي ح رقم ٢٩٦٢

(١) المائدة: ٨٩

٦١٥٩-* وعنه، أنه رأى جبريل مرتين، ودعا له رسول اللهﷺ مرتين رواه الترمذي.[٦١٥٩]

٦١٦٠-* وعنه، أنه قال: دعا لي رسول اللهﷺ أن يُؤتيَني اللهُ الحكمةَ مرَّتين. رواه الترمذي [٦١٦٠].

٦١٦١-* وعن أبي هريرة، قال: كانَ جعفرٌ يحب المساكين ويجلس إليهم، ويحدثهم ويحدثونه، وكان رسولُ اللهﷺ يكنيه بأبي المساكين. رواه الترمذي.

٦١٦٢-* وعنه، قال: قال رسول اللهﷺ:«رأيت جعفرًا يطيرُ في الجنَّةِ مع الملائكة». رواه الترمذي. وقال: هذا حديثٌ غريب [٦١٦٢].

٦١٦٣-* وعن أبي سعيد، قال: قال رسول اللهﷺ:«الحسنُ والحسينُ سيدا شباب أهل الجنة». رواه الترمذي [٦١٦٣].

٦١٦٤ - * وعن ابن عمر، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إن الحسنَ والحسينَ هما ريحانيَّ من الدنيا». رواه الترمذي وقد سبَق في الفصل الأول [٦١٦٤].

قليل الإلاء حافظ ليمينه

أي لا يولئ أصلا بل يتحفظ ويتصون، والقلة بمعنى العدم.

الحديث الثامن إلى الحادي عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله:«يطير في الجنة» تو: كان جعفر قد أصيب بمؤتة من أرض الشام وهو أمير بيده راية الإسلام بعد زيد بن حارثة رضي الله عنهما، فقاتل في سبيل الله حتى قطعت يداه ورجلاه، فأرى النبي ﷺ فيما كوشف به أن له جناحين مضرجين بالدم يطير بهما في الجنة مع الملائكة.

الحديث الثاني عشر عن أبي سعيد رضي الله عنه:

قوله:«سيدا شباب أهل الجنة» مظ: يعني هما أفضل ممن مات شابا في سبيل الله من أصحاب الجنة، ولم يرد به سن الشباب- لأنهما ماتا وقدكهلا- بل مايفعله الشباب من المروءة كما تقول: فلان فتى وإن كان شيخًا تشير إلى مروءته وفتوته.

[٦١٥٩] قال الشيخ: إسناده ضعيف، وأعله الترمذي بالانقطاع.

[٦١٦٠] انظر صحيح الترمذي رقم ٣٠٠٣ بلفظ (أن يؤتيني الله الحكم)

[٦١٦٢] انظر صحيح الترمذي رقم ٢٩٦٣ [٦١٦٣] انظر صحيح الترمذي رقم ٢٩٦٥

[٦١٦٤] انظر صحيح الترمذي برقم ٢٩٦٧ بنحوه

٦١٦٥ - * وعن أسامةَ بن زيد قال: طرقت النبيَّ ﷺ ذاتَ ليلة في بعضِ الحاجةِ فخرَجَ النبيُّ ﷺ وهو مشتملٌ على شيءٍ لا أدري ما هو، فلمّا فرغتُ من حاجتي قلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟ فكشفه، فإذا الحسنُ والحسينُ على وَرِكَيه. فقال: «هذان ابناى وابنا ابنتي، اللهمَّ إني أُحبهما فأحبّهما وأحبَّ من يحبهما». رواه الترمذي. [٦١٦٥].

٦١٦٦ - * وعن سلمى، قالت: دخلتُ على أم سلمة وهي تبكي فقلت: ما يبكيك؟ قالت: رأيتُ رسولَ الله ﷺ - تعني في المنام - وعلى رأسه ولحيته الترابُ فقلتُ: ما لكَ يارسول الله؟ قال: «شهدتُ قتل الحسين آنفًا». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٦١٦٧ - * وعن أنس، قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ: أي أهلِ بيتِك أحب إليك؟ قال: «الحسنُ والحسينُ» وكان يقول لفاطمة: «ادعي لي ابنيَّ» فيشمهما ويضمُّهما إليه رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب.

٦١٦٨ - * وعن بريدة، قال: كان رسولُ اللهِ ﷺ يخطُبُنا، إذ جاءَ الحسنُ والحسينُ عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال: صدق الله **﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾*** نظرتُ إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعتُ حديثى ورَفَعتُهما». رواه الترمذى، وأبو داود، والنسائى. [٦١٦٨].

أو: أنهما سيدا أهل الجنة سوى الأنبياء والخلفاء الراشدين، وذلك لأن أهل الجنة كلهم فى سن واحد وهو الشباب، وليس فيهم شيخ ولا كهل.

أقول: يمكن أن يراد: هما الآن سيدا شبابٍ هم من أهل الجنة من شبان هذا الزمان.

[٦١٦٥] انظر صحيح الترمذى برقم ٢٩٦٦.

[٦١٦٨] صحيح انظر صحيح الترمذى برقم ٢٩٦٨ وصحيح أبى داود برقم ٩٨١.

* التغابن : ١٥.

٦١٦٩- * وعن يعلى بن مرَّة، قال: قال رسول الله ﷺ: «حسينٌ منى وأنا من حسين، أحبَّ اللهُ من أحَب حسينًا، حسينٌ سِبطٌ من الأسباط» رواه الترمذى[٦١٦٩].

٦١٧٠- * وعن على رضي الله عنه قال: الحسَنُ أشبهَ رسولَ الله ﷺ مابين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه النبي ﷺ ماكان أسفل من ذلك. رواه الترمذى. [٦١٧٠]

٦١٧١- * وعن حذيفة، قال: قلت لأمى: دعينى آتى النبيَّ ﷺ فأصلي معه المغربَ وأسأله أن يستغفر لى ولك، فأتيتُ النبيَّ ﷺ، فصلَّيتُ معه المغربَ، فصلَّى حتى صلى العشاء، ثم انفتل فتبعتُه، فسمع صوتى، فقال: «من هذا؟ حذيفةُ» قلت: نعم. قال: «ماحاجتك؟ غفر الله لك ولأمك، إنَّ هذا مَلَك لم ينزل الأرضَ قط قبلَ هذه الليلةِ، استأذنَ ربَّه أن يسلِّم عَلَيَّ ويبشرنِى بأن فاطمةَ سيدةُ نساءِ أهلِ الجنَّة، وأنَّ الحسن والحسينَ سيدا شباب أهل الجنَّة». رواه الترمذى، وقال: هذا حديثٌ غريب[٦١٧١].

الحديث الثالث عشر إلى الثامن عشر عن يعلى بن مرة رضى الله عنه:

قوله: «حسين منى وأنا من حسين» قض: كأنه ﷺ علم بنور الوحي ماسيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر وبين أنهما كالشيء الواحد فى وجوب المحبة وحرمة التعرض والمحاربة، وأكد ذلك بقوله: «أحب الله من أحب حسينًا» فإن محبته محبة الرسول، ومحبة الرسول محبة الله.

والسبط: ولد الولد، أى هو من أولاد أولادى، أكد به البعضية وقررها، وتقال للقبيلة: قال الله تعالى: ﴿وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما﴾[1] أى قبائل.

ويحتمل أن يكون المراد هاهنا على أنه يتشعب منه قبيلة ويكون من نسله خلق كثير، فيكون إشارة إلى أن نسله أكثر وأبقى، وكان الأمر كذلك.

الحديث التاسع عشر عن على رضى الله عنه:

قوله: «مابين الصدر إلى الرأس» بدل من الفاعل المضمر فى أشبه، أو من المفعول بدل البعض، وكذا قوله: «ما كان أسفل».

الحديث العشرون عن حذيفة رضى الله عنه:

قوله: «آتي النبي ﷺ» استئناف، أي أنا آت.

[٦١٦٩] انظر صحيح الترمذى ٢٩٧٠. [٦١٧٠] قال الشيخ: سنده ضعيف.

[٦١٧١] انظر صحيح الترمذى برقم ٢٩٧٥.

(١) الأعراف: ١٦٠.

٦١٧٢-* وعن ابن عباس، قال: كانَ رسولُ اللهِﷺ حاملاً الحسنَ بنَ عليٍّ على عاتقه، فقال رجل: نعم المركبُ ركبتَ ياغلام! فقال النبي ﷺ: «ونعم الراكبُ هو». رواه الترمذي.[٦١٧٢]

٦١٧٣-* وعن عمر[رضي الله عنه] أنه فَرض لأسامة في ثلاثة آلاف وخمسمائة، وفرض لعبد الله بن عمر في ثلاثة آلاف. فقال عبدالله بن عمر لأبيه: لم فضَّلتَ أسامةَ عليَّ؟ فوالله ماسبقني إلى مشهدٍ. قال: لأن زيدًا كانَ أحبَّ إلى رسول اللهِﷺ من أبيك، وكان أسامةُ أحبَّ إلى رسول الله ﷺ منك، فآثرتُ حِبَّ رسول اللهِﷺ على حِبي. رواه الترمذي.[٦١٧٣]

٦١٧٤-* وعن جبلة بن حارثةَ، قال: قدمتُ على رسول اللهِﷺ فقلت: يارسول الله! ابعث معي أخي زيدًا. قال: «هو ذا، فإن انطلق معك لم أمنَعْهُ» قال زيدٌ: يارسول الله! والله لاأختارُ عليك أحدًا. قال: فرأيت رأيَ أخي أفضلَ من رأيي. رواه الترمذي [٦١٧٤].

٦١٧٥-* وعن أسامة بن زيد قال: لما ثَقُل رسول اللهِﷺ هبطتُ وهبَطَ الناسُ المدينةَ، فدخلتُ على رسول اللهِﷺ وقد أصمتَ فلم يتكلم، فجعَلَ رسولُ اللهِﷺ

الحديث الحادي والعشرون والثاني والعشرون عن عمر رضي الله عنه:

قوله: «فرض لأسامة» أي قدر ذلك المقدار من بيت المال رزقًا له.

وأراد بالمشهد: مشهد القتال ومعركة الكفار.

الحديث الثالث والعشرون عن جبلة بن حارثةرضي الله عنه:

قوله: «لا أختار عليك أحدًا» قصته ستذكر في أسماء الرجال.

الحديث الرابع والعشرون عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما:

قوله: «هبطت» قض: المدينة في غائط من الأرض وأطرافها ونواحيها من الجوانب كلها مستعلية عليها فمن أي جانب توجهت إليها كنت منحدرًا إليها.

و«أصمت» أي اعتقل لسانه.

[٦١٧٢] ضعف الشيخ بعض رواته.

[٦١٧٣] قال الشيخ: إسناده ضعيف.

[٦١٧٤] انظر صحيح الترمذي برقم ٢٩٩٨.

يضع يديه عليَّ ويرفعُهما، فأعرفُ أنه يدعو لى. رواه الترمذى. وقال: هذا حديث غريب [٦١٧٥].

٦١٧٦- * وعن عائشة، قالت: أراد النبيُّ ﷺ أنْ ينحيَ مُخاطَ أسامةَ. قالت عائشة: دعنى حتى أكون أنا الذى أفعل. قال: «ياعائشة! أحبّيه فإنى أُحبه». رواه الترمذى[٦١٧٦].

٦١٧٧- * وعن أسامة قال: كنت جالساً، إذ جاء عليٌّ والعباسُ يستأذنان، فقالا لأسامة: استأذِن لنا على رسولِ الله ﷺ، فقلت: يارسول الله! عليٌّ والعبَّاسُ يستأذنان. فقال: «أتدرى ماجاء بهما؟» قلت: لا، قال: «لكنى أدرى، ائذن لهما» فدخلا، فقالا: يارسول الله! جئناك نسألُك أيُّ أهلك أحب إليك؟ قال: «فاطمةُ بنتُ محمَّد» قال: ماجئناك نسألكَ عن أهلك قال: «أحب أهلى إلىَّ مَن قد أنعم الله عليه وأنعمتُ عليه: أسامةُ بن زيد» قالا: ثمَّ مَن؟ قال: «ثمَّ على بن أبى طالب» فقال

الحديث الخامس والعشرون والسادس والعشرون عن أسامة رضى الله عنه:

قوله: «أى أهلك أحب إليك» مطلق ويراد به المقيد، أى من الرجال، ويبينه مابعده وهو قوله: «أحب أهلى إلى من قد أنعم الله عليه».

وفى نسخ المصابيح قوله: «ماجئناك نسألك عن أهلك» مقيد بقوله: «من النساء» وليس فى جامع الترمذى وجامع الأصول هذه الزيادة.

ولم يكن أحد من الصحابة إلا وقد أنعم الله عليه ،وأنعم عليه رسو ل الله ﷺ، إلا أن المراد المنصوص عليه فى الكتاب وهو قوله تعالى: ﴿ **وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه** ﴾[1] وهو زيد، ولاخلاف فى ذلك، ولاشك، وهو وإن نزل فى حق زيد لكنه لايبعد أن يجعل تابعًا لأبيه فى هاتين النعمتين.

[٦١٧٥] انظر صحيح الترمذى رقم ٣٠٠٠

[٦١٧٦] انظر صحيح الترمذى رقم ٣٠٠١

(١) الأحزاب: ٣٧

العباس: يارسول الله! جعلت عمّك آخرهَم؟ قال: «إن عليًّا سبقَك بالهجرة». رواه الترمذي.

وذُكر أن عم الرجل صنو أبيه فى «كتاب الزكاة»[٦١٧٧]

الفصل الثالث

٦١٧٨-* عن عقبةَ بن الحارث، قال: صلى أبو بكرٍ العصرَ ثم خرج يمشى ومعه عليٌّ، فرأى الحسن يلعبُ معَ الصبيان، فحمله على عاتقه وقال: بأبى شبيهٌ بالنبي، ليس شبيهاً بعليّ، وعليٌّ يضحك. رواه البخاري.

٦١٧٩-* وعن أنس، قال: أُتى عبيدُ الله بنُ زياد برأس الحسين، فجُعل فى طَست، فجعَلَ ينكتُ وقال فى حُسنِه شيئا، قال أنسٌ: فقلتُ: والله إنه كان أشبهَهُم برسولِ اللهﷺ، وكان مخضوبًا بالوَسمَة. رواه البخاري .

وفى الجملة:

المراد بنعمة الله عليه وعلى أبيه نعمة الهداية والكرامة وبنعمة رسول اللهﷺ نعمة الإعتاق والتبني والتربية.

وجلُّ مامنّ الله تعالى به فى التنزيل على بنى إسرائيل نحو ﴿أنعمت عليكم﴾(١) نعم أسداها إلى آبائهم.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عقبة بن الحارث:

قوله: «بأبي شبيه» يحتمل أن يكون التقدير: هو مفدى بأبى شبيه، فيكون خبرًا بعد خبر، أو: أفديه بأبى فعلى هذا شبيه خبر مبتدأ محذوف، وفى تنكيره لطف، وفيه إشعار بعلية الشبه للفدية.

قوله: «ليس شبيهًا» وفى أصل المالكى: «شبيه» بالرفع وقال: الأصل«ليس شبيه» ونحوه مامر فى خطبة يوم النحر من قوله: «أليس ذو الحجة» من حذف الضمير المتصل خبرا. لكان وأخواتها.

[٦١٧٧] قال الشيخ: سنده ضعيف.

(١) الفاتحة: ٧.

وفى رواية الترمذي قال: كنتُ عندَ ابن زياد فجيء برأسِ الحسنِ، فجعل يضرب بقضيبٍ فى أنفه ويقول: مارأيتُ مثلَ هذا حسنًا. فقلت: أما إنه كان من أشبههم برسولِ اللهﷺ. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ حسنٌ غريبٌ.[٦١٧٩]

٦١٨٠-* وعن أمِّ الفضل بنت الحارث، أنَّها دخلت على رسولِ اللهﷺ، فقالت: يارسول الله! إنى رأيتُ حُلمًا منكرًا الليلة قال: «وماهو؟» قالت: إنه شديدٌ قال: «وما هو؟» قالت: رأيت كأنَّ قطعةً من جسدكَ قُطعَت ووُضعت في حجري. فقال رسول الله ﷺ: «رأيت خيرًا، تلد فاطمةُ إن شاء الله غلامًا يكونُ في حجرك». فولدت فاطمةُ الحسينَ، فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ: فدخلتُ يومًا على رسول الله ﷺ، فوضعته في حجره، ثم كانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان الدموعَ، قالت: فقلتُ: يانبي الله! بأبي أنتَ وأُمِّي، مالكَ؟ قال: «أتانى جبريل عليه السلام، فأخبرنى أن أمتى ستقتلُ ابنى هذا، فقلت: هذا؟ قال: نعم، وأتاني بتربةٍ من تربته حمراء» [٦١٨٠].

٦١٨١ ـ * وعن ابن عبَّاس، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ فيما يرى النائم ذاتَ يوم بنصف النهار، أشعثَ أغبرَ، بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنتَ وأمي، ما هذا؟ قال: «هذا دم الحسين وأصحابه، ولم أزل ألتقطه منذ اليوم» فأحصي ذلك الوقت فأجد قُتل ذلك الوقت. رواهما البيهقي في «دلائل النبوة» وأحمد الأخير [٦١٨١].

٦١٨٢ ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه، فأحبوني لحبِّ اللهِ ، وأحبوا أهل بيتي لحبِّي) . رواه الترمذي [٦١٨٢].

٦١٨٣ ـ * وعن أبي ذرٍّ، أنه قال وهو آخذ بباب الكعبة: سمعتُ النبيَّ ﷺ

الحديث الثانى إلى الرابع عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قوله: «لم أزل ألتقطه «من كلام الرسول ﷺ يجوز أن يكون خبرًا بعد خبر لقوله: «هذا»، ويجوز أن يكون خبرًا ودم الحسين بدل من هذا.

قوله: «فأحصى ذلك الوقت» من كلام ابن عباس رضى الله عنهما:

الحديث الخامس والسادس عن أبى ذر رضى الله عنه:

[٦١٧٩] انظر. صحيح الترمذى (٢٩٧٣). [٦١٨٠] انظر صحيح الجامع ح رقم ٦١

[٦١٨١] انظر دلائل النبوة ٦:٤٧١ [٦١٨٢] انظر ضعيف الجامع ح رقم ١٧٦

يقول: «ألا إن مثَلَ أهل بيتي فيكم مثَلُ سفينةِ نوحٍ، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك». رواه أحمد[٦١٨٣].

(١١) باب مناقب أزواج النبي ﷺ

الفصل الأول

٦١٨٤ ـ * عن عليّ [رضي الله عنه] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خير

قوله: «وهو آخذ بباب الكعبة» أراد الراوى بهذا مزيد توكيد لإثبات هذا الحديث، وكذا أبو ذر اهتم بشأن روايته فأورده فى هذا المقام على رءوس الأنام ليتمسكوا به.

وفي رواية أخرى له يقول: «من عرفنى فأنا من قد عرفنى، ومن أنكرنى فأنا أبو ذر، سمعت النبى ﷺ(١) يقول: ألا إن مثل أهل بيتي. . . » الحديث.

أراد بقوله: «فأنا من قد عرفنى» وبقوله: «فأنا أبو ذر» أنا المشهور بصدق اللهجة وثقة الرواية وأن هذا الحديث صحيح لا مجال للرد فيه، تلميح إلى ما روينا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق من أبى ذر» وفى رواية أبى ذر: من ذى لهجة أصدق ولا أوفى من أبى ذر شبه عيسى بن مريم» فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كالحاسد له: «يارسول الله أفتعرف ذلك له؟» قال: «أعرف ذلك فاعرفوه» أخرجه الترمذي وحسنه الصاغاني في كشف الحجاب.

شبه الدنيا وما فيها من الكفر والضلالات والبدع والأهواء الزائغة ببحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض، وقد أحاط بأكنافه وأطرافه الأرض كلها وليس منه خلاص ولا مناص إلا تلك السفينة وهى محبة أهل بيت رسول الله ﷺ، وما أحسن انضمامه مع قوله: «مثل أصحابى مثل النجوم من اقتدى بشيء اهتدى به»* ونعم ما قال الإمام فخر الدين الرازى في تفسيره: نحن معاشر أهل السنة بحمد الله ركبنا سفينة محبة أهل البيت واهتدينا بنجم هدى أصحاب النبي ﷺ فنرجو النجاة من أهوال يوم القيامة ودركات الجحيم، والهداية إلى ما يزلفنا لدرجات الجنان والنعيم المقيم.

باب مناقب أزواج النبي ﷺ

الفصل الأول

الحديث الأول عن على رضى الله عنه:

[٦١٨٣] انظر الحاكم ١٥١:٣ وقال مفضل واه.

(١) كذا فى «ط» (رسول الله) والصواب ما أثبتناه من «ك».

* لا يصح.

نسائها مريم بنت عمران ، وخيرنسائها خديجة بنت خويلد». متفق عليه.

وفي رواية قال أبو كُرَيب: وأشار وكيعٌ إلى السماء والأرض.

٦١٨٥ ـ * وعن أبي هريرةَ، قال: أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: «يارسولَ الله هذه خديجة قد أتت معها إناءٌ فيه إدام وطعام، فإذا أتتك فاقرأ عليها السلام من ربِّها ومني، وبشرها ببيتٍ في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب». متفق عليه.

قوله: «خير نسائها» تو: الضمير فى الأولى عائد إلى الأمة التى كانت فيهم مريم، وفي الثانية إلى هذه الأمة، ولهذا كرر القول«من» أولها تنبيها على أن حكم كل واحد منهما غير حكم الآخر، وكلا الفصلين كلام مستأنف.

وإشارة وكيع ـ الذي هو من جملة رواة هذا الحديث ـ إلى السماء والأرض منبئة عن كونها خيرًا ممن هو فوق الأرض وتحت أديم السماء، وهو نوع من الزيادة فى البيان، ولا يستقيم أن يكون تفسيرًا لقوله: «خير نسائها» لأن إعادة الضمير إلى السماء غير مستقيمة فيه، ثم إنهما شيئان مختلفان والضمير راجع إلى شيء واحد.

قض: إنما وحد الضمير لأنه أراد جملة طبقات السماء وأقطار الأرض، وأن مريم خير من صعد بروحهن إلى السماء، وخديجة خير نسائهن على وجه الأرض، والحديث ورد فى أيام حياتها.

أقول: يجوز أن يرجع الضمير إلى السماء والأرض وإن اختلفا باعتبار الدنيا مجازًا كما عبر بها عن العالم فى قوله تعالى: ﴿**إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء**﴾[1].

الكشاف:[2] أى لا يخفى عليه شىء فى العالم المعبر عنه بالسماء والأرض ونحوه قوله تعالى: ﴿**الحمد لله الذي له ما فى السموات وما فى الأرض، وله الحمد فى الآخرة**﴾[3] على معنى له الحمد فى الدنيا والآخرة فعبر بهما عن الدنيا، ويؤيد هذا التأويل حديث أنس فى الفصل الثانى: «حسبك من نساء العالمين».

وتفسير وكيع إنما يستقيم تفسيرًا إذا بين ما أبهم فى الحديث، والمبهم فيه كل واحد من الضميرين.

الحديث الثانى عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «من قصب» حس: القصب فى هذا الحديث لؤلؤ مجوف واسع كالقصر المنيف.

---

(١) آل عمران: ٥ (٢) الكشاف : ١/ ١٧٤.

(٣) سبأ : ١.

(*) كذا فى «ط» ، والتصويب ما أثبتناه من «ك».

٦١٨٦ ـ * وعن عائشة ، قالت: ما غِرتُ على أحد من نساءِ النبي ﷺ ما غِرتُ على خديجةَ وما رأيتها، ولكن كان يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءً، ثم يبعثها في صدائق خديجة ، فربما قلت له: كأنه لم تكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، فيقول: «إنها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد». متفق عليه.

٦١٨٧ ـ * وعن أبي سلمة أن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «ياعائشُ! هذا جبريل يقرئك السلام». قالت: وعليه السَّلام، ورحمة الله قالت: وهو يرى ما لا أرَى. متفق عليه.

و«الصخب» اختلاط الأصوات.

و«النصب» التعب.

فنفى عن البيت النصب والصخب لأنه ما من بيت فى الدنيا يسكنه قوم إلا كان بين أهله صخب وجلبة، وإلا كان في بنائه وإصلاحه نصب وتعب، فأخبر أن قصور الجنة خالية عن هذه الآفات.

أقول: يريد بالوجه الثانى أن بناء بيت الجنة حاصل بقوله كن، ليس كأبنية الدنيا فإنها يتسبب بناؤها بصخب ونصب، وكذا السكون فيها لا يخلو عنهما، وليس حكم بيت الجنة كذلك بل أصحاب الجنة ﴿**هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون...**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**...سلام قولا من رب رحيم**﴾[1] والله أعلم.

الحديث الثالث عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «ما غرت على خديجة» «ما» فيه يجوز أن تكون مصدرية أو موصولة أى: ما غرت مثل غيرتى، أو مثل التى غرتها.

الغيرة: الحمية والأنفة ، يقال: رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء لأن فعول يشترك فيه الذكر والأنثى.

قوله: «كانت وكانت» كرر ولم يرد به التثنية، ولكن للتكرير ليعلق به في كل مرة من خصائلها ما يدل على فضلها كقوله تعالى: ﴿**وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا**﴾[2] ولم يذكر هنا متعلقه للشهرة تفخيمًا.

---

(١) يسٓ : ٥٦:٥٧:٥٨.

(٢) الكهف : ٨٢.

٦١٨٨ ـ * وعن عائشة، قالت : قال لي رسول الله ﷺ: «أُريتُك في المنام ثلاث ليال، يجيء بكِ الملَك في سَرَقَة من حريرٍ، فقال لي هذه امرأتُك، فكشفتُ عن وجهكِ الثوبَ، فإذا أنتِ هي فقلت: إن يكنْ هذا من عند الله يمضِه». متفق عليه.

٦١٨٩ ـ * وعنها، قالت: إِن الناس كانوا يتحرون بهدَاياهم يومَ عائشة ، يبتغون

الحديث الرابع والخامس عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «فى سرقة» أى فى قطعة من جيد الحرير، والجمع سرق.

قوله: «إن يكن هذا عند الله يمضه» هذا الشرط مما يقوله المتحقق لثبوت الأمر المدل بصحته تقريراً لوقوع الجزاء وتحققه، ونحوه قول السلطان لمن تحت قهره: إن كنت سلطاناً انتقمت منك، أى السلطنة مقتضية للانتقام.

مح: قال القاضى عياض: إن كانت هذه الرؤيا قبل النبوة، وقبل تخليص أحلامه ﷺ من الأضغاث فمعناه: إن كانت رؤيا حق، وإن كانت بعد النبوة فلها ثلاثة معان(*):

أحدها: المراد إن تكن الرؤيا على وجهها وظاهرها لا تحتاج إلى تعبير وتفسير يمضه الله وينجزه، فالشك عائد إلى أنها رؤيا على ظاهرها أم تحتاج إلى تعبير وصرف عن ظاهرها.

وثانيها: أن المراد إن كانت هذه الزوجية فى الدنيا يمضها الله تعالى فالشك أنها زوجُه(**) فى الدنيا أم فى الجنة.

وثالثها: أنه لم يشك ولكن أخبر على التحقيق وأتى بصورة الشك، وهو نوع من البديع عند أهل البلاغة يسمونه **تجاهل العارف**، وسماه بعضهم **مزج الشك باليقين**.

أقول : هذا هو الذى حققناه فيما سبق وكان من توارد الخواطر.

قوله: «فكشفت عن وجهك» يحتمل وجهين:

أحدهما : كشفت عن وجه صورتك فإذا أنت الآن تلك الصورة.

ثانيهما: كشفت عن وجهك عند ما شاهدتك فإذا أنت مثل الصورة التى رأيتها فى المنام، وهو تشبيه بليغ حيث حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وحملها عليها، كقوله تعالى: ﴿**هذا الذى رزقنا من قبل**﴾ (١) ومنه **مسألة الكتاب**: (كنت أظن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هى) أى فإذا الزنبور مثل العقرب، فحذف الأداة مبالغة فحصل التشابه، وإليه يلمح فى الآية: ﴿**وأتوا بها متشابها**﴾ (٢) ومعنى **المفاجأة فى إذا** يساعد هذا الوجه.

الحديث السادس عن عائشة رضى الله عنها:

قوله: «يتحرون» هوالرواية وفى بعض نسخ المصابيح: «يتحينون» وما وجدناه فى الأصول.

---

(١) البقرة: ٢٥ (٢) البقرة: ٢٥

(*) فى «ط» ثلاث والصواب ما أثبتناه من «ك». (**) فى «ط» زوجية والصواب ما أثبتناه من «ك».

بذلك مرضاةَ رسول الله ﷺ. وقالت: إن نساءَ رسول الله ﷺ كُنَّ حزبين: فحزب فيه عائشةُ وحفصة وصفيَّة وسودة، والحزبُ الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله ﷺ، فكلم حزب أم سلمة فقلن لها: كلِّمي رسول الله ﷺ يُكلِّم الناسَ فيقول: من أراد أن يُهديَ إلى رسول الله ﷺ فليُهده إليه حيث كان. فكلمتهُ، فقال لها: «لا تؤذيني في عائشة؛ فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأةٍ إلا عائشة». قالت: أتوب إلى الله من ذاك يارسول الله! ثم إنهنَّ دعونَ فاطمةَ فأرسلن إلى رسول الله ﷺ فكلمتْهُ، فقال: «يابنيَّة! ألا تحبين ما أُحِبُّ؟». قالت: بلى قال: «فأحبِّي هذه». متفق عليه.

وذكر حديث أنس «فضلُ عائشة على النساء» في باب «بدء الخلق» برواية أبي موسى.

الفصل الثاني

٦١٩٠ ـ * عن أنس، أنَّ النبي ﷺ قال: «حسبكَ من نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، ،وفاطمة بنت محمَّد، وآسيةُ امرأة فرعون». رواه الترمذي [٦١٩٠].

٦١٩١ ـ * وعن عائشة، أن جبريل جاء بصورتها في خرقة حرير خضراء إلى رسول الله ﷺ فقال: «هذه زوجتُكَ في الدنيا والآخرة». رواه الترمذي [٦١٩١].

نه: التحرى القصد والاجتهاد فى الطلب، والعزم على تخصيص الشىء بالفعل والقول، وفى الحديث: «تحروا ليلة القدر فى العشر الأواخر» أى تعمدوا طلبها فيه.

قوله: «إلا عائشة» إلا بمعنى غير، أى امرأة غيرعائشة والله أعلم.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «حسبك» مبتدأ.

و«من نساء» متعلق به.

و«مريم» خبره.

[٦١٩٠] انظر صحيح الترمذى برقم ٣٠٥٣

[٦١٩١] انظر صحيح الترمذى برقم ٣٠٤١

٦١٩٢ ـ * وعن أنس، قال: بلغَ صفيَّةَ أن حفصةَ قالت: بنت يهودي، فبكت، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي، فقال: «ما يبكيك؟» فقالت: قالت لي حفصة: إني ابنةُ يهودي فقال النبي ﷺ: «إنك لابنةُ نبي، وإن عمَّك لنبي، وإنك لَتَحت نبيٍّ، ففيم تفخرُ عليك؟». ثم قال: «اتقي اللهَ ياحفصةُ!». رواه الترمذي، والنسائي[٦١٩٢].

٦١٩٣ ـ * وعن أمِّ سلمة، أنَّ رسولَ الله ﷺ دعا فاطمةَ عام الفتح فناجاها، فبكت، ثم حدَّثها فضحكت، فلما توفِّي رسول الله ﷺ سألتُها عن بكائها وضحكها. قالت: أخبرني رسول الله ﷺ أنه يموتُ فبكيت، ثم أخبرني أني سيِّدةُ نساءِ أهلِ الجنة إلاَّ مريمَ بنتَ عمران، فضحكت. رواه الترمذي .

الفصل الثالث

٦١٩٤ ـ * عن أبي موسى، قال: ما أشكل علينا أصحابَ رسولِ الله ﷺ حديثٌ قطُّ فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علمًا. رواه الترمذي. وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب [٦١٩٤].

والخطاب إما عام أو لأنس، أى كافيك معرفتك فضلهن من معرفة سائر النساء.

الحديث الثانى والثالث عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «إنك لابنة نبى» «مظ»: أى إسحاق النبي عليه الصلاة والسلام.

«وإن عمَّك لنبي» هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام.

أقول: الأظهر هارون وموسى، قال فى جامع الأصول: هى بنت حيى بن أخطب بن ربيعة من بنى إسرائيل من سبط هارون بن عمران عليه الصلاة والسلام.

الحديث الرابع عن أم سلمة رضى الله عنها:

قوله: «دعا فاطمة» هذا الحديث غير مناسب لهذا الباب إنما يناسب باب مناقب أهل البيت لكن ذكر مستطردًا للحديث الأول من هذا الفصل لما ضم فيه مع ذكر خديجة ذكر مريم وفاطمة.

الفصل الثالث

عن أبى موسى رضى الله عنه: قوله: «أصحاب رسول الله ﷺ» بالنصب على الاختصاص.

[٦١٩٢] انظر صحيح الترمذى برقم ٣٠٥٥.

[٦١٩٤] انظر صحيح الترمذى برقم ٣٠٤٤.

٦١٩٥ ـ * وعن موسى بن طلحةَ، قال: ما رأيتُ أحدًا أفصح من عائشة. رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح غريب [٦١٩٥].

(١٢) باب جامع المناقب

الفصل الأول

٦١٩٦ ـ * عن عبد الله بن عمر، قال: رأيتُ في المنام كأن في يدي سرقةً من حريرٍ، لا أهوي بها إِلى مكان في الجنة إِلا طارت بي إِليه، فقصصتها على حفصةَ، فقصتها حفصةُ على رسولِ الله ﷺ فقال: «إِن أخاكِ رجلٌ صالحٌ ـ أو إِن عبدَ الله رجل صالح». متفق عليه.

٦١٩٧ ـ * وعن حذيفةَ قال: إِن أشبه الناس دلا وسَمتًا وهديًا برسولِ الله ﷺ لابنُ أُمِّ عبدٍ من حينَ يخرجُ من بيتِه إِلى أن يرجع إِليه، لا ندري ما يصنع في أهله إِذا خلا. رواه البخاري

باب جامع المناقب

الفصل الأول

الحديث الأول عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما:

قوله: «لا أهوي بها إلى مكان» أي لا أريد الميل بها إلى مكان في الجَنة إلا كانت مطيرة بي ومبلغة إياى إلى تلك المنزلة، فكأنها لي مثل جناح الطير للطائر.

الحديث الثاني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

قوله: «دلاً وسمتًا وهديًا» «قض»: الدل قريب من الهدي، والمراد به السكينة والوقار، وما يدل على كمال صاحبه من ظواهر أحواله، وحسن مقاله.

وبالسمت: القصد في الأمور.

وبالهدي: حسن السيرة وسلوك[1] الطريقة المرضية.

وابن أم عبد: عبدالله بن مسعود.

قوله: «من حين يخرج» متعلق بأشبه.

وقوله: «لا ندري» جملة مستأنفة، يريد بها أنا نشهد له بما يستبين لنا من ظاهر أمره، ولا ندري ما بطن منه.

[٦١٩٥] انظر صحيح الترمذي برقم ٣٠٤٥.

(١) فى «ط» (سكون) ،الصواب ما أثبتناه من «ك».

٦١٩٨ ـ * وعن أبي موسى الأشعري ، قال قدمتُ أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حينًا ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجلٌ من أهل بيت النبي ﷺ، لما نُرى من دخوله ودخول أمّه على النبي ﷺ . متفق عليه.

٦١٩٩ ـ * وعن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: «اسقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبى حذيفة، وأُبيٍّ بن كعب، ومعاذ بن جبل». متفق عليه.

٦٢٠٠ ـ * وعن علقمةَ، قال: قدِمتُ الشام، فصلَّيت ركعتين، ثم قلت: اللهم يسِّر لي جليسًا صالحًا ، فأتيتُ قومًا، فجلست إليهم، فإذا شيخٌ قد جاء حتى جلس إلى جنبي، قلت: من هذا؟ قالوا: أبو الدرداءِ قلت: إني دعوتُ اللهَ أن يُيَسِّرَ لي جليسًا صالحًا ، فيسرك لي فقال: من أنت؟ قلت: من أهلِ الكوفةِ قال: أو ليس

الحديث الثالث عن أبي موسى رضي الله عنه:

قوله: «ما نرى» حال من فاعل «فمكثنا» ويجوز أن يكون صفة «حينًا» أى زمانًا غير ظانين فيه شيئًا إلا كون عبد الله بن مسعود كذا.

«مح»: ما نُرى بضم النون أى ما نظن.

الحديث الرابع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما:

قوله: «استقرئوا القرآن» أى خذوا من هؤلاء الأربعة.

«مح»: قالوا: هؤلاء الأربعة تفرغوا لأخذ القرآن منه ﷺ مشافهة، وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض.

أو: لأن هؤلاء تفرغوا لأن يؤخذ عنهم.

أو: أنه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته ﷺ من تقدم هؤلاء الأربعة وأنهم أقرأ من غيرهم.

الحديث الخامس عن علقمة:

قوله: «من أهل الكوفة» أى رجل من أهل الكوفة، ليطابق السؤال، أو تقدير السؤال: من أين أنت؟ ليطابقه الجواب، وقوله: «أو ليس عندكم...؟إلخ».

عندكم ابن أمِّ عبدٍ صاحب النعلين والوسادة والمطهرة، وفيكم الذي أجاره اللهُ من الشَّيطان على لسان نبيه؟ يعني عمَّارًا، أو لَيس فيكم صاحب السرِّ الذي لا يعلمُه غيرُه؟ يعني حذيفةَ. رواه البخاري.

٦٢٠١ ـ * وعن جابر، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أُريتُ الجنَّة فرأيتُ امرأة أبي طلحة، وسمعت خشخشةً [أمامي] فإذا بلال». رواه مسلم.

٦٢٠٢ ـ * وعن سعد، قال: كنَّا معَ النبيِّ ﷺ ستَّةَ نفرٍ، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاءِ لا يجترءون علينا. قال: وكنت أنا وابنُ مسعود ورجلٌ من هُذَيْل، وبلالٌ ورجلانِ لست أسميهما، فوقعَ في نفسِ رسولِ الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدَّثَ نفسه، فأنزلَ الله تعالى **﴿ولا تطرد الذين يدعون ربَّهم بالغداةِ والعشيِّ يريدون وجهه﴾**(1). رواه مسلم.

قوله: «صاحب النعلين» «قض»: يريد أنه كان يخدم الرسول ﷺ ويلازمه فى الحالات كلها، فيصاحبه فى المجالس، ويأخذ نعله، ويضعها إذا جلس، وحين ينهض، ويكون معه فى الخلوات، فيسوى مضجعه، ويضع وسادته إذا أراد أن ينام، ويهيء طهوره، ويحمل معه المطهرة إذا قام إلى الوضوء.

قوله: «صاحب السر» قيل: من تلك الأسرار أسماء المنافقين وأنسابهم، أسر بهم إليه رسول الله ﷺ.

الحديث السادس عن جابر رضى الله عنه قوله: «خشخشة» «قض»: الخشخشة صوت يحدث من تحرك الأشياء اليابسة واصطكاكها كالسلاح والثوب والنعل.

الحديث السابع عن سعد رضى الله عنه:

قوله: «ما شاء الله أن يقع» ورد فى تفسير الآية أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : لو طردت هؤلاء جالسناك وحادثناك . فقال رسول الله ﷺ: «ما أنا بطارد المؤمنين» فقالوا: فأقمهم عنا إذا جئنا ، قال «نعم» طمعًا فى إيمانهم.

---

(1) الكهف: ٢٨.

٦٢٠٣ - * وعن أبي موسى، أنَّ النبي ﷺ قال له: «يا أبا موسى! لقد أُعطيتَ مزمارًا من مزاميرِ آل داود». متفق عليه.

٦٢٠٤ - * وعن أنس، قال: جَمعَ القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربعةٌ: أُبيٌّ ابن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قيل لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي. متفق عليه.

الحديث الثامن عن أبى موسى رضى الله عنه:

قوله: «مزمارًا» «قض»: المزمار هاهنا مستعار للصوت الحسن والنغمة الطيبة، أى: أعطيت حسن صوت يشبه بعض الحسن الذى كان لصوت داود عليه الصلاة والسلام.

والمراد بآل داود: نفسه، والآل [مفخم]* إذ لم يكن له آل مشهور بحسن الصوت، بل المشهود له به هو نفسه.

الحديث التاسع عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «جمع القرآن» أى حفظوه أجمع.

«مح»: قال المازرى: هذا الحديث مما تعلق به بعض الملاحدة فى تواتر القرآن، وجوابه من وجهين.

أحدهما: بأنه ليس فيه تصريح بأن غير الأربعة لم يجمعه، فيكون المراد: الذين أَعْلَمُهُم من الأنصار أربعة، والمراد نفى علمه لا نفى غيره من القراء، وقد روى عن مسلم: حفظ جماعات من الصحابة فى عهد النبي ﷺ، وذكر المازرى منهم خمسة عشر صحابيًا، وثبت فى الصحيح أنه قتل يوم اليمامة سبعون ممن جمع القرآن، وكانت اليمامة قريبة من وفاة رسول الله ﷺ، فهؤلاء الذين قتلوا من جامعيه يومئذ فكيف الظن بمن لم يقتل ممن حضرها ومن لم يحضرها؟ ولم يذكر فى هؤلاء الأربعة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى. ونحوهم من كبار الصحابة الذين يبعد كل البعد أنهم لم يجمعوه مع كثرة رغبتهم فى الخير وحرصهم على ما هو دون ذلك من الطاعات، وكيف يظن هذا بهم ونحن نرى أهل عصرنا يحفظه منهم في كل بلدة ألوف.

وثانيهما: أنه لو ثبت أنه لم يجمعه إلا الأربعة لم يقدح في تواتره، إذ ليس من شرط التواتر أن ينقل جميعهم جميعه، بل إذا نَقَل كلٌّ جزء عددُ التواتر صارت الجملة متواترة بلا شك.

وقال التوربشتي: المراد من الأربعة أربعة من رهط أنس وهم الخزرجيون.

---

* فى «ط» «مفخم»، وما أثبتناه من «ك» ولعله الأوجه.

٦٢٠٥ ـ * وعن خبَّاب بن الأرتِّ، قال: هاجرنا معَ رسولِ الله ﷺ نبتغي وجهَ الله تعالى، فوقع أجرُنا على الله، فمنَّا من مضى لم يأكلْ من أجره شيئًا، منهم: مُصعب بن عمير، قُتِلَ يوم أُحُد، فلم يوجد له ما يكفَّنُ فيه إلا نمرةً، فكنَّا إذا غَطَّينا رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطَّينا رجليه خرج رأسهُ، فقال النبي ﷺ: «غطُّوا بها رأسَه، واجْعَلُوا على رجليهِ من الإذخرِ». ومنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ له ثمرته فهوَ يَهْدبها. متفق عليه.

٦٢٠٦ ـ * وعن جابر، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «اهتزَّ العرشُ لموت سعدِ ابنِ معاذ».

ويحتمل أنه أراد به أربعة من الأنصار أوسهم وخزرجهم وهو أشبه ، وقد كان بين الحيين مناوأة قبل الإسلام بقيت منها بقية من العصبية بعد الإسلام، فلعله ذكر ذلك على سبيل المفاخرة، لما رُوِيَ عن أنس رضى الله عنه قال: افتخرت الأوس والخزرج، فقال الأوس: منا غسيل الملائكة (حنظلة بن [الراهب]* ،ومنا من حمته الدبر (عاصم بن ثابت بن الأقلح)، ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلينَ (خزيمة بن ثابت)، ومنا من اهتز العرش لموته (سعد بن معاذ).

وقالت الخزرج: منا أربعة قرأوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ لم يقرأه غيرهم : (زيد بن ثابت) و (أبو زيد) و(معاذ بن جبل) و(أبى بن كعب).

فقوله: «لم يقرأه غيرهم» أى لم يقرأه كله أحد منكم يامعشر الأوس.

الحديث العاشر عن خباب بن الأرت رضى الله عنه:

قوله: «من أينعت له ثمرته» «نه». أينع الثمر يونع ويَنَع [يَيْنَع]**، فهو مونع ويانع إذا أدرك ونضج، وأينع أكثر استعمالا.

وهدب الشيء - بالدال المهملة - إذا قطعه، وهدب الثمرة إذا اجتناها يهدبها هدبًا.

أقول: هذه الفقرة قرينة لقوله: «فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيئًا» كأنه قيل: منهم من لم يعجل شيئا من ثوابه، ومنهم من عجل بعض ثوابه.

وقوله: «يهدبها» على صيغة المضارع لاستمرار الحال الماضية والآتية استحضارًا له فى مشاهدة السامع، وفى الحديث: «ما من غازية تغزو فى سبيل الله فيصيبون الغنيمة إلا تعجلوا بثلثى أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثلث».

---

* فى «ط» «الكاتب» والصواب «الراهب»، وذلك كما فى «ك» والإصابة.

** قال محقق النهاية: ينع يَيْنَع- نفتح النون وكسرها مَن باب ضرب ومنع.

وفي رواية: «اهتز عرشُ الرحمنِ لموتِ سعدِ بن معاذ». متفق عليه.

٦٢٠٧ ـ * وعن البراءِ، قال: أُهديَتْ لرسول الله ﷺ حُلَّةُ حريرٍ، فجعل أصحابه يمسُّونها ويتعجَّبون من لينها، فقال «أتعجبون من لين هذه؟ لمناديلُ سعدِ بن معاذ في الجنَّة خيرٌ منها وألْيَن». متفق عليه.

وفيه بيان فضيلة (مصعب بن عمير) وأنه ممن لم ينقص له من ثواب الآخرة شيء.

الحديث الحادى عشر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه.

قوله: «اهتز العرش» «مح»: اختلفوا فى تأويله، فقال طائفة: هو على ظاهره، واهتزاز العرش تحركه فرحًا بقدوم روح سَعْد، وجعل الله فى العرش تمييزًا ولا مانع منه، كما قال: ﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾(١). وهذا القول هو المختار.

وقال المازرى: قال بعضهم: هو على حقيقته لا ينكر هذا من جهة العقل، لأن العرش جسم من الأجسام يقبل الحركة والسكون.

قال: لكن لا يبعد أن يحمل ذلك على حصول فضيلة سعد، إلا أن يقال: إن الله تعالى جعل حركته علامة للملائكة على موته.

وقيل: المراد اهتزاز أهل العرش ـ وهم حملته وغيرهم من الملائكة ـ فحذف المضاف.

والمراد بالاهتزاز الاستبشار، ومنه قول العرب: فلان يهتز للمكارم، لا يريدون اضطراب جسمه وحركته، وإنما يريدون ارتياحه إليها وإقباله عليها.

وقال الحربى: هو كناية عن تعظيم شأن وفاته، والعرب تنسب الشىء المعظم إلى أعظم الأشياء، فيقولون: أظلمت الأرض لموت فلان، وقامت له القيامة.

وقالت جماعة: المراد بالاهتزاز اهتزاز سرير الجنازة، وهو النعش، وهذا القول باطل يرده الرواية الأخرى، وإنما أولوا هذا التأويل لأنه لم تبلغهم الرواية الأخرى.

الحديث الثانى عشر عن البراء رضى الله عنه:

قوله: «لمناديل» «مح»: جمع منديل وهو هذا الذى يحمل فى اليد، قال ابن الأعرابى وغيره: هو مشتق من الندل، وهو النقل؛ لأنه ينتقل من واحد إلى واحد.

وقيل: من الندل وهو الوسخ؛ لأنه يندل به.

«خط»: إنما ضرب المثل بالمناديل لأنها ليست من علية الثياب بل هى تبتذل فى أنواع من المرافق، فتمسح بها الأيدى، وينفض بها الغبار عن البدن، ويغطى به ما يهدى فى الأطباق،

---

(١) البقرة: ٧٤.

٦٢٠٨ - * وعن أم سليم، أنها قالت: يارسول الله! أنسٌ خادمُك ، ادعُ الله له قال: «اللهمَّ أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته» قال أنس: فوالله إنَّ مالي لكثير، وإن ولدي وولدَ ولدي ليتعادُّون على نحو المائة اليوم. متفق عليه.

٦٢٠٩ - * وعن سعد بن أبي وقاص، قال: ما سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول لأحدٍ يمشي على وجه الأرض: «إنه من أهل الجنةِ» إلا لعبدِ اللهِ بن سلام. متفق عليه.

٦٢١٠ - * وعن قيس بنِ عُباد، قال: كنتُ جالسًا في مسجدِ المدينةِ، فدخل

وتتخذ لفافًا للثياب، فصار سبيلها سبيل الخادم وسبيل سائر الثياب سبيل المخدوم، فإذا كان أدناها هكذا فما ظنك بعليتها؟.

الحديث الثالث عشر عن أم سليم رضى الله عنها: قوله: «ليتعادون على نحو المائة» «قض»: أى يتجاوز عددهم هذا المبلغ، يقال: إنهم ليتعادون على عشرة آلاف، أى يزيدون عليها فى العدد.

«مح»: هذا من أعلام نبوته ﷺ.

وفيه دليل لمن يفضل الغنى على الفقر.

وأجيب: بأنه مختص بدعاء النبى ﷺ، وأنه قد بارك فيه، ومتى بارك فيه لم يكن فيه فتنة، فلم يحصل بسببه ضرر ولا تقصير فى أداء حق الله تعالى.

وفيه استحباب أنه إذا دعا بشىء يتعلق بالدنيا ينبغى أن يضم إلى دعائه طلب البركة فيه والصيانة.

وقد ثبت فى صحيح البخارى عن أنس أنه دفن من أولاده قبل مقدم الحَجَّاجِ مائة وعشرين.

الحديث الرابع عشر عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه:

قوله: «يمشى على وجه الأرض» صفة مؤكدة لأحد، كما فى قوله تعالى: **﴿وما من دابة فى الأرض﴾**(١) لمزيد التعميم والإحاطة.

«مح»: ليس هذا مخالفا لقوله ﷺ: «أبو بكر فى الجنة، وعمر فى الجنة. . .» إلى آخر العشرة وغيرهم من المبشرين بالجنة، فإن سعداً قال: ما سمعت، ونفيُ سماعه ذلك لا يدل على نفي البشارة للغير، فإذا اجتمع النفيُ والإثبات فالإثبات مقدم عليه.

---

(١) الأنعام: ٣٨.

رجلٌ على وجهه أثر الخشوعِ، فقالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنة، فصلَّى ركعتين تجوزَّ فيهما، ثمَّ خرجَ وتبعتُه ، فقلت: إنك حين دخلتَ المسجد قالوا: هذا رجلٌ من أهل الجنَّة. قال: والله ما ينبغي لأحدٍ أن يقولَ ما لا يعلم، فسأحدِّثك لِم ذاك؟ رأيت رؤيا على عهد رسول الله ﷺ، فقصصتها عليه، ورأيت كأني في روضة ـ ذكر من سَعَتِها وخضرتها ـ وَسْطَها عمودٌ من حديد ، أسفلُه في الأرض وأعلاه في السَّماءِ في أعلاه عروة فقيل لي: ارقَهْ. قلت: لا أستطيع ، فأتاني مِنصَفٌ فرفع ثيابي من خلفي، فَرَقِيتُ حتى كنتُ في أعلاه، فأخذتُ بالعروة، فقيل: استمسكْ ، فاستيقظتُ وإنها لفي يدي، فقصصتها على النبيِّ ﷺ فقال: «تلك الروضة الإسلام وذلك العمود عمود الإسلام، وتلك العروة؛ العروة الوثقى، فأنت على الإسلام حتى تموتَ، وذلك الرجلُ عبد الله بن سلام». متفق عليه.

الحديث الخامس عشر عن قيس بن عباد:

قوله: «تجوز فيهما» أى خففهما.

«نه»: فى الحديث: «فأتجوز فى صلاتى» أى أخففها وأقللها.

قوله: «ما ينبغى لأحد أن يقول ما لا يعلم» «مح»: هذا إنكار من عبد الله بن سلام عليهم حيث قطعوا له بالجنة، فيحتمل أن هؤلاء بلغهم خبر سعد بن أبى وقاص أن ابن سلام من أهل الجنة ولم يسمع هو ذلك، ويحتمل أنه كره الثناء عليه بذلك تواضعًا وإيثارًا للخمول وكراهية للشهرة.

أقول: فعلى هذا الإشارة بقوله «ذاك» إلى إنكاره إياهم، يعنى: إنى أحدثك بسبب إنكارى عليهم، وهو أنى رأيت رؤيا على عهد النبي ﷺ. . . إلى آخره، وهذا لا يدل على النص بقطع النبى ﷺ على أنى من أهل الجنة كما نص على غيرى.

ويمكن أن تكون الإشارة بذاك إلى قولهم: هذا رجل من أهل الجنة، يعنى لا ينبغى لأحد ممن أدرك النبي ﷺ وصحبه أن يقول بما لا يعلم، فإنهم علموا بذلك وقالوا، وأنا أيضًا أقول: رأيت رؤيا. . . إلخ.

ويحقق هذا قوله: فاستيقظت وإنها لفى يدى، وكانت رؤياه هذه كشفًا كشفه الله تعالى عليه كرامة له.

قوله: «مِنْصَف» «مح»: هو- بكسر الميم وفتح الصاد-.

قال القاضى عياض: هو- بفتح الميم- وهو الخادم، وقالوا: هو الوصيف الصغير المدرك للخدمة.

قوله: «العروة الوثقى» الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المأمون انقطاعه.

٦٢١١ - * عن أنس، قال: كان ثابتُ بنُ قيس بن شمَّاسٍ خطيبَ الأنصار، فلما نزلت: **﴿يأيُّها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي﴾**(١) إلى آخر الآية جلس ثابتٌ في بيته، واحتبسَ عن النبي ﷺ، فسأل النبيُّ ﷺ سعد بن معاذ فقال: «ما شأنُ ثابت؟ أيشتكي؟» فأتاه سعدٌ، فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعِكم صوتًا على رسولِ الله ﷺ، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعدٌ للنبي ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة» رواه مسلم.

٦٢١٢ - * وعن أبي هريرة ، قال: كنَّا جلوسًا عندَ النبي ﷺ إذا نزلت سورة الجمعة، فلما نزلت **﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾**(٢) قالوا: من هؤلاءِ يارسول الله؟ قال: وفينا سلمانُ الفارسي، قال: فوَضعَ النبيُّ ﷺ يده على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريَّا لنالَهُ رجالٌ من هؤلاء». متفق عليه.

٦٢١٣ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ حبِّب عُبيدك هذا». يعني أبا هريرة «وأُمَّهُ إلى عبادك المؤمنين، وحبِّب إليهم المؤمنين». رواه مسلم.

٦٢١٤ - * وعن عائذ بن عمرو، أن أبا سفيان أتى على سلمانَ وصهيبٍ وبلالٍ

الحديث السادس عشر والسابع عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «وآخرين منهم» هذا يدل على أن يكون «آخرين» عطفًا على «الأميين» يعنى أن الله تعالى بعثه فى الأميين الذين على عهده، وفى آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم، وهم الذين بعد الصحابة رضوان الله عليهم.

قوله: «من هؤلاء» جمع اسم الإشارة والمشار إليه «سلمان» وحده إرادة للجنس، ويحتمل أن يراد بهم العجم كلهم لوقوعه مقابلا للأميين وهم العرب، وأن يراد به أهل فارس.

ولو هاهنا بمعنى إن لمجرد الفرض والتقدير على سبيل المبالغة.

الحديث الثامن عشر والتاسع عشر عن عائذ بن عمرو:

---

(١) الحجرات: ٢ .

(٢) الجمعة: ٣.

في نفر، فقالوا: ما أَخذتْ سيوفُ الله من عنق عدوٍّ الله مأخذَها. فقال أبو بكر: أتقولون هذا لشيخِ قريشٍ وسيِّدهم؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال: يا أبا بكر لعلَّكَ أغضبتَهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبتَ ربَّك» فأتاهم، فقال: يا إِخوتاه! أغضبتُكم؟ قالوا: لا، يغفِرُ اللهُ لك يا أُخيَّ. رواه مسلم.

٦٢١٥ - * وعن أنس، عن النبيِّ ﷺ قال: «آية الإيمان حبُّ الأنصار، وآية النِّفاقِ بغضُ الأنصار». متفق عليه.

٦٢١٦ - * وعن البراءِ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول «الأنصار لا يحبُّهم إِلا مؤمنٌ، ولا يبغضهم إِلا منافقٌ، فمن أحبَّهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله». متفق عليه.

٦٢١٧ - * وعن أنس، قال: إِنَّ ناسًا من الأنصار قالوا حينَ أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاءَ، فطفِقَ يُعطي رجالاً من قريش المائة من الإِبل، فقالوا:

قوله: «ما أخذت سيوف الله» ما فيه نافية، وأما «مأخذها» فقيل: مفعول به، وقيل: مفعول فيه، يجوز أن يكون مصدراً، والكلام إخبار فيه معنى الاستفهام المتضمن للاستبطاء، استعار الأخذ للسيف تشبيها له بمن له حق على صاحبه وهو يلزمه ويطالبه، والغريم يمتنع عن إيفاء حقه ويماطله.

قوله: «لا» يجب أن يوقف عليه، ويستأنف من قوله: «يغفر الله لك» ولو زاد «واو» كما فى جواب اليزيدى عن سؤال المأمون: «لا وجعلنى الله فداءك» لحسن موقعه.

قوله: «يا أُخَيَّ» الظاهر أن يقال: «يا أخانا» ولعله حكاية عن قول كل واحد.

«مح»: ضبطوه بضم الهمزة على التصغير، وهو تصغير تحبيب، وفى بعض النسخ بفتحها.

الحديث العشرون عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «آية الإيمان حب الأنصار» وإنما كان كذلك لأنهم تبوءوا الدار والإيمان، وجعلوه مستقراً ومستوطنًا لهم، لتمكنهم منه واستقامتهم عليه، كما جعلوا المدينة كذلك، فمن أحبهم فذلك من كمال إيمانه، ومن بغضهم فذلك من علامة نفاقه.

الحديث الحادى والعشرون والثانى والعشرون عن أنس رضى الله عنه:

يغفرُ اللهُ لرسولِ اللهِ ﷺ يعطي قريشًا ويدَعُنا وسيوفُنا تقطُر من دمائهم! فحدِّث لرسول اللهِ ﷺ بمقالتهم، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قُبَّة من أدمٍ ولم يَدعُ معهم أحدًا غيرهم، فلما اجتمعوا جاءهم رسولُ الله ﷺ فقال: «ما حديثٌ بلغنى عنكم؟» . فقال فقهاؤهم: أمَّا ذَوُوا رأينا يارسول الله فلم يقولوا شيئًا وأما أُناسٌ منا حديثة أسنانهم قالوا: يغفرُ اللهُ لرسول الله ﷺ يُعطي قريشًا ويَدَعُ الأنصارَ، وسيوفنا تقطرُ من دمائهم! فقال رسول الله ﷺ: «إني أُعطي رجالاً حديثي عهدٍ بكفر أتألَّفُهم، أما ترْضَوْن أن يذهبَ الناسُ بالأموالِ وترجعون إلى رحالكم برسول اللهﷺ قالوا: بَلى يارسول الله، قد رضينا . متفق عليه.

٦٢١٨ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : «لولا الهجرةُ لكنتُ امرءًا

قوله: «يغفر الله لرسول الله» توطئة وتمهيد لما يرد بعده من العتاب، كقوله تعالى: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾[1] .

قوله: «وسيوفنا تقطر من دمائهم» حال مقررة لجهة الإشكال، وهو من باب قولهم: عرضت الناقة على الحوض، وأنشد:

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعنَ بالضحى   وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

الحديث الثالث والعشرون عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار» «حس»: ليس المراد منه الانتقال عن النسب الولادى لأنه حرام، مع أن نسبه ﷺ أفضل الأنساب وأكرمها، وإنما أراد به النسب البلادى، ومعناه: لولا الهجرة من الدين ونسبتها دينية، لا يسعنى تركها لأنها عبادة كنت مأموراً بها لانتسبت إلى داركم، ولانتقلت عن هذا الاسم إليكم.

قيل: أراد ﷺ بهذا الكلام إكرام الأنصار، والتعريض بأن لا رتبة بعد الهجرة أعلى من النصرة، وبيان أنهم بلغوا من الكرامة مبلغًا لولا أنه ﷺ من المهاجرين إلى المدينة لعد نفسه من الأنصار لكرامتهم عند الله تعالى.

تلخيصه لولا فضلى على الأنصار بسبب الهجرة لكنت واحدًا منهم، وهذا تواضع منه ﷺ، وحث للناس على إكرامهم واحترامهم، ولكن لا يبلغون رتبة المهاجرين السابقين الذين أخرجوا من ديارهم، وقطعوا عن أحبابهم وأقاربهم، وحرموا أوطانهم وأموالهم، وهم رضوان

---

(١) التوبة: ٤٣.

من الأنصار، ولو سَلَكَ الناسُ واديًا وسلكَتِ الأنصارُ واديًا أو شِعبًا لسلكتُ وادي الأنصار وشِعبها، الأنصارُ شِعارٌ، والناس دِثارٌ، إنكم سترون بعدي أَثَرَةً، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض». رواه البخاري.

٦٢١٩ ـ * وعنه، قال: كنَّا مع رسولِ الله ﷺ يوم الفتح فقال: «من دخلَ دارَ أبى سفيان فهو آمن، ومن ألقى السِّلاحَ فهو آمن». فقالت الأنصار: أمَّا الرجلُ فقد

الله عليهم ما نالوا بذلك [بآلة]* لأجل رضى الله ورضى رسوله، وإعلاء دين الله وسنة رسوله.

والأنصار وإن اتصفوا بصفة: النصرة والإيثار والمحبة والإيواء، لكنهم مقيمون في مواطنهم ساكنون بين أقاربهم وأحبابهم، وحسبك شاهدًا فى فضل المهاجرين قوله هذا، لأن فيه إشارة إلى جلالة رتبة الهجرة فلا يتركها ، فهو نبى مهاجري لا أنصاري.

قوله: «ولو سلك الناس واديًا» «خط»: أراد أن أرض الحجاز كثيرة الأودية والشعاب، فإذا ضاق الطريق عن الجميع فسلك رئيس شعبًا اتبعه قومه حتى يفضوا إلى الجادة.

وفيه وجه آخر: أراد بالوادى الرأى والمذهب، كما يقال: فلان فى واد وأنا فى واد.

وقيل: أراد ﷺ بذلك حسن موافقته إياهم، وترجيحهم فى ذلك على غيرهم، لما شاهد فيهم من حسن الوفاء بالعهد، وحسن الجوار، وما أراد بذلك وجوب متابعته إياهم ، فإن متابعته حق على كل مؤمن؛ لأنه ﷺ هو المتبوع المطاع، لا التابع المطيع.

والشعار: الثوب الذى يلى شعر البدن.

والدثار: الذى فوقه.

شبه الأنصار بالشعار لرسوخ صداقتهم، وخلوص مودتهم.

والأثرة: - بفتح الهمزة والثاء - من آثر يؤثر إيثارًا، إذا أعطى، واستأثر صاحبَه بالشىء على غيره يعني يستأثر عليكم فيفضل غيرُكُم نفْسَهُ عليكُمْ فاصبروا على ذلك حتى تلقونى.

الحديث الرابع والعشرون عن أبى هريرة رضى الله عنه:

قوله: «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن» إنما قال ﷺ ذلك حين أسلم أبو سفيان، وقال العباس لرسول الله ﷺ: هذا رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئا، قال: «نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن».

قوله: «أما الرجل فقد أخذته رأفة» فإن قلت: كيف قالوا ذلك مع قوله تعالى: **﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا﴾**[1]؟.

---

(١) النور: ٦٣.

* فى اللسان مادة «بأل»، «البئيل»: الصغير النحيف الضعيف مثل الضئيل. يقال : بأل يبؤل وبؤولة.

أَخذَتْه رأفةٌ بعشيرته ورغبةٌ في قريته. ونزل الوحي على رسول الله ﷺ [قال]: «قلتم أما الرجلُ فقد أخذته رأفةٌ بعشيرته ورغبةٌ في قريته؛ كلاَّ إني عبدُ الله ورسولُه، هاجرتُ إلى الله وإليكم، المحيا مَحياكم، والممات مماتكم» قالوا: والله ما قلنا إلاَّ ضِنًّا بالله ورسوله. قال: «فإنَّ اللهَ ورسوله يصدِّقانكم ويَعذرانكم» رواه مسلم.

٦٢٢٠ - * وعن أنس، أنَّ النبيَّ ﷺ رأى صبيانًا ونساءً مقبلين من عُرس، فقام النبيُّ ﷺ فقال: «اللهمَّ أنتم من أحب الناس إليَّ، اللهمَّ أنتم من أحب الناسِ إليَّ» يعني: الأنصار. متفق عليه.

٦٢٢١ - * وعنه، قال: مرَّ أبو بكر والعبَّاسُ بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقالا: ما يُبكيكم؟ فقالوا: ذكرنا مجلسَ النبي ﷺ منَّا، فدخل أحدُهما على النبيِّ ﷺ، فأخبره بذلك، فخرج النبي ﷺ وقد عصبَ على رأسه حاشية برد، فصَعِدَ المنبر ولم يَصعَد بعد ذلك اليوم. فحمد الله تعالى وأثنى عليه. ثم قال: «أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشِيْ وعَيْبتي، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم» رواه البخاري.

قلت: قالوا ذلك ليهيجوه ويحركوا منه، كما قالوا: ما قلنا إلا ضنًا بالله ورسوله، يعنى أن أولاد آدم مجبولون على الميل إلى العشيرة والأقارب، وعلى حب الأوطان، ولذلك ردهم ﷺ: إنى عبد الله ورسوله أى لست كأحد من الرجال كما زعمتم، بل إنى عبدالله ورسوله، ثم علل كونه عبدالله ورسوله بقوله: «هاجرت إلى الله وإليكم» على سبيل الاستئناف، أى العبودية والرسالة تقتضيان أن لا أفارقكم أبدًا، ولا أميل إلى ما تقتضيه البشرية من الميل إلى الأقارب والأوطان، لأن القصد فى الهجرة كان إلى الله تعالى، وأن التهاجر كان من دار قومى إلى داركم.

قوله: «المحيا محياكم» «تو»: يريد ما حييت أحيا فى بلدكم كما تحيون فيه، وإذا توفيت توفيت فى بلدكم كما تتوفون فيه، لا أفارقكم حيًا ولا ميتًا.

وقوله: «إلا ضنًا بالله ورسوله» يريدون ما قلنا قولنا ذلك إلا [ضِنَّةً]* بما آتانا الله من كرامة خشية أن يفوتنا فيناله غيرنا، وشحًا برسول الله ﷺ أن ينتقل من بلَدتنا إلى بلدته.

الحديث الخامس والعشرون والسادس والعشرون عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «فإنهم كَرِشِيْ وَعَيْبتى» «تو»: الكرش لكل مجتر بمنزلة المعدة للإنسان، والعرب تستعمل الكرش فى كلامهم موضع البطن، والبطن مستودع مكتوم السر، [والجبة مستودع مكتون المتاع]**.

---

* فى اللسان: الضِّنَّةُ والضِّنُّ والمَضَنَّة والتضِنَّة، كل ذلك: من الإمساك والبخل.

** سقط من «ط» وأثبتناه من «ك».

٦٢٢٢ - * وعن ابن عبَّاس، قال: خرج النبيُّ ﷺ في مرَضه الذي ماتَ فيه حتى جلسَ على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فإن الناسَ يكثرون ويَقلُّ الأنصار، حتى يكونوا في الناسِ بمنزلة الملح فى الطعام، فمن ولِي منكم شيئًا يضر فيه قومًا وينفع فيه آخرين فَليقبل من مُحسِنهم وليتجاوز عن مُسيئهم». رواه البخاري.

٦٢٢٣ - * وعن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهمَّ اغفرْ للأنصار ولأبناء الأنصارِ، وأبناءِ أبناءِ الأنصار». رواه مسلم.

٦٢٢٤ - * وعن أبي أُسَيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «خيرُ دور الأنصار بنو النجار، ثم بنو عبد الأشهل، ثم بنو الحارث بن الخزرج، ثم بنو ساعدة، وفي كل دور الأنصار خيرٌ». متفق عليه.

والأول أمر باطن، والثانى أمرظاهر، فيحتمل أنه ضرب المثل بهما إرادة اختصاصهم به فى أمورهم الظاهرة، والباطنة.

حس: عيبتى أى خاصتى وموضع سرى، وفى الحديث: نبينا عيبة مكفوفة، أى صدر نقى من الغل، والعرب تكنى عن الصدر والقلب بالعيبة، لأنهما مستودع السرائر، كما أن العياب مستودع الثياب.

الحديث السابع والعشرون عن ابن عباس رضى الله عنهما:

قوله: «ويقل الأنصار» تو: يريد أن أهل الإسلام يكثرون، ويقل الأنصار، لأن الأنصار هم الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه، وهذا أمر قد انقضى زمانه لا يلحقهم اللاحق، ولا يدرك شأوهم السابق، فكلما مضى منهم واحد مضى من غير بدل، فيكثر غيرهم ويقلون.

أقول: هذا المعنى أيضًا قائم في حق المهاجرين الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، ولعل الحمل على الحقيقة أظهر، لأن المهاجرين وأولادهم كثروا وانبسطوا وانتشروا فى البلاد وملكوها بخلاف الأنصار.

قوله: «شيئًا» يجوز أن يكون مفعولا به، وأن يكون في موضع مصدر، أى قليلا من الولاية.

وقوله: «يضر فيه قومًا» صفة كاشفة له.

الحديث الثامن والعشرون والتاسع والعشرون عن أبى أسيد رضي الله عنه:

قوله: «خير دور الأنصار بنو النجار» مح: خير دور الأنصارخير قبائلهم، وكانت كل قبيلة منهم تسكن محلة، فتسمى تلك المحلة دار بنى فلان، ولهذا جاء في كثير من الروايات: بنو فلان، من غير ذكر الدار.

٦٢٢٥ - * وعن علي [رضي الله عنه] قال: بعثني رسولُ الله ﷺ أنا والزبير والمقداد - وفي رواية: وأبا مَرثَد بدلَ المقداد - فقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضةَ خاخٍ، فإن بها ظعينةً معها كتابٌ فخذوه منها، فانطلقنا تتعادى بنا خيلُنا حتى أتينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب قالت: ما معي من كتاب فقلنا: لتُخرِجِنَّ الكتاب أو لتُلقِيَنَّ الثياب، فأخرجته من عِقاصها، فأتينا به النبيَّ ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناسٍ من المشركين من أهلِ مكة، يُخبرُهم ببعضِ أمرِ رسولِ الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «ياحاطبُ! ما هذا؟!». فقال: يارسولَ الله! لا تعجلْ عليّ، إني كنتُ امرءًا مُلصَقًا في قريش، ولم أكن من أنفسهم، وكان مَن معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون بها أموالهم وأهليهم بمكة، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدًا يحمونَ بها قرابتي، وما فعلتُ كفرًا،

وقالوا: وسبقهم على قدر سبقهم إلى الإسلام ومآثرهم فيه، وفي هذا دليل على جواز تفضيل القبائل والأشخاص من غير مجازفة ولا هوى، ولا يكون هذا غيبة.

قض: إن أراد بها ظاهرها فقوله: «بنو النجار» على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وتكون خيريتها بسبب خيرية أهلها، وما يوجد فيها من الطاعات والعبادات.

الحديث الثلاثون عن علي رضي الله عنه:

قوله: «أبا مرثد بدل المقداد» لم يرد بذلك أن المبدل منحى، بل المراد أنه ذكر فى رواية هذا، وفي أخرى ذلك، لأن الأربعة قد بعثوا لهذا الأمر.

مح: وعن على رضى الله عنه قال: بعثنى رسول الله ﷺ وأبا مرثد الغنوى والزبير بن العوام، وفي الرواية السابقة: والمقداد بدل أبى مرثد، ولا منافاة بل بعث الأربعة: عليا والزبير والمقداد وأبا مرثد.

وخاخ: بخائين معجمتين هو الصواب، وهى موضع بين مكة والمدينة بقرب المدينة.

والظعينة: المرأة ما دامت فى الهودج، ثم سميت زوجة الرجل ظعينة توسعًا والمراد بها هاهنا أم سارة مولاة لقريش.

والعقاص: بكسر العين، الشعر المضفور.

قوله: «ملصقًا» قال سفيان بن عيينة: كان حليفًا لهم ولم يكن من نفس قريش.

قوله: «إلى ناس من المشركين» ليس هذا حكاية المكتوب بل هو من كلام الراوى، وضع موضع قوله: إلى فلان وفلان.

وقوله: «إذ فاتنى ذلك» تعليل وقع بين الفعل ومفعوله، وهو قوله: «أن أتخذ فيهم يدًا».

وقوله: «يحمون بها قرابتى» هى صفة «يدًا»، وأراد باليد يد إنعام أو قدرة.

ولا ارتدادًا عن ديني ، ولا رضى بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد صَدقكم» فقال عمر: دعني يارسول الله! أضرب عُنُق هذا المنافق. فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد شهد بدرًا، وما يُدريك لعلَّ الله اطّلعَ على أهلِ بدرٍ فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنةُ».

وفي رواية : «فقد غفرتُ لكم» فأنزل الله تعالى **﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوِّي وعدوَّكم أولياء﴾**[1]. متفق عليه.

٦٢٢٦ ـ * وعن رفاعة بن رافع، قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: «ما تعدون أهل بدر فيكم». قال: «من أفضل المسلمين» أو كلمة نحوها قال: «وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة» رواه البخاري.

قوله: «لعل الله اطلع» معنى الترجى فيه راجع إلى عمر رضى الله عنه؛ لأن وقوع هذا الأمر محقق عند رسول الله ﷺ، وأوثر على التحقيق بعثًا له على التفكير والتأمل فلا يقطع الأمر في كل شيء.

قوله: «قد غفرت لكم» مح: هذا في الآخرة، وأما فى الدنيا فلو وجد على أحد منهم حدًا أو غيره أقيم عليه، وقد أقام رسول الله ﷺ على مسطح حد الفرية وكان بدريًا.

وفيه معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ ، وجواز هتك أستار الجواسيس وقراءة كتبهم، وفيه هتك ستر المفسد إذا كان فيه مصلحة أو كان فى الستر مفسدة ، وما فعله حاطب كان كبيرة قطعًا لأنه تتضمن إيذاء النبي ﷺ، لقوله تعالى: **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله﴾**[2] ولا يجوز قتله لأنه لا يكفر به ـ انتهى كلامه .

قوله تعالى: **﴿لا تتخذوا عدوي وعدوكم﴾**[1] خطاب لحاطب وردًا لقوله: أن أتخذ فيهم يدًا، وإنما عم ليدخل فيه أمثاله.

الحديث الحادى والثلاثون عن رفاعة بن رافع رضى الله عنه:

قوله: «ماتعدون؟» أى ممن تعدون؟ ليطابقه الجواب، وهو: «من أفضل المسلمين وإنما أتى بـ«ما» بدل «من» تعظيمًا لشأنهم ، نحو قولهم: سبحان ما سخركن لنا.

قوله: «وكذلك من شهد بدرًا» أي كذلك من شهد بدرًا من الملائكة فإنهم من أفضل الملائكة.

---

(١) الممتحنة: ١ .   (٢) الأحزاب: ٥٧ .

٦٢٢٧ ـ * وعن حفصةَ، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن لا يَدخلَ النارَ إن شاء الله أحدٌ شهدَ بدرًا والحديبيةَ» قلت: يارسول الله! أليس قد قال الله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾(*) قال: «فلم تسمعيه يقول: ﴿ثم ننجِّي الذين اتقَوا﴾(**)».

وفي رواية: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة ـ أحدٌ ـ الذين بايعوا تحتها». رواه مسلم.

٦٢٢٨ ـ *وعن جابر ، قال: كنَّا يومَ الحديبية ألفًا وأربعمائة. قال لنا النبي ﷺ: «أنتم اليوم خيرُ أهلِ الأرض». متفق عليه.

٦٢٢٩ ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يصعد الثنيةَ ثنيةَ المرار فإنه يُحَطُّ عنه ما حُطَّ عن بني إسرائيل». وكان أوَّل من صعدها خيلُنا خيلُ بنى الخزرج،

الحديث الثانى والثلاثون عن حفصة رضي الله عنها:

قوله: «فلم تسمعيه يقول» يعنى أردت بقولى: أن لا يدخل النار دخولا يعذب فيها، ولا نجاة له منها.

مح: الصحيح أن المراد بالورود المرور على الصراط ، وهو منصوب على جهنم ، فيقع فيها أهلها وينجو الآخرون.

أقول: والأول هو الوجه على ما يظهر بأدنى تأمل.

وفيه: جواز المناظرة والاعتراض، والجواب على وجه الاسترشاد وهو مقصود حفصة لا أنها أرادت رد مقالته ﷺ.

الحديث الثالث والثلاثون عن جابر رضى الله عنه:

قوله: «ثنية المرار» نه: المشهور فيها ضم الميم وبعضهم يكسرها، وهو موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية.

وبعضهم يقول بالفتح.

وإنما حثهم على صعودها لأنها عقبة شاقة، وصلوا إليها ليلا حين أرادوا مكة سنة الحديبية فرغبهم فى صعودها.

قوله: «ما حط عن بنى إسرائيل» يريد قوله تعالى: ﴿**وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم**﴾[1] أى حط عنا ذنوبنا «ثم تتام الناس» أي جاءوا كلهم، وفي الحديث: «فتتامت إليه قريش» أي جاءته متتابعة متواترة.

(*) مريم : ٧١ . (**) مريم : ٧٢. (١) البقرة :٥٨.

ثم تتامَّ الناسُ، فقال رسول الله ﷺ: «كلكم مغفورٌ له، إلا صاحب الجملِ الأحمر». فأتيناه، فقلنا: تعالَ يستغفرْ لك رسولُ الله ﷺ قال: لأن أَجِدَ ضالتي أحبُّ إِليَّ من أن يستغفرَ لي صاحبُكم. رواه مسلم.

وذكر حديث أنس قال لأبيٍّ بن كعب: «إِنَّ الله أمرَني أن أقرأَ عليك» في «بابٍ» بعدَ فضائل القرآن.

الفصل الثاني

٦٢٣٠ - * عن ابن مسعود، عن النبيِّ ﷺ قال: «اقتدوا باللَّذيْن من بعدي من أصحابي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمّارٍ، وتمسكوا بعهدِ ابنِ أُمِّ عبدٍ». رواه الترمذي [٦٢٣٠].

الفصل الثاني

الحديث الأول عن ابن مسعود رضي الله عنه:

قوله: «وتمسكوا بعهد ابن أم عبد» تو: يريد عهد عبد الله بن مسعود، وهو ما يعهد إليهم فيوصيهم به، وأرى أشبه الأشياء بما يراد من عهده أمر الخلافة، فإنه أول من شهد بصحتها، وأشار إلى استقامتها من أفاضل الصحابة، وأقام الدليل عليها، فقال: لا يؤخر من قدمه رسول الله ﷺ ألا نرضى لدنيانا من ارتضاه لديننا، ومما يؤيد هذا المعنى المناسبة الواقعة بين أول الحديث وآخره، ففى أوله: «اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر» وفى آخره: «تمسكوا بعهد ابن أم عبد» ومما يدل على صحة ما ذهبنا إليه قوله فى حديث حذيفة أيضًا: «لو استخلفت عليكم فعصيتموه عذبتم، ولكن ما حدثكم حذيفة فصدقوه» وهذه إشارة إلى ما أسر إليه من أمر الخلافة فى الحديث الذى نحن فيه، ويشهد لذلك الاستدراك الذى أوصله بحديث الخلافة، فقال: «لو استخلفت عليكم فعصيتموه عذبتم، ولكن ما حدثكم حذيفة فصدقوه» وحذيفة هو الذى يروى عن رسول الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدى» ولم أر فى التعريض بالخلافة فى سنن الرسول ﷺ أوضح من هذين الحديثين، ولا أصح من حديث أبى سعيد: «سدوا عني كل خوخة».

[٦٢٣٠] انظر صحيح الترمذى رقم ٢٩٩٢

٦٢٣١ ـ * وعن علي [رضي اللهُ عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لو كنتُ مؤمِّرًا من غيرِ مَشورَة، لأمَّرتُ عليهم ابنَ أُم عبد». رواه الترمذيُّ، وابن ماجه[٦٢٣١].

٦٢٣٢ ـ * وعن خيثمةَ بن أبى سبرَةَ، قال: أتيتُ المدينةَ فسألتُ الله أن يُيَسرَ لي جليسًا صالحًا، فيسر لي أبا هريرة، فجلستُ إليه فقلتُ: إني سألتُ الله أن يُيَسر لي جليسًا صالحًا، فوُفّقتَ لي. فقال: مِن أين أنتَ؟ قلت: من أهل الكوفة، جئتُ ألتمسُ الخيرَ وأطلبه فقال: أليس فيكم سعدُ بنُ مالك مجابُ الدعوة؟ وابنُ مسعود صاحبُ طَهور رسول الله ﷺ ونعليه؟ وحذيفةُ صاحبُ سر رسولِ الله ﷺ؟ وعمّارُ الذى أجاره الله منَ الشيطانِ على لسانِ نبيه ﷺ؟ وسلمانُ صاحبُ الكتابين؟ يعني الإنجيل والقُرآن. رواه الترمذي [٦٢٣٢].

٦٢٣٣ ـ * وعن أبى هريرة ، قال: قال رسول الله ﷺ: «نعم الرجل أبو بكرٍ، نعم الرجل عمر، نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح، نعم الرجل أُسَيد بن حضير، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس، نعم الرجل معاذ بن جبل، نعم الرجُلُ معاذ بن عمرو بن الجموح». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب [٦٢٣٣].

٦٢٣٤ ـ * وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الجنةَ تشتاق إلى ثلاثة: عليٍّ، وعمَّارٍ، وسلمانَ». رواه الترمذي [٦٢٣٤].

الحديث الثانى عن على رضى الله عنه:

قوله: «لأمرت عليهم ابن أم عبد» تو: ومن أى وجه روى هذا الحديث فلابد أن يتأول على أنه ﷺ أراد به تأميره على جيش بعينه، أو استخلافه فى أمر من أموره فى حال حياته، ولا يجوز أن يحمل على غير ذلك، فإنه وإن كان من العلم والعمل بمكان، وله الفضائل الجمة والسوابق الجليلة، فإنه لم يكن من قريش؛ وقد نص رسول الله ﷺ على أن هذا الأمر فى قريش، فلا يصح حمله إلا على هذا الوجه الذى ذكرناه.

الحديث الثالث إلى الحديث الخامس عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة» سبيل اشتياق الجنة إلى هؤلاء الثلاثة سبيل اهتزاز العرش لموت سعد رضي الله عنه.

[٦٢٣١] انظر ضعيف الجامع برقم ٤٨٤٧. [٦٢٣٢] انظر صحيح الترمذى برقم ٢٩٩٦.

[٦٢٣٣] انظر صحيح الترمذى برقم ٢٩٥٩ بنحوه، صحيح الجامع ٦٧٧٠.

[٦٢٣٤] انظر ضعيف الجامع رقم ١٤٢٧، وقال تشتاق إلى أربعة.

٦٢٣٥ ـ* وعن عليّ [رضي الله عنه] قال استأذن عمَّارٌ على النبي ﷺ فقال: «ائذنوا له، مرحبًا بالطيبِ المطيَّبِ». رواه الترمذي [٦٢٣٥].

٦٢٣٦ ـ * وعن عائشةَ، قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما خُيِّرَ عمَّارٌ بين أمرينِ إلا اختار أرشدَهما». رواه الترمذي [٦٢٣٦].

٦٢٣٧ ـ * وعن أنس قال: لما حُمِلَت جنازة سعد بن معاذ قال المنافقون: ما أخفَّ جنازتَه! وذلك لحُكمه في بني قريظة، فبلغ ذلكَ النبيَّ ﷺ، فقال: «إنَّ الملائكة كانت تحملُه». رواه الترمذي [٦٢٣٨].

٦٢٣٨ ـ * وعن عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أظلَّت الخضراءُ، ولا أقلَّت الغبراء أصدق من أبي ذر». رواه الترمذي [٦٢٣٨].

الحديث السادس إلى الحديث الثامن عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «وذلك لحكمه» يريدون قول سعد بن معاذ رضى الله عنه لما نزلت بنو قريظة على حكمه، معتمدين على حسن رأيه فيهم، حكمه فيهم: بأنه تقتل المقاتلة، وتسبى الذرية، فنسبوه -أعنى المنافقين- إلى الجور والعدوان، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالإصابة فى حكمه.

قوله: «إن الملائكة كانت تحمله» جواب عن قولهم: «ما أخف جنازته» يريدون بذلك حقارته وازدراءه، فأجاب ﷺ بما يلزم من تلك الخفة تعظيم شأنه وتفخيم أمره، وهو قريب من القول [بالموجب من حكم مقالتهم: «ما أخف جنازته» ثم إلى إبطال قصدهم]* من العيب فقال: «إن الملائكة كانت تحمله» نحوه قوله تعالى: ﴿ويقولون هو أذن، قل أذن خير لكم﴾(١).

الحديث التاسع والعاشر عن أبى ذر رضى الله عنه:

قوله: «ما أظلت الخضراء» الخضراء السماء.

[٦٢٣٥] انظر صحيح الترمذى برقم ٢٩٨٦

[٦٢٣٦] انظر صحيح الترمذى برقم ٢٩٨٧

[٦٢٣٧] انظر صحيح الترمذى برقم ٣٠٢٤

[٦٢٣٨] انظر صحيح الترمذى برقم ٢٩٩٠

(١) التوبة: ٦١.

* ما بين المعكوفين سقط من (ط) وأثبتناه من (ك).

٦٢٣٩ ـ * وعن أبي ذرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أظلت الخَضراءُ ولا أقلت الغبراءُ من ذي لهجة أصدقَ ولا أوفى من أبي ذر، شِبهِ عيسى بن مريم» يعني في الزهد. [فقال عمر بن الخطاب كالحاسد: يارسول الله! أفتعرف ذلك له؟ قال: «نعم فاعرفوه له». رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب] [٦٢٣٩].

والغبراء: الأرض.

وأقلت: حملت ورفعت، واشتقاق الإقلال من القلة، لأن الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا.

و«من» فى قوله: «من ذى لهجة» معمول أقلت، وقد تنازع فيه العاملان فأعمل الثانى ـ وهو مذهب البصريين ـ وهذا دليل ظاهر لهم، كقوله تعالى: ﴿يستغفر لكم رسول الله﴾[1] إذ لو أعمل الأول لنصب: «رسول الله» فعلى هذا: «أصدق» فى الحديث الأول صفة موصوف محذوف، أى: ولا أقلت الغبراء ذا لهجة صدق.

تو: قوله: «أصدق من أبى ذر» مبالغة فى صدقه، لا أنه أصدق من كل على الإطلاق، لأنه لا يكون أصدق من [أبى بكر]* بالإجماع، فيكون عامًا قد خص.

أقول: يمكن أن يراد أنه لا يذهب إلى التورية والمعاريض في الكلام، فلا يرخى عنان كلامه، ولا يوارى مع الناس، ولا يسامحهم، ويظهر الحق البحت، والصدق المحض، ومن ثمة عقبه بقوله: «ولا أوفى» أى يوفى حق الكلام إيفاء لا يغادر شيئًا منه، ووصفه بقوله: «ذى لهجة».

فا: قيل: لهجة اللسان ما ينطق به من الكلام، وإنها من لهج بالشىء إذا أغرى به، ونظيرها قول بعضهم فى اللغة: إنها من لغى بالشىء.

روى الإمام أحمد بن حنبل عن أبى ذر أنه استأذن على عثمان رضى الله عنه، فأذن له وبيده عصاه، فقال عثمان: يا كعب إن عبد الرحمن توفي وترك مالا، فما ترى فيه؟ فقال: إن كان يصل فيه حق الله فلا بأس عليه، فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبا وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أحب لو أن لى هذا الجبل ذهبًا أنفقه ويتقبل منى، أذر خلفي منه ست أواق» أنشدك بالله ياعثمان أسمعته؟ (ثلاث مرات) قال: نعم.

[٦٢٣٩] انظر صحيح الجامع ح رقم ٥٥٣٨.

(١) المنافقون: ٥.

* فى (ط) [النبى] وما أثبتناه من (ك)، وكلاهما صحيح ينعقد عليه الإجماع مع أن كون النبى ﷺ هو الأصدق مطلقاً أمر بدهى لا يحتاج إلى إجماع، والذى يحتاج إلى الإجماع هو كون أبو بكر أصدق، علاوة على أن الحديث فيه تخصيص الصدق باللهجة وهو خاص بالفصاحة والبيان ورصانة اللغة وجزالتها لا بصدق الحديث، ومن ثم فلا داعى للقول بأنه من قبيل العام المخصوص. والله أعلم.

٦٢٤٠ ـ * وعن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال: التَمِسوا العلم عند أربعة: عند عويمر أبي الدرداء، وعند سلمان، وعند ابن مسعود، وعند عبد الله بن سلام الذي كان يهوديًا فأسلم، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه عاشرُ عشرة في الجنَّة». رواه الترمذي [٦٢٤٠].

٦٢٤١ ـ * وعن حذيفة، قال: قالوا: يارسولَ الله لو استخلفتَ؟ قال: «إن استخلفتُ عليكم فعصيتموه عُذبتم، ولكن ما حدَّثكم حذيفةُ فصدقوه، وما أقرأكم عبدُ الله فاقرءوه». رواه الترمذي .[٦٢٤١]

وروى ابن عبد البر: أن عثمان رضي الله عنه استقدمه من الشام لشكوى معاوية منه، وأسكنه الربذة فمات بها.

وقال على رضى الله عنه فى حقه: ذلك رجل وعى علمًا عجز عنه الناس ثم أوكيء عليه فلم يخرج منه شيء.

قوله: «يعنى الزهد» تفسير الراوى وليس في الحديث.

وفى الاستيعاب من الحديث: «من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبى ذر».

الحديث الحادى عشر عن معاذ بن جبل رضى الله عنه:

قوله: «كان يهوديًا فأسلم» ليس بصفة مميزة لعبد الله لأنه يشاركه فى اسمه غيره، بل هو مدح له فى التوصية بالتماس العلم منه، لأنه جمع بين الكتابين.

«إنه عاشر عشرة» أى مثل عاشر عشرة، إذ ليس هو من العشرة المبشرة،نحوه أبو يوسف أبو حنيفة*.

الحديث الثانى عشر عن حذيفة رضى الله عنه:

قوله: «لو استخلفت» لو هذه للتمنى بمعنى «ليت» ، أو الامتناعية وجوابها محذوف، أى لكان خيراً.

وقوله: «عذبتم» جواب الشرط، ويجوز أن يكون مستأنفًا ، والجواب: «فعصيتموه» والأول أوجه، لما يلزم من الثانى أن يكون الاستخلاف سببًا للعصيان، والمعنى أن الاستخلاف المستعقب للعصيان سبب للعذاب.

وقوله: « ولكن ما حدثكم حذيفة» من **الأسلوب الحكيم** لأنه زيادة على الجواب، كأنه قيل: لا يهمكم استخلافى فدعوه، ولكن يهمكم العمل بالكتاب والسنة فتمسكوا بهما.

[٦٢٤٠] انظر صحيح الترمذى ح رقم ٢٩٩١ .

[٦٢٤١] قال الشيخ: سنده ضعيف.

* أى: أبو يوسف مثل أبى حنيفة فى العلم والاستنباط وغيره، لا أنه هو.

٦٢٤٢ ـ * وعنه، قال: ما أحد من الناس تُدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه، إلا محمدَ بن مسلمةَ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تضرك الفتنة» . رواه [أبو داود] [٦٢٤٢].

٦٢٤٣ ـ * وعن عائشةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ رأى في بيت الزبير مِصباحًا فقال: «ياعائشةُ! ما أُرى أسماءَ إلا قد نُفِست، ولا تُسموه حتى أسميه» فسماه عبدَ اللهِ وحنَّكهُ بتمرةٍ بيدِه. رواه الترمذي[٦٢٤٣].

٦٢٤٤ ـ * وعن عبد الرحمن بن أبي عَميرة، عن النبي ﷺ أنه قال لمعاويةَ: «اللهمَّ اجعله هاديًا مهديًا ، واهدِ بِهِ» رواه الترمذي [٦٣٤٤].

وخص حذيفة بالذكر لأنه كان صاحب رسول الله ﷺ ومنذرهم من الفتن الدنيوية، وعبد الله بن مسعود لأنه كان منذرهم من الأمور الأخروية.

الحديث الثالث عشر إلى الحديث الخامس عشر عن عبد الرحمن بن أبى عميرة رضى الله عنه:

قوله: «هاديًا مهديًا» اعلم أن الهداية إما مجرد الدلالة، أو هى الدلالة الموصلة إلى البغية، وقال الإمام محمد بن إسماعيل البخارى : فهديناهم دللناهم على الخير والشر، كقوله تعالى: ﴿وهديناه النجدين﴾[1] والهدى الذي للإرشاد بمعنى الإسعاد، من ذلك قوله تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾[2].

وقال غيره: معنى الهداية في اللغة الدلالة، يقال: هداه فى الدين يهديه هداية إذا دله على الطريق، والهدى يذكر لحقيقة الإرشاد أيضًا ، ولهذا جاز النفي والإثبات، قال الله تعالى: ﴿إنك لا تهدى من أحببت﴾[3] وقال الله تعالى: ﴿إنك لتهدى إلى صراط مستقيم﴾[4].

أقول: لو حمل قوله: «هاديًا» على المعنى الأول ، كان قوله: «مهديًا» تكميلا له لأن رب هاد لا يكون مهديًا.

[٦٢٤٢] انظر صحيح أبى داود رقم ٣٨٩٨.

[٦٢٤٣] انظر صحيح الترمذى رقم ٣٠٠٦.

[٦٢٤٤] انظر صحيح الترمذى رقم ٣٠١٨.

(١) البلد : ١٠. (٢) الأنعام: ٩٠.

(٣) القصص: ٥٦. (٤) الشورى: ٥٢.

٦٢٤٥ ـ * وعن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أسلم الناسُ، وآمن عمرو بنُ العاص» رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب، وليس إسناده بالقوي[٦٣٤٥].

٦٢٤٦ ـ * وعن جابر، قال: لقيني رسول الله ﷺ فقال: «يا جابر! ما لي أراك منكسرًا؟» قلت: استُشهد أبي وترك عيالا ودينًا. قال: «أفلا أبشرك بما لقي اللهَ به أباك؟» قلت: بلى يارسول الله! قال: «ما كلَّم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلَّمه كِفاحًا. قال: ياعبدى! تَمَنَّ عَليَّ أُعطِكَ قال: يارب! تحييني فأقتلَ فيك ثانية. قال الرب تبارك وتعالى: إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون» فنزلت: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا...**﴾[1] الآية. رواه الترمذي [٦٢٤٦].

وقوله: «واهد به» تتميما لأن الذى فاز بمدلوله قد لا يتبعه أحد، فكمل ثم تمم، وإذا ذهب إلى المعنى الثانى كان مهديًا تأكيدًا، وقوله: «اهد به» تكميلا، ولا ارتياب أن دعاء النبى ﷺ مستجاب، فمن كان حاله هذا كيف يرتاب فى حقه، ومن أراد زيادة بيان فى معنى الهداية فعليه بفتوح الغيب، فإن فيه ما يكفيه.

الحديث السادس عشر عن عقبة رضي الله عنه:

قوله: «أسلم الناس» التعريف فيه للعهد، والمعهود مسلمة الفتح من أهل مكة، وأسلم عمرو قبل الفتح طائعًا راغبًا مهاجرًا إلى المدينة، فقوله ﷺ هذا تنبيه على أنهم أسلموا رهبة، وآمن عمرو رغبة، فإن الإسلام يحتمل أن يشوبه كراهة، والإيمان لا يكون إلا عن رغبة وطواعية.

الحديث السابع عشر عن جابر رضى الله عنه:

قوله: «وأحيا أباك» فإن قلت، كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿**بل أحياء عند ربهم**﴾[1] لأن التقدير هم أحياء، فكيف يحيى الحى؟.

قيل: جعل الله تعالى تلك الروح في جوف طير خضر فأحيا ذلك الطير بتلك الروح، فصح الإحياء، أو أراد بالإحياء زيادة قوة روحه، فشاهد الحق بتلك القوة وكلمه كفاحًا، أى مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول.

[٦٢٤٥] انظر صحيح الترمذى رقم ٣٠٢٠ – الصحيحة ١١٥.

[٢٦٤٦] انظر صحيح الترمذى رقم ٢٤٠٨

(١) آل عمران: ١٦٩.

٦٢٤٧ - * وعنه، قال: استغفرَ لي رسول الله ﷺ خمسًا وعشرين مرّةً. رواه الترمذي. [٦٢٤٧]

٦٢٤٨ - * وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من أشعثَ أغبرَ ذي طِمرين لا يؤبه له، لو أقسم على الله لأبرَّهُ، منهم البراءُ بنُ مالك» رواه الترمذي، والبيهقي في «دلائل النبوة» [٦٢٤٨].

٦٢٤٩ - * وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إنَّ عيبتي التي آوى إليها أهل بيتي، وإن كرشي الأنصارُ، فاعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن. [٦٢٤٩]

٦٢٥٠ - * وعن ابن عبَّاس، أنَّ النبي ﷺ قال: «لايبغض الأنصار أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح [٦٢٥٠].

أقول: وهذا الجواب أيضًا من الأسلوب الحكيم ، أى لا تهتم بشأن أمر دنياه من هم عياله وقضاء دينه فإن الله تعالى يقضى عنه دينه ببركة رسول الله ﷺ، ولكن أبشرك بما هو فيه من القرب عند الله تعالى وما لقيه من الكرامة والمنحة.

الحديث الثامن عشر والتاسع عشر عن أنس رضى الله عنه:

قوله: «لا يؤبه له» نه: أى لا يبالى به ولا يلتفت إليه لحقارته، يقال: ما وبهت به بفتح الباء وكسرها، وبهاء بالسكون والفتح، وأصل الواو الهمزة، يقال: أبهت به.

والطمر: الثوب الخلق.

الحديث العشرون إلى الحديث الثانى والعشرون عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «أقرئ» بفتح الهمزة، وفي نسخ المصابيح بكسرها.

نه: يقال: أقرئ فلانًا السلام، وأقرأ عليه السلام، كأنه حين يبلغه السلام يحمله على أن يقرأ السلام.

[٦٢٤٧] قال الشيخ: هو على شرط مسلم، وفيه عنعنة أبى الزبير ا.هـ.

[٦٢٤٨] انظر صحيح الترمذي رقم ٣٠٢٨.

[٦٢٤٩] انظر ضعيف الجامع (٢١٧٤).

[٦٢٥٠] انظر صحيح الترمذى برقم ٣٠٦٦.

٦٢٥١ ـ * وعن أنس، عن أبي طلحة، قال: قال [لي] رسول الله ﷺ: «أقرئ قومك السلام، فإنهم ما علمت أعِفَّةٌ صُبُرٌ». رواه الترمذي [٦٢٥١].

٦٢٥٢ ـ * وعن جابر، أن عبدًا لحاطب جاء إلى النبيِّ ﷺ يشكو حاطبًا إليه، فقال: يارسول الله! ليدخُلَنَّ حاطبٌ النار. فقال رسول الله ﷺ: «كذبتَ، لا يدخلها فإنه قد شهد بدرًا والحديبية». رواه مسلم.

٦٢٥٣ ـ * وعن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: **﴿وإن تتولو يستبدل قومًا غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾*** قالوا: يارسول الله! من هؤلاءِ الذين ذكر الله، إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب على فخذ سلمان الفارسى ثم قال: «هذا وقومُه، ولو كانَ [الدِّينُ]** عندَ الثريا، لتناولَه رجالٌ منَ الفُرسِ». رواه الترمذي[٦٢٥٣].

٦٢٥٤ ـ * وعنه، قال: ذُكرت الأعاجم عند رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «لأنا بهم -أو ببعضهم- أوثقُ مني بكم - أو ببعضكم -» رواه الترمذي [٦٢٥٤].

قوله: «أعفه» جمع عفيف، مرفوع خبر إن، و«ما علمت» معترضة و«ما» موصولة، والخبر محذوف، أى الذي علمت منهم أنهم كذلك يتعففون عن السؤال، ويتحملون الصبر عند القتال، وهو مثل ما في الحديث يَقِلُّون عند الطمع ، ويكثرون عند الفزع.

الحديث الثالث والعشرون إلى الحديث الخامس والعشرون عن أبى هريرة رضي الله عنه:

قوله: «لأنا بهم أو ببعضهم» «أنا» مبتدأ، و«أوثق» خبره، و«منى» صلة أوثق ، والباء فى «بهم» مفعول، و«أو» فى «أو ببعضكم» عطف على «بهم» والباء فى «بكم» مفعول فعل مقدر يدل عليه «أوثق» و«أو» فى «أو بعضكم» عطف على بكم ، أو متعلق أيضًا بأوثق إذ هو فى قوة الوثوق وزيادة ، فكأنه فعلان جاز أن يعمل في مفعولين، أو بآخر دل عليه الأول، والمعنى: وثوقى واعتمادى بهم أو ببعضهم أكثر من وثوقى بكم أو ببعضكم ـ انتهى كلامه ـ .

قيل: فيه تعظيم الأعاجم.

أقول: الأول من باب **العطف على الانسحاب**، والثانى من باب **العطف على التقدير**، والمخاطبون بقوله: «بكم أو ببعضكم» قوم مخصوصون دعوا إلى الإنفاق فى سبيل الله فتقاعسوا.

[٦٢٥١] انظر سنن الترمذى ٣٩٠٣ ، والحاكم فى المستدرك وقال: صحيح

[٦٢٥٣] الصحيحة ٣:١٤، ١٠١٧.

[٦٢٥٤] انظر سنن الترمذى برقم ٣٩٣٢ .

* محمد : ٣٨ . ** فى «الترمذى» فى موضعين: (الإيمان).

الفصل الثالث

٦٢٥٥-* عن عليٍّ [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ لكلِّ نبيٍ سبعةَ نجباءَ رقباءَ، وأُعطيتُ أنا أربعةَ عشر، قلنا: من هم؟ قال: «أنا وابناي، وجعفرٌ، وحمزةُ، وأبوبكرٍ، وعمرُ، ومصعبُ بن عُمير، وبلالٌ، وسلمانُ، وعمَّارٌ، وعبدالله ابن مسعود، وأبوذرٍّ، والمقداد» رواه الترمذى.

٦٢٥٦-* وعن خالد بن الوليد، قال: كانَ بينى وبين عمّار بن ياسرٍ كلامٌ، فأغلظتُ له في القول: فانطلق عمَّار يشكوني إلى رسول الله ﷺ، فجاء خالد وهو يشكوه إلى النبى ﷺ. قال: فجعلَ يُغلظُ له ولايزيده إلا غلظة، والنبىُّ ﷺ ساكتٌ لايتكلَّمُ، فبكى عمَّارٌ وقال: يا رسول الله! ألا تراه؟ فرفع النبيُّ ﷺ رأسه

عنه، فهو كالتأنيب والتعيير عليهم، يدل عليه قوله تعالى في الحديث السابق: ﴿**وإن تتولوا يستبدل قومًا غيركم**﴾[1] فإنه جاء عقيب قوله تعالى: ﴿**هاأنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل**﴾[2]. يعني أنتم هؤلاء المشاهدون بعد ممارستكم الأحوال، وعلمكم بأن الإنفاق في سبيل الله خير لكم، تدعون إليه فتتبطون عنه وتتولون، فإن استمر توليكم يستبدل الله قومًا غيركم بذَّالون لأرواحهم وأموالهم في سبيل الله ولايكونوا أمثالكم في الشح المبالغ، فهو تحريض على الإنفاق فلا يلزم منه التفضيل.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن على رضي الله عنه:

قوله: «إن لكل نبي سبعة نجباء» النجباء جمع نجيب وهو الكريم من الرجال المختار.

والرقباء: جمع رقيب وهو الحافظ.

وقوله: «قال: أنا» ضمير الفاعل عائد إلى على رضي الله عنه.

الحديث الثانى عن خالد بن الوليد رضي الله عنه:

قوله: «فجاء خالد» هذا كلام الراوي، و«قال» محذوف يدل عليه قوله بعده: «قال خالد: فخرجت».

---

(١) (٢) محمد: ٣٨.

وقال: «من عادى عمَّارًا عاداه الله، ومن أبغض عمارًا أبغَضَه الله». قال خالدٌ: فخرجت فما كانَ شيءٌ أحبَّ إليَّ من رضى عمَّار، فلقيته بما رضى* فرضي. [٦٢٥٦].

٦٢٥٧-* وعن أبي عُبَيْدَةَ، أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خالدٌ سيفٌ من سيوف الله عزَّ وجل، ونعم فتى العشيرة». رواهما أحمد [٦٢٥٧].

٦٢٥٨-* وعن بريدة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تبارك وتعالى أمرني بحب أربعة، وأخبرنى أنه يحبهم». قيل: يارسول الله سَمِّهم لنا. قال: «عليٌّ منهم» -يقول ذلك ثلاثًا- «وأبو ذر، والمقدادُ، وسلمانُ، أمرنى بحبِّهم وأخبرنى أنه يحبهم». رواه الترمذي وقال: هذا حديثٌ حسن غريب [٦٢٥٨].

٦٢٥٩-* وعن جابر، قال: كانَ عمر يقول: أبوبكر سيدنا، وأعتَقَ سيدَنا، يعني بلالا. رواه البخاري.

٦٢٦٠-*وعن قيس بن أبى حازمٍ: أنَّ بلالا قال لأبى بكرٍ: إن كنتَ إنما اشتريتَنى لنفسك فأمسكنى، وإن كنتَ إنما اشتريتَنى لله فدَعْنى وعملَ الله**. رواه البخارى.

٦٢٦١-* وعن أبى هريرةَ، قال: جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: إنى مجهودٌ. فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثَك بالحق ماعندى إلا ماءٌ، ثمَّ أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، وقلن كلُّهم مثل ذلك فقال رسول الله ﷺ: «من

الحديث الثالث عن أبي عبيدة رضي الله عنه:

قوله: «سيف من سيوف الله عز وجل» هو من باب قوله تعالى: ﴿يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله بقلب سليم﴾(1) جعل بالادعاء جنس السيوف نوعين: متعارف وغيره، وخالد من أحد نوعيه، ونحوه قول الفرزدق:

إني أجمد العينين صعصعة الذي   متى تخلف الجوزاء والدلو يمطر

و«نعم فتى العشيرة» أي فتى بني مخزوم، والمخصوص بالمدح محذوف.

الحديث الرابع إلى الحديث السابع عن أبي هريرة رضي الله عنه:

[٦٢٥٦] انظر صحيح الجامع برقم ٦٣٨٦.   [٦٢٥٧] انظر صحيح الجامع برقم ٣٢٠٨.

[٦٢٥٨] انظر ضعيف الجامع حديث برقم ١٥٦٦، الضعيفة ١٥٤٩.

(1) الشعراء: ٨٨:٨٩.

* هنا زيادة: «بما رضى» ليست فى (المسند) وهى ثابتة فى الأوصل، والله أعلم.

** وفى بعض نسخ البخارى: «وعملى لله».

يضيفهُ؟ ويرحمُه الله» فقام رجل من الأنصار يقال له: أبوطلحة، فقال: أنا يارسول الله، فانطلَقَ به إلى رحله فقال لامرأته: هل عندكِ شيء؟ قالت: لا، إلا قوتَ صبياني قال: فعلليهم بشيءٍ ونوميهم، فإذا دخل ضيفُنا فأريه أنَّا نأكلُ، فإذا أهوى بيده ليأكل، فقومي إلى السّراج كي تصلحيه فأطفئيه، ففعلَت، فقعدوا، وأكل الضيفُ، وباتا طاويين، فلما أصبح غدا على رسول اللهﷺ. فقال رسول اللهﷺ: «لقد عَجب الله- أوضحك الله-[من] فُلان وفلانة».

وفي رواية مثله، ولم يسم أباطلحة. وفي آخرها فأنزل الله تعالى: **﴿ويؤْثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾***. متفق عليه.

٦٢٦٢-* وعنه، قال: نزلنا مع رسول اللهﷺ منزلا، فجعلَ الناس يمرون، فيقول رسول اللهﷺ: «من هذا يا أباهريرة؟» فأقول: فلانٌ. فيقول: «نعمَ عبدالله هذا» ويقول: «من هذا؟» فأقول: فلانٌ. فيقول: «بئس عبدالله هذا» حتى مرَّ خالدُ بنُ الوليد فقال: «من هذا؟» فقلتُ: خالد بن الوليد. فقال: «نعم عبدالله خالدُ بن الوليد! سيفٌ من سيوف الله». رواه الترمذي [٦٢٦٢].

قوله: «فعلليهم بشيء» هو من تعلة الصبي، أي مايعلل به الصبي ليسكت.

وقوله: «فلما أصبح» هي هاهنا تامة.

و«غدا» جواب«لما» وضمن فيه معنى الإقبال، أي لما دخل في الصباح أقبل على رسول اللهﷺ

قوله: **﴿ولو كان بهم خصاصة﴾** أي خلة، وأصلها خصاص البيت وهي فروجة. والجملة في موضع الحال، و«لو» بمعنى الفرض، أي: ويؤثرون على أنفسهم مفروضة خصاصتهم.

الحديث الثامن والحديث التاسع عن زيد بن أرقم رضي الله عنه:

قوله: «فادع الله» الفاء تستدعي محذوفًا، أي لكل نبي أتباع ونحن أتباعك لأنا اتبعناك، فادع الله أن يكون أتباعنا منا، أي متصلين بنا مقتفين آثارنا بإحسان كما قال الله تعالى: **﴿والتابعين لهم بإحسان﴾**(١).

[٦٢٦٢] انظر صحيح الترمذي رقم ٣٠٢١ - الصحيحة ١٢٣٧ و ١٨٢٦.

(*) الحشر: ٩.

(١) التوبة: ١٠٠.

٦٢٦٣- * وعن زيد بن أرقم قال: قالت الأنصار: يانبيَّ الله! لكل نبى أتباعٌ وإنَّا قد اتَّبعناك، فادْعُ اللهَ أن يجعلَ أتباَعنا منَّا، فدعا به. رواه البخارى.

٦٢٦٤- * وعن قتادةَ قال: مانعلمُ حيًا من أحياء العرب أكثرَ شهيدًا أعزَّ يوم القيامة من الأنصار. قال: وقال أنس: قُتِلَ منهم يوم أُحدٍ سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويومَ اليمامة على عهد أبى بكر سبعون. رواه البخارى.

٦٢٦٥- * وعن قيس بن أبي حازم، قال: كان عطاءُ البدريينَ خمسةَ آلاف، وقال عمر: لأفضلنَّهم على مَن بَعدَهم. رواه البخارى.

تسمية من سمى من أهل بدر
فى «الجامع للبخارى»

١- النبى محمَّدُ بن عبدالله الهاشمىُّ ﷺ. ٢- عبدالله بن عثمان أبو بكر الصدِّيق القرشى. ٣- عمر بن الخطاب العدوي. ٤- عثمان بن عفان القرشى خلَّفه النبى ﷺ على ابنته رقيَّة وضَرب له بسهمه. ٥- علىٌّ بن أبى طالب الهاشمي. ٦- إياس بن بُكَير. ٧- بلال بن رباح مولى أبى بكر الصديق. ٨- حمزة بن عبدالمطلب الهاشمىُّ. ٩- حاطب بن أبى بلتعة حليفٌ لقريش. ١٠- أبو حذيفةَ [بن عتبة] بن ربيعة القرشى. ١١- حارثة بن الربيع الأنصارى، قتل يوم بدر، وهو حارثة بن سراقة، كان فى النَّظَّارة. ١٢ - خبيب بن عدىّ الأنصارى. ١٣ - خُنَيس بن حذافة السَّهمى.

الحديث العاشر عن قتادة:

قوله: «أكثر شهيدًا» صفة حيًا بعد صفة، ويجوز أن يكون حالا، فإن العلم بمعنى المعرفة. وهي من الأفعال التى لاتقبل التقييد، نحو قولك: عرفت زيدًا قائمًا، فإن المعرفة الحاصلة حال القيام ليست مقيدة بحال القيام حتى إنها تزول بزواله، بل هي حاصلة بعد ذلك في جميع الأحوال، وإنما ذكرت ليعرف أنه كان كذلك عند المعرفة، والمعرفة مستمرة، وكذلك جميع أفعال العلم، وعلى هذا قوله: «أعز» على تقدير: أعز شهيدًا يوم القيامة.

الحديث الحادي عشر عن قيس بن أبي حازم:

قوله: «لأفضلنهم على من بعدهم» أي في المرتبة، يعني كانت عطياتهم كاملة بخلاف غيرهم، وأنا أيضًا لأفضلنهم على غيرهم وإن زدت على هذا المقدار. والله أعلم.

١٤- رفعة بن رافع الأنصاري. ١٥- رفاعة بن عبدالمنذر أبو لُبابة الأنصاري. ١٦- الزبيرُ بن العوّام القرشي. ١٧- زيد بن سهل أبو طلحة الأنصاري. ١٨- أبو زيد الأنصاري. ١٩- سعد بن مالك الزهري. ٢٠- سعد بن خولة القرشي. ٢١- سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل القرشي، ٢٢- سهل بن حنيف الأنصاري. ٢٣-ظُهير بن رافع الأنصاري. ٢٤- وأخوه. ٢٥- عبدالله بن مسعود الهُذَلي. ٢٦- عبدالرحمن بن عوف الزهري. ٢٧- عُبَيْدةُ بن الحارث القرشي. ٢٨- عبادةُ بن الصامت الأنصاري. ٢٩- عمرو بن عوف حليف بني عامر بن لؤي. ٣٠- عقبة بن عمرو الأنصاري. ٣١- عامرُ بن ربيعةَ العنزي. ٣٢- عاصم بن ثابت الأنصاري. ٣٣- عويمر بن ساعدة الأنصاري ٣٤- عتبان بن مالك الأنصاري. ٣٥- قدامة بن مظعون. ٣٦- قتادة بن النعمان الأنصاري. ٣٧- معاذ بن عمرو بن الجموح. ٣٨- معوِّذ بن عفراء. ٣٩- وأخوه. ٤٠- مالك بن ربيعة أبو أُسيد الأنصاري. ٤١- مِسطحُ بن أُثاثة بن عبَّاد بن المطلب بن عبد مناف. ٤٢-مُرارة بن الرَّبيع الأنصاري. ٤٣- مَعن بن عديّ الأنصاري. ٤٤- مقداد بن عمرو الكندي حليفُ بني زهرة. ٤٥- هلالُ بن أمية الأنصاري، رضي الله عنهم أجمعين.

(١٣) باب ذكر اليمن والشام
وذكر أويس القرني

الفصل الأول

٦٢٦٦-* عن عمرَ بنِ الخطاب، أنَّ رسولَ اللهﷺ قال: «إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له: أُويس، لايدَع باليمن غيرَ أُمٍّ له، قد كان به بياض، فدعا اللهَ فأذهبه إلاّ موضعَ الدينار أو الدرهم، فمن لقيه منكم فليستغفر لكم».

باب ذكر اليمن والشام
وذكر أويس القرني

قال في المغرب: اليمن مأخوذ من اليمين، لخلاف الشام، لأنها بلاد على يمين الكعبة، والنسبة إليها «يمني»بتشديد الياء،أو «يماني» بالتخفيف على تعويض الألف إحدى يائي النسبة.

الفصل الأول

الحديث الأول عن عمر رضي الله عنه:

قوله: «فليستغفر لكم» «مح»: هذه منقبة ظاهرة لأويس القرني،وفيه طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم، والحديث دل على أنه خير التابعين.

وفى رواية قال: سمعت رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إن خيرَ التابعينَ رجلٌ يقال له: أويس، وله والدةٌ، وإن به بياض، فمروه فليستغفر لكم». رواه مسلم.

٦٢٦٧-* وعن أبى هريرة، عن النبى ﷺ، قال: «أتاكم أهلُ اليمن، هم أرقُّ

وقال الإمام أحمد بن حنبل وغيره: أفضل التابعين سعيد بن المسيب.

والجواب: أن مرادهم سعيد أفضل في العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها، لا في كونه أكثر ثوابًا عند الله تعالى.

وفيه معجزة ظاهرة.

الحديث الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «أرق أفئدة» «مظ»: وصف الأفئدة بالرقة، والقلوب باللين، وذلك أنه يقال: إن الفؤاد غشاء القلب، وإذا رق نفذ القول وخلص إلى ما وراءه، وإذا غلظ تعذر الوصول إلى داخله، فإذا صادف القلب ليِّنًا علق به ونجع* فيه.

«قض»: الرقة ضد الغلظة والصفاقة، واللين مقابل للقساوة، فاستعيرت في أحوال القلب، فإذا نبا عن الحق وأعرض عن قبوله ولم يتأثر عن الآيات والنذر يوصف بالغلظة، فكان** شغافه صفيقًا لاينفذ فيه الحق، وجرمه صلب لايؤثر فيه الوعظ، وإذا كان بعكس ذلك يوصف بالرقة واللين، فكان حجابه رقيقًا لايأبى نفوذ الحق، وجوهره لين يتأثر بالنصح.

ويحتمل أن يكون المراد بالرقة جودة الفهم، وباللين قبول الحق، فإن رقة الفؤاد تعد لقبول الأشكال بسهولة، واللين يقتضى عدم الممانعة والانفعال عن المؤثر بيسر، ولعله لذلك أضاف الرقة إلى الفؤاد، واللين إلى القلب، فإنه وإن كان الفؤاد والقلب واحدًا، لكن الفؤاد فيه معنى النفاذ وهو التوقد، يقال: فاءدت اللحم أي شويته، والقلب فيه معنى التقلب، يتقلب حاله حالا● بسبب مايعتريه.

ثم لما وصفهم بذلك أتبعه ماهو كالنتيجة، فإن صفاء القلب ورقته ولين جوهره يؤدي إلى عرفان الحق والتصديق به، وهو الإيمان والانقياد لما يوجبه ويقتضيه، والتيقظ والإيقان فيما يذره ويأتيه، وهو الحكمة، فتكون قلوبهم معادن الإيمان وينابيع الحكمة، وهي قلوب منشؤها اليمن، نسب إليه الإيمان والحكمة معًا لانتسابهما إليه تنويهًا بذكرهما، وتعظيمًا لشأنهما.

أقول: يمكن أن يراد بالقلب والفؤاد ماعليه أهل اللغة في كونهما مترادفين فكرر ليناط به معنى غير المعنى السابق، فإن الرقة مقابلة للغلظة، واللين مقابل للشدة والقسوة، فوصفت أولا بالرقة، ليشير إلى التخلق مع الناس وحسن المعاشرة مع الأهل والإخوان، قال الله

---

* أى أثرّ. ** فى ط: (فكأن) والتصويب من المرقاة وبها يستقيم السياق نحويًا.

● كذا فى (ط)، ولعلها: (حالاً بعد حال) ليستقيم السياق.

أفئدةً، وألينُ قلوبًا، الإيمان يمانٍ، والحكمة يمانيةٌ، والفخر والخيلاءُ في أصحابِ الإبل، والسَّكينة والوقار في أهل الغنم». متفق عليه.

٦٢٦٨-* وعنه، قال، قال رسولُ الله ﷺ: «رأسُ الكفرِ نحو المشرق، والفخر والخيلاءُ في أهل الخيل والإبل، والفدَّادينَ أهلِ الوبر، والسَّكينةُ في أهل الغنم» متفق عليه.

تعالى: ﴿ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[1] وثانيًا باللين ليؤذن بأن الآيات النازلة والدلائل المنصوبة ناجعة فيها، وصاحبها مقيم على التعظيم لأمر الله.

وقوله: «الإيمان يمان والحكمة يمانية» يشمل حسن المعاملة مع الله تعالى، والمعاشرة مع الناس، فلشدة شكيمة اليهود وعنادهم قيل فيهم: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾[2] وللين جانب المؤمنين وصفوا بقوله: ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾[3].

قوله: «والخيلاء في أصحاب الإبل» «قض»: تخصيص الخيلاء بأصحاب الإبل، والوقار بأهل الغنم، يدل على أن مخالطة الحيوان مما يؤثر في النفس، وتعدي إليها هيئات وأخلاقًا تناسب طباعها، وتلائم أحوالها.

الحديث الثالث عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «رأس الكفر نحو المشرق» نحوه: «رأس الأمر الإسلام» أي ظهور الكفر من قبل المشرق.

«مح»: المراد باختصاص المشرق به مزيد تسلط الشيطان على أهل المشرق، وكان ذلك في عهده ﷺ، ويكون حين يخرج الدجال من المشرق، فإنه منشأ الفتن العظيمة، ومثار الكفرة الترك.

قوله: «والخيلاء في أهل الخيل» غب: الخيلاء التكبر عن تخيل فضيلة تراءت للإنسان من نفسه، ومنها يتأوَّل لفظ الخيل، لما قيل: إنه لايركب أحد فرسًا إلا وجد في نفسه نخوة، والخيل في الأصل اسم للأفراس والفرسان جميعًا.

قوله: «والفدادين» «نه»: الفدادون بالتشديد الذين يعلون أصواتهم في حروثهم ومواشيهم، واحدهم فداد، يقال: فد الرجل يفد فددًا إذا اشتد صوته.

وقيل: هم المكثرون من الإبل.

---

(١) آل عمران: ١٥٩.

(٢) البقرة: ٧٤. (٣) الزمر: ٢٣.

٦٢٦٩-* وعن أبى مسعود الأنصارى، عن النبىﷺ قال: «من هاهنا جاءت الفتنُ- نحوَ المشرق- والجفاءُ، وغِلَظُ القلوب فى الفدَّادين أهلِ الوبر عند أصولِ أذناب الإبل والبقر، فى ربيعةَ ومضر». متفق عليه.

٦٢٧٠-* وعن جابر، قال: قال رسول اللهﷺ: «غِلَظُ القلوبِ والجفاءُ فى المشرق، والإيمانُ فى أهل الحجاز». رواه مسلم.

٦٢٧١-* وعن ابن عمر، قال: قال النبيﷺ: «اللهمَّ باركْ لنا فى شامنا، اللهمَّ بارك لنا في يمننا». قالوا: يارسول الله! وفى نجدنا؟ قال: «اللهمَّ بارك لنا فى شامنا، اللهمَّ بارك لنا فى يمننا» قالوا: يارسول الله! وفى نجدنا؟ فأظنه قال فى الثالثة: «هناك الزلازل والفتن وبها يطلُع قرن الشيطان». رواه البخارى.

وقيل: هم الجمالون والبقارون والحمارون والرعيان.

وقيل: إنما هو الفدادون مخففًا، واحد فداد مشددًا، وهي البقرة التي يحرث بها، وأهلها أهل جفاء وغلظة.

تو: إذا روي بالتخفيف تقديره: وفي أهل الفدادين، وأرى أن أصوب الروايتين بالتشديد، كما في حديث ابن مسعود الذي يتلو هذا الحديث: «والجفاء والغلظة في الفدادين» والتخفيف في هذه الرواية غير مستقيم، وتقدير الحذف فيه مستبعد رواية ومعنى، فرددنا المختلف فيه إلى المتفق عليه، هذا وقد صح عن النبي ﷺ أنه رأى سكة وشيئًا من آلة الحرث فقال: «مادخل هذا دار قوم إلا أدخل عليهم الذل»، وأين إيقاع الفخر والخيلاء من موقع الذل؟

الحديث الرابع عن أبي مسعود رضي الله عنه:

قوله: «نحو المشرق» حال متعلق بمحذوف، أي قال ﷺ: «من هنا جاءت الفتن» مشيرًا نحو المشرق. و«أهل الوبر» موضع الفدادين، ويراد بأهل الوبر الأعراب، فيكون قوله: «في ربيعة ومضر» بدلا من قوله: «في الفدادين» بإعادة العامل، وقوله: «عند» ظرف لقوله الفدادين على تأويل: الذين بهم جلبة وصياح عند سوقهم لها، لأن سائق الدواب إنما يعلو صوته خلفها.

الحديث الخامس والحديث السادس عن ابن عمر رضي الله عنهما:

قوله: «اللهم بارك لنا في شامنا» «شف»: إنما دعا لها بالبركة لأن مولده بمكة وهي من اليمن، ومسكنه ومدفنه بالمدينة وهي من الشام، وناهيك من فضل الناحيتين أحدهما مولده والأخرى مدفنه، وأنه أضافهما إلى نفسه وأتى بضمير الجمع تعظيمًا، وكرر الدعاء ثلاث مرات.

الفصل الثانى

٦٢٧٢-* عن أنس، عن زيد بن ثابت، أن النبيﷺ نظر قِبَلَ اليمن، فقال: «اللهمَّ أَقْبِل بقلوبهم، وبارِكْ لنا فى صاعنا ومُدنا». رواه الترمذي [٦٢٧٢].

٦٢٧٣-* وعن زيد بن ثابت، قال: قال رسول اللهﷺ: «طوبى للشام» قلنا: لأي ذلك يارسول الله؟ قال: «لأنَّ ملائكة الرحمن باسطةٌ أجنحتَها عليها». رواه أحمد، والترمذي [٦٢٧٣].

٦٢٧٤-* وعن عبدالله بن عمر، قال: قال رسول اللهﷺ: «ستخرجُ نارٌ من نحو حضر موتَ، أو من حضر موت، تحشر الناس» قلنا: يارسول الله! فما تأمرنا؟ قال: «عليكم بالشام». رواه الترمذى [٦٢٧٤].

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «أقبل بقلوبهم» «تو»: وجه التناسب بين الفصلين أن أهل المدينة مازالوا في شدة من العيش، وعوز من الزاد، لا تقوم أقواتهم بحاجتهم، فلما دعا الله بأن يقبل عليهم بقلوب أهل اليمن إلى دار الهجرة، وهم الجم الغفير دعا الله بالبركة في طعام أهل المدينة ليتسع على القاطن بها، والقادم عليها، فلا يسأم المقيم من القادم عليه، ولاتشق الإقامة على المهاجر إليها.

الحديث الثاني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه:

قوله: «طوبى للشام» هو مصدر من طاب كبشرى وزلفى، ومعنى طوبى لك: أصبت خيرًا وطيبًا.

وقوله: «لأي ذلك؟» كذا في جامع الترمذي على حذف المضاف إليه، أي لأي سبب قلت ذلك؟ وقد أثبت في بعض نسخ المصابيح لفظ «شيء».

الحديث الثالث عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما:

قوله: «نار من حضر موت» «تو»: يحتمل أنها رأي عين وهو الأصل، ويحتمل أنها فتنة عبر عنها بالنار، وعلى التقديرين فالوجه فيه أنها قبل قيام الساعة، لأنهم قالوا: «فما تأمرنا؟» يعنون في التوقي عنها، فقال: «عليكم بالشام».

[٦٢٧٢] انظر صحيح الترمذى رقم ٣٠٨٦، الإرواء ٤/ ١٧٦.

[٦٢٧٣] انظر صحيح الترمذى رقم ٣٠٩٩، الصحيحة ٥٠٢.

[٦٢٧٤] انظر صحيح الترمذى رقم ١٨٠٥ بنحوه، صحيح الجامع بنحوه ٣٦٠٩.

٦٢٧٥-* وعن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكونُ هجرة بعد هجرةٍ، فخيار الناس إلى مُهَاجَر إبراهيم». وفى رواية: «فخيار أهل الأرض ألزمُهم مُهاجَر إبراهيم، ويبقى فى الأرض شرار أهلها، تلفِظهم أرَضوهم، تقذَرهم نَفْسُ الله، تحشرهم النارُ مع القردَة والخنازير، تبيت معهم إذا

الحديث الرابع عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما:

قوله: «هجرة بعدة هجرة» قال الشارحون: كان من حق الثانية أن يؤتى بها مع لام العهد، لأن المراد منها الهجرة الواجبة قبل الفتح، وإنما أتى بها منكَّرة لتساوق الأولى في الصيغة مع إضمار في الكلام، أي بعد هجرة حقت ووجبت، والمعنى: ستكون هجرة إلى الشام بعدهجرة كانت إلى المدينة.

أقول ويمكن أن يراد التكرير، كما في قولك: لبيك وسعديك،أي ألبيك إلبابًا بعد إلباب.

و«الفاء» في قوله:«فخيار الناس» يلوح إليه لأنه تفصيل للمجمل ، كأنه قيل: سيحدث للناس مفارقة من الأوطان، وكل إنسان يفارق وطنه إلى آخر ويهجره هجرة بعد هجرة، فخيارهم من يهاجر أو يرغب إلى «مهاجر إبراهيم عليه الصلاة والسلام» وهو الشام.

وينصر هذا التأويل الحديث الذي يتلوه.

«تو»: وذلك حين تكثر الفتن، ويقل القائمون بأمر الله في البلاد، ويستولى الكفرة الطغام على بلاد الإسلام، وتبقى الشام يسوسها العساكر الإسلامية منصورة على من ناوأهم، ظاهرين على الحق حتى يقاتلوا الدجال، فالمهاجر إليها حينئذٍ فاز بدينه، ملتجيء إليها لصلاح آخرته، يكثر سواد عباد الله الصالحين القائمين بأمر الله تعالى.

ولعل الحديث إشارة إلى العصر الذي نحن فيه(١).

قوله: «تلفظهم أرضوهم» «قض»: أي ينتقل من الأراضي التي يستولى عليها الكفرة خيار أهلها، ويبقى خساس تخلفوا عن المهاجرين جبنا عن القتال ، حرصًا وتهالكًا على ما كان لهم فيها من ضِياع ومواش ونحوهما من متاع الدنيا، فهم لخسة نفوسهم وضعف دينهم كالشيء المسترذل المستقذر عنه، فكأن الأرض تستنكف عنهم فتقذفهم، والله سبحانه يكرههم، فيبعدهم من مظان رحمته ومحل كرامته، إبعاد من يستقذر الشيء ويبعد عنه طبعه، فلذلك منعهم من الخروج وثبطهم قعودًا مع أعداء الدين،نحوه قوله تعالى: ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم﴾(٢).

وقوله: «تقذرهم نفس الله» من التمثيلات المركبة التي لايطلب لمفرداته ممثلا وممثلاً به، مثل: شابت لمة الليل، وقامت الحرب على ساق.

---

(١) قال مصحح «ط»: لعل هذا العصر لم يأت بعد، نسأل الله أن يعافينا من الفتن..

(٢) التوبة: ٤٦.

باتوا، وتَقيل معهم إذا قالوا». رواه أبوداود [٦٢٧٥].

٦٢٧٦-* وعن ابن حَوالة، قال: قال رسول الله ﷺ: «سيصير الأمر أن تكونوا جنودًا مجندةً، جندٌ بالشام، وجندٌ باليمن، وجندٌ بالعراق» فقال ابن حَوالة: خِرلى يارسول الله! إن أدركتُ ذلك. فقال: «عليك بالشام، فإنها خِيَرةُ الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتُم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غُدُرِكُم، فإنَّ

تو: نفس الله ذاته، وهو وإن كان من حيث حصل له مضاف ومضاف إليه يقتضي المغايرة وإثبات شيئين من حيث الغيار على سبيل الاتساع، وتعالى الله الملك عن الأثنوية ومشابهة المحدثات علوًا كبيرًا.

قوله: «تحشرهم النار مع القردة والخنازير» مظ: النار هاهنا الفتنة، يعني تحشرهم نار الفتنة التي هي نتيجة أفعالهم القبيحة، وأقوالهم، مع القردة والخنازير لكونهم متخلقين بأخلاقهم، فيظنون أن الفتنة لاتكون إلا في بلدانهم فيختارون جلاء أوطانهم ويتركونها، والفتنة تكون لازمة لهم ولا تنفك عنهم حيث يكونون وينزلون.

أقول: قوله: «تلفظهم أرضوهم إلخ» جمل مستأنفات مبنية لقوله: «ويبقى في الأرض شرار أهلها» كأنه سئل: فما حال الأشرار الباقية؟ فقيل: تلفظهم أرضوهم، أي ترميهم وتقذفهم من أرضهم إلى أخرى، وليس لهم فيها قرار.

ثم قيل: ومعاملة الله معهم؟ فقيل: يقذرهم فيبعدهم عن مظان رحمته ومحل كرامته.

ثم قيل: ماماَل أمرهم حينئذ؟ فقيل: تحشرهم النار مع القردة والخنازير.

وقوله: «تبيت معهم» إما جملة مؤكدة لما قبلها، أو حال منها.

الحديث الخامس عن ابن حوالة رضي الله عنه:

قوله: «فإنها خيرة الله» الخيرة بسكون الياء اسم من خار، فأما بالفتح فهي الاسم من قولك: اختاره الله، ومحمد ﷺ خيرة الله من خلقه، يقال بالفتح والسكون.

قوله: «فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم» تو: هذا كلام معترض أدخله بين قوله: «عليكم بالشام» وبين قوله: «واسقوا من غدركم» أي الزموا الشام واسقوا من غدركم.

«فإن الله تكفل لي بالشام وأهلها» رخص لهم في النزول بأرض اليمن، ثم عاد إلى مابدأ منه، وإنما أضاف اليمن إليهم لأنه خاطب به العرب، واليمن من أرض العرب.

[٦٢٧٥] و انظر شرح السنة (١٤/٢٠٩) وفيه شهر بن حوشب وهو ضعيف.

الله عزَّ وجلَّ توكل لي بالشام وأهله» رواه أحمد، وأبو داود [٦٢٧٦].

ومعنى قوله: «واسقوا من غدركم» أي ليسق كل واحد منكم من غديره الذي يختص به، والأجناد المجندة بالشام- لاسيما أهل الثغور والنازلين في المروج- من شأنهم أن تتخذ كل فرقة لنفسها غديرًا تستنقع فيه الماء للشرب والتطهر وسقيِ الدواب، فوصاهم بالسقيِ مما يختص بهم وترك المزاحمة فيما سواه والتغلب لئلا يكون سببًا للاختلاف وتهييج الفتنة.

أقول: كأن قوله: «فأما إن أبيتم» وارد على التأنيب والتعيير، يعني: أن الشام مختار الله من الأرض، فلا يختارها إلا خيرة الله من عباده، فإن أبيتم أيها العرب مااختاره الله تعالى، واخترتم بلادكم ومسقط رأسكم من البوادي فالزموا يمنكم، واسقوا من غدرها لأنه أوفق لكم من البوادي، ألا ترى كيف جمع الضميرين في القرينتين بعد أن أفرده في قوله: «عليكم بالشام» فعلم من هذا أن الشام أولى بالاختيار واليمن عند الاضطرار.

والغدر: جمع غدير وهي حفرة يستنقع فيها الماء، والعرب أكثر الناس اتخاذًا لها، ولذلك أضيف إليهم.

وهاتان الإضافتان بعد نسبته أرض الشام إلى الله تعالى يرشدانك إلى أن الكلام ليس فيه اعتراض، وكذا «أما» التفصيلية، ثم إن قوله: «فإن الله توكل لي بالشام» مرتب على الكلامين، كأنه قيل: الشام هو الاختيار، واليمن عند الاضطرار، فإن الله تعالى توكل لي بالشام.

«تو»: في سائر نسخ المصابيح: «فإن الله قد توكل لي بالشام» والصواب: «قد تكفل لي» وهو سهو إما في أصل الكتاب أومن بعض رواة الحديث، فنقل [على ما وجد]*.

«قض»: أراد بالتوكل التكفل، فإن من توكل بشيء فقد تكفل بالقيام به، والمعنى: أنه تعالى

ضمن لي حفظها وحفظ أهلها من بأس الكفرة واستيلائهم، بحيث يتخطفهم ويدمرهم بالكلية.

أقول: في مسند أحمد وجامع الأصول عن أبي داود كما في المصابيح.

وقوله: «لي» ليس بصلة توكل، وصلته: إما «على» أو «الباء»، ولايجوز الأول فتعين الثاني، أي: توكل بالشام لأجلي.

«نه»: يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به.

[٦٢٧٦] انظر صحيح أبي داود برقم (٢١٦٩).

* كذا في «ط» وفي «ك» «عما وجد».

الفصل الثالث

٦٢٧٧-* عن شُرَيح بن عُبيد، قال: ذُكر أهل الشام عند علي [رضى الله عنه] وقيل: العنهم ياأمير المؤمنين!قال: لا، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «الأبدال يكونون بالشام، وهم أربعون رجلاً، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً، يُسقى بهم الغيثُ ويُنتصرُ بهم على الأعداء، ويُصرفُ عن أهل الشام بهم العذابُ» [٦٢٧٧].

٦٢٧٨-* وعن رجل من الصَّحابة، أن رسول الله ﷺ قال: «ستفتحُ الشام، فإذا خُيِّرْتم المنازلَ فيها، فعليكم بمدينة يقال لها دمشق، فإنَّها مَعقِل المسلمين من الملاحم وفُسْطاطُها، منها أرضٌ يقال لها: الغُوطةُ». رواهما أحمد [٦٢٧٨].

٦٢٧٩-* وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الخلافة بالمدينة، والملك بالشام»[٦٢٧٩].

٦٢٨٠-* وعن عمر[رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيتُ عموداً من نور، خرج من تحت رأسى ساطعًا حتى استقرَّ بالشام». رواهما البيهقى فى «دلائل النبوة» [٦٢٨٠].

الفصل الثالث إلى آخره

رجل: [ ]*

قوله: «معقل المسلمين» هو من معقل [الأُرْوِيَّة]**، أي يتحصن المسلمون ويلتجئون إلى دمشق، كما يلتجيء الوعل الى رأس الجبل.

و«الملحمة» الحرب والقتال.

و«الفسطاط» أراد به البلدة الجامعة للناس، ومنه سميت مصر الفسطاط.

و«الغوطة» اسم البساتين والمياه التي عند دمشق، وهي غوطة دمشق.

[٦٢٧٧] انظر ضعيف الجامع ح برقم (٢٢٦٦)، الضعيفة (٢٩٩٣).

[٦٢٧٨]قال الشيخ: ضعيف، لكن رواه أبو داود (٤٢٩٨) بإسناد صحيح.

[٦٢٧٩] انظر ضعيف الجامع برقم (٢٩٤٨)، الضعيفة (١١٨٨).

[٦٢٨٠] انظر الدلائل ح (٦/ ٤٤٩).

* بياض بالأصل فى (ك)، (ط).

** فى «ط» «الأرومة» وقد صو بناء من النهاية لابن الأثير.

٦٢٨١-* وعن أبي الدَّرداءِ، أنَّ رسولَ اللهﷺ قال: «إن فُسطاط المسلمين يوم الملحمةِ بالغوطة، إلى جانب مدينةٍ يقال لها دمشق من خير مدائن الشام».

رواه ابو داود [٦٢٨١].

٦٢٨٢-* وعن عبدالرَّحمن بن سليمان، قال: سيأتي مَلِكٌ من ملوك العجم، فيظهرُ على المدائنِ كلِّها إلا دمشق. رواه أبو داود [٦٢٨٢].

(١٤) باب ثواب هذه الأمة

الفصل الأول

٦٢٨٣-* عن ابن عمر، عن رسول اللهﷺ قال: «إنما أَجَلُكم في أَجَلِ مَن خلا من الأمم مابين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود

باب ثواب هذه الأمة

الفصل الأول

الحديث الأول عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما:

قوله: «إنما أجلكم في أجل من خلا» الأجل المدة المضروبة للشيء، قال تعالى: ﴿لتبلغوا أجلا مسمى﴾(١) ويقال للمدة المضروبة لحياة الإنسان: أجل، فيقال: دنا أجله، عبارة عن دنو الموت، وأصله استيفاء الأجل، أي مدة الحياة، ومعناه: ماأجلكم في أجل من مضى من الأمم السالفة في الطول والقصر إلا مقدار مابين صلاة العصر إلى صلاة المغرب من الزمان.

قوله: «إنما مثلكم ومثل اليهود» وفي أصل المالكي: «إنما مثلكم واليهود» قال: عطف على الضمير المجرور بغير إعادة الجار، وهو ممنوع عند البصرين إلا يونس وقطرب والأخفش، والجواز أصح من المنع لضعف احتجاج المانعين، وصحة استعماله نظمًا ونثرًا، واحتجوا بأن الضمير المجرور شبيه بالتنوين [ومعاقب]* فلم يجز العطف عليه كما لايعطف على التنوين، وبأن حق المعطوف والمعطوف عليه أن يصح حلول كل منهما محل الآخر، وضمير الجر لايصح حلوله محل مايعطف عليه إلابإعادة الجار نحو﴿فقال لها وللأرض﴾ (٢)والحجتان ضعيفتان.

[٦٢٨١] انظر صحيح أبي داود رقم (٣٦١١).

[٦٢٨٢] انظر صحيح أبي داود برقم (٣٨٧٧)، وقال الشيخ في المشكاة: لم أجده عنده أي (أبي داود)، والحديث منقطع.

(١) غافر: ٧٦. (٢) فصلت : ١١. * كذا في «ط»، «ك».

والنصارى كرجل استعمل عُمَّالا فقال: من يعمل إلى نصفِ النَّهار على قيراطٍ قيراطٍ؟، فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثمَّ قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراطٍ؟، فعملت النصارى من نصف النهار

أما الأولى: فإن شبه الضمير بالتنوين ضعيف فلا يترتب عليه إيجاب ولامنع، ولو منع من العطف عليه لمنع من توكيده والإبدال منه، لأن التنوين لايؤكد ولايبدل منه بخلاف الضمير، فالعطف عليه أسوة بهما.

وكذا الثانية: ضعيفة لجواز قوله: رب رجل وأخيه، وقوله: أي فتى هيجاء أنت وجارها، وقولك: زيد وأخوك منطلقان.

ومن مؤيدات الجواز قراءة حمزة: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾[1] بالخفض.

وجعل الزمخشري «أشد» معطوفًا على الكاف والميم من: ﴿فاذكروا الله كذكركم﴾[2] ولم يجز عطفه على الذِّكر. والذى ذهب إليه هو الصحيح يعرف بالتأمل.

«حس»: قال الخطابي: يروى هذا الحديث على وجوه مختلفة في توقيت العمل من النهار، وتقدير الأجرة، ففي هذه الرواية قطع الأجرة لكل فريق قيراطًا قيراطًا، وتوقيت العمل عليهم زمانًا زمانًا، واستيفاؤه منهم، وإيفاؤهم الأجرة.

وفيه قطع الخصومة، وزوال العنت عنهم، وإبراؤهم من الذنب.

وهذا الحديث مختصر، وإنما اكتفى الراوي منه بذكر مآل العاقبة فيما أصاب كل واحدة من الفرق، وقد روى محمد بن إسماعيل هذا الحديث بإسناده عن سالم بن عبدالله عن أبيه قال: «أوتيَ أهل التوراة التوراةَ فعملوا حتى إذا انتصف النهار عجزوا فأعطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أوتيَ أهل الإنجيلِ الإنجيلَ فعملوا إلى صلاة العصر [ثم عجزوا]* فأعطوا قيراطًا قيراطًا، ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين» الحديث.

فهذه الرواية تدل على أن مبلغ الأجرة لليهود لعمل النهار كله قيرطان، وأجرة النصارى للنصف الثاني قيرطان، فلما عجزوا عن العمل قبل تمامه لم يصيبوا إلا قدر عملهم وهو قيراط، ثم إنهم لما رأوا المسلمين قد استوفوا قدر أجرة الفريقين حاسدوهم فقالوا: نحن أكثر عملا وأقل أجراً.

قوله: «فعملت اليهود إلى نصف النهار» حالة من حالات المشبه أدخلها في المشبه به وجعلت من حالاته اختصاراً، إذ الأصل، قال الرجل: من يعمل إلى نصف النهار على قيراط قيراط، فعمل قوم إلى نصف النهار.. إلخ.

---

(١) النساء : ١. (٢) البقرة: ١٥٢.

* في «ك» «فعجزوا».

إلى صلاة العصر على قيرط قيراطٍ. ثم قال: من يعمل لى من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس، ألا لكم الأجرُ مرَّتين، فغضبت اليهود والنصارى فقالوا: نحن أكثرُ عملاً، وأقل عطاءً!قال الله تعالى: فهل ظلمتكم من حقكم شيئًا، قالوا: لا. قال الله تعالى: فإنه فضلى، أُعطيه من شئتُ». رواه البخاري.

٦٢٨٤-* وعن أبى هريرة، أنَّ رسولَ اللهﷺ قال: «إنَّ من أشدِّ أمتى لى حبًا ناس يكونون بعدى يود أحدُهم لو رآني بأهله وماله» رواه مسلم.

وكذلك قال الله تعالى للأمم من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط فعملت اليهود.. إلى آخره. ونظيره قوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا...﴾ إلى قوله﴿..ذهب الله بنورهم﴾[1] فقوله: «ذهب الله بنورهم» وصف للمنافقين وضع موضع وصف المستوقد اختصارًا- كذا عن الواحدي.

قوله: «ثم قال: من يعمل لى من نصف النهار» قال المالكى: تضمن هذا الحديث «من» في ابتداء غاية الزمان مرارًا وهو مما خفي على أكثر النحويين، فمنعوه تقليدًا لسيبويه في قوله: وأما «من» فتكون لابتداء الغاية في الأماكن، وأما «مذ» فتكون لابتداء غاية الأيام والأحيان، ولاتدخل واحدة منهما على صاحبتها. يعني أن «مذ» لاتدخل على الأمكنة ولا«من» على الأزمنة، فالأول مسلم بالإجماع، والثاني ممنوع لمخالفته النقل الصحيح والاستعمال الفصيح، ومن الشواهد قوله تعالى: ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه﴾[2].

قوله: «فغضبت اليهود والنصارى» لعل هذا تخييل وتصوير لا أنَّ ثمة مقاولة ومكالمة حقيقةً، اللهم إلا أن يحمل ذلك على حصولها عند إخراج الذرِّ فتكون حقيقةً.

وقوله: «فإنه» الضمير واقع موقع اسم الإشارة، والمشار إليه قوله: «الأجر مرتين» وإنما لم يكن ظلمًا لأنه تعالى شرط معهم شرطًا وقبلوا أن يعملوا به، وكان فضله مع النصارى على اليهود شرطًا في زمان أقل من زمانهم مع أنهما في الأجرة متساويان، وأما المسلمون فمدة عملهم أقل مع ضعف الأجرة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

الحديث الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه:

قوله: «لو رآني بأهله وماله» «مظ»: الباء في «بأهله» باء التعدية، كما في قولهم: بأبي أنت وأمي، يعني يتمنى أحدهم أن يكون مفديًا بأهله وماله لو اتفق رؤيتهم إياي ووصولهم إلى .

---

(١) البقرة:١٧

(٢) التوبة :١٠٨

٦٢٨٥-* وعن معاويةَ، قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «لايزال من أُمتَّى أُمَّةٌ قائمةٌ بأمر الله لايضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيَ أمر الله وهم على ذلك». متفق عليه.

وذكر حديث أنس«إن من عباد الله» فى: «كتاب القصاص».

الفصل الثانى

٦٢٨٦-* عن أنسٍ،قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ أمتى مثل المطر، لايُدرى أوَّله خيرٌ أم آخِرُه» رواه الترمذى [٦٢٨٦].

أقول: «لو» هنا كما في قوله تعالى: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾(١) فلابد لقوله: «يود» من مفعول، فلو مع مابعده نزل منزلته، كأنه قيل: يود أحدهم ويحب أحدهم مايلازم قوله: لو رآني بأهله أن يفدي أهله وماله ليراني.

الحديث الثالث عن معاوية رضي الله عنه:

قوله: «لايزال من أمتى أمة قائمة» تو: الأمة القائمة بأمر الله وإن اختلف فيها فإن المعتد به من الأقاويل: أنها الفئة المرابطة بثغور الشام نضر الله بهم وجه الإسلام، لما في بعض طرق هذا الحديث: «وهم بالشام» وفي بعضها: «حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال» وفي بعضها: قيل: يارسول الله وأين هم؟ قال: «ببيت المقدس».

فإن قيل: ماوجه هذا الحديث وما في معناه من الأحاديث التي وردت في الشام، وقد عاثت الذئاب في القطيع، وعبرت الجنود العاتية على الفرات،واستباحت ماوراءه من البلاد كنبيج وسروج وحلب وماحولها؟

قلت: إنما أراد بقوله: لايضرهم كل الضرر، وقد أضر الكفار يوم أحد بأصحاب النبي ﷺ وغيره، ولما كانت العاقبة للتقوى لم يعد ذلك ضررًا عليهم، مع أن الفئة الموعود لهم بالنصرة على عدوهم هم الجيوش الغازية بها، ولم يصبهم بحمد الله إلى اليوم غضاضة ولاهوان.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أنس رضي الله عنه:

قوله: «لايدري أوله خير» «تو»لايحمل هذا الحديث على التردد في فضل الأول على الآخِر، فإن القرن الأول هم المفضلون على سائر القرون من غير [مثنوية]* ،ثم الذين يلونهم،ثم الذين

[٦٢٨٦] انظر صحيح الترمذى رقم (٢٣٠٢) بلفظ (مثل الطير، و الصحيحة رقم (٢٢٨٦).

(١) الحجر: ٢.

* أى لايشاركهم فى هذا الفضل غيرهم.

يلونهم، وفي الرابع اشتباه من قبل الراوي، وإنما المراد منه نفعهم في بث الشريعة والذب عن الحقيقة.

«قض»: نفى تعلق العلم بتفاوت طبقات الأمة في الخيرية، وأراد نفي التفاوت، كما قال الله تعالى: ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾[1] أي بما ليس فيهن، كأنه قيل: لو كان يعلم لأنه أمر لايخفى، ولكن لايعلم لاختصاص كل طبقة منهم بخاصية وفضيلة توجب خيريتها، كما أن كل نوبة من نوب المطر لها فائدة في النشوء والنماء، لا يمكنك إنكارها والحكم بعدم نفعها، فإن الأولين آمنوا بما شاهدوا من المعجزات، وتلقوا دعوة النبى ﷺ بالإجابة والإيمان، والآخرين آمنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الآيات، واتبعوا من قبلهم بالإحسان.

وكما أن الأولين اجتهدوا في التأسيس والتمهيد، فالمتأخرون بذلوا وسعهم في التفحيص والتجريد، وصرفوا عمرهم في التقرير والتأكيد، فكل مغفور وسعيهم مشكور، وأجرهم موفور.

أقول: تمثيل الأمة بالمطر إنما يكون بالهدى والعلم، كما أن تمثيله ﷺ بالغيث والهدى والعلم، فتختص هذه الأمة المشبهة بالمطر بالعلماء الكاملين منهم والمكملين لغيرهم، فيستدعى بهذا التفسير أن يراد بالخير النفع، فلا يلزم من هذا المساواة في الأفضلية، ولو ذهب إلى الخيرية، فالمراد وصف الأمة كلها سابقها ولاحقها، أولها وآخرها بالخيرية وأنها ملتحمة بعضها مع بعض، مرصوصة كالبنيان، مفرغة كالحلقة التي لايدرى أين طرفاها، على منوال قوله تعالى: ﴿آلمر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق﴾[2].

الكشاف[3]: أي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها، ثم قال: ﴿والذي أنزل إليك﴾من القرآن كله﴿هو الحق﴾ الذي لامزيد عليه لاهذه السورة وحدها.

وفي أسلوب هذا الكلام قول الأنمارية: هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها. تريد المكملة.

ويلمح إلى هذا المعنى قول الشاعر:

إن الخيار من القبائل واحد   وبنو حنيفة كلهم أخيارُ.

فالحاصل أن الأمة بأسرها مرتبطًا بعضها مع بعض في الخيرية، بحيث أبهم أمرها، وارتفع التمييز بينها، وإن كان بعضها أفضل من بعض في نفس الأمر، وهو قريب من باب سوق المعلوم مساق غيره، وفي معناه أنشد مروان بن أبي حفصة:

---

(١) يونس: ١٨   (٢) الرعد: ١

(٣) الكشاف: ج (٣٧٨/٢).

الفصل الثالث

٦٢٨٧-* عن جعفر، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أبشروا وأبشروا، إنما مثل أُمَّتى مَثَلُ الغيث، لايُدرى آخره خيرٌ أم أوَّله، أو كحديقة أُطعم منها فوجٌ عامًا، ثم أُطعم منها فوجٌ عامًا، لعلَّ آخرها فوجًا أن يكون أعرَضَها عرضًا وأعمَقَها

تشابه يوماه علينـــا فأشـــكلا فما نحن ندري أي يوميه أفضلُ؟

أيوم بداءة العمر أم يوم يأسه؟ ومـــامنهمـــا إلا أغـــرُّ مـحجــــلُ

ومعلوم أن يوم بداءة العمر أفضل من يوم يأسه، لكن البداء لما لم يكن يكمل ويستتب إلا باليأس أشكل عليه الأمرفقال ماقال، وكذلك أمر المطر والأمة.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن جعفر الصادق:

قوله: «أو كحديقة» «أو» هذه مثلها في قوله تعالى: ﴿أو كصيب من السماء﴾[1] في أنها مستعارة للتساوي في غير الشك، كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، يريد أنهما سيان في استصواب أن يجالسا.

معناه: إن كيفية صورة أمتى مشتبهة بكيفية المطر والحديقة، وأنهما سواء في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل، فأيتهما مثلتها فأنت مصيب، وإن مثلتها بهما جميعًا فكذلك.

فإن قلت: أي فرق بين التمثيلين؟

قلت: شبهت الأمة في التمثيل الأول بالمطر في نفع الناس بالهدى والعلم.

وبالثاني بالاستنفاع من علم الرسول ﷺ وهداه، وإنباته الكلأ والعشب الكثير، وحصول [الإخاذات]* ثم انتفاع الناس منهما بالرعي والسقي، وهو المعنى بالفوج الذي أطعم من الحديقة عامًا.

والحديقة: كل ما أحاط به البناء من البساتين وغيرها.

وقوله: «أن يكون» خبر لعل، وأدخل فيه«أن» تشبيها لـ «لعل» بـ «عسى»، واسم«يكون» يحتمل أن يكون ضميرًا عائدًا إلى آخرها، وأعرضها خبره.

ووصف الأمة بالطول والعرض والعمق باعتبار ملابستها بالحديقة، وأن يكون: «أعرضها» صفة موصوف محذوف واسم «يكون» والخبر مقدر، أي: تكون الحديقة أعرضُها عرضًا له، إن روي مرفوعًا.

---

(١) البقرة: ١٩.

* فى اللسان «والإخاذة» الضيعة يتخذها الإنسان لنفسه.

عمقًا، وأحسنَها حسنًا، كيف تهلِك أمّةٌ أنا أوّلها والمهديُّ وسطُها، والمسيحُ آخرها؟ ولكن بين ذلك فَيْجُ أعوج، ليسوا منى ولا أنا منهم» رواه رزين.

٦٢٨٨-* وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، قال: قال رسول اللهﷺ: «أيُّ الخَلْقِ أعجب إليكم إيماناً؟» قالوا: الملائكةُ قال: «ومالهملا يؤمنون وهم عندَ ربِّهم؟». قالوا: فالنَّبيُّون. قال: «ومالهم لايؤمنون والوحى ينزلُ عليهم؟» قالوا: فنحنُ. قال: «ومالكم لاتؤمنونَ وأنا بين أظهركم؟» قال: فقال رسول اللهﷺ: «إنَّ أعجبَ الخلق إليَّ إيمانًا لَقومٌ يكونونَ من بعدى يجدون صُحُفًا فيها كتاب يؤمنون بما فيها».

وأعرض وأعمق وأحسن جيء بها مبالغة، أي أبلغها عرضًا وعمقًا وحسنًا، نحو قولك: العسل أحلى من الخل، والصيف أحر من الشتاء.

وقوله: «أحسنها حسنًا» كقوله: جد جده، وجن جنونه.

وعرضًا: يحتمل أن يكون اسم عين، بدليل قوله: وأعمقها عمقًا.

وأن يكون اسم معنى بدليل: وأحسنها حسنًا.

والفوج والفيج: الجماعة من الناس، فأما الفوج فإنه مخفف من الفيج، تقول: فاج يفوج فهو فيج، كما يقال: هان يهون فهو هين، ثم تخففه فتقول: هين، هكذا قال الأزهري.

وأما «الفوج» فهوعلى أصله من الواو بغير تخفيف، وإنما احتاج إلى التقدير المذكور في الفيج لأجل الياء.

وقوله: «أعوج» وصف للفيج باعتبار اللفظ.

و«ليسوا» أيضًا وصف له باعتبار المعنى.

الحديث الثاني عن عمرو بن شعيب..

وقوله: «أي الخلق أعجب إليكم إيمانًا» يحتمل أن يراد به: أعظم إيمانًا على سبيل المجاز، لأن من تعجب من شيء عظمه، فجوابهم مبني على المجاز، ورد رسول اللهﷺ مبني على إرادة الحقيقة.

قوله: «فالنبيون» الفاء فيه وفي قوله: «فنحن» كما في قولك: الأمثل فالأمثل، والأفضل فالأفضل، وقوله تعالى: ﴿والصافات صفًا فالزاجرات زجراً﴾[1] في وجه.

[٦٢٨٨] انظر دلائل النبوة ٦: ٥٣٨.

(١) الصافات: ١ : ٢.

٦٢٨٩-* وعن عبدالرحمن بن العلاء الحضرمى، قال: حدَّثنى من سمع النبىﷺ يقول: إنه سيكون فى آخر هذه الأمة قومٌ لهم مثلُ أجر أوَّلهم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقاتلونَ أهلَ الفتن» رواهما البيهقى فى «دلائل النبوة»[٦٢٨٩].

٦٢٩٠-* وعن أبى أُمامةَ، أنَّ رسول اللهﷺ قال: «طوبى لمن رآنى [وآمن بى]، وطوبى سبعَ مرَّاتٍ لمن لم يرنى وآمن بى» رواه أحمد [٦٢٩٠].

٦٢٩١-* وعن أبى مُحَيريزٍ، قال: قلت لأبى جُمعَة رجلٍ من الصحابة: حدِّثنا حديثًا سمعتهُ من رسولِ اللهﷺ. قال: نعم أحدثُكُمْ حديثًا جيِّدًا، تَغَدَّيْنا مع رسولِ الله ﷺ ومعنا أبوعبيدةَ بنُ الجراح، فقال: يارسولَ اللهِ! أحد خيرٌ منَّا؟ أسلمْنا،

ولايلزم من هذا أفضلية الملائكة على الأنبياء لأن القول في كون إيمانهم متعجبًا منه بحسب الشهود والغيبة.

قيل في تفسير قوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾(١) أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته، متلبسين بالغيب كقوله تعالى: ﴿يخشون ربهم بالغيب﴾(٢) ويعضده ماروي أن أصحاب عبدالله بن مسعود ذكروا أصحاب رسول اللهﷺ وإيمانهم، فقال ابن مسعود: إن أمر محمدﷺ كان بينًا، والذي لا إله غيره ماآمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ هذه الآية.

الحديث الثالث والرابع عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه:

قوله: «وطوبى سبع مرات» جملة معطوفة على السابقة، أي وقال رسول اللهﷺ: «طوبى لمن لم يرني وآمن بي - سبع مرات» فعلى هذا«سبع مرات» ظرف لقال مقدرًا، تخلل بين «طوبى» ومايتعلق به.

ويحتمل أن يكون «سبع مرات» مصدرًا لطوبى ومقولا لقول رسول اللهﷺ، والمراد به التكثير لا التحديد.

الحديث الخامس عن أبي محيريز:

قوله: «وجاهدنا معك» كقوله تعالى: ﴿رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله﴾(١) وحرف الاستفهام محذوف.

[٦٢٨٩] انظر دلائل النبوة (٦/٥١٣).

[٦٢٩٠] انظر صحيح الجامع ٣٩٢٤ بروايات متعددة.

(١) البقرة: ٣ . (٢) الأنبياء: ٤٩.

(٣) النمل: ٤٤.

وجاهدْنا مَعَكَ. قال: «نعم، قوم يكونون من بعدِكم يؤمنون بى ولم يرونى» رواه أحمد، والدارمى[٦٢٩١].

وروى رزينٌ عن أبى عبيدة من قوله: قال: يارسول الله! أحد خيرٌ منَّا إلى آخره.

٦٢٩٢-* وعن معاويةَ بن قُرَّةَ، عن أبيه، قال: قال رسول اللهﷺ: «إذا فسَد أهل الشام فلا خيرَ فيكم. ولايزال طائفة من أُمَّتى منصورين لايضرُّهم من خذلهم حتى تقومَ الساعةُ» قال ابن المدينى. هم أصحابُ الحديث. رواه الترمذى وقال: هذا حديث حسن صحيح [٦٢٩٢].

٦٢٩٣-* وعن ابن عبَّاس، أن رسول اللهﷺ قال: «إن الله تجاوز عن أمتى الخطأَ والنسيانَ وماﺍستُكرهوا عليه» رواه ابن ماجه والبيهقى [٦٢٩٣].

٦٢٩٤-* وعن بهزِ بن حكيمٍ، عن أبيه عن جدِّه، أنه سمع رسول اللهﷺ يقول

ويحتمل أن يكون لمجرد الاستفهام، وأسلمنا استئناف وجاهدنا حال، و«نعم» على هذا وقعت موقعها.

وأن يكون الاستفهام للإنكار، وأسلمنا استئناف لبيان نفي خيرية الغير عنه، وعلى هذا وقعت«نعم» موقع«بلى» فالخيرية بحسب الغيبة والشهود، كما سبق بيانه آنفا والله أعلم.

الحديث السادس عن معاوية بن قرة رضي الله عنه:

قوله: «هم أصحاب الحديث» لامنافاة بين هذا الحديث وبين قوله في الحديث السابق: «لايزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله» على مامر، فإن المراد منها الفئة المرابطة بثغور الشام، لأن اللفظ يحتمل كلا المعنيين.

وأما قوله: «لايضرهم من خذلهم» فيحمل الخذلان على ترك المعاونة لهم على المبتدعة، فيكون هنا مجازًا وهنالك حقيقة.

الحديث السابع والثامن عن بهز بن حكيم:

قوله: «يقول في قوله تعالى» أي في تفسير قوله تعالى.

[٦٢٩١] قال الشيخ: رواه أحمد بإسنادين أحدهما صحيح، والآخر صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

[٦٢٩٢] انظر صحيح الجامع برقم ٧٠٢

[٦٢٩٣] انظر صحيح الجامع برقم ١٧٣١، والإرواء ٨٢ بنحوه.

في قوله تعالى: ﴿كنتم خير أُمَّة أُخرجت للناس﴾ قال: «أنتم تُتِمُّون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمُها على الله تعالى» رواه الترمذي، وابن ماجه، والدارمي، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسن [٦٢٩٤].

فالمراد بالسبعين التكثير لاالتحديد ليناسب إضافة الخير إلى المفرد والنكرة لأنه لاستغراق الأمم الفائتة للحصر باعتبار أفرادها، أي: إذا تقصيت أمة أمة من الأمم كنتم خيرها.

وتتمون: علة للخيرية، لأن المراد به الختم، يعني كما أن نبيكم خاتم الأنبياء، أنتم خاتم الأمم، وكما أن نبيكم ﷺ حار ما تفرق في الأنبياء السالفة من الكمالات والخصال الفاضلة، كذلك حكمكم مع الأمم السالفة، قال تعالى: ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾(١).

والله أعلم بالصواب
وإليه المرجع والمآب

[٦٢٩٤] انظر صحيح الترمذي ٢٣٩٩ - ابن ماجه بنحوه ٣٤٦٠، ٣٤٦١.

(١) الأنعام: ٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الجزء الثاني عشر لشرح الطيبى

❁ ❁ ❁

